الاستيعاب

في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف
د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين
رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الجزء الأول

منشورات مركز الفرقدين
للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

منشورات مركز الفرقدين
للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

(دار وقفية دعوية)

الإدارة (الكويت): الجهراء - مجمع المخيال - هاتف: - ٢٤٥٧٠٠٨٢ - ٩٦٩٩٩١٨٢ (٩٦٥+).
الفرع الأول: حولي -شارع المثنى - بجوار مجمع البدر - تلفكس: ٢٢٦٤١٧٩٧ (٩٦٥+).
الفرع الثاني: الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول - مكتب ١٠ - تلفكس: ٢٤٥٥٧٥٥٩ (٩٦٥+).



الاستيعاب

في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الجزء الأول

منشورات مركز الفرقدين للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع



الاستيعاب

في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الجزء الأول

منشورات مركز الفرقدين للدراسات والنشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع



مُقدِّمَة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

لطالما استهواني التاريخ السعودي بأدواره الثلاثة، وشَدَّني تاريخ دوره الأول ـ المعروف بالدولة السعودية الأولى ـ شَدّاً قوياً إلى قراءته وتتبّع ما كُتِبَ عنه شرقاً وغرباً.

وقد كنتُ منذ أكثر من خمسٍ وعشرين سنة وأنا مغرمٌ بتاريخ الدولة السعودية الأولى وتاريخ دعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ فقد لَفَتَني ذلك التحوُّل الكبير الذي جرى في جزيرة العرب مع قيام الدولة السعودية الأولى، وذلك التبدُّل الهائل الذي حدث في الحال الديني في جزيرة العرب بعد انتصار آل سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما بهرتني قوَّة هذه الدولة والظفر الذي وُفِّقَت إليه واتِّساعها الكبير في جزيرة العرب من اليمن وأجزاءٍ من إقليم عمان جنوباً حتى حدود العراق وبلاد الشام شمالاً، وبهرتني أيضاً دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكيف انتشرت بهذا الشكل الكبير في جزيرة العرب ـ ذاك الوقت ـ، وكيف كان النصر حليفها على من اعتدى أو افترى الكذب عليها.

وسعيتُ جهدي باحثاً عن كتابٍ شاملٍ يستوعب ذلك التاريخ الزاهر وتلك الحِقَب الباهرة، فلم أجد ما يروي غليلي ويشفي عليلي[١].

---

(١) صحيحٌ أنَّ هناك كتابات تناولت الدولة السعودية الأولى؛ ككتاب فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى»؛ على أنَّ كتابه هذا خصَّصه (في الأصل) لتاريخ مصر، وجاء تاريخ الدولة السعودية بحسب حوادث حملات محمد علي باشا على السعودية، فكان أن انْصَبَّ تركيزه على تلك الحوادث حتَّى انتهت، وما جاء من تواريخ قبلها وبعدها إنَّما هو من قبيل الاختصار ليس أكثر.

أمَّا الدراسة التي كتبها عبدالرحيم عبدالرحمٰن وسمَّاها «الدولة السعودية الأولى»، فإنَّها أغفلت كثير من الحوادث وتجنَّبت تحليل عِدَّة وقائع، إلى جانب أن عبدالرحيم ارتضى ما كتبه عثمان بن سند (وهو مؤرِّخ حاقد على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب)، كما ارتضى بعض ما ذهب إليه أحمد زيني دحلان (وحال دحلان كحال عثمان بن سند)، وتجنَّب عبدالرحيم في مواضع من كتابه ما شهد به (صدقاً وحَقّاً) ابن بشر وبوركهارت وبريدجز بالرغم مِنْ أنَّه جعلهم ضمن مصادره، فكان هذا الأمر مريب من عبدالرحيم. ثمَّ إنَّني تلمَّستُ في بعض سطور كتابه تعاطفاً (وإن حاول إخفاءه جهد طاقته) مع جيش طوسون وإبراهيم باشا، فهو لا يرصد جرائمهم، وإن كان أحياناً يذكرها لَمَماً، وأشياء أخرى ظهرت في كتابه جعلتني أتوقف بالنقد وعدم الرضا بما دوَّنه فيه، وسيأتي نقاشها في ثنايا الكتاب.

وأمَّا كتاب العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية»، فقد كان يركّز أكثر ما يركّز على النقل من بعض وثائق جمعها (ويشكر على ذلك)، لكنَّه لا يعطي القارئ وطالب الحقيقة صورةً واضحةً عن تاريخ الدولة السعودية، خصوصاً عندما يستغرق العجلاني في مناقشة بعض المصادر؛ فيذهب حديثه مطوّلاً عن ذلك مِمَّا يصيب القارئ بالتَّشتُّتِ وعدم ربط الوقائع بعضها ببعض.

أمَّا كتاب أمين سعيد عن الدولة السعودية الأولى فقد جاء مختصراً اختصاراً=

ولمَّا رأيتُ ـ إلى جانب ما سبق ـ أنَّ كثيراً من الحملات البشعة تُشَنُّ على الدولة السعودية الأولى على وجه التخصيص، بغرض تشويهها واستغلال بعض الحوادث التي يتم تحوير أسباب وقوعها لتُتَّخَذ سُلَّماً للطعن في التاريخ السعودي على وجه العموم، ثم ما رأيته من حملات شنيعة على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مِن قِبَلِ من يستغلون بعض الوقائع التاريخية ويبترونها عن سياق حدوثها لينفذوا خلالها للطعن في الدولة والدعوة عموماً.

لمَّا رأيتُ كلّ ذلك، ولم أجد ـ في الوقت ذاته ـ كتاباً يستوعب تاريخ تلك الدولة وهذه الدعوة ويردّ عنها العاديات المغرضة؛ شمَّرتُ عن ساعد الجِدِّ للكتابة عن هذا الموضوع والبحث في تاريخه وتَتَبُّع

= مخلاًّ لا يفيد طالب الحق الذي يبحث عن حوادث تاريخ تلك الدولة وهذه الدعوة.

وأمَّا كتاب صلاح الدين مختار في جزئه الأول الذي خصَّصه للدولة السعودية الأولى، فقد جاء نقلاً مطبقاً عن تاريخ ابن غنَّام وابن بشر مع صياغته بالأسلوب الحديث، وقد فات المختار تحليل كثير من الوقائع التاريخية حتَّى أتى كتابه جامداً.

وكتاب عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» في النصف الأول من جزئه الأول؛ فإنَّه كتابٌ أقرب ما يكون للكتب المدرسية المقرَّرة في الجامعات، ومثل تلك الكتب جيّدة في تسهيل قراءة تاريخ الدولة السعودية الأولى، ولكنَّه يفوته كثير من الحوادث التي يستدعيها اختصار الكتب المدرسية.

ثمَّ تأتي رسائل الماجستير والدكتوراه التي تأخذ جزءاً من تاريخ هذه الدولة ولا تطلب استيفاء تاريخها، وهذا أمر مفهوم بسبب طبيعة الرسائل العلمية التي توافق عليها المحافل الأكاديمية.

حوادثه وأسباب وقوعها، ونقض الافتراءات المثارة عليه، وتبيان الكذب فيما كتبه بعض من لهم أغراض في الماضي والحاضر، وإيضاح الصدق فيما وقع وقتها على الحقيقة.

وقد كنتُ - حتَّى قبل العزم على كتابة هذا الكتاب - في سنيَّات مَضَت أقيد الفوائد التي أقرأها في كتب التواريخ ورسائل العلماء ومصنَّفات الأدباء عن تلك الدولة وهذه الدعوة، حتى اجتمعت لدي ورقات كثيرة فيها فوائد جمَّة، فكانت مُعِيناً لي على اختطاط كتاب بنسقٍ متقنٍ بحول الله وقوّته، **«ومن صَدَقَت حاجتُهُ إلى شيءٍ؛ كَثُرَت مسألته عنه، ودام طلبه له؛ حتَّى يُدرِكَهُ ويُحكِمَهُ»**[1].

وما صنعتُ ذلك إلَّا لمعرفتي بأنَّ للتاريخ أثره في كلّ الأمم قديماً وحديثاً؛ ترى فيه صورتها على ما كانت عليه في كل أطوار حياتها، وَأيـُّما أُمَّة لا تُولِي تاريخها الاهتمام ولا تحيطه بالمحافظة والالتئام فتـُوَرِّثه لأبنائها عاماً بعد عام؛ تضطرب خطاها وتختلط عليها معالم طريقها وتنقطعُ الصلة بين واقعها وماضيها العابر.

والتاريخ ضربٌ من ضروب الدفاع عن الوطن؛ فكما أنَّ الإنسان يدافع عن وطنه بالقتال والمال، فإنَّه - أيضاً - يدافع عنه بتقييد وقائعه وبيان ما حدث فيه من الحوادث التي تُعلي من شأنِهِ، وتُظهره أمام العالم بمظهر العَظَمَة والكمال.

أقول: إنَّ حادث قيام الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من الأحداث الكبرى التي غيَّرَت أوضاع الجزيرة العربية كُلّها، وهزَّت الدول المجاورة لجزيرة العرب هزَّةً عنيفةً

---

(١) أبو سليمان حَمَد بن محمد الخطابي البستي «معالم السنن» (٤/٢٨٨ - ٢٨٩).

أزعجت رجالات حكوماتها، وزلزلت القوى الأجنبية العظمى التي كانت تحيط بجزيرة العرب، فاضطرَّت ـ تلك الدولة الناشئة وهذه الدعوة الإصلاحية ـ الناسَ شرقاً وغرباً أن يَتَتَبَّعوا تحركاتها وتقلّباتها.

وقد كتب العثمانيون وأتباعهم في ولاياتهم في البلاد العربية ـ التي كانت تحت هيمنتهم ـ عن الدولة السعودية ودعوة الشيخ، فجاروا على الحقائق وشوّهوا صورة وسمعة الدولة والدعوة وأتباعها بكلِّ لسانٍ قادرٍ على الإثارة والتبشيع؛ فكان أن ظهرت كتابات تاريخية ملؤها الكذب والافتراء[1].

وفي المقابل لم يكن أبناء الدولة السعودية الأولى نشطين في الكتابة عن تاريخها وحوادثها، إلَّا إذا استثنينا تاريخ ابن غنَّام ـ وهو شاهد عيان على حوادث تلك الفترة ـ، ومثله ابن بشر الذي شهد الحوادث المتأخِّرَة للدولة السعودية الأولى، وإن كانت كتابتهم على قدر كبير من الأهمية؛ لاعتبارها سِجِلاً حافلاً بحوادث ووقائع الدولة السعودية الأولى، إلَّا أنَّ طريقة السجع التي جاء عليها تاريخ ابن غنَّام على وجه التخصيص، وهيئة الحوليات التي سار عليها تاريخ ابن غنَّام وابن بشر، كلّ هذا مِمَّا يصعِّب الفهم والاستيعاب على مريد معرفة تاريخ تلك الفترة، كما أنَّ الحوليات تغفل ـ غالباً ـ أسباب وقوع الحوادث وتترك ربط وقائعها.

---

(١) تجد ذلك في وثائق العثمانيين التي سيشار لها في ثنايا الكتاب، كما تجده في تاريخ عثمان بن سند المعنون بـ«مطالع السعود»، وياسين بن خير الله العُمري في تاريخه الموسوم بـ«غرائب الأثر»، ورسول الكركوكلي في تاريخه المعنون بـ«دوحة الوزراء»، وخليل الرجبي في كتابه «تاريخ الوزير محمد علي باشا»، وكل هؤلاء معاصرين لعهد الدولة السعودية الأولى، ثم من جاء بعدهم كأحمد زيني دحلان في تاريخه المعروف بـ«خلاصة الكلام».

وهذا ينسحب على مصادر أخرى لتاريخ تلك الفترة من شهود العيان والمعاصرين لها كابن لعبون والفاخري، فإنَّه يعيبها الاختصار الشديد القائم على الحوليات التاريخية التي تذكر الحادثة ومكان ووقت وقوعها فقط.

من هنا؛ أصبحت تلك الفترة التاريخية تعاني شُحّاً بَيِّناً في المصادر المحلية، **على أنَّني حاولت معالجة ذلك الشُّحّ باللجوء إلى مصادر التاريخ المكتوبة خارج محيط إقليم نجد**، فكان أن رَجعتُ إلى مصادر التاريخ في الحجاز واليمن وبلاد الجنوب (عسير وجازان)، ومصر والعراق والشام، **المكتوبة في تلك الفترة، بل حتَّى المكتوبة في فترات سبقتها.**

وما عمدتُ إلى ذلك؛ إلَّا لعلمي أنَّ حوادث التاريخ تبلغ من الانتظام ما يوجب الرجوع معه إلى مَدًى بعيد جداً أحياناً؛ لإدراك تعاقب الأسباب التي أدَّت إليها، ذلك أنَّ حاضرنا الذي يكتنفنا ونحسُّه جيِّداً، إنَّما هو ناجمٌ عن ماضٍ بعيدٍ لا نُحسُّه، فيقتضي حُسْنُ فهم الحوادث التاريخية أنْ يُرجَع إلى سلسلةٍ طويلةٍ من العلل السابقة.

وبالجملةِ؛ فقد عالجتُ شُحّ المصادر بما سبق، ثم عالجتُه أيضاً بالرجوع إلى رسائل وفتاوى علماء نجد، سواء العلماء الذين شهدوا الوقائع أو العلماء الذين عاصروا الدولة وأدركوا من شهد حوادثها.

والحقُّ أنَّني وَجدتُ رسائل العلماء وفتاواهم قد سدَّت كثيراً من النقص في مصادر التاريخ المعروفة، كما وجدتُ في تلك الرسائل والفتاوى ذِكْراً لحوادث تاريخية وتحليلاً لبعض الوقائع وفوائد لم أجدها في المصادر التاريخية المعتبرة.

مِن بعد ذلك؛ حاولت استكمال الحوادث التاريخية الناقصة في

فهم أسباب وقوعها من خلال الوثائق المنشورة وغير المنشورة.

ثمَّ استعنت ـ بعد ذلك ـ بكتب التراجم وكتب الشعر وكتب الأمثال والمعاجم الجغرافية، وقد أفادني ذلك فائدة جمَّة في فهم الحوادث حين اتضَّحت صورتها الزمانية والمكانية.

وبعدَ توافر المادة التاريخية من تلك المصادر الأوليَّة والثانوية؛ اخْتَطَطتُ منهجاً أسير عليه في كلّ صفحةٍ من صفحات هذا الكتاب؛ **إذ التَزَمْتُ في كلِّ ما أذكره ـ مِن خَبَرٍ أو معلومةٍ ـ التوثيقَ والإحالة إلى مصدره الأصل.**

ثمَّ عرَّفتُ بكل شخصٍ وبكلِّ مصطلح مُبهَم يأتي في ثنايا صفحات الكتاب أو بين النصوص التي أنقلها ضمن فقراته. كما عرَّفتُ بكلِّ موضعٍ جغرافيّ، إلَّا المواضع المشتهرة كمكَّة والمدينة والرياض والقاهرة... وهلمَّ جَرَّاً.

وقد جعلتُ الكتاب مقسَّماً إلى: مقدِّمة، يليها عشرة فصول تتناول تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ قيام الدولة حتى سقوطها على يد إبراهيم باشا. ثمَّ يتبع ذلك ملحقٌ بالفصل العاشر، يليه خاتمة الكتاب، ثم فهرس لمواضيع الكتاب. ولقد زوَّدتُ الكتاب بعددٍ من الخرائط الإيضاحيَّة والصور الفوتوغرافية القديمة ذات العلاقة.

أقول: **إنَّني لا أجد مندوحةً عن ذكر ما لاقيته خلال سنواتٍ خمس قضيتها في صناعةِ هذا الكتاب، وما نابني فيه من عَنَتٍ وتَعَبٍ ليخرج على هذه الهيئة وهذا الشكل، ولست أرمي من ذلك استدرار عطف من يقرأ صفحاته، أو أعطيه صورة مبالغاً فيها عن الجهد المبذول فيه، فهذا أمرٌ متروكٌ لأفق قارئها وتقدير متصفحها؛ إنما**

رميتُ من ذلك أن يعلم القارئ ما لاقيت في سبيل إخراج كتاب علمي يحمل الجِدَّ في البحث، والجِدَّةَ في معلوماته ونتائجه التي وصل إليها.

راجياً أن يكون هذا العمل باكورة لأعمالٍ أخرى تستكمل تاريخ المملكة العربية السعودية بدورها الثاني ثم دورها في عهد الملك عبدالعزيز وبنيه، على ذات النَّسَق الذي سار عليه هذا الكتاب.

فيا أيُّها القارئ؛ «لك [من هذا الكتاب] غُنْمه وعلى [كاتبه] غُرْمُهُ، ولَكَ صَفْوُهُ وعليه كَدَرُه، وهذه بضاعته تُعرَضُ عليك وبَنَاتُ أفكارِهِ تُزَفُّ إليك، فإنْ صادفت كفؤًا كريمًا لن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسانٍ، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّانِ، وما كان من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان»[1].

فما وَجدتَ فيه من حقٍّ وصواب فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، وما وَجَدتَ فيه من خطأ، فاعلم أنَّ كاتبه لم يَألُ جهد الإصابة، ولكن يأبى الله الكمال إلَّا لكتابه.

وفي النهاية؛ لا يسعني إلَّا أنْ أَتَقدَّم بجزيل الشكر والعرفان ووافر الامتنان إلى أخي وصديقي الصدوق: **الشاعر الأديب الأستاذ فالح بن بدَّاح العجمي**؛ الذي قرأ هذا الكتاب وأبدى ملاحظاته القيِّمَة عليه. **فإليك يا أبا بدَّاح أقول: «هذا غرسك الذي غرستَ»**.

كما أَتَقَدَّم بالشكر إلى كل من ساندني وساعدني في إظهار هذا العمل، وأَخُصُّ الشيخ سليمان بن صالح الخراشي،

(١) شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «حادي الأرواح» (١٦ ـ ١٧).

والدكتور عبدالله المنيف، والشيخ محمد النّمَيْ، والشيخ بدر الزايد، والشيخ سعيد بن محمد القاضي، والدكتور عبدالله أبا حسين، والدكتور سامر فوزي قنبس، والشيخ بدر محمد العصفور، وفهد فرج الهتيل.

أسأل الله جلَّ في علاه أنْ يجعل عملي هذا ـ وسائر أعمالي كلّها ـ خالصةً لوجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه:

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

الكويت ـ أبو حليفة.

الاثنين ٣ ربيع الآخر ١٤٤٣هـ/٨ نوفمبر ٢٠٢١م.





الفصل الأول

الأحوال السياسية في نجد ومحيطها
قبل قيام الدولة السعودية الأولى
وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب





ظهور دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى هو مبتدأ التاريخ الحديث للجزيرة العربية

إنَّ قيام الدولة السعودية الأولى ونصرتها لدعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب يُعتَبَر فاتحة التاريخ الحديث لنجد وجزيرة العرب[١]؛ لأنَّ تاريخ الجزيرة العربية الحديث، وليس تاريخ نجد وحدها، يبدأ بقيام تلك الدولة الفتيَّة وظهور هذه الدعوة الإصلاحية.

جاء ذلك باعتبار التغيُّر الأساسي الذي شهدته جزيرة العرب بقيام تلك الدولة وهذه الدعوة؛ إذ بقيامهما «قام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحُدِّدَت الحدود الشرعية وعزِّرَت التعازير الدينية وانْتَصَب عَلَم الجهاد وقاتَل لإعلاء كلمة الله، فَجَمَعَ الله بها القلوب بعد شتاتها وتألَّفَت بعد عدوانها وصاروا بنعمة الله إخوانا[٢]؛ فأعطاهم الله بذلك النصر وذاك العز وهذا الظهور ما لا يُعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفَتَحَ عليهم الأحساء والقطيف، وجَعَلَ الله لهم مهابة وقوة وتمكيناً من عمان إلى عقبة مصر ومن اليمن

---

(١) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤١/١).

(٢) سيأتيك بُعيدَ قليل تصوير للحالة القاتمة البائسة التي كانت عليها نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

إلى العراق والشام، ودانَت لهم عربها وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تُضرب لها أكباد الإبل في طلب الدين والدنيا وتفتخر بما نالَها من العزِّ والنصر والإقبال والسَّنا»[(١)].

كما قال عالم الأحساء الشاعر أحمد بن علي بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)[(٢)]:

فكم ملكوا ما بين يَنْبُع بالقنا   وما بين جعلان إلى جنب مزيد[(٣)]
ومن عدن حتَّى تنيخ بإيليا   قلوصك من مبدأ سهيل إلى الجَدِي[(٤)]

فحادث مثل حادث قيام الدولة السعودية الأولى «والدعوة النجدية السلفية التي اشْتُهِرَ عند الناس تسميتها بالوهابية، من الأحداث الكبرى التي اهتزَّ لها التاريخ في الشرق الأدنى والأوسط، وقلبت أوضاع الحكم في الجزيرة كلها، وزلزلت الدول التي تصاقب الجزيرة زلزلةً أزعجت رجال حكوماتها، ولفتتهم إليها بعنف وروعة لفتةَ الذعر والإكبار والإعجاب، واضطرّت الناس في المشرق والمغرب ـ من لهم مصالح في الجزيرة ومن لا مصالح لهم فيها ـ أن يتجهوا إليها وأنْ

---

(١) سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد في ردّ شبهات علوي الحداد» (١٤ ـ ١٥) بتصرّفٍ يسير.

(٢) الشيخ والشاعر أحمد بن علي بن حسين، من آل مشرَّف، وُلِدَ في (الزبارة)، ونشأ وتعلَّمَ في (الأحساء). كان كفيف البصر منذ طفولته. ولّاه الإمام فيصل بن تركي قضاء الأحساء، وأقرَّه على الولاية الإمام عبدالله الفيصل بعد أبيه. انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (١/٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٣) سيأتي التعريف بتلك المواضع الجغرافية حين ورودها في مكانٍ آخر من هذا الكتاب، لمناسبتها هناك أكثر من هنا.

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

يَتَنَطَّسُوا تَقَلُّبَاتها وحركاتها ويتتبعوا ما يقع فيها من أحداث وشؤون بعين العناية والاهتمام، وأن يتنبَّؤوا لها مختلف النُّبُوءات ويكتبوا عنها مختلف الكتب والمقالات، وأن يُشْغَلوا بدرسها من جميع نواحيها»[١].

لذلك كان لوريمر Lorimer (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)[٢] محقّاً لمَّا قرَّر تلك الحقيقة قائلاً: «**يبدأ التاريخ الحديث لوسط الجزيرة العربية بقيام الوهابيين، الذين أصبحوا هم الذين يحددون سَيْرَ الحوادث فيها إلى حدٍّ كبير**»[٣].

ومثله قال فيليب حتّي (ت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)[٤]: «**لا يبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث، حتى ظهور الموحدين في منتصف القرن الثامن عشر**، وكانت حركتهم[٥] حركة إحياء للدين وتمسّك شديد بنصوصه، بدأها نجديٌّ من العيينة[٦] اسمه محمد بن عبدالوهاب»[٧].

مِن هنا تعلم الصواب الذي وُفِّقَ إليه المؤرخ النجدي **عثمان بن**

---

(١) عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٢١).

(٢) ج. ج. لوريمر Lorimer: من كبار الموظفين البريطانيين في حكومة الهند البريطانية. انظر عنه: جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/٣ ـ ٤).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٥٧١).

(٤) فيليب حَتِّي: مستشرق أمريكي، لبنانيّ الأصل. انظر ترجمته عند: نزار أباظة «إتمام الأعلام» (٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) سيأتي التنبيه في ثنايا الكتاب على أنَّها ليست حركة، بل دعوةٌ سلفيةٌ مباركة.

(٦) العُيَيْنَة: تقع في ملتقى شعاب (وادي حنيفة) الرئيسية. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٩٨).

(٧) فيليب حَتِّي «تاريخ العرب» (١/٨٧٠).

بشر (ت١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)[١] **حين بدأ كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد»** ، بالسنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية[٢] ، وقيام الدولة السعودية الأولى التي ناصرت دعوة الشيخ وآزرتها ، جاعلاً من هذا الحدث مبتدأً لتاريخه؛ التاريخ الحديث والمعاصر لجزيرة العرب[٣].

كلّ هؤلاء انطلقوا من تلك البَدَاهَة التاريخية وساروا على ضوئها فيما كتبوه عن الدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية؛ **لأنَّه بقيام هذه الدولة حصلت الحركة الكبيرة التي صاحبت الدعوة النجدية؛ مِن إعداد الجيوش والغزوات الكبيرة وفتح البلدان**، وما صاحب ذلك من موالاة أصحاب الدعوة ومعاداة من آخرين قبل دخول الجزيرة العربية تحت لواء واحد.

وبجانب حركة الحرب والسلم صارت حركة الجدال بالقلم واللسان، فصُنِّفَت الكتب والرسائل والردود من الطرفين؛ وثارت حرب كلامية راجت فيها سوق التأليف والكتابة. كما قام الشعر بدورٍ كبيرٍ في هذا المضمار؛ سواء منه الفصيح أو العامي، فصار للدولة والدعوة أعوان ولخصومها أنصار، فخَلَّدَت بذلك أحداث المعركة، كما وَعَت صدور الناس الكثير من أخبار هذه الحقبة؛ لأهميتها لديهم

---

(١) هو عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر الحرقوصي. مؤرِّخ نجد المشهور. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧١٠/٣). وعبدالله البسام «علماء نجد» (١١٥/٥ ـ ١٢٦).

(٢) الدرعية: تقع اليوم شمال غرب (الرياض) بـ ٢٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٦/١) (٤٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣/١).

ولضخامة حوادثها وتَفَتُّح الوعي فيهم. وكتب بعض مؤرخي نجد عنها، وكذلك كتب عنها الأجانب بغير اللغة العربية وبالعربية أيضا[(١)].

وعليه كان لِزاماً سبر تلك الفترة التاريخية وما سبقها من فتراتٍ وحقبٍ قريبة منها؛ **ذلك لأنَّ الولوج مباشرةً إلى تاريخ الدولة السعودية الأولى دون الرجوع إلى جذور تاريخ نجد ما قبل قيام تلك الدولة وحادثة انتصارها لدعوة الشيخ، قد لا يُظهِر التبدَّل الهائل والتغيُّر الكبير الذي شهدته نجد وجزيرة العرب.**

وهذا منهاج معتبر في البحث العلمي التاريخي الذي يستقصي جذور الحوادث ليصل إلى تحليلٍ يتوافق والمنطق السليم لتسلسل الوقائع وما آلت إليه.

من هنا سيكون البحث في أقاليم نجد على هيئةِ مسح واستقراءٍ تاريخي موجز منذ عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور كالأموي والعباسي وصولاً إلى نشأة دويلات المدن النجدية أو عصر الإمارات النجدية المستقلة فَيُفَصِّلها، **ثم يأتي البحث على مسألة استقلال نجد مِن قَبْل قيام الدولة السعودية وحتَّى في أثناء قيام الدولة في الدرعية،** ثمَّ يسير البحث إلى سبر الحال السياسي لمحيط نجد في الأحساء والحجاز واليمن والعراق والشام وغيرها بعبارةٍ موجزةٍ تقتصر على المفيد من القول.

فإليك تاريخ نجد قبل ظهور دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى.

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١٢/١ ـ ١٣).



نجد منذ أيام الخلافة الراشدة إلى أوّل قيام دويلات المدن النجدية

سكن بنو حنيفة[١] اليمامة[٢]، وكان أوّل ساكنيها منهم هو عبيد بن ثعلبة بن الدُّؤل بن حنيفة في القرن الخامس الميلادي، ثمَّ

---

(١) وحنيفة هو ابن لُجَيْم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وايل بن قاسط بن هِنْبِ بن أقصا بن دُعْميَّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَد ابن عدنان. وقد استقرَّ بنوه في (اليمامة) بعد انتقال بطون ربيعة إلى شرق الجزيرة، ثمَّ إلى خارجها عند ظهور الإسلام، واستطاعوا أن يحافظوا على بقائهم في واديهم المعروف باسم (العِرْض/ باطن الرياض الآن) بين قبيلتين من أعظم القبائل وأقواها وأكثرها عدداً؛ وهما بنو تميم من الشرق والشمال والغرب، وقيس عَيْلان في الغرب وفي الجنوب الغربي. وكانت قاعدة بلاد نجد مدينة (حَجْرٍ) في وسط بلادهم (التي قامت مدينة الرياض مكانها). انظر: ابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٦٢٩). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (٤/١٤٢ ـ ١٤٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤٨ ـ ٣٤٩).

(٢) اليمامة: هي التي تضمّ إقليم (الرياض) وهي قاعدة اليمامة، وتضمّ أيضاً (الشعيب/ شعيب حريملاء) و(المحمل) و(الخرج) و(الفُرَع) وملحقاتها و(ضرما) و(الدرعية) وملحقاتها، ويشقّ هذا الإقليم (وادي حنيفة). كما تضمّ اليمامة إقليم (سدير) و(الزلفي) و(الوشم) و(الأفلاج) و(وادي الدواسر). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤).

ترادفت أفخاذهم للسكن في بلدات اليمامة حين سادت بنو حنيفة عليها، ولسوف يظهر لكَ المدى الذي أسهم فيه سكن هذه القبيلة في تلك المنطقة من حيث رقيِّها وزيادة تحضّرِها وكثرة العمران فيها، وسيستبين لك ذلك حين تعلم أنَّ استقرار بني حنيفة انبسط على جزءٍ مهم وكبير من منطقة اليمامة يمتدّ من مَلْهَم[١] إلى الخَرْج[٢]. وبالرغم من النفوذ البارز لهذه القبيلة إلَّا أنَّه قد جاورها قبائل قريبة النسب منها من بني بكر بن وائل[٣] ومن **تميم**[٤] **ومن باهلة**[٥]، لكنَّ الغلبة والوجود السكاني الأكثر كان لبني حنيفة[٦].

---

(١) مَلْهَم: بلدة تقع في أسفل (وادي قران) عند مُنْفَسخة من الجبل. انظر: عبدالله الخميس «معجم اليمامة» (٢/٣٩١).

(٢) الخَرْج: بلدة تبعد عن مدينة (الرياض) حوالي ٨٠ كلم جنوباً. انظر: عبدالله الخميس «معجم اليمامة» (١/٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٣) بنو بكر بن وائل: عليٌّ ويَشكُر وبَدَن، ودخل بنوه في بني يشكر. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٣٠٧).

(٤) بنو تميم: ولدُ تميم بن مرٍّ بن أُدّ بن طابخة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٧).

(٥) باهلة: هم بنو مالك بن أَعصُر بن سعد بن قيس عَيْلان. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٤٥).

(٦) انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢ ـ ٢٥٥) (٢٦١ ـ ٢٦٣) (٢٧٤ ـ ٢٧٥). وابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٦٣٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٩) (٢٩٦ ـ ٢٩٧) (٣٨٨). وعبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٦). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضريين حتَّى قيام الدرعية» بحثٌ منشور في «مجلة الدرعية»، المجلد ٨، العدد ٣٢، يناير ٢٠٠٦م، (ص: ٤١).

على أنَّه مع معارك حروب الردَّة ثم العصر الذي تلا عهد الخلافة الراشدة أخذ شأن نجد يتضاءل مع انتقال مركز الخلافة خارج جزيرة العرب، ثمَّ زاد حال التضاؤل هذا باشتراك عديد من قبائل المنطقة في عملية الفتوحات الإسلامية وما نجم عنه من ارتحال بعض فئات تلك القبائل لاستيطان البلاد المفتوحة، ثمَّ جدَّت عوامل القحط والجدب داعيةً بعض فروع القبائل ومنها بنو حنيفة إلى الارتحال عن المنطقة إلى شرقي جزيرة العرب، ثمَّ ما جَدَّ بتولّي بعض القبائل ولاية المنطقة، كما حصل حين تولَّت بنو تميم ولاية اليمامة، وبنو تميم في تلك الفترة كانت تمثل بادية اليمامة[١].

على أنَّ **الظروف أتاحت لبني حنيفة استعادة ولاية اليمامة في الفترة التي ضعفت فيها الدولة الأموية أواخر عهدها**، فانفصلت اليمامة عن الدولة الأموية بعدما هزموا واليها على اليمامة. وتعمَّق انفصال اليمامة في العهد العبَّاسي حين برزت ظاهرة الدويلات المستقلة، وحين أصبحت الخلافة بعيدة عن العرب وعن بلادهم، فأصبح امر هذه البلاد مهملاً، وبقيت مغمورة[٢]، حتَّى صار تعيين ولاة اليمامة في هذا العهد وما تلاه أمراً شكلياً قد يتبع اسمياً الولايات المهمة القريبة من اليمامة كالبصرة والبحرين واليمن والمدينة النبوية[٣].

---

(١) انظر: عبدالرحمن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧). وعبدالله العسكر «تاريخ اليمامة في صدر الإسلام محاولةٌ للفهم» (٦٧ ـ ٦٨) (٧٠). وعويضة بن متيريك الجهني «نجد قبل الوهابية» (٧٤).

(٢) انظر: حمد الجاسر «مدينة الرياض» (٤٧).

(٣) انظر: عبدالرحمن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧ ـ ١٨). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٥٤).

ونتيجةً للفراغ القيادي السياسي الناجم عن شكلية تبعية اليمامة للدولة العباسية، ونتيجةً أيضاً للخلاف العباسي العلوي؛ استغلَّ العلويون من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك الوضع **فقامت دولتهم الأخيضرية في اليمامة سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م** وقيل سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م على يد **محمَّد الملقَّب بالأخيضر**[١]، **وكان استيلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العبَّاسي، فجعل محمد الأخيضر** من **الخِضرمة**[٢] **عاصمةً لمُلْكِهِ بعد أن كان المُلك فيها لبني حنيفة**[٣].

والأخيضريون هؤلاء عَلَوِيَّةٌ كانوا على مذهب الزيدية، ويقولون في الإقامة للصلاة: «محمد وعلي خير البشر وحيَّ على خير

---

(١) هو محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر: علي بن محمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (٤٦). وجمال الدين أحمد ابن عنبة «عمدة الطالب في أنساب أبي طالب» (١١٣ ـ ١١٦).

(٢) الخِضرمة: تقع في جوٍّ أسفل (وادي الخرج)؛ في الموضع الذي تقوم فيه بلدة (اليمامة) في العهد الحاضر، أو قريبٌ من ذلك الموضع. انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨٨/١).

(٣) انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢) (٢٧٦). وأبو القاسم بن حوقل «صورة الأرض» (٣٨). وعزّ الدين علي بن الأثير «الكامل في التاريخ» (١٦٤/٧ ـ ١٦٥) (١٧٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩/١ ـ ٤١) (٣٠٣). وعبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٨). وعبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية» بحثٌ منشورٌ في «مجلة كليَّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية/ جامعة الإمام محمد بن سعود» العدد: ٦، السنة: ١٩٧٦م، (ص: ٤٦٠).

العمل»[١]. **وكُتُب التاريخ تكاد تُجمع على أنَّ الأخيضريين قومٌ ظَلَمَة سيِّئو السياسة عنصريون مفسدون، عَملوا على إضعاف القبائل العربية في نجد وغيرها**، مِمَّا اضطرَّها إلى الهجرة إلى مصر والمغرب العربي وجوانب من أفريقيا وسواد العراق وأطراف الشام[٢].

واستمرَّ الأخيضريون يحكمون المنطقة بمذهبهم الزيدي إلى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري/بعد منتصف القرن الحادي عشر الميلادي[٣].

على أنَّه وقع خلافٌ بين المؤرِّخين عن الكيفية التي انتهى بها نفوذ بني الأخيضر في اليمامة وعلى يد من؟. فالمرجَّح ـ بالنسبة للمدَّة التي ذكرنا، وبالنسبة لمن أدال دولتهم ـ **أنَّ نفوذ الأخيضريين** انتهى على يدِ **القرامطة** الذين استولوا على الأحساء سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م، وجَرَت وَقْعَة بينهم وبين الأخيضريين في اليمامة من أعنف الوقعات؛ فقد ضربهم **القرامطة** ضربةً مؤلمةً عاش الأخيضريون بعدها زمناً، ولكنَّها خَضَدَت شوكتهم، وظلّوا بعدها في ضعفٍ حتى دالت دولتهم وذابوا في قبائل المنطقة[٤]،

---

(١) ناصر خسرو علوي «سفرنامة» (١٥٨) وهو معاصرٌ للدولة الأخيضرية وقد زار بلادهم في اليمامة.

(٢) أبو القاسم بن حوقل «صورة الأرض» (٣٨). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٢٨/٤). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٢) (٤٤٧) (٢٧٢/٢).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٣) (٣٧٥). وعبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧ ـ ١٨).

(٤) انظر: جمال الدين أحمد ابن عنبة «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» (١١٥ ـ ١١٦). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبر» (٢٩٨/٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٣).

على أنَّه بقيت منهم بقايا[١].

ويبدو أنَّه بعد زوال حكم بني الأخيضر في اليمامة ودمار عاصمتهم الخضرمة، ساعد ما تحمل النفوس عليهم من حقدٍ وضغينةٍ لقاء ظلم الأخيضريين وعسفهم على إبادة الخضرمة وإخفاء معالمها[٢].

ومنذ تضعضع حكم الأخيضريين لم تقم بعدهم في اليمامة ولايةٌ قويَّة نافذة، ولم تظهر فيها أيَّة دولة ذات شأنٍ ليهتمَّ المؤرّخون بأمرها، وأصبحت بلدات نجد مجزَّأة إلى إمارات متفرِّقة، كلّ بلدة من بلدات نجد لها زعامتها المستقلَّة المعادية في كثير من الأحيان لجارتها، وكلّ قبيلة تسيطر بقدر استطاعتها على منطقةٍ رعوية خاصّة بها[٣]؛ وكانت بنو كلاب[٤] هي المهيمنة في وقتٍ من أوقات ذاك الزمن على اليمامة بُعَيْدَ سقوط دولة الأخيضريين[٥]، حتى استلب بنو عصفور أصحاب

---

(١) قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٨٣): أنَّ جُلّ سكان قرية (المفيجر) في (وادي نعام) هم من آل حسين من الأشراف من بقايا بني الأخيضر. وكرَّر ابن خميس ذلك في (١/٣٩) من «معجم اليمامة». وقال حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (١٤١): آل حسين في (المُفَيْجِر) بمنطقة (الحريق)، وهم من الأشراف.

(٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٣١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٠٣) (٣٧٥). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٣٦).

(٤) بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٨٠).

(٥) انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣/١٤٩). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (٤/١٦٥).

الأحساء[١] مُلْكَهُم من اليمامة في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[٢].

والواقع أنَّه منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بدأت تتشكَّلُ في نجد قوَّة محليَّة أخرى متحالفة، ما لَبِثَت أنْ أصبح لها مكانة وسيطرة على أجزاء واسعة في بلاد اليمامة، فبنو حنيفة سكَّان قلب اليمامة الأصليون الذين تأثَّروا أكثر من غيرهم بسياسة الأخيضريين، وفقدوا مكانتهم بسببها، أخذوا يستأنفون شيئاً من نفوذهم في المنطقة، على ضعفٍ في أوَّل الأمر، متحالفين مع قوًى أخرى[٣].

ويذكر **ياقوت الحموي** (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)[٤]: بأنَّ بدوياً من أهل تلك البلاد أخبره «أنَّ الوشم[٥] خمس قرى عليها سورٌ

---

(١) بنو عصفور من بني عُقَيْل من عامر بن صعصعة، وهم أصحاب الأحساء آنذاك وهي دار ملكهم. انظر: أبو العباس أحمد القلقشندي «قلائد الجمان» (١١٩ ـ ١٢٠). وعبداللطيف الحميدان «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة»، نشره في «مجلة العرب» ج١، السنة٢، رجب وشعبان ١٤٠٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٠م (ص: ٦٥ ـ ١١٥).

(٢) انظر: ابن سعيد الأندلسي في كتابه «نشوة الطرب» (٦٣٠). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (١٦٨/٤).

(٣) انظر: فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٢٧).

(٤) ياقوت الحموي: المؤرِّخ البلداني المشهور. انظر ترجمته عِندَ: شمس الدين ابن خلِّكان «وفيات الأعيان» (١٢٧/٦ ـ ١٣).

(٥) الوشم: أحد أقاليم نجد، واقعٌ بين (رمل الرَّغام/ عُرَيْق البلدان الآن) من الشرق و(صفراء الوشم) من الغرب، وما بين (قَرقَرَى) من الجنوب وما بين (الهوابج) ومستقرات سيول (المستوى) من الشمال. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٤١/٢ ـ ٤٤٢).

واحد من لبن[١]، وفيها نخلٌ وزرعٌ لبني عائذ[٢] لأهل مزيد[٣]، وقد يتفرّع منهم، والقرية الجامعة فيها ثرمداء[٤] وبعدها شقراء[٥] وأشيقر[٦] وأبو الريش والمحمدية[٧]، وهي بين العارض[٨]

---

(١) علّق حمد الجاسر في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٤٨٨) على تلك العبارة فقال: «الصواب: على كلّ قرية سور». وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٤٤٢): «أنَّه لا يمكن أنْ يضمّ قرى الوشم سور واحد كما نقل ياقوت عن الأعرابي».

(٢) انظر ما سيأتي في التعريف بنسب عائذ بني سعيد.

(٣) انظر التعريف بالمزايدة في هامشة لاحقة هنا في هذا الفصل.

(٤) ثرمداء: تقع في جنوب منطقة (الوشم)، بين بلدة (أثيفية) شماليها وغربيها، وبين بلدة (مراة/ مرات) من جنوبيها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٣٢).

(٥) شقراء: بلدة قائمة على (هضبة شقراء)، يقابلها من الشرق (جبل كُميت). انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (٢/٥٧).

(٦) أشيقر: تبعد (شقراء) عنها حوالي ١٧ كلم شماليها. انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (١/٨٢).

(٧) لم أقف على موضع (أبو الريش) و(المحمَّدية)، على أنَّ عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (١/١٩٠) ذكر موضعاً يقال له (الرِّيش) فقال: إنَّه في (البياض) جنوب (الخرج) في بلاد الدواسر. أمَّا (المحمَّدية) فلربما هي التي ذكرها ابن خميس في (٢/٣٤٤) حين تكلَّم عن موضع (المحمَّدي) فقال: إنَّها قرية من قرى (الخرج) تقع بين (الدِّلَم) و(نعجان).

(٨) العارض: هو عارض اليمامة، ويسمَّى (طويقاً). و(العارض) اسمٌ للجبل المعترض، ومنه سُمِّيَ (عارض اليمامة)، وهو جبلها. واصْطُلِحَ أخيراً (قبل قرنين من الزمان تقريباً) على إطلاق اسم (العارض) على جزء من (جبل اليمامة/ طويق). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٢٩ ـ ١٣٠).

والدهناء[(١)] . . .»[(٢)].

مع أنَّ الوشم ليس كما قال ياقوت، بل هو واقعٌ غرب العارض لا شرقه، ولا بينه وبين الدهناء[(٣)]، فالعارض هو الذي بينها وبين الدهناء، وما آفة الأخبار إلَّا رواتها[(٤)].

كما ذكر ابن فضل الله العُمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)[(٥)] العرب الموجودين في زمنه في عارض نجد، فقال: «عرب العارض: والعارض وراء الوشم، والوشمُ هو الذي ينتهي إليه آل فضل[(٦)] إذا

---

(١) الدّهناء: رمالٌ كثيفة منبثَّة غزيرة، تمتدّ برقعة رحبة بعد (الربع الخالي). انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (٤٣٦/١).

(٢) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٥٨/٤).

(٣) من تعليقات حمد الجاسر على كلام ياقوت، ذكرها في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٤٨٨).

(٤) عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٤٤٢/٢).

(٥) هو القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري. قال عنه ابن الوردي: منزلته في الإنشاء معروفة وفضيلته في النثر موصوفة. مات بطاعون مدينة دمشق سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. انظر: عمر ابن الورديَ «تاريخ ابن الوردي» (٣٤٢/٢).

(٦) آل فَضْل: هم سادة بادية الشام، وهم قبيلة طائية؛ فهم آل فضل بن ربيعة من عَقِب إياس بن قبيصة بن أبي فعر. انظر: علي بن أحمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (٤٠٠). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (٤٦/٤ ـ ٤٧). ومنهم آل فضل بن مهنَّا في (الجولان). انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٩٦ ـ ٩٧). ويقول المؤرّخ إسماعيل بن كثير في «البداية والنهاية» (٣٨٠/١٨ ـ ٣٨١) في حوادث ٧٣٥هـ: «وفيها مات حسام الدين بن مهنَّا أمير العرب بالشام. وقد كان مهنَّا يُحبّ الشيخ تقي الدين بن تيمية حبّاً زائداً هو وذريَّته وعَرَبُه، وله عندهم منزلة وكرامة، يسمعون قوله ويمتثلونه، وهو الذي نهاهم أن يُغير بعضهم على بعض وعرَّفهم أنَّ ذلك حرام».

توسَّعوا في البرِّ، وهم بنو زياد[١] والجميلة[٢] . . .».

ثمَّ ذكر العمري عرب الخرج الموجودين في زمنه، فقال: «وعرب الخرج: وهم العقفان والبرحان[٣]، ومن بلادهم البريك[٤] والنعام[٥]، وهما قريتان في وادٍ منيع إذا حُصِّنَ مدخلُهُ بسورٍ كان أمنع بلاد الله».

---

(١) بنو زياد: قال الحسن الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (٢٧٧) وهو يتحدَّث عن (شقراء) و(أشيقر): «ومِمَّا يعد في حوزها سواد باهلة، وأوَّله مِن مُشرقه بلد يقال له القويع يُعرف ببني زياد من باهلة». وقال جبر بن سيَّار في «نبذة في أنساب أهل نجد» (١٠١): «بنو زياد من بني تميم». وقال فهد الدامغ في بحثه «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٢٩): «ويوجد في منطقة حوطة بني تميم قرية تسمَّى زياد، يُرجَّح أنها قامت على أنقاض مستوطنة قديمة كان يسكنها بنو زياد بن العلا بن زياد من بني هزَّان مِن عنزة. ولا يستبعد أيضاً أنَّ بني زياد الذين أشار إليهم ابن فضل الله العُمري هم من بني زياد بن العلا من هزَّان».

(٢) الجميلة: من بني وايل، وهم من سكَّان (الهدَّار) في (الأفلاج) قديماً، وإليها يُنسَب آل صباح أمراء الكويت، من الأسر التي تنتسب إلى عنزة. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (١٠١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١١٢).

(٣) رسمها ابن فضل الله العُمري بالعقفان والبرحان. بينما رسمها جبر بن سيَّار في «نبذة في أنساب أهل نجد» (ص: ١١٨): بالعطيان والرجبان، وقال: إنَّهم من بني حنظلة بن تميم. أمَّا عبدالله بن خميس فقد رسمها في كتابه «معجم اليمامة» (١/١٦٠): بالعنصان والسرحان.

(٤) بريك: تصغير (بِرْك)، قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/٣١٧) (٤/٣٩٣): أنَّ (بِركٌ) ماء لبني عقيل. وذكر ابن خميس في «معجم اليمامة» (١٥٠ ـ ١٥١) (١٦٠): أنَّ بُرَيْك وادٍ من أشهر الأودية التي تخترق (جبل العارض/ عارض اليمامة/ جبل طويق الآن).

(٥) نعام: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/٣٩٣): أنَّ (نعام) وادٍ=

ثمَّ ذكر العُمري عرب عائذ، فقال: «عائذ بني سعيد[١]؛ دارهم من حَرْمَة[٢] إلى جلاجل[٣] والتويم[٤] ووادي القُرى[٥] الذي يُعرف

= باليمامة لبني هزَّان في أعلى (المجازة) من أرض (اليمامة). وذكر ابن خميس في «معجم اليمامة» (٤١٦/٢ ـ ٤١٧): أنَّ (نعام) وادٍ من أكبر أودية (اليمامة)، يسيل مُشرِّقاً من أعلى قِمَم (العارض) غرباً.

(١) قال حمد بن لعبون في «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (ص: ٤١): «ورأيتُ نسبة لعائذ تقول فيها: عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب بن جابر بن زيد بن الحارث بن بغيض بن شكيم». وقال حمد الجاسر في جمهرته (ص: ٤٩٣) بعد بحث طويل له: وأرجَح الأقوال وأصحها في نسب هذه القبيلة أنَّها من عَبيدة من جَنْب من قحطان على ما هو معروف بين الأسر التي تنتسب إليها. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٤٣٢/١): «وعائذ قبيلة ربعية كان لها شأنٌ وسلطةٌ وذِكْرٌ امتدَّ إلى زمنٍ قريب، ولا تزال باقي أسرهم في (الخرج) ذات شهرة ومكانة».

(٢) حَرْمَه: بلدٌ من بلدان (سدير)، وهي ملاصقة لبلد (المجمعة).عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٩/١).

(٣) جلاجل: بلدٌ مشهور من بلدان (سدير) يسمّونه أيضاً (وادي المياه)، كان قديماً لبني عوف بن مالك بن جندب من بني العنبر من تميم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٧٣/١) (٢٧٥).

(٤) التويم: من بلدان (سدير)، غُمِرَ ثمَّ عُمِرَ على يد آل أبي ربَّاع. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢١١/١ ـ ٢١٢).

(٥) وادي القرى: قال فهد الدامغ في بحثه «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٣٠) في أثناء تعليقه على كلام ابن فضل الله العُمري: «لعلَّ المراد وادي الفقي (سدير) فهو من أكبر أودية المنطقة، ولكن اشتبه الأمر على الراوي لعدم معرفته بالمنطقة». وقد قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤٥٨/٤): أنَّ (الفُقَيّ) منبر (الوشم). وقال أيضاً في (٤٤٠/٣ ـ ٤٤١): الفَقْءُ قرية باليمامة بها منبرٌ من أكبر منابر اليمامة، وأهلها بنو ضَبَّة بن أدّ وبنو العنبر بن عمرو بن تميم، وأنَّ بني العنبر نزلوها بعد مقتل مسيلمة. وقال عبدالله بن خميس في =

بالعارض ورُماح[١] والحَفرْ[٢] . . .»[٣].

ثمَّ قال العُمري: «بنو يزيد[٤]: ودارهم مَلْهَم وبنيان[٥] وحَجر[٦] ومنفوحة[٧] وصيَّاح[٨] ....

= «معجم اليمامة» (٢/٢٥٦): أنَّ (وادي الفُقَيّ) ينحدر من قمَّة (طويق) مِمَّا يلي (الحريق) وما حوله. وهم الآن يقولون عن هذا الوادي: (وادي سدير)، ولا يكاد (وادي الفُقَيّ) يذكر في هذا الوقت.

(١) رُمَاح: تقع على حافة (وادي الطوقي) الجنوبية، وهي ملتقى كثير من أودية (العرمة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٧٧).

(٢) الحفر: كان يسمَّى (حفر سعد) كما عند ياقوت الحموي في معجمه (٢/١٦١) الذي قال عنه: أنَّه بحذاء (العرمة) ووراء (الدهناء). وهو الآن يُسمَّى (حفر العتك) كما عند عبدالله الخميس في «معجم اليمامة» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤) الذي قال فيه: إنَّه يبعد عن (الرياض) ١٥٠ كلم شمالاً.

(٣) أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥٠) باختصار.

(٤) بنو يزيد/ آل يزيد: من بني حنيفة. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة» (٩٠٩).

(٥) بنيان: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/٣٩٥): هي قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١/١٧٩): أنها اليوم قرية بها جمعة وجماعة، تبعد عن (الرياض) بحوالي ٥٠ كلم شمالاً، وتقع على ضِفَّةِ وادٍ يسمَّى باسمها.

(٦) حَجْر اليمامة: هي (الرياض) اليوم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٩٢ ـ ٣٠٥).

(٧) منفوحة: قرية مجاورة لـ (حَجْر اليمامة/ الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٩٧ ـ ٤٠٠).

(٨) صِيَاح: في (وادي حنيفة)، واقعةٌ بين (باطن الرياض) وبين (منفوحة)، وهي من منازل بني يزيد من بني حنيفة في القرون المتأخِّرة بعد دولة بني الأخيضر.=

والبَرَّة[١] والعويند[٢] وجوّ[٣] . . .».

ثم قال: «المزايدة[٤]: دارُهم البَخراء[٥] وحَرْمة، وهي حَرْمَةٌ أخرى غير الذي تقدَّمَ ذكرها، وسِيحَة الدَبيل[٦] والحُلوة[٧] والهُزَيْم[٨]

= انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٨٣ ـ ٨٤).

(١) البَرَّة: قريةٌ بـ (قَرقَرى) قديمةٌ كانت ليحيى بن طالب الحنفي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٥٩).

(٢) العُوَيْنِد: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/٣٦٤): قرية باليمامة لبني خُديج إخوة بني منقر. وقال: من مياه بني نمير. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/١٩٣): يسكنها اليوم آل وُنَيَّان أسرة من الكُتَمَة من بني علي من حرب. وواديها ينحدر من (الصَّفْراء) التي تلب بجبل (طويق).

(٣) جوّ: قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١/٤٣٢): «وجوّ هنا هو جوّ السيباني بضرما، لا جوّ الخرج، فقد تقدَّم أنَّه لآل مزيد».

(٤) المزايدة من بني حنيفة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٨) (٣٧٦) (٤٣٢) (٢/١٧٩).

(٥) البَخْراء: في (اليمامة) تقع في (فَرْشَة نَسَاح) من (العَارِض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٧ ـ ١٣٨).

(٦) سيحة الدُّبَيْل/ سيح الدُّبُول: هي رملة ممتدَّة تبدأ من (عقيق عقيل) وتذهب مشملة إلى مقابلة (فوهة بِرْك)، وهناك تلتقي أودية (عِرض شِمام/ هو منطقة القويعية اليوم) الشرقية والجنوبية، وقد تلاشى (سيح الدُّبُول) واضمحلَّ ولم يبق إلَّا اسمه ومعالمه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٦) (١/٣٥٠).

(٧) الحُلوة: هي البلدة الثانية في (حوطة بني تميم) بعد (الحِلَّة)، وأعلى بلدة في (وادي بُرَيْك). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٣٨).

(٨) الهَزيم: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/٤٧٨ ـ ٤٧٩) بعد أن فتح هاءها ثمَّ ضمَّها: «الهُزَيْم: تصغير هزم؛ وهو المنخفض من الأرض: نخيل=

والبُرَيْك والنَّعام والخرْج»[١].

ومن خلال النصوص السابقة يتضِّح لنا أنَّ **حكم اليمامة أصبح مترنِّحاً بعد الأخيضريين، وأَضْحَت كثير من حلقات تاريخ اليمامة مفقودة قروناً متعاقبة لا نُحسّ لها بأثرٍ ولا نعثر على حقيقة؛ قروناً مظلمةً مجهولة التاريخ عمياء الأثر**[٢]، **حتَّى نبلغ القرن الثامن الهجري لمَّا زارها سنة ٧٣٢هـ الرحَّالة ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**[٣] فقال: «سافرنا منها [من الأحساء] إلى مدينة اليمامة، وتُسمَّى أيضاً حَجْراً؛ مدينة حَسَنَة خصبة ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من العرب، أكثرهم من بني حنيفة، وهي بلدهم قديماً، وأميرهم طفيل بن غانم»[٤]. هكذا جاء ذكرها عند ابن بطُّوطَة بإيجاز ولم يخبرنا بأيِّ تفصيل.

= وقرى بأرض اليمامة لبني امرئ القيس التميميّين». وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٤٦١): «نحن لا نعرف باليمامة الهزَيْم مفتوحاً أو مضموماً، وإذا كان من ديار امرئ القيس بن تميم، فهو من جنوب الوشم وما حوله».

(١) أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٠٣). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ١٩).

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبدالله بن بطّوطة. مؤرِّخ بلداني، رحَّالة اشتُهِر برحلته المعروفة بـ «تحفة النظَّار». انظر ترجمته عند: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (٣/٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٤) محمد بن عبدالله المعروف بابن بطُّوطة «تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (٢٨٧).

المقصود؛ **أنَّه بعد سقوط الدولة الأخيضرية في أواخر القرن الخامس الهجري لم يقم كيان إقليميّ منظَّم ـ فيما نعلم ـ يحكم بلاد اليمامة**، كما أنَّ حكم الدولة العباسيَّة لم يَعُد إلى اليمامة؛ لضعف الدولة ولانعزال اليمامة، ولعدم أهميَّتها لدى الدولة العباسيَّة في تلك الحقبة، وبهذا **أصبحت بلاد نجد كلّها تعيش حالة من الاضطراب والفوضى السياسية والأمنية، وأصبحت الحال قريبة الشبه بما كان سائداً في العصر الجاهلي؛ فالصراع بين القوى القبلية المحلية دائم والنهب والسلب والقتل شائع، والجهل والفقر والخوف ضاربٌ أطنابه فيها**.

هذه صورةٌ عامَّة لحالةٍ ظلَّت سائدة في هذه المنطقة خلال هذه الحِقَبُ التي امتدَّت أكثر من ثلاثمئة وخمسين سنة؛ من أواخر القرن الخامس حتى منتصف القرن التاسع الهجري[١].

فانبثق من كلّ هذه الأحداث التي مرَّت على نجد ما يمكن تسميته **بعصر دويلات المدن النجدية**، أو **عصر الإمارات المستقلَّة في نجد**، وهو ما سيأتي عليه حديثنا في المبحث الآتي.



(١) انظر: فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (٢٣ ـ ٢٤).



دويلات المدن النجدية
عصر الإمارات المستقلّة في نجد

إنَّ من يقرأ التواريخ النجدية التي أرَّخت للمنطقة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية الأولى وانتصارها لدعوة الشيخ سوف تَجبَهه قتامة الصورة للحياة البائسة هناك؛ **فقد كانت حياة يملؤها شَظَف العيش وشُحُّ مصادر الرزق والغلاء والموت جوعاً ومرضاً وتسودها الفوضى الأمنية والقتل والسلب والنهب والرعب والخوف والاستهانة بالدماء والتعدِّي على الأموال وتسلّط القوي على الضعيف**، حتى أصبح الفرد مستهدفاً في حياته وماله، **فليست هناك حكومة تحميه أو سلطة تردع المعتدي؛ لأن الحاضرة أضحت مُجزَّأة إلى إمارات صغيرة، تحكم الإمارة قرية أو أكثر، وكل إمارة غَدَت تتربص بأختها وتتحيَّن الفرصة للانقضاض عليها.**

ولسوف تَجْبَه قارئ تلك التواريخ النجدية حقيقة أخرى مرعبة؛ وهي أنَّ أهل تلك القرى أمسوا في عراك طويل الأمد وباتوا في مُرابَطة دائمة وثأر لا ينقطع[١]**، فقد ذهب في هذه المعارك والغارات أعدادٌ كبيرةٌ، حتَّى صار من غير المستغرب أَنْ تجد أنَّ الجدّ قد قُتِلَ**

(١) سيأتي تفصيل ذلك بعيد قليل.

في صراع، ويُقتَل في نفس هذا الصراع ابنه بعد عشرين عاماً، ثمَّ يُقتل حفيده بعد عشرين أخرى، وهكذا.

كما أنَّ الحاضرة النجدية معرَّضة لهجمات البدو وغاراتهم التي لا تقف عند حدّ السلب والنهب، بل يقتلون كل من يقف في طريق وصولهم إلى أهدافهم. والصراع بين القبائل على أَشُدّه والغَلَبَة للأقوى، ومَن يُرِد الانتقال مِن بلد إلى آخر فإنّ حياته مهددة مِن قطّاع الطرق ومِن القبائل التي لها سلطة على المناطق التي يمرّ بها، وحتى حجاج بيت الله لم يسلموا من غائلة اعتداء القبائل[١].

وقد ذكر المؤرِّخ حسن بن جمال الرِّيكي[٢] عن نجد في تلك الحِقَب: بأنَّ «التعدي فيها معروفاً، وقد زاغت قلوب أهلها عن الوفاق»[٣]. ثمَّ قال: «**بلادُ نجد وقبائلها إذا فَلَت**[٤] لا ضابط لها محتوياً على الكلّ، ولا هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم، بل كان كلّ من الحكّام حاكم بلده؛ مدينةً كانت أو قرية.

---

(١) انظر: مقدمة عبدالله الشبل على «تاريخ بن عبّاد» (٨) (٤٢). ومقدمته على «تاريخ ابن ربيعة» (٣٩). ومقدمة عبد العزيز الخويطر على «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٢٢).

(٢) حسن بن جمال بن أحمد الرِّيكي: مؤلّف كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب»، من أهل (بندر ريق)، وهو من معاصري مؤرخي نجد: ابن لعبون وابن بشر والفاخري. انظر: عبدالله العثيمين في تقديمه لكتاب الرّيكي «لمع الشهاب» (٢٥)

(٣) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٦٧).

(٤) فَلَت: كلمة عاميَّة معناها: فوضى. من تعليق عبدالله العثيمين على المصدر السابق (٧٦).

وفي البدو كذلك طائفة منهم لها شيخ كبير يرجع أمرهم إليه»[١].

لذلك قال مؤرِّخ نجد الشيخ عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) إنَّ أهل نجد قبل الدعوة وقبل قيام الدولة السعودية الأولى، قد «**كثر فيهم الجهل والضلال والظلم والجور والقتال**»[٢].

ويذكر ابن بشر أنَّ القتل والنهب والعداون انتشر بين أهل القرى والبلدان النجدية، ونخوة الجاهلية فاشية بين قبائل العربان، وأنَّ الناس يتقاتلون في وسط البيوت والأسواق، والحرب بينهم قائمةٌ على ساق، والأسفار متعذِّرةٌ بين بلد وبلد، حتَّى قامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمساعدةٍ من آل سعود في الدرعية[٣].

فإليك توصيف الحال السياسي في أشهر بلدات نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى وقبل ظهور دعوة الشيخ.

أوَّلاً: إقليم العارض وبلداته المشهورة[٤]:

١ ـ الدرعية:

نسبةً إلى **الدروع**؛ وهم بطنٌ من بني حنيفة من وايل من

---

(١) المصدر نفسه (٧٦ ـ ٧٧).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧).

(٣) المصدر السابق (٢/٨).

(٤) أشهر بلدان (العارض) ما يلي: (الخرج) و(الحائر) و(الرياض) و(عَرقَة) و(الدرعية) و(العَودَة) و(العِلْب) و(المَلْقا) و(أبو الكِبَاش) و(العَمَّارية) و(الجُبَيْلَة) و(العُيَيْنَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤٨ ـ ٣٤٩).

ربيعة[١] إمَّا نسبةً إليها ابتداءً وإمَّا منقولةً عن قريةٍ في الخَطِّ[٢] اسمها الدرعية[٣] قد بادَت، وكان يسكنها قومٌ من الدروع هناك فنُسِبَت إليهم، ولمَّا استوبؤوها وأنهكتهم حُمَّاها جاؤوا إلى بني عمّهم في وادي حنيفة[٤]: حَجْر والجِزْعَة[٥] وما فوق الرياض، وكان يرأسهم رئيس يقال له ابن درع، وكان يرأس الوافدين مانع بن ربيعة المريدي جدّ الأسرة السعودية[٦]. وكانت هذه الوفادة

(١) قاله حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٢٣١) (٨٠٣).

(٢) الخَطّ: اسمٌ يُطلَق على جميع القرى المجاورة لسِيف البحر مثل (القطيف) وما جاورها. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٦١٦).

(٣) الدرعية المقصودة هنا هي التي في (الأحساء): وهي آبارٌ تقع في الشمال الشرقيّ من (بقيق) غرب (مطار الظهران). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٦٩٣).

(٤) وادي حنيفة: في (اليمامة) في نجد، ينحدر من شبه هضبةٍ مُنداحَة هي قلب (العارض)، وذروته تتسامى فيها ذرا (طُوَيق) وقِمَمه، وتنطلق من خلالها روافد (وادي حنيفة). وينتظم على عدوتيه من البلدان (الخرج) و(الحائر) و(الرياض) و(عَرقَة) و(الدرعية) و(العَودَة) و(العِلْب) و(المَلْقا) و(أبو الكِبَاش) و(العَمَّارية) و(الجُبَيْلَة) و(العُيَيْنَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤٨ - ٣٤٩).

(٥) الجِزْعَة: من جِزع الوادي؛ وهو جانبه وعدوته. وهذه شبه جزيرة ينقسم عنها (وادي حنيفة) قسمين: تحت (الرياض) جنوبه أسفل (المصانع)، وفوق (المنصورية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٧١ - ٢٧٢).

(٦) فجدّهم الذي قامت في وقته الدولة السعودية الأولى هو: محمد بن سعود بن محمّد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٧٤٦) (٧٩٨).

فيما يُقدِّر المؤرّخون سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م[(١)].

فأقطَعَهُ ابنُ عمِّهِ ابن درع منطقة المليبيد[(٢)] وغصيبة[(٣)] وما بينهما، أمَّا آل يزيد من بني حنيفة[(٤)] فكان لهم ما فوق هذه المنطقة من سَمْحَة[(٥)] إلى الوصيل[(٦)] والنَّعميَّة[(٧)] والجُبيلَة[(٨)] وما حول ذلك.

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١ ـ ٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٢٩٦).

(٢) المليبيد: منطقةٌ أسفل (الدرعية) مقابلة لمصبّ (وداي صَفَار) في (وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٩٤).

(٣) غصيبة: حيٌّ معروف في (الدرعية) كانت سكناً خاصاً لآل مقرن دون بطون ذرية مانع المريدي الأخرى. ثمَّ أصبحت فيما بعد حيّاً لآل دغيثر الذين هم من آل يزيد من بني حنيفة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٤) آل يزيد: منهم آل دغيثر اليوم. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١).

(٥) سَمْحَه: نخلٌ من أعلى (الدرعية) في (العَودَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٧).

(٦) الوَصيل: منطقة من (وادي حنيفة) تشمل (الدرعية) وملحقاتها، وله الآن مفهوم عند أهل هذه المنطقة خاص؛ وهو ما بين (الملقا) جنوباً، إلى (الجبيلة) شمالاً من هذا الوادي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(٧) النَّعَميَّة: بلدة في أعلى (الدرعية) كان يسكنها آل يزيد من بني حنيفة. يقول عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٤٢١).: «ولا أرى النَّعَميَّة إلَّا ما يسمَّى الآن بالعِلْب».

(٨) الجبيلة: بلدة تشرف على (وادي حنيفة) من الناحية الجنوبية، وعلى (عقرباء) من الناحية الشرقية الجنوبية. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٦٤).

أمَّا ما فوقه من الجبيلة إلى الأبَكَّين[١] إلى الشِعيب/حريملاء[٢] وما حولها فهو لابن طوق جدّ آل معمر[٣] من تميم[٤].

ولم يَزَلْ أبناء مانع المريدي وحَفَدَته يَنْمون ويزدادون قوةً ومَنَعةً وعدداً حتى سيطروا على هذه المنطقة وأصبحوا حكَّامها، ومن يومئذٍ قويتْ شوكتهم وامتدَّ نفوذهم وكان لهم شأن، وأصبحت الدرعية منافساً قويّاً في هذا الوادي[٥].

وبعد وفاة مانع المريدي استقلَّ بالحكم بعده ابنه ربيعة، وفي عهده وقعت حروبٌ ومناوشات نجم عنها ضمّ الوصيل إلى إمارته. ولم تَزَل هذه السلسلة تتوارث الإمارة في الدرعية إلى أن استقلَّ بإمارتها **محمد بن سعود بن محمد بن مقرن**، وكان الحكم قبلُ في ذريَّة وطبان[٦]، فَقَتَلَ محمد بن سعود عَمَّهُ مقرن الملقَّب (**فهَّاد**) ابن

---

(١) **الأبَكَّين**: جبلان يمرُّ بينهما طريق (سدوس) و(العيينة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٥/١).

(٢) **حُرَيمِلاء**: من بلدان العارض. وهي شعيب تأخذ من (وادي قران) بلهزمته/ نسبة لهضبة لهزوم في قلب العارض، وتتصرف فيه سيلاً وفلاة وحمى. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٦/١ ـ ٣٢٢).

(٣) **آل معمّر**: من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥١/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٧٧٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١ ـ ٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٦/٢ ـ ٢٩٧).

(٥) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٧/١).

(٦) **آل وطبان**: هم الذين أُجْلوا إلى (الكويت) ثمَّ رحلوا إلى (الزبير)، وهم: بنو=

محمد بن مقرن(١) واستقلَّ بالحكم وأجلى آل وطبان من الدرعية(٢).

٢ ـ العُيَيْنَة:

وهي من بلدات العارض المهمَّة؛ كانت تُسمَّى عيُيْن بني عامر من بني حنيفة، قاله الحسن الهمداني(٣)، وكان سكَّانها من قبل القرن

= وطبان بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، من المُرَدة، من وايل. انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٠). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٨٦٠). وأخبرني بذلك وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب؛ مؤرِّخ أنساب أسرة آل ثاقب في الكويت، وقد وثَّق وليد الثاقب ذلك في شجرته التي رسمها لأسرته.

(١) قيام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بقتل عمِّه مقرن بن محمد له سبب: وهو أنَّ مقرن (الملقَّب بفهَّاد) لم يكن راضياً بما أقرَّه أخوه سعود من تعيين زيد بن مرخان بن وطبان على إمارة الدرعية وإعادتها إلى آل وطبان، فنشب خلاف بين الاثنين انتهى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م بعقد صلح بين الطرفين، ثمَّ طلب مقرن بن محمد من زيد بن مرخان أن يزوره وهو ينوي الغدر بزيد، وكان زيدٌ خائفاً من هذه الزيارة، فطلب ضمان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن وضمان مقرن بن عبدالله بن مقرن فوافقا على ذلك، وتمَّت الزيارة، وعندما استبانت بوادر الغدر من مقرن بن محمد بن مقرن بزيد بن مرخان، حمل على مقرن بن محمد الضامنان، فهرب مقرن بن محمد وألقى نفسه مع فرجة واختفى في بيت الخلاء، فأدركه محمد بن سعود ومقرن بن عبدالله وقتلاه، وردّوا زيداً مكانه. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٨/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣١) (١٨٤). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٣٩). ورواية من وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب.

(٢) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨).

(٣) في كتابه «صفة جزيرة العرب» (٢٥٤ ـ ٢٥٥).

التاسع الهجري وحتى منتصفه هم آل يزيد من بني حنيفة، ثمَّ باعوها بعد سنة ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م لحسن بن طوق جدّ آل معمَّر[١] الذي انتقل إليها مع أولاده فحرثوها وعمروها، ولم يزل مالهم ينمو وأسرتهم تزداد حتَّى كان لهم شأنٌ كبيرٌ ومالٌ كثير[٢].

وناب العيينة ما ناب المنطقة من العداء بين إماراتها وأسرها **لانفراط حبل الأمن وانعدام القائد العام الرادع**؛ ففي سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م سار أحمد بن معمَّر رئيس العيينة وغزا روضة سدير[٣][٤].

ثمَّ تعرَّضت العيينة لغزوٍ من شريف مكة الشريف زيد بن محسن حين غزا العارض سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م وأخذ من أهل العيينة أموالاً كثيرة وثلاثمئة حمل طعام[٥].

وفي نفس السنة حصل التنافس على رياسة العيينة في بيت الحكم من أسرة آل معمَّر[٦]، واستمرَّ التنافس سنوات عديدات.

---

(١) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٢٩٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٩٩).

(٣) الروضة/ روضة سدير: وهي أعلى بلدة في (وادي الفُقَي). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٨٥).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٢٢).

(٥) انظر: محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٥٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٢).

(٦) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٢). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٨).

وفي سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م سار عبدالله بن أحمد بن معمَّر رئيس العيينة وغزا أهل البير[١]، فسقط جدارٌ في بلد البير على جنود بن معمّر كانوا نائمين تحته فأهلك عدداً كثيراً منهم، فصالحهم ابن معمَّر وعاد إلى بلاده[٢].

وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م غزا ابن معمَّر حريملاء ومعه سعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية، فقتلوا من أهل حريملاء كثير عند الباب، وهي **سنة المحيرس**[٣]؛ **تصغير محرس: وهو مكان الحراسة**[٤].

وفي سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م وقع قتال بين أهل الدرعية وبين ابن معمَّر رئيس العيينة بسبب أخذه العمارية[٥][٦].

---

(١) البير: من بلدان (المِحْمَل) بين (ثادق) وبين (الصُّفُرَّات). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٩٢).

(٢) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠ ـ ٦١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠ ـ ١٣١)..

(٣) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٩). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٦٥ ـ ٦٦). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١).

(٤) من تعليق عبدالله الشبل على «تاريخ الفاخري» لمحمد الفاخري (ص: ١٠١).

(٥) العَمَّارِيَّة: هي أكبر روافد (وادي حنيفة) وأوسعها وأكثرها شِعاباً. وقرية (العَمَّارِيَّة) في (وادي العمارية) تبعد عن (الرياض) حوالي ٤٠ كلم إلى الشمال الغربي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٨٠ ـ ١٨١).

(٦) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٠).

وفي سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م أغار سعدون بن محمد بن حميد آل عريعر هو وعبدالله بن معمَّر رئيس العيينة، أغاروا على اليمامة من منطقة الخرج[(١)] ونهبوا ما نهبوا، فصادفهم البجادي[(٢)] بخيله ورجله وأبعدهم عنها[(٣)].

وفي ١١٢٨هـ/١٧١٦م أغار ابن معمَّر على حريملاء وقتل منهم قتلى[(٤)].

وما حدث في العيينة يُبَيِّنُ لكَ حالها وحال بلدات نجد وما وقعت به من تنافرٍ وتشرذمٍ، وما قاسته من ضعفٍ أطمع بها أشراف مكَّة في تلك الأزمان.

٣ ـ الرياض:

هي البلدة التي تقوم الآن على مكان مدينة حَجْر قاعدة اليمامة قروناً وأحقاباً، فبعد أَنْ تقلَّصَ ظلّ النفوذ عن مدينة حَجْر حلَّ محلّها

---

(١) هذه (اليمامة) التي في (الخرج)، وهي غير (اليمامة) التي كانت تمثّل الإقليم قديماً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧٤/٢).

(٢) البجادي: من البَجَادا، من عائذ. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٣٣ ـ ٣٤).

(٣) محمد بن عباد «تاريخ ابن عباد» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١١٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦١/٢).

(٤) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٢/٢).

سلطة مُقْرِن ومعكال[١]، فتفرَّقَ أهل البلاد وذهب ريحهم فقام في هذين الحيَّين سلطتان متناحرتان قامت بينهما الحروب، وهي التي وصفها أحد الشعراء الشعبيين قائلاً:

يا ما حلا والشمس بادٍ شَعَقْها ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال[٢]

وقد عانت معكال في تلك الأزمان من تسلّط القوى المحيطة بها؛ مثلما حصل في سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م حينما سار من مكَّة الشريف حسن بن أبي نمي قاصداً نجد، فحاصر معكال ومعه من الجنود نحو خمسين ألفاً، وطال مقام الشريف فيها وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً وأسر منهم أناساً من رؤسائهم وأقاموا في حبسه سنة، ثمَّ أطلقهم على أنَّهم يعطونه كلّ سنةٍ ما يرضيه، وأمَّرَ فيهم محمد بن فضل[٣]، وعاد راجعاً إلى مكَّة[٤].

وهذا يوضِّح لك حال الضعف والفُرْقَة الذي كانت عليه بلدات نجد آنذاك، مِمَّا أطمع بهم أشراف مكَّة وغيرهم.

والحاصل؛ تغلَّبت مُقرِن على معكال في النهاية، وحكَّام مقرن

---

(١) (مقرن) و(معكال) حَيَّان قديمان تابعان لـ (حَجْر/ الرياض اليوم). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٩٤/١ ـ ٤٩٥).

(٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨٠/٢).

(٣) بحسب تعليقات إبراهيم الخالدي على كتاب «تحفة المشتاق» لعبدالله البسام (ص: ٩١): أنَّ محمد بن فضل هذا هو من آل مغامس من آل غزي، أصله من آل فضل حكَّام البصرة.

(٤) انظر: عبدالملك العصامي «سمط النجوم العوالي» (٣٧٧/٤ ـ ٣٧٨). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (ص: ٨٤) وقد جعلها الفاخري في سنة ٩٨٨هـ.

آنذاك آل زرعة[(١)]، وكان آخرهم زيد بن موسى آل زرعة[(٢)]، توفِّيَ مقتولاً سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م[(٣)] وخلَّف طفلاً لا يقوى على تحمّل أعباء الإمارة، فكان بجانبه مولى لهم يدعى خميس أشرف على الإمارة ثلاث سنوات، وبعدها قُتِلَ واستقلَّ بالأمر دهام بن دوَّاس[(٤)] آل شعلان[(٥)] من أهل منفوحة، وكان خالاً للحاكم الصغير، مع أنَّ دهام جلوي عند زيد آل زرعة مطروداً من منفوحة[(٦)]، ثمَّ بعد ذلك طمع في الملك وطرد ولد زيد سنة ١١٥١هـ/١٧٣٨م وانفرد بالأمر

---

(١) آل زَرعة: من آل يزيد من حنيفة من وايل. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (٩٩). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٣٠٨).

(٢) انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٩/١) (٣٣٦/٢).

(٣) قيل: إنَّ الذي قتله ابن عمٍّ له معتوه العقل، قاله: حسين بن غنَّام في تاريخه (٦٧٣/٢). وعثمان بن بشر في تاريخه (٤٩/١). بينما قال محمد الفاخري في تاريخه (ص١٢٨): أنَّ الذي قتلته قبيلة عنزة في مناخٍ بينهم.

(٤) دهام بن دوَّاس آل شعلان: حاكم الرياض. انظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٦٧٢/٢ ـ ٦٧٥). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٨/١ ـ ٥٢).

(٥) آل شعلان: من الجلاليل من وايل. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرة في نجد» (٤١٢).

(٦) كان أبوه دوَّاس بن عبدالله بن شعلان رئيساً لـ (منفوحة) بالقهر منذ ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م، ولمَّا مات في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م تولَّى الإمارة ابنه محمد فقُتِلَ وأبعد أهل (منفوحة) إخوانه وكان منهم أخوه دهام، فنزلوا (الرياض) جُلوِيَّة. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠) (١٢٥). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٩٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩٨/٢).

ثلاثين سنة[١].

ودهام بن دوَّاس هذا ذا مِرَّةٍ وعَزم؛ نقل الإمارة من مقرن ومعكال وأعادها إلى مقرّها الأول في الرياض، وبنى بها قصره المعروف بقصر دهام[٢]، وأحاط المدينة بسورٍ قويٍّ منيعٍ عُرِفَ بسور دهام، وقد هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م[٣].

٤ ـ ضرما[٤]:

وهي من بلدات العارض المهمَّة، كانت تسمَّى قرما[٥]؛ وكانت من قرى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم في اليمامة[٦]، ثمَّ إنَّه سكنها طائفةٌ من أبناء إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي جدّ الأسرة السعودية. وهذه الطائفة التي سكنت ضرما هم المعروفون بالشيوخ أبناء عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة[٧].

---

(١) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٨ ـ ١٢٩).

(٢) قام على أنقاض قصر دهام بن دوَّاس قصر المصمك اليوم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٩٣).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٩٥).

(٤) ضرما: يحدّها من الشمال حدود (البَرَّة) وجال (طويق)، ومن الغرب رمل (قنيفذة/ الوَرِكَة سابقاً)، ومن الجنوب (المزاحميات) وتوابعها، ومن الشرق (جبل طويق). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٧).

(٥) قاله: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٢).

(٦) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤/٣٦).

(٧) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٦). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٤٢٨).

ثانياً: إقليم الشعيب[١]:

وقاعدة إقليم الشعيب هي بلدة حريملاء[٢]، نزلها آل أبي رباع[٣] سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م بعد أن اشتروها من حمد بن عبدالله بن معمر فعمروها واستوطنوها[٤]، وما ذكره المؤرّخون عن بدء عمران حريملاء لا يعدو إمَّا أن تكون قد قامت على أطلال عمران قبلها، وإمَّا أن يكون مكانها ذا شهرة لدى أهل وادي قُرَّان[٥] مِمَّا جعلهم يدوّنونه وينقل عنهم؛ فموضعها دمثٌ ليّن سهل

---

(١) الشعيب: وادٍ في منطقة (العارض) ينحدر من قمَّة (جبل طويق) مشرقاً. ومن بلدانه: (حريملاء) وهي قاعدته، و(القَرينَة) و(ملهم) و(سدوس) و(صلبوخ) و(غِيانة) و(البرَّة) و(الثرمانية) (والركبة) و(القرينة) و(العُوَيْنِد) و(حزوى). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٦/٢).

(٢) قد تُجعل (حريملاء) إقليماً قائماً بحدِّ ذاته يُطلق عليه أحياناً (شعيب حريملاء)، وأحياناً تُضاف إلى (العارض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٦/٢). وتعليقات عبدالله الشبل على «تاريخ الفاخري» (٢٦) (٨٩). وتعليقات الشبل أيضاً على «تاريخ ابن ربيعة» (٦٦).

(٣) آل أبو رَبَّاع: من آل حسني (الحسنة) من آل بشر من وايل. منهم: آل حمد وآل راشد وآل عدوان وآل مبارك وغيرهم. انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٩٣). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٢٦٧) (٨٥٦).

(٤) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٠/٢ - ٣٢١).

(٥) قُرَّان: هي (القَرِينَة) الآن، تتوسَّط (وادي الشعيب) أسفل من (حريملاء) وأعلى من (مَلْهَم)، يُسَمَّى هذا الوادي بعدَّة أسماء، فهو (وادي الشعيب) و(وادي قرَّان) و(أبو قتادة) و(وادي حريملاء) و(وادي مَلْهَم)، وبأيِّها سمَّيْته عُرِف. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٦٨/٢).

يكثر فيه شجر الحرمل فسمِّيَت به[١].

ومنذ عَمَرَت حريملاء عَدَا إليها العداء الذي يسود مناطق نجد وقبائلها وأسرها؛ ففي سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م أغار العناقر[٢] على حريملاء ووقع بينهم قتال[٣].

وفي سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م أغار أهل حريملاء على ثرمداء ثأراً للغارة التي قام بها أهل ثرمداء عليهم وقتلهم حَشَّاشة أهل حريملاء[٤].

وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م اتفق عبدالله بن معمَّر رئيس العيينة وسعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية على مهاجمة حريملاء، فهاجموها وقتلوا من أهلها عدداً كبيراً، وهي سنة المحيرس[٥].

وفي سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م أغار أهل حريملاء ومحمد بن مقرن رئيس الدرعية وزامل بن عثمان رئيس الخرج؛ أغاروا على سدوس[٦]

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٧/١).

(٢) العناقر: واحدهم عنقري، وهم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» (٥٨٣).

(٣) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٤/٢).

(٤) محمد الفاخري، المصدر السابق (١٠٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٦).

(٥) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٩). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٦٥ ـ ٦٦). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١).

(٦) سَدُوس: قرية في أعلى (وادي وِتْر). وجُلّ سكّان (سدوس) هم آل معمر وهم أهله، وإمارته فيهم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٥/٢) (١٨).

وهدموا قصرها وخرَّبوا مساكنها[١].

وفي سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م أخذ أهل حريملاء بلد ملهم[٢].

ثالثاً: إقليم الوشم وبلداته المشهورة[٣]:

١ ـ شقراء:

وهي قاعدة الوشم، ذكر ياقوت أنَّها لِعَدِيّ[٤]، ثمَّ صارت لآل مغيرة[٥] فاشتراها منهم علي بن عطية من بني زيد[٦]، فعمر علي بن عطية وأولاده بلد شقراء[٧].

---

(١) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٦).

(٣) بلدات الوشم المشهورة أربع هي: (شقراء) و(أشيقر) و(ثرمداء) و(مراة). وهناك بلدات وقرى أخرى مثل: (أثيفية) و(القرائن) و(القرعة) و(القصب) و(الحُرَيِّق/ وهي غير حريق نعام) و(المَشاش) و(الصُّوح) و(الداهنة) و(الجُرَيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٤٢).

(٤) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣/١٤٩). و(عدي): من الرِّباب، أبناء عبد مناة بن أدّ بن طابخة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٣٠).

(٥) آل مغيرة: من بني لام من طيِّء. انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٧٩١).

(٦) بنو زيد: قال حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٣١٤): بنو زيد أسر كثيرة في (شقراء) وفي (الشعرا) و(الدوادمي) و(القويعية) وقراها، وفي (السِّر). وهم ينتسبون إلى زيد بن نهد بن سويد، من قضاعة، من قحطان.

(٧) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٥٧). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٣١٤ ـ ٣١٥).

٢ ـ ثرمداء:

من بلدات الوشم المشهورة، وسكانها قديماً هم من بني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم[١]، وقالوا في وصفها بأنَّها من ديار بني نمير[٢] أو بني ظالم[٣]، وقد سادها في سنة **١٠٨٣هـ** عبدالله بن إبراهيم العنقري الذي شاخ في ثرمداء سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م وتوفِّيَ سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م فخلفه أخوه ريمان بن إبراهيم[٤].

٣ ـ أشيقر:

من البلدات المشهورة أيضاً في الوشم، التي كان يسكنها على رأس القرن السابع الهجري تقريباً قبيلتان: **وائليون وتميميون**، ثمَّ جلا **الوائليون** عنها وعمروا بلدة التويم، ولا يزال **التميميون** وهم **الوهبة**[٥] **يسكنون بلدة أشيقر**[٦].

---

(١) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٧٣).

(٢) بنو نمير بن عامر بن صَعصَعة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٧٩).

(٣) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣/٩). أمَّا بنو ظالم: فهم ولد أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن حِلْس بن نفاثة بن عدي بن الدُّئِل. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (١٨٥).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٣). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٢) (٣٤٣).

(٥) الوهبة: هم بنو وُهيب بن قاسم بن مسعود، وهم من أكثر الأسر في نجد. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة» (٨٦٧).

(٦) انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة في نجد» (٨٥٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٨٢).

وشأن سائر بلدات نجد؛ تعرَّضت أشيقر قبل قيام الدولة السعودية الأولى إلى الكثير من الفتن والمنازعات بين أهلها أنفسهم، وبينهم وبين أهالي البلدات النجدية الأخرى، فكانت هذه البلدة الصغيرة من نجد مثال حي لما كان يقع من الحوادث المؤلمة بسبب اضطراب الأمن وعدم الولاية القوية الرادعة(١).

كما تعرَّضَت أشيقر لحملة من قِبَلِ مكَّة يقودها الشريف سعد بن زيد، حيث نزل أشيقر يوم **٢١** رمضان سنة **١١٠٧هـ/٢٤** أبريل **١٦٩٦**م وحاصر أهلها، وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن أبا حسين والشيخ محمد القصيِّر (٢) فخرجا إليه فربطهم وحبسهم، وطلب الشريف من أهل البلد مطالب، وكان ذلك في رمضان والزروع قد استوت، فخاف أهل أشيقر أن يُتلِف الشريف زروعهم، فأفتى الشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصيِّر(٣) **فَتْوَاه المشهورة لأهل أشيقر في الفطر في نهار رمضان، فأفطروا**، وصاروا يحصدون زرعهم بالنهار خشية أن يُتلِفه الشريف المحاصر لبلدهم، وأخذوا يماطلون الشريف حتى أحرزوا ثمرة زروعهم قبل أن يتمكَّن منه عدوّهم المحاصر لبلدتهم(٤).

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٨٣ ـ ٨٥).

(٢) ترجمة أبا حسين عند البسَّام في «علماء نجد» (٢/٤٦ ـ ٤٩). وترجمة القصيِّر عند البسَّام أيضاً في (٦/٣٧٩).

(٣) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (١/٥١١ ـ ٥١٦).

(٤) انظر: محمد بن يوسف «تاريخ ابن يوسف» (١٠٦ ـ ١٠٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٤٦). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (١٥٦). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٦٣).

٤ ـ مراة[١]:

وهي من أشهر قرى الوشم[٢]، وهي من قديم مسكنٌ لبني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم[٣] وليس امرئ القيس بن حجر[٤]، وكان يتولَّاها في سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م راشد بن إبراهيم من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم[٥]، وفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م قُتِلَ راشد وتولَّى مكانه عبيكة بن جار الله من العناقر أيضاً[٦]، وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م قُتِلَ عبيكة[٧]. وقد حدثت في مراة حوادث تجلّي لك ما كان سائداً في تلك الأوقات من المنازعات والمنافسات بين سادة

---

(١) مراة: والمتأخرون يكتبونها (مرات) وابن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٥٠) يرى فتح تائها خطأً. وقد قال ابن خميس في (٢/٣٥١ ـ ٣٥٢) عن موضعها: بأنَّها تحتلّ وملحقاتها جزءاً كبيراً من (الوشم). وهي واقعةٌ في فجٍّ من (صفراء الوشم)، غربيها (رمل الوَرِكَة/ قنيفذة الآن)، وشرقيها (رمل الرّغَام/ عريق البلدان الآن).

(٢) قاله: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» في تعليقه بهامش (ص: ٤٨٨).

(٣) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٧٣). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤/٢٤١).

(٤) نبّه على ذلك: عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٥١).

(٥) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٢). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٥٢).

(٦) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٢٨). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٦).

(٧) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨ ـ ٦٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١). وعثمان بن بشر (٢/٣٣٩).

البلد الواحد وبين غيرهم من سادات البلدات المجاورة الأخرى في نجد[(١)].

رابعاً: إقليم سدير[(٢)] وبلداته المشهورة:

١ ـ المجمعة[(٣)].

وبلدة المجمعة هذه بُنِيَت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م[(٤)]، وقيل بُنِيَت سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م[(٥)] على يد عبدالله الشمري[(٦)] فغرسها وحرثها وعَمَرَها[(٧)]. **وقد جرى على المجمعة ما جرى على سائر بلدان نجد في تلك الأزمان؛** منها ما حصل في سنة ١١٢٨هـ/١٧١٦م، عندما

---

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٥٢).

(٢) سدير: من أكبر أقاليم (اليمامة) شماليها. ومن بلدان إقليم سدير: (المجمعة) و(الحُوطة) و(الروضة) و(جُلاجِل) و(التُّوَيْم) و(العَودَة) و(حَرْمَة) و(الغاط) و(عُشيرة) و(العَطَّار) و(الحصون) و(الحاير/ حاير سدير) و(تُمَير) و(المَعَشْبَة) و(الرويضة) و(الجنيفي) و(جُوَى) و(الجنوبية) و(الداخلة) و(الخِيس) و(معاوية) و(ظَلْماء) و(أُشَيْ). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٨ ـ ١٩).

(٣) المَجْمَعَة: هي قاعدة (سدير) كلّه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٤٠).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٩٩).

(٥) قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٣٤): «حدَّثني أحد ثقات المجمعة أنَّه بُنِيَ سنة ٨٣٠هـ».

(٦) من بني آل ميبار من عَبْدَة من شمَّر. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣١٠) (٢/٣٣٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة في نجد» (٨٢٤).

(٧) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٣٤).

أغار أهل المجمعة على الفراهيد[١] في الزلفي[٢]. وغيرها من الحوادث.

٢ - التويم:

وهي من بلدان سدير؛ وقد سكنها من رحل من بلدة أشيقر مثل بني وائل ومدلج بن حسين وبنيه وعشيرته[٣] وآل أبو ربَّاع أهل حريملاء، فاستوطن أولئك بلد التويم، وكانت بلد التويم قبل ذلك قد استوطنها أناسٌ من عايذ بني سعيد بادية وحاضرة قبل نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ثمَّ إنَّهم جلوا عنها ودَمَرَت. ثمَّ عَمَرَه مدلج وبنوه وعشيرته، وذلك سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م تقريباً، ونزل آل حمد آل أبو ربَّاع في حلَّة، وآل مدلج في حلَّة من البلد[٤].

وليست التويم بمعزلٍ عما ناب بلدات نجد من المنازعات والمنافسات وتسلّط القوى المحيطة بنجد نتيجة انفراط عقد الأمن وانتفاء وجود القوة العامة التي تردع الفوضى والفُرْقَة؛ ومن ذلك ما جرى في سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م حين حصلت التنازعات في بلد التويم

---

(١) الفراهيد: من الأساعدة من الروقة من عتيبة. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٦٤٢).

(٢) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٨).

(٣) آل مدلج: أبناء مدلج بن حسين من الحسنة من المنابهة من بني وهب من بني وايل. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٧٣٢).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢١٢/١) (٣٠٩).

نفسها؛ التي أدَّت إلى خروج آل حمد وآل راشد منها واستيطانهم حريملاء[١].

وما جرى في سنة ١٠٦٣هـ/١٦٥٣م في الوَقْعَة بين أهل التويم وبين الشبول[٢] التي قُتِلَ فيها من أهل التويم عدد[٣].

وما حصل في ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م حين خرج من مكة الشريف زيد بن محسن إلى نجد ونزل بين التويم وجلاجل استعراضاً لسلطته وقوَّته[٤].

وما حدث في ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م من وقعة بين أهل جلاجل وأهل التويم قُتِل فيها رئيسا البلدين وغيرهم من القتلى من الطرفين[٥].

وما صار في ١١١١هـ/١٦٩٩م حين احتل أهل التويم بلد الحصون[٦]

(١) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٩).

(٢) راجع ما قاله حمد الجاسر عن الشبول في «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (ص: ٣٨٣). ولست أدري إن كانوا هم المعنيين بتلك الوقعة بينهم وبين أهل التويم.

(٣) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٥) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٢ - ١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٢).

(٦) الحُصون: من بلدان (سدير) في (وادي الفقّي). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٢٦ - ٣٢٧).

وطردوا سكّانه[١].

ثمَّ ما جرى من بعد سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م حين تنازع على بلد التويم أربعة أمراء كلٌّ منهم تأمّر في ناحية، ومِنْ ثَمَّ **سُمِّيَت التويم بإمارة المربوعة**، وظلَّت الحال كذلك أكثر من سنة[٢].

وفي ذلك يقول **المؤرّخ عثمان بن بشر**: «قسَّموا البلد أربعاً؛ كلّ واحد شاخ في ربعها فسمّوا **المربوعة** أكثر من سنة، **وإنَّما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا تُعرَف الأشياء إلَّا بأضدادها**، فإنَّ هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كلّ منهم يدَّعي الولاية على ما هو فيه»[٣].

٣ ـ جلاجل:

كانت قديماً لبني عوف بن مالك بن جُندب من بني العنبر من تميم[٤][٥]، وقد أعيدت عمارتها في مكانها الآن وبوضعها عام

---

(١) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٨). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٦٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١١٦).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧).

(٤) بنو العَنبَر بن عمرو بن تميم. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٨). ويقول حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٥٨٦): أنَّ منهم اليوم آل عبهول وآل شقير والقعاسي وآل حسين وآل أبو حسين في (حوطة سدير)، ومنهم آل نحيط في (الحصون) وآل جمّاز في (الجنوبية)، ومن هم في شرقيّ القصيم وشماله.

(٥) انظر: الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٥١) (٢٦٢).

٧٠٠هـ/١٣٠١م[١].

وقد تعرَّضت جلاجل لزحفٍ عليها مِن قِبَلِ شريف مكة زيد بن محسن سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م[٢].

وفي سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م وقع قتال بين أهل جلاجل وأهل التويم قُتِلَ فيه رئيس بلد التويم ورئيس بلد جلاجل[٣].

وفي سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م حدثت مناوشات بين أهل جلاجل وبعض أهل سدير من جهة، وأهل روضة سدير من جهة أخرى، قُتِلَ فيها رئيس جلاجل وأخوه[٤].

وفي سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٣م احتلَّ رئيس بلد جلاجل روضة سدير ودمَّر أحياءها الثلاثة[٥].

وفي سنة ١١٤٢هـ/١٧٣٠م حارب أهل جلاجل رئيس بلد التويم

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٧٣/١).

(٢) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٣) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٢ ـ ١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٢/٢).

(٤) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٦١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٤).

(٥) انظر: محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٤). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٩ ـ ١٥٠).

فهرب منها[١].

٤ ـ حَرْمَة:

كانت ماءةً من مياه بني الرِّبَاب[٢]، **ثمَّ استوطنتها عائذ بنو سعيد**[٣] **وهجروها فيما بعد، ثمَّ إنَّها عُمِرَت سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م**[٤]، **والذي عَمرَها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي** بعد أن انتقل إليها من بلدة التويم، وكان بها طلولٌ وحصونٌ معطَّلة بعد بني عائذ من بني سعيد، فأعاد بناءَها وغَرَسَها بالنخيل والأشجار، وتبعه بنوه وبعض بني عمّه فتكاثروا فيها[٥].

٥ ـ الروضة/ روضة سدير:

بلدة من أكبر وأشهر بلدان سدير وأقدمها، عَمَرَ منزلتها آل أبو

---

(١) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٤).

(٢) الرِّبَاب: فهم تيمٌ وعديٌّ وعوفٌ والأشيب وثورُ أطحل؛ بنو عبد مناة بن أُدّ بن طابخة، سُمَّوا بالرِّباب لأنَّ تيماً وعَديّاً وثوراً وعوفاً وأشيبَ وضبَّة بن أُدّ غَمسوا أيديهم في رُبٍّ فتحالفوا على بني عمّهم تميم بن مرّ. انظر: علي بن أحمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (١٩٨). والحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٥٤) (٢٥٦).

(٣) أحمد بن فضل الله العُمري «مسلك الأبصار» (١٥٠).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٩).

(٥) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٠ ـ ٣١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٩/١) (٣٣٤).

راجح سنة ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م[١]، وأمراؤها منذ زمن بعيد حتى الآن هم آل ماضي؛ أسرةٌ تميمية كريمة[٢]، وقد جاء جدّهم واشترى روضة سدير وسكنها وذريَّته[٣].

وقد ناب الروضة ما ناب باقي بلدات نجد من التنافس والتنازع وطمع القوى المحيطة بنجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى؛ ففي سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م أغار حمد بن عبدالله بن معمَّر رئيس بلد العيينة على سدير وأخرج رميزان بن غشام التميمي[٤] رئيس روضة سدير[٥].

وفي سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م خرج الشريف زيد بن محسن من مكة إلى نجد ونزل روضة سدير وقتل أميرها ماضي بن محمد بن ثاري وأجلى آل أبي راجح منها، وفعل الشريف بأهل الروضة أفعالاً استنكرها المؤرخون[٦].

---

(١) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٨/٢).

(٢) آل ماضي: من آل أبو راجح من المزاريع من بني عمرو بن تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٧٠٧ ـ ٧٠٨).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٨٦/١).

(٤) من آل أبو سعيد من المزاريع من آل حماد من بني عمرو من تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرة» (٣٥٤).

(٥) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٦). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٢/٢).

(٦) انظر: إبراهيم بن عيسى وعبدالله بن محمد البسَّام «مجموع في التاريخ النجدي» (٤٥).

ثمَّ في سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٦م خرج من مكة الشريف سعد بن زيد قاصداً نجد ونزل روضة سدير وسجن ماضي بن جاسر رئيس الروضة[١]، وقيل إنَّ تلك الحادثة وقعت سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م[٢] وقيل في سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م[٣].

ثم حصلت أحداث وحروب ومقاتلات بين أهل الروضة وبلدات أخرى في نجد[٤].

خامساً: إقليم المِحْمَل[٥]:

وقاعدته بلدة ثادق[٦] التي عُمِرَت سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، عَمَرَها

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦٢).

(٢) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٧). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٨/٢). وهذا التوقيت هو الأرجح.

(٣) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧١).

(٤) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٨٦/١ ـ ٤٨٧).

(٥) المِحْمَل: إقليم في نجد عند (العارض)، قاعدته (ثادق)، ومن بلدانه: (البير) و(الصُفُرَّات) و(رَغْبَة) و(مَشاش المراطيب) و(الحِسي) و(دقلة) و(حُلَيْفَة) و(البويردة) و(سُرَيْويل). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٤٤/٢).

(٦) ثادق: قاعدة إقليم (المحمل)، تقع في حضن (طويق) في (اللهزوم) منه، وغربيها هضبة (الغُرَابَة) و(البكرات)، وشماليها (العتك) الأعلى، وجنوبيها (وادي عُبيْثِران). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٣/١ ـ ٢٢٤).

آل عوسجة[(١)] من الدواسر[(٢)] وغرسوها[(٣)].

وقد حصل فيها ما حصل في بلدات نجد الأخرى بسبب انفراط حبل الأمن وانعدام القيادة العامة الرادعة؛ ففي سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٣م وقعت الحرب بين أهل ثادق وأهل رغبة[(٤)] بالرغم من أنَّهما بلدتان متجاورتان[(٥)].

وفي السنة التي تليها وقعت الحرب بين أهل ثادق وأهل البير قُتِلَ فيها أناس[(٦)].

---

(١) آل عوسجة: العواشز من البدارين من الدواسر. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (٨٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٢) الدواسر: واحدهم دوسري، من قبائل الجزيرة المشهورة. قال حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة» (٢٣٧): وهم فرعان: ١ ـ آل دوسر بن تغلب. ٢ ـ آل زايد. ثمَّ فصَّل الجاسر كثيراً في بيان نسبهم وأسرهم وما تفرَّع عنهم في كتابه هذا، وفي كتابه الآخر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (ص: ٢٣٧ ـ ٢٤٢).

(٣) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٩/٢).

(٤) رغبة: إحدى بلدان (المحمل) مِمَّا يلي (الوشم). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧١/١ ـ ٤٧٢).

(٥) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٥/٢). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (١٥٣). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٢/١).

(٦) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٥/٢).

سادساً: إقليم الزُّلْفي[١]:

وبلدته المشهورة هي الزلفي، وكانت تسمى زُلْفَة، وهي من ديار عدي الرِّبَاب من تميم[٢]، وكان أمير الزُّلْفي تلك الأوقات هو محدث العَمْري التميمي من بني عمرو بن تميم[٣].

وقد وقعت في الزلفي أحداثٌ نجمت عن انعدام الأمن وخلوّ الساحة النجدية من قيادة عامّة رادعة؛ ففي ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م سطا آل مُحَدَث[٤] على الفراهيد في الزلفي وقُتِلَ منهم فوزان بن زامل الذي يظهر أنَّه من آل مدلج، إذ الفراهيد هم الذين أخرجوا آل مُدلِج من الزلفي وملكوه سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م، وكان آل مدلج قد أخذوا الزلفي بالقوة من الفراهيد، فاستعاده الفراهيد هذه السنة وأخرجوهم منه واستولوا عليه[٥].

---

(١) الزلفي: إقليم في جنوب (رمل الثويرات)، شمال (الغاط). ومن بلدان هذا الإقليم: (سمنان) و(الحيطان) و(عريعرة) و(السيح) و(الروضة) و(اللغف) و(الجردة) و(أميهة الذيب) و(العقدة) و(البلاد) و(علقة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٥٣١).

(٢) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٦٢).

(٣) حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرَة» (٧٢٣).

(٤) آل مُحَدَث: من بني العنبر من بني عمرو من تميم، وهم ذرية أمير الزلفي محدث العَمْري التميمي. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٧٢٣).

(٥) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥١). محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٧). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٣) (١١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٥١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٨) (٦٥ ـ ٦٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٥٣٠).

سابعاً: إقليم وادي نعام/أو: حريق نعام[١]:

في وادي نعام، وأشهر بلدانه بلدة الحريق[٢]، بناها وغرسها رشيد بن مسعود بن سعيد بن سعيدان بن فاضل الهزاني الجلاسي الوائلي[٣]، وتداوله ذريَّتُه من بَعدِهِ، ويُعرفون بآل حمد بن رشيد، وكثروا وقويت شوكتهم وكبُرَ شأنهم. وكان هذا الوادي قبلُ للقَوَاوِدَة[٤]، فأخذه الهزازنة منهم سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م، فتركوا بلدة نعام تحت نفوذهم واختاروا السكنى في الحريق فبعثوه وسكنوه[٥].

ولا ننسَى أنَّ عمارة الهزازنة للحريق وأخذهم أيَّاها، أنَّ هذا لم يكن أوَّل نزولهم في هذه المنطقة، بل كانوا أهلها من قبل، ومنذ العهد الجاهلي، ولكنَّ الدنيا دول وإقبالٌ وإدبارٌ، ويوماً لقوم وغداً لآخرين، فهم قد استعادوا نفوذهم وسكناهم بها لأنَّهم نزلوها ابتداءً

---

(١) من أشهر بلدان هذا الإقليم: (الحريق) وهي قاعدته، و(الحلوة) و(نعام البلد) و(الحوطة/ حوطة بني تميم) و(المُفَيْجِر). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٦/٢ ـ ٤١٩).

(٢) الحريق: بلدةٌ في أعلى (وادي نعام). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٢/١).

(٣) الهزازنة: نسبةً إلى هزان بن صُباح ابن عَتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٨٨٩).

(٤) القَوَاوِدَةُ: من سُبَيْع، في (نعام) و(الحريق) قديماً. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٦٨٠).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٩/٢ ـ ٣٢٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٥).

من هذه السنين المتأخرة[١].

ثامناً: إقليم الخرج[٢]:

وقاعدة إقليم الخرج قديماً هي الدّلَم[٣]، وهي كبرى مدنها، ويبدو أنَّه بعد زوال حكم بني الأخيضر في اليمامة ودمار عاصمتهم الخضرمة ساعَدَ ما تحمل النفوس عليهم من حقدٍ وضغينةٍ ـ لقاءَ ظلمهم وعسفهم ـ على إبادة الخضرمة وإخفاء معالمها، فتحوَّلت سلطةُ الحكم في الخرج إلى الدّلَم[٤]، ودليل ذلك أنَّ ابن فضل الله العُمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أهمل ذكر الخضرمة وذكر الخرج[٥]، وهو فيما يبدو يقصد الخرج القاعدة التي هي الدّلَم لا الخرج المنطقة[٦].

---

(١) انظر: الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٢٨). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٩٣/٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٨٩١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٥/١) (٤٢٠/٢).

(٢) من أشهر مدن هذا الإقليم: (السَّيح) وهو قاعدة الخرج كما يقول ابن خميس، و(الدُّلَمْ). ومن أشهر قراه: (السُّلَمِيَّة) و(اليمامة) و(نعجان) و(الهياثم) و(المُحَمَّدي) و(الضُّبَيْعَة) و(السّهْباء) و(العِذار) و(العَيْن) و(الخَفس) و(الخُرَيْدي) و(البِدع) و(الإرتوازات) و(الوسيطي) و(الهواشله) و(زُمَيْقَة) و(فرزان) و(المصارير) و(ماوان) و(المحطة) و(الفَرْشَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٧٣/١).

(٣) الدّلَم: هي اليوم مدينة كبيرة عامرة، تبعد عن (الرياض) ١٠٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٦/١).

(٤) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣١/١).

(٥) انظر: أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٦) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٢/١).

وتفيدنا المصادر أنَّ بني حنيفة استطاعوا أن يستأنفوا شيئاً من نفوذهم في المنطقة بعد زوال حكم بني الأخيضر على يد القرامطة، وهو ما أخبرنا به ابن فضل الله العُمري الذي عاش في القرن الثامن الهجري: من أنَّ بني يزيد وبني مزيد من بني حنيفة كانوا يسيطرون على أجزاءٍ من منطقة اليمامة، وذكر العُمري من مناطق نفوذهم منطقة الخرج[١]، وهو ما أشار إليه الشاعر الشعبي جعيثن اليزيدي[٢] الذي عاش في القرن العاشر الهجري بقوله:

ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد
وسادات حَجْر من يزيد ومزيد قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد[٣].

وليس لدينا حقيقةٌ عن الفترة التي انتهى فيها نفوذ بني حنيفة في الخرج، إلَّا أنَّه في أواخر القرن الحادي عشر بدأت تفيدنا المصادر عن نفوذٍ جديدٍ بدأ في الخرج لقبيلة عائذ، فكان لها شأنٌ وسلطة امتدَّ إلى زمنٍ قريب، فقد خلفوا بني حنيفة على حكم الخرج[٤].

وقد تعرَضت الخرج في تلك الأزمان لتسلّط أصحاب القوى المحيطة بنجد؛ ومن ذلك ما حدث في سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م يوم سار من مكَّة الشريف حسن بن أبي نمي إلى نجد في جيش كثيف ومدافع

(١) انظر: أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٢) جعيثن اليزيدي من بني حنيفة وهو من سكَّان (الجزعة) في (وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٧٢) (٣٧٦).

(٣) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٧٢) (٣٧٦) (٤٣٢).

(٤) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٣٢ ـ ٤٣٣).

كبار، فأخذ مدناً وحصوناً في الخرج والسلمية[١] واليمامة[٢] والبَدِيع[٣] ومواضع في شوامخ الجبال، وقويت شوكته هناك، فعيَّنَ من رؤسائه من ضبطها على أمورٍ اقترحها وعاد راجعاً[٤].

وفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م خرج محمد بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الأحساء والقطيف ونزل الخرج وحصل بينه وبين آل عثمان رؤساء الخرج[٥] قتالٌ شديد، ثمَّ صالحوه ورجع عنهم[٦].

كما أنَّه في سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م أغار سعدون بن محمد بن حميد من آل غرير رئيس الأحساء والقطيف وعبدالله بن معمَّر رئيس بلد العيينة، أغارا على اليمامة من بلد الخرج، ونهبوا منازلهم، فظهر عليهم البجادي بالخيل[٧].

---

(١) السلمية: إحدى بلدان (الخرج) الشرقية، على مقربةٍ من مدينة (الخضرمة) قاعدة (الخرج) قديماً، ويعتبر آل عفيصان من قبيلة عائذ رؤساء لبلدة (السلمية) منذ القِدَم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٩).

(٢) (اليمامة) المقصودة هنا هي التي في (الخرج). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٧٥).

(٣) البَدِيع: في (الأفلاج)، وقديماً تسمى (المَذارِع). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٩).

(٤) عبدالملك العصامي «سمط النجوم العوالي» (٤/٣٧٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥).

(٥) آل عثمان: من عائذ من عَبيدَة من قحطان. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٥١٥).

(٦) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧١). وحمد بن لعبون «تاريخ بن لعبون» (١٣٧).

(٧) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٧).

تاسعاً: إقليم الأفلاج[١]:

وهو في الجزء الجنوبي من اليمامة، مشهورٌ بعيونه الجارية وبحيراته وخصبه، وقاعدة الإقليم بلدة لَيْلَى[٢].

ذكر ياقوت الحموي أنَّ الأفلاج قديماً كان يسكنه قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان أكثر نخيله لبني جعدة بن كعب وبني قشير وبني الحُريش بنو كعب[٣].

وذكر الأصفهاني بأنَّ الأفلاج بلاد بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفي ذلك قال شاعرهم أبو الأزهر الجعدي من بني كعب:

نحن بنو جعدةَ أصحابُ الفَلَجْ   نحن مَنعنا بَطنَه حيثُ انعرَجْ
نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَجْ[٤].

وفي أزمان الفوضى وانفراط عقد الأمن مرَّ أحد الرحَّالة على الأفلاج فوصفها ووصف أهلها قائلاً: «**وهي مقسَّمةٌ بين حزبين بينهما خصومةٌ وعداوةٌ دائمةٌ. والسكَّان هناك فقراء جداً وبؤساء، ومع فقرهم**

---

(١) الأفلاج: أحد أقاليم نجد، من بلدانها: (البَدِيعان) الجنوبي والشمالي، و(الحَمَر) و(الخَرْفَة) و(الروضة) و(الستارة) و(السيحان) الجنوبي والشمالي، و(الصغو) و(الهدَّار) و(مُشرِفة)، وغيرها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٩٥ ـ ٩٦).

(٢) لَيْلَى: تبعد عن (الرياض) نحواً من ٣٦٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣١٨ ـ ٣٢٠).

(٣) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣/٤٤٢).

(٤) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٢١ ـ ٢٢٢).

فإنهم كلّ يومٍ في حربٍ واعتداءٍ وسفكِ دماء. والناس جياعٌ عراةٌ وجهلاء، ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة، ولا يشترون الكتب»[١].

هكذا كانت حالة الأفلاج في تلك الأزمان، واستمرَّت هذه الفوضى وهذا الانفلات الأمني قروناً حتَّى تفيَّأت في ظلال حكم الدولة السعودية الأولى كما سيأتي بيانه في الفصل الخامس.

عاشراً: إقليم القصيم وبلداته المشهورة.

١ ـ بريدة[٢].

وهي قاعدة القصيم ومن بلداته المشهورة، وقد عُمِرَت سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م[٣] وقيل ٩٥٨هـ/١٥٥١م[٤]، على يد أمرائها آل أبى عليان من العناقر[٥] الذين هجروا بلد ثرمداء في الحروب التي وقعت

---

(١) ناصر خسرو «سفر نامة» (١٥٦ ـ ١٥٧) باختصار.

(٢) بريدة: في الطرف الشمالي من القصيم العليا. انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين» (٦١).

(٣) انظر تعليق حمد الجاسر على كتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة» لابن عيسى (ص: ٤١).

(٤) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٣٠).

(٥) آل أبى العليَّان: يرجعون إلى الحسن منهم من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٣١) (٩٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٥٦٨ ـ ٥٦٩). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٤٨٢).

بين العناقر في ثرمداء وبلد مراة لطلب الرئاسة[١]، أو ربَّما كانت الهجرة تخلُّصاً مِمَّا كان يصيب بلدان الوشم ومنها ثرمداء التي يقلّ ماؤها إذا ما تأخَّر المطر، بخلاف بلاد القصيم التي مياهها أعدادٌ لا تتأثَّر بتأخُّرِ السَّيْل[٢].

وكان رئيس آل أبى عليَّان إذ ذاك راشد الدريبي، وكانت بريدة يومها - على قول المؤرّخ ابنَ عيسى - ماءً **لآل هذَّال** المعروفين من شيوخ عنزة، فاشتراها منه راشد المذكور وعَمَرَها وسكنها ومن معه من عشيرته، وذلك في سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م[٣].

في حين يرى محمد بن ناصر العبودي[٤]: «أنَّ بريدة لم تكن مجرَّد ماءٍ لابن هذال باعه على راشد الدريبي في آخر القرن العاشر الهجري، وإنَّما كان مكانها وما حوله معموراً مأهولاً قبل ذلك التاريخ، وأنَّ الدريبي وجماعته جاؤوا إليها وسكنوها مع من كانوا يسكنونها، كما كان يأتي إليها غيرهم ويسكنونها، ولكنَّ الجهل الذي كان غالباً على الناس في العصور المظلمة التي امتدَّت من القرن الرابع حتى القرن العاشر هو الذي عمَّى على الناس أمرها، وجعلهم يجهلون ابتداء العمارة فيها كما جهلوا أشياء أخرى هامَّة من نواحي تاريخهم»[٥].

---

(١) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥).

(٢) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٤٧٩).

(٣) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥).

(٤) محمد بن ناصر العبودي المؤرّخ البلداني والرحالة الشهير. من أهل القصيم.

(٥) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٤٨١).

واستدلَّ العبودي على ذلك قائلاً: «إنَّ قبيلة عنزة لم يكن لها أكبر النفوذ في تلك الفترة في القصيم، أيّ في القرن العاشر الهجري، وإنَّما النفوذ العظيم كان لقبيلة بني لام». ثمَّ قال العبودي في نفس الموضع: «وهذا شيءٌ معروفٌ ومقرَّرٌ عند المؤرّخين»[١].

٢ ـ عنيزة[٢]:

هي المدينة الثانية من حيث الأهمية في القصيم[٣]، وقد تأسَّست في أواخر القرن السابع الهجري، وأوَّل ما أُسِّسَ منها قسمها الشمالي المعروف باسم الجناح[٤] وهو اسم لقبيلة نزلته وتنتهي إلى الجبور من بني خالد[٥] القبيلة المعروفة[٦].

وفي ذلك يقول صاحب قصيدة العنيزية:

ولمَّا أتى القرن الذي هو سابع   لهجرة خير الخلق والنظراءِ

---

(١) المصدر السابق (٢/٤٧٦).

(٢) عنيزة: تبعد عن (بريدة) نحو ١٢ ميلاً. حافظ وهبة «جزيرة العرب» (٦٢).

(٣) انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤/١٦٣٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤/١٦٤٦).

(٥) الجبور: واحدهم جبري؛ في (الأحساء) ونواحيه، ثمَّ في (نجد) وفي (القصيم) وفي (العِرْض) وفي (الوشم). ويُعَدُّ من فروع الجبور: آل مقدام وبنو نهد والبيوتات (آل بيوت) والعماير وآل صبيح والدعم وآل جناح، وكلّ هؤلاء يشملهم اسم بني خالد. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٩٢ ـ ٩٣).

(٦) عبدالعزيز القاضي «العنيزية» (١٧١).

تأسَّس مبناها وكان شمالها لآل جناح أوّل المترائي[(١)].

ويقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي: أنَّ إمارة عنيزة لم تخرج عن أولاد مؤسّسها الأول: زهري بن جراح من العتايقة أحد فخوذ بني ثور من قبيلة سبيع[(٢)].

وكبقية بلدان نجد انقسمت عنيزة إلى أقسام أربعة من حيث النفوذ؛ وهي: الجناح والعقيلية[(٣)] والمليحة[(٤)] والجادّة[(٥)]، فكان ذلك الانقسام سبباً في التنافس والتنازع فيما بينهم[(٦)]، ثم كان سبباً في تسلّط القوى المحيطة بإقليم نجد؛ ففي سنة **١٠٩٧**هـ/١٦٨٦م خرج

---

(١) المصدر السابق (١٧٧).

(٢) محمد بن ناصر العبودي «معج بلاد القصيم» (١٦٥١/٤).

(٣) العقيلية: هي محلَّة لم تزل معروفة في البلد، وأهلها آل أبو غنَّام الذين من ذرِّيَّتهم آل يحيى الصالح وآل بكر. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٤) المليحة: هي محلَّةٌ لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها آل معمر من الفضل الجراح وآل زامل وكلّهم من سبيع. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٥) الجادة: محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها الشختة المعروفون بالمشاعيب وهم أبناء عم آل معمر. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦٣) (٦٧) (٧٢). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٦٥) (٧١) (٧٣). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٥٣/٤).

شريف مكة مع جنود عددها خمسمئة رجل، ونزل عنيزة وأوقع في أهل العقيلية وأعمل القسوة ونكّل بهم[١]، وكما يقول المؤرّخ إبراهيم بن عيسى (ت: ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)[٢]: «ظهر الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى نجد ونزل بلد عنيزة وفضّى العقيلية وهدمها، **وفعل بهم من القُبحِ والفساد ما لا يعلمه إلَّا الله**»[٣].

٣ ـ الرس[٤]:

وهي من بلدان القصيم الشهيرة، وهي المدينة الثالثة في القصيم كلّه بعد بريدة وعنيزة[٥]، **كانت ماءً لبني منقذ بن أعيا من بني أسد قديماً**[٦]، وخرب الرَّسّ برحيلهم إلى العراق، وبعد ذلك كان أوَّل من سكنه **آل صقيه من بني تميم**[٧] **في جلوتهم من أشيقر في حدود المِئة**

---

(١) أحمد المنقور «تاريخ أحمد المنقور» (٥٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٩/٢) وهو يجعلها في سنة ١٠٩٦هـ. وانظر: عبدالله بن محمد البسّام «تحفة المشتاق» (١٤١). وعبدالعزيز القاضي «العنيزية» (١٧١).

(٢) انظر ترجمته عند: عبدالله البسّام «علماء نجد» (٣١٨/١ ـ ٣٣١).

(٣) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٦).

(٤) الرَّسّ: على بعد ٥٠ ميلاً من (بريدة) في الجنوب الغربي منها. انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب» (٦٢).

(٥) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٠٢٣/٣).

(٦) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٣٧). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٠٢/٢).

(٧) آل صقيه: من آل بسّام بن عساكر بن بسّام، من الوُهَبَةِ، من بني تميم. انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٤٤٤).

التاسعة/القرن الخامس عشر الميلادي[١]، ثمَّ باعوه على ذرِّيَّة محمد بن علي بن حدجة العجمي[٢]، الذي كان قد أقام في عنيزة أوَّل الأمر، وبعد أن وُلِدَ له عِدَّة أولاد وكبروا، خرجوا من عنيزة واشترى أبناؤه الرَّسّ من آل صقيه كما تقدَّم، وأصبحوا أهل الرَّسّ وأمراءَهُ حتى الآن، وكان انتقالهم للرَّسّ وعمارتهم له في القرن العاشر للهجرة[٣].

❀ ❀ ❀ ❀

المقصود؛ أنَّ هذه التواريخ النجدية المدونة تعطيك صورة صادقة للحالة التي كانت عليها نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى ومناصرتها لدعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنَّها تمنحك فكرة عن مدى تفكُّك المجتمع؛ الذي وَجَدَ في الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد فيما بعد مُنقذاً له من دوَّامةٍ كان يجري في فلكها، دونما معرفة منه بطريق الخلاص منها؛ دوامةٌ كانت تطحنه عسكرياً وخُلقياً ونفسياً وفكرياً، فتردَّى إلى مستوى يضاهي مستوى الجاهلية[٤].

---

(١) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٤٤٥).

(٢) هو من قبيلة العجمان، من فخذ آل محفوظ، وذريَّته آل محمَّد وآل شارخ. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١٤٨ ـ ١٤٩) (٤٤٥).

(٣) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٠٢٦/٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١٤٩) (٤٤٥).

(٤) انظر: مقدمة عبدالله الشبل لـ «تاريخ بن عبَّاد» (٨) (٤٢). ومقدمته أيضاً لـ «تاريخ ابن ربيعة» (٣٩). وانظر مقدمة عبد العزيز الخويطر لـ «تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور» (٢٢).

لذلك قال أحد المؤرخين البلدانيين: هذا هو «**الحال في البلدان الصغيرة في نجد التي كان يغلب على سكَّانها الجهل، شأن أكثر البلدان النجدية قبل دعوة الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[(١)].

ويصف لنا **ناصر خسرو**[(٢)] **في رحلته حال بقاع نجد ومحيطها قائلاً**: «**ظَلَلْتُ أتحول مِن قومٍ إلى قوم، وأجد في كلّ مكانٍ خطراً وخوفاً**»[(٣)].

ويصف أحد الكتَّاب تلك الأحوال فيقول: «**وكان العرب في ذلك العصر الذي وُلِدَت فيه هذه الحركة**[(٤)] **في حالةٍ من التأخّر والبؤس والجهل والضعف ليس وراءها مزيد لمستزيد، متفرقين متحاربين جاهلين مغلوبين، رجعوا إلى حالة الفوضى والجهل والفقر، إن لم يكن شرّاً من الجاهلية الأولى قبل بعثة الرسول** ﷺ**، فليست دونها، وقد استطابوا هم تلك الحالة المزرية وقنعوا بها واستمرؤوا ما يجدونه فيها من الفوضى والهمجية، ولعلَّهم أصبحوا لا يدرون أنَّ**

---

(١) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤٦٩/٢) باختصار.

(٢) ناصر خسرو علوي: عاصر الدولة الأخيضرية، وقد زار بلادهم في اليمامة ما بين سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ـ ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. انظر: مقدمة محقق كتابه «سفر نامة».

(٣) ناصر خسرو «سفر نامة» (١٥٥).

(٤) ليست حركة، بل دعوة مباركة قائمةٌ على عقيدة ومنهاج السلف الصالح منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين والقرون المفضَّلة. وَلِيَ تَحَفُّظ على إطلاق مفردة «حركة» على الدعوة؛ فالحركة يتبعها السكون كما في قوانين الحركة، والدعوة لا تقف ولا تسكن، قد تهدأ أحياناً ولكنها لا تقف ولا تنتهي.

هناك ما هو خير ممّا هم فيه»[(١)].

وللمؤرخ العراقي عباس العزّاوي (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م)[(٢)] وصفٌ جيد لحال نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى، يقول فيه: **«كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها كما أنّ كلّ عشيرة منفصلة عن غيرها، ولا تكاد توجد إمارة عشائرية متكوّنة من قبائل عديدة تستطيع أن تؤسس إمارة ذات شأن وسيادة على جزيرة العرب، ومن ثَمَّ نرى الفوضى ضاربة أطنابها؛ فالأمن مفقود، والسلب والنهب من أعظم وسائل ارتزاق الآهلين ومدار عيشتهم، حتّى قيّض الله لنجد دعوةً قويةً وفاضل حريص على التمسك بالشرع، هو محمد بن عبدالوهاب، ومناصرة من حاكم قرية [هو ابن سعود]»**[(٣)].

وما أدقّ وَصف المؤرِّخ البلداني محمد بن ناصر العبودي لأزمان النزاعات بين أهالي البلدان والقرى النجدية قبل أن تأتلف في ظلِّ الدولة السعودية الأولى، حيث يقول: **«أزمان الفوضى والانحطاط قبل قيام حكم آل سعود الأماجد»**[(٤)].

لذلك يذكِّرنا المؤرِّخ النجدي عثمان بن بشر بنعمة الله في قيام دولة آل سعود وإنهائهم لتلك الفوضى العارمة في نجد، فقال ما نصّه:

---

(١) عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٢١).

(٢) عباس محمد العزّاوي: مؤرّخٌ ومحامٍ وأديب عراقي. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/٢٦٦).

(٣) عباس العزّاوي «عشائر العراق» (١/٢٨٤ - ٢٨٥) بتصرّف يسير.

(٤) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٥٠٢).

وبالجملة فمحاسن هؤلاء [آل سعود] الأمجاد وفضائلهم ومحامدهم التي ملأت أقطار البلاد وأزال الله بأولهم(١) الجهل عن الناس وبآخرهم(٢) الظلم والجور والبغي والفتن؛ لو جُمِعَت لبلغت أسفاراً من الكتب ولرأيت العجب العجاب، وكفى لفضلهم ما تقدَّمَ قبل أوَّلهم وآخرهم من المنكرات وترك الجمع والجماعات، فبذلوا جهدهم وجِدَّهُم في زوالها حتى انطمست معالمها»(٣).

وينبِّهنا ابن بشر أيضاً عن حجم الانقلاب الكبير الذي حصل في جزيرة العرب من فوضى عارمة امتدَّت قروناً طويلة، إلى أمنٍ مستتب الأطراف؛ بفضل الله الذي هيَّأ قيام مملكة ابن سعود؛ فَأَرخِ سَمْعَكَ لتنبيه ابن بشر الذي قال فيه: «وهذا الأمر [يعني الأمن] في هذه المملكة [مملكة ابن سعود] شيءٌ وَضَعَهُ الله تعالى في قلوب العباد من البادي والحاضر في كلِّ ما احتوت عليه هذه المملكة، مع الرعب العظيم في قلوب من عادى أهلها، ولم يُوجَد هذا الأمن إلَّا في زمن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه»(٤).

ويخبرنا ابن بشر أنَّ العِلَّة في ذلك؛ هو الحزم الذي هيَّأه الله على يدِ الأئمة من آل سعود، فإنَّه بعد قيام دولتهم زالت الفوضى الأمنية، فأصبح «الحُجَّاج والقوافل وجُباة الزكاة والأخماس وجميع

---

(١) يقصد بأولهم الإمام محمد بن سعود وابنه الإمام عبدالعزيز وحفيده الإمام سعود.

(٢) يقصد بآخرهم الإمام تركي وابنه الإمام فيصل.

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦١) باختصار.

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧٠) باختصار.

أهل الأسفار يأتون من البصرة وعُمان وبلدان العَجَم والعراق وغير ذلك إلى الدرعية، ويَحُجُّونَ ويَرجِعونَ إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من البوادي لا بحربٍ ولا سَرْقٍ، وليس يُؤخَذُ منهم شيءٌ من الإخْوَات [الإتاوات] والقوانين. يَخرُجُ الراكب وَحده من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونُقرَة الشام لا يحمل سلاحاً، بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدوّ ولا أحداً يريده بسوء.

وأخبرني[1] أنَّه ظَهَرَ مع عُمَّال من حلب الشام قاصدين الدرعية، وهم أهل سِتّ نجائب مُحمَّلات ريالات زَكَوَات بوادي أهل الشام، فإذا جَنَّهُم الليل وأرادوا النوم نَبَذوا رواحلهم ودراهمهم يميناً وشمالاً إلَّا ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسِهِم.

وكان بعض العمَّال إذا جاء بالأخماس والزَّكَوَات من أقاصي البلاد يجعلون مزاود الدراهم أطناباً لخيمتهم بالليل لا يخشونَ سارقاً ولا غيره.

وكان في الدرعية راعية إبل كثيرة؛ وهي ضَوَالُّ الإبل التي توجد ضائعة في البَرِّ والمفازات جَمْعاً وفُرادى، فمن وجدها من بادٍ أو حاضرٍ في جميع أقطار الجزيرة أتى بها إلى الدرعية خوفاً أنْ تُعرَف عندهم، ثمَّ تُجعل مع تلك الإبل تُسقى وتُطعَم، فكانت تتوالد وتتناسل وهي محفوظة، فكلُّ من ضاعَ له شيءٌ من الإبل من جميع البادي والحاضر أتى إلى تلك الإبل، فإذا عَرَفَ ما لَهُ؛ أتى بشاهدين أو شاهدٍ ويَمِينه، ثمَّ يأخذه»[2].

---

(١) الكلام لابن بشر.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٩ - ٣٧٠) باختصار.

هذه حقائق تاريخية لا ينكرها أحد؛ وما عليك إلا مراجعة تلك التواريخ النجدية وغيرها من تواريخ تلك الفترة السابقة واللاحقة لقيام الدولة وظهور الدعوة، لتتأكد من صدق ما أوردناه من أخبار.

وَبَعْدُ. أصبح لزاماً الآن البحث في حال الدول والكيانات السياسية التي أحاطت بنجد في تلك الأزمان، والتي قبعت فيه أكثر بلداتها ومناطقها تحت هيمنة حكم **الاحتلال التركي العثماني**، الذي ما استطاع أن يُخضِعَ نجد وأهلها تحت حكمه وهيمنته، وهو ما تسبره المباحث الآتية.





الاحتلال التركي للبلاد والمناطق العربية المحيطة بإقليم نجد

* تنبيهٌ تاريخيٌّ مُهم حول مصطلح «الاحتلال التركي العثماني»:

قد يتمعّر البعض من استخدام مُسَمَّى **«الاحتلال»** ولا يرتضيه اصطلاحاً يصف به وقوع البلاد العربية تحت هيمنة الأتراك العثمانيين؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ بحثهم قَصرَ عن إدامة النظر في المصادر المعاصرة لبدايات حوادث اقتحام العساكر العثمانية للبلاد العربية، ولِغَضِّ المُتَمَعِّرينَ طَرفَهُم عن روايات شهود العيان الذين عاينوا وقائع تلك الأزمان، يُضاف إليه أنَّ بعض الدراسات التاريخية في العقود الأخيرة وقعت أسيرةً لتأثير سموم الأقلام الحزبية التي تطفَّلت على التاريخ لِتُجَيِّرَه لصالح ما يُرَوِّجه **«العثمانيون الجُدُد»**(١) من أباطيل كَثُرَت في الآونة الأخيرة أكثر من أيِّ فترةٍ سابقة.

---

(١) حول «العثمانيون الجُدُد» انظر: بسمة عبداللطيف «العثمانية الجديدة في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة»، مجلة شؤون تركية، العدد١، صيف ٢٠١٥م، (ص: ١٢٨ ـ ١٢٩) (ص: ١٣٢ ـ ١٣٥).

والحقّ أنَّ تواجد الترك العثمانيين في البلاد العربية ما هو إلا احتلال من الناحية التاريخية والسياسية والإنسانية؛ ففعلهم بالبلاد العربية يوم اقتحموها هو عينُهُ فعل المحتل الغازي الذي لم يَكُنْ له من الهَمِّ سوى التوسع السياسي في تلك البلاد، ثم استباحتهم لها بسلب ثروات أهلها ونهب خيراتهم واحتلال بيوتهم وأراضيهم وطرد ساكنيها منها لتحتلها العساكر التركية/**التتارية**[(١)] **ومن أتى معهم من بني جنسهم من المغول**[(٢)] **وأعاجم آخرين من أهل الأناضول.**

وقد كتب **العلامة حمد الجاسر** (ت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)[(٣)] كلمة نفيسة فيها بُعد نظر لقراءة التاريخ وفهمه، قال فيها: «**إنَّ قيام الدولة العثمانية بإرسال الحملات لإخضاع الجزيرة لحكمها يعتبر أول غزو خارجي منظّم، وبصرف النظر عن غاياته وأهدافه، إلا أنه أولى**

---

(١) قال قطب الدين النهروالي في كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (٢٦٤): «أنَّ الترك العثمانيين أصلهم من التركمان الرحَّالة النزَّالة من طائفة التتار». ونقل ذلك عن النهروالي المؤرخ محمد أمين المُحبّي في «خلاصة الأثر» (٢٤/١). وللمؤرّخ والأديب محمد كرد علي في كتابه «المذكرات» (١٥٩/١) نَظَرٌ معتبر قال فيه: «الترك فرعٌ من التتار، معروفٌ أصلهم معرفةً أكيدة لا تقبل المجادلة».

(٢) حول توثيق أنَّهم من المغول، انظر: تعليقات شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» للوثورب ستودارد الأمريكي (١٥٨/١ ـ ١٥٩) (١٦٤)، (١١٠/٤ ـ ١١١) (١١٤) (١١٦ ـ ١١٧). وانظر: هـ. آرمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال» (ص٧).

(٣) حمد الجاسر: مؤرّخٌ جغرافي سعودي. أنظر ترجمته عند: نزار أباظة وزميله «إتمام الأعلام» (١٣١ ـ ١٣٢).

المحاولات للسيطرة الخارجية على تلك البلاد والقضاء على استقلالها»[(١)].

ويقول البحَّاثة المُحقِّق محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)[(٢)]: «**وما كانت الدولة العثمانية إلا نكبة على الإسلام والمسلمين**؛ لأنها لم تكن في وقتٍ من أوقاتها تعمل على تدعيم بناء الصرح الإسلامي ولا على تقوية الوشيجة بين المسلمين، بل ما كانت تعمل إلا لإرضاء نعرات سلاطينها وزعمائها وقضاء مآربهم من الرياسة والشهوات، **وما كانت توسّعاتها لأجل نشر الإسلام وتعميم نوره في البلاد التي تمدّدوا فيها**، وإلا لبَقِيَ لذلك آثارٌ خالدةٌ كبقية آثارِ الفتوح الإسلامية الأخرى؛ **إنما كانت حروبها في أغلب الأحوال للملك والرياسة فقط**»[(٣)].

❋ ❋ ❋ ❋

❋ البحث في الاحتلال التركي لبعض أقاليم الجزيرة العربية ومحيطها:

معلومٌ أنَّ احتلال الأتراك العثمانيين للبلاد العربية بدأ أوّل ما

---

(١) مقدمة الشيخ حمد الجاسر لكتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني» (ص٧) من تأليف: قطب الدين النهروالي.

(٢) محمد حامد الفقي: مصريٌّ من أهل الإصلاح. انظر ترجمته في: «مجلة الهدي النبوي» رجب وشعبان ١٣٧٨هـ، عدد (٧ ـ ٨)، مجلد: ٢٣. وشهر رمضان ١٣٧٨هـ.

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها» (٢٢).

بدأ مع اقتحام السلطان العثماني سليم الأول (ت: ٩٢٦هـ/١٥٢٠م)[١] وعساكره العثمانية التركية لبلاد سورية في شعبان ٩٢٢هـ/سبتمبر ١٥١٦م، حيث جاست خلال الديار السورية تلك الجنود المرتزقة المُكَوَّنةُ من أخلاط الناس.

وبعد أن انبثَّت تلك العساكر في دمشق «**ظنَّ أهلها أن السماء انطبقت على الأرض**»[٢] لمَّا فعل الأتراك بأهل دمشق الأفاعيل، وهو ما ذكره شاهد عيان؛ يقول: «وهجمت العساكر عليها [على دمشق] وعلى ضواحيها للسكنى بها، فأُخرِجَت أناس كثيرة من بيوتها ورُمِيَت حوائجهم ومؤنهم وطرح جمع من النساء الحبالى، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم، وأُخرِجتُ من بيتي ورُمِيَت كتبي، ولم يوقّروا أحداً، لا صغيراً ولا كبيراً ولا أهل القرآن ولا أهل العلم»[٣].

كما هجمت عساكر الترك على الصالحية[٤] وجميع الحارات خارج دمشق، «**فكسروا أبواب بيوتها وحواصلها ودكاكينها وغير ذلك، وذهبت أموال الناس وأسبابهم ولم يسلم منهم إلَّا من أعماه الله عنهم، وعرّوا النساء فضلاً عن الرجال، وكانت النساء قد اجتمعت بجامع الحنابلة ومدرسة أبي عمرو والصوَّابية ونحو ذلك فهجموا**

---

(١) السلطان العثماني سليم خان الأول: انظر ترجمته عند: عبدالحيِّ العكري الشهير بابن العماد «شذرات الذهب» (١٠/١٩٨ ـ ٢٠٠). ومحمد الشلِّي «السناء الباهر» (١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) محمد بن طولون «مفاكهة الخلان» (٣٣٩).

(٣) المصدر السابق (٣٤٢) باختصار.

(٤) الصالحية: شمال غربي (دمشق). انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٢/٨١٢).

عليهم وعرُّوهم، وأخذوا بعض نساءٍ وجوارٍ وعبيد وبعض صبيان، وارتجف الناس رجفةً عظيمة، وعُدَّت هذه الكائنة على دمشق مثل كائنة [تيمور] لنك، بل كيوم القيامة»(١).

ولا غرابة في ذلك فإنَّ هذا السلطان العثماني سليم الأول «**كان شديد البطش سفَّاكاً للدماء طائش السيف**»(٢)، «**كثير السفك عظيم الفتك**»(٣)؛ **فإنَّه يوم تسلطن قتلَ أخوه أحمد خنقاً، ثمَّ قتل أخوه قرقود خنقاً، ثم قتل أخوه محمود وأولاده خنقاً، ثمَّ قَتَلَ من أهل بيته سبعة عشر نفراً**(٤).

ولمَّا احتلَّ سليم دمشق حصل على الناس شدّة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قطّ، حتَّى أنَّ بعض العلماء هناك تَمَنَّوا الموت لِمَا رأوه من قبيح فعلات الترك وفسادهم ومفاسدهم، فهذا أبو الفضل عليّ بن محمد المقدسي الشافعي (ت: ٩٣٤هـ/١٥٢٧م)(٥)، تمنَّى الموت لفتنةٍ حصلت في الدين يوم احتلَّت الدولة العثمانية دمشق **وفرضت الضرائب على فروج البغايا والمومسات**، وكان يقول: «أيّ

---

(١) محمد بن طولون «مفاكهة الخلَّان» الجزء الثاني المسمَّى «تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني» (١٢٤ ـ ١٢٦). وقريب من شهادة ابن طولون جاءت شهادة شاهد عيان آخر وهو: أحمد ابن الحمصي في كتابه «حوادث الزمان» (٥٤٤).

(٢) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٥/١).

(٣) محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٨٣).

(٤) انظر: مرعي الكرمي الحنبلي «نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين» (١٧٣ ـ ١٧٤).

(٥) ترجمته عند: نجم الدين محمد الغزّي «الكواكب السائرة» (١٩٠/٢ ـ ١٩١).

فتنةٍ أعظم من ذلك»[١].

ومن بعد احتلال السلطان سليم وعساكره لسوريا، ساروا إلى غزَّة فأعملوا بأهلها القتل والنهب وسبي النساء وقتل الأطفال[٢].

ثمَّ سار بعساكره إلى مصر واحتلَّها وفعل بأهلها الأفاعيل الشنيعة، كان ذلك في ذي الحجة ٩٢٢هـ/يناير ١٥١٧م[٣]، فإنَّه يوم اقترب من القاهرة وتجهَّز لمحاربة السلطان المملوكي المصري الأشرف طومان باي[٤] في الريدانية[٥]، دبّ الخوف بأهل القاهرة، وصار تجَّارها ينقلون أمتعتهم وأموالهم من بعض الدكاكين التي في الأسواق ويدخلون بها في الأماكن المنسيَّة حتى يسلم، وما سلِمَ فيما بعد، ثمَّ صار غالب الناس يتحوَّلون من أطراف المدينة ويدخلون القاهرة ليعتصموا بها، ونَقَلَ أعيان الناس قماشهم إلى التُّرَب وإلى المدارس والزوايا والمزارات وإلى بيوت العوام التي في الأرباع لعله يسلم، وما سَلِمَ فيما بعد[٦].

وبعد أن هُزِمَ طومان باي على يد السلطان العثماني سليم،

---

(١) المصدر السابق (٢/١٩١).

(٢) محمد بن إياس «بدائع الزهور في وقائع الدهور» (٥/١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) المصدر السابق (٥/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٤) السلطان الأشرف طومان باي: آخر سلاطين المماليك الجراكسة على مصر. انظر ترجمته عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٦٩ ـ ١٧٠).

(٥) الريدانية: قرب (القاهرة)، يقال لها اليوم (العباسية) نسبةً إلى الخديوي عبَّاس باشا. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٦٤).

(٦) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٥/١٣٩).

اقتحم سليم بعساكره التركية مدينة القاهرة في منصرم ذي الحجة ٩٢٢هـ/يناير ١٥١٧م، فصارت العساكر العثمانية تنهب بيوت الناس بحجَّة أنَّهم يفتّشون على المماليك الجراكسة، فاستمرَّ النهب والهجم عمَّالاً على البيوت ثلاثة أيَّام متوالية وهم ينهبون القماش والخيول والبغال والجمال والحمير، فما أبقوا من ذلك مُمكناً. وكان السلطان العثماني ينادي بالأمان في القاهرة كلّ يوم، والنهب والقتل عمَّال من جماعته[1].

ثمَّ توجهت عساكر الترك إلى مشهد السيدة نفيسة فدخلوا إلى ضريحها وداسوا قبرها وأخذوا قناديلها الفضَّة والشمع وبُسط الزاوية وقتلوا من في المشهد[2].

ثمَّ تحوَّلوا إلى جامع شيخو وأحرقوه وقتلوا من فيه وأحرقوا ما حوله من البيوت. وبعدها توجَّهوا إلى جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون يقتلون من التجأ إليها، وصارت الجثث مرمية في شوارع القاهرة تنهشها الكلاب[3].

ولم يكتفوا بذلك؛ بل ذهبوا إلى مزارع الفلاحين وطفقوا يسرقون دَجَاجَهُم وَإِوَزَّهُم وأَغنامَهُم ومحاصيلَهُم، ثم انبثُّوا يقتلعون أبواب بيوتهم وخشب السقوف، ثمَّ صاروا يخطفون العمائم ويعرّون الناس في الأماكن المفردة من بَعدِ العِشاء[4].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٤٧/٥ - ١٥٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (١٥٤/٥).

(٣) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (١٥٥/٥ - ١٥٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٦٤/٥).

ثمَّ «قاموا بخطف النساء والأولاد الأحرار وباعوهم كما تباع الرقيق، فصارت الناس مِمَّن كان في قلبه رحمة يشترونهم ويعتقونهم»[(١)].

ثمَّ هجموا على القلعة وفكّوا عواميدها وسرقوها وأرسلوها إلى إسطنبول ليبنوا بها مدرسة!!!، ومن بَعدُ هجموا على قصور الأمراء ودورهم وبيوت الناس وبعض البيوت الموقوفة فيقتلعون رخام قاعاتها، ثمَّ تسلَّطوا على المدرسة المحمودية والمؤيَّديَّة والصرغتمشية فنهبوا ما فيها من الكتب والأثاث[(٢)].

ثمَّ أمر السلطان العثماني سليم بأن يُرحِّل مَنْ بالقاهرة مِن البنَّائين والنجَّارين والمرخّمين والمبلّطين والحدَّادين وتجار الورَّاقين وتجار الشرب والباسطية والمتسبّبين في البضائع، كلّهم يرحّلون إلى إسطنبول بأمر السلطان سليم العثماني[(٣)] ليعمروا بلاده التركية.

ثمَّ سَنَّ الأتراك العثمانيون ضرائب يجبونها من العاهرات اللاتي كُنَّ يمارسن الرذيلة بإذنٍ من حكومة الوالي التركي العثماني[(٤)].

وقد نجم عن احتلال الترك لمصر أن وقعت الحجاز رسمياً تحت هيمنتهم في السنة التي بعدها[(٥)].

---

(١) أحمد بن زنبل الرمَّال «واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم» (١٣٤) بتصرُّفٍ يسير.

(٢) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٥/١٧٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥/١٧٨ ـ ١٧٩).

(٤) انظر: كلوت بيك «لمحة عن مصر» (٣٢٧).

(٥) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٥/١٩٠). ومرعي بن يوسف الكرمي «نزهة الناظرين» (١٧٧).

ثمَّ اتَّجَهَت أنظار الترك بعد الشام ومصر والحجاز إلى إتمام احتلال شرقي جزيرة العرب وغربيها وجنوبيها دون وسطها ـ أعني نجد وما يتاخمها من شمالها وعاليتها ـ رغبة في التوسع من ناحية، وتَحَجُّجاً بدفعِ الخطر البرتغالي عن منطقة تضم الأماكن الإسلامية المقدَّسَة من ناحية ثانية[(١)].

ولقد تهيَّأ الطريق للعثمانيين إلى احتلال أطراف جزيرة العرب بعد أن وطأ احتلالهم بغداد وما يليها سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م[(٢)]، ولم يكن يدفعهم إلى العراق ما أعلنوه وروَّجوه من أنَّهم جاؤوا دفعاً للخطر الصفوي وإنقاذاً لأهل السنة، أبداً؛ بل إنَّ احتلالهم العراق كان رغبةً في التوسُّع لا دفعاً للصفوي؛ ودليل ذلك أنَّ السلطان سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)[(٣)] يوم احتلَّ العراق اتَّجَهَت عنايته ـ أكثر ما اتَّجهت ـ إلى زيارة العتبات المقدَّسة لدى الشيعة في الفرات الأوسط، وبعد أن زارها حسَّنَ مدينة كربلاء والنجف وأعاد ما تهدَّم من مبانيها وبنى حولها الحدائق والبساتين وأجرى عليها المياه، حتى أنَّه أحيا فيها ما يجذب الزوار إليها، ثمَّ زار قبة موسى الكاظم ومحمد الجواد وقبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٤)].

---

(١) انظر الإشارة إلى ذلك عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) انظر: علي بن لالي بالي المعروف بِمِنق «العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم» (٥٣٠). ومحمد الشلي «السناء الباهر» (٣٠٨).

(٣) سليمان القانوني: حكم في الفترة (٩٢٦ ـ ٩٧٤/ ١٥٢٠ت١٥٦٦م). انظر ترجمته عند: عبدالحي العكري الشهير بابن العماد «شذرات الذهب» (١٠/٥٤٩ ـ ٥٥١).

(٤) انظر: محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٨). ويوسف الملواني «تحفة الأحباب» (١١٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٤/٣٠ ـ ٣٧). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (١/٢٥).

وبعد أن فَرَضَ الأتراك العثمانيون احتلالهم على العراق، نجحوا فيما بعد في الحصول على شيءٍ من الهيمنة في اليمن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م[١]، وقد تعلَّلوا بأنَّهم يريدون اليمن دفعاً لخطر هجوم الإفرنج البرتغاليين، والواقع التاريخي يشهد أنَّه لم يعنِهِم هذا الأمر، فإنَّ الذي قاوم الإفرنج البرتغاليين على سواحل اليمن ومحيط الهند هم مماليك مصر؛ حين أرسل سلطان مصر آنذاك قانصوة الغوري (ت: ٩٢٢هـ/١٥١٦م)[٢] سفنه لمجاهدة البرتغاليين، إلَّا أنَّه تفاجأ بالعثمانيين يهجمون على بلاده وممالكه (بلاد العرب) فشاغلوا أهلها (العرب) بدلاً مِنْ أن يذهب العثمانيون لمحاربة نصارى البرتغال[٣].

وأنتَ لو سبرت تواريخ تلك الفترة لوجدتَ أنَّ أهل عدن والشَّحر[٤] هم من جاهدوا أعداءهم البرتغاليين لَمَّا هجموا عليهم[٥]، ولم يكن ثَمَّةَ أتراك عثمانيون في تلك الحوادث.

---

(١) انظر: محمد با فقيه «تاريخ الشَّحر» (٢٥٣ ـ ٢٥٤). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨).

(٢) قانصوة الغوري، الأمير المملوكي المصري الذي قاوم غزو الترك العثمانيين، وقتلوه في (مرج دابق)، وبعد مقتله انتهت دولة المماليك الجراكسة في البلاد العربية. انظر ترجمته عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٤٦ ـ ١٤٨).

(٣) محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٤/٤٣٥ ـ ٤٣٦) (٤٥٣) (٤٧١). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (١٠).

(٤) الشَّحر: إحدى كبريات مدن ساحل حضرموت. انظر: إبراهيم أحمد المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١/٨٥٢).

(٥) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٤٤) (٢٨٠). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٩).

ثمَّ إنَّ الترك العثمانيون لمَّا جاءت سفائنهم إلى عدن بحجَّة محاربة البرتغاليين؛ ما راح الترك يحاربون البرتغال، بل انبثّوا في عدن بعد أن خدعوا حاكمها ففتح لهم بوَّاباتها، فطفقوا ينهبون البلد نهباً عظيماً ويسرقون ما في أسواق البلد وبيوتها، ومن بعد ذلك غدروا بأمير عدن بعد أن أمَّنوه بدعوتهم له في سفينة قائد الترك الذي شنقه في السفينة وصلبه فيها[(١)]. ثمَّ قام هذا القائد التركي بالقبض على عددٍ من وجهاء العرب اليمنيين كرهائن تضمن له ولاء العشائر وتسديد الضرائب[(٢)].

وفي الحجاز حصل مثلما حصل في اليمن، فإنَّ الاحتلال التركي وإن كان جاء بطلبٍ من شريف مكَّة، إلَّا أن الهيمنة الفعلية للترك العثمانيين هناك لم تَأتِ إلَّا بَعد نجاح جهاد عرب مكَّة ضدَّ البرتغاليين، وذلك لمَّا قام بالجهاد أهل مكة وجُدَّة وشريفها أبي نِمِي (ت: ٩٩٠هـ/١٥٨٠م)[(٣)]، حين نزل البرتغاليين في مرسى أبي الدوائر[(٤)] على ساحل جُدَّة سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م، فنادى منادي أبي نمي في أسواق مكة وبين القبائل بالجهاد العام ضد نصارى

---

(١) انظر: محمد با فقيه «تاريخ الشحر» ٢٥٣ ـ ٢٥٤). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) انظر: جاكلين بيرين «اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم» (٦١).

(٣) ترجمته عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» (١٢٧ ـ ١٣١).

(٤) أبو الدوائر: ميناء قرب (جُدَّة) من جنوبها. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٢٦).

البرتغاليين، فتطوّع الآهلون، كما تطوّعت البادية، فأعطاهم أبو نمى من السلاح ما يكفيهم وخرجوا في جيشٍ جرّار إلى جُدَّة، إذ قابلوا البرتغاليين وصدّوهم بقوة السلاح عن مينائهم، وكان أبو نمي في الصفوف الأولى للمدافعين وقد رُؤي لابساً درعه شاكي السلاح يتقدّم المجاهدين(١).

كلّ هذا ولم يكن للأتراك العثمانيين أي وجود أو دور فعلي قبلها في دفع البرتغاليين عن الحجاز.

كما استغلَّ الأتراك العثمانيون بعض النجاح الذي أتى نتيجة جهاد شعوب الخليج العربي ضد البرتغاليين، وبعض فرص نجاح تحقَّقَت لعددٍ من مغامري البحار في تلك المجاهدة؛ عندها استغلَّ الأتراك العثمانيون كلّ ذلك ليجدوا موطئ قدم للهيمنة التركية في الخليج العربي(٢). وعليه احتلَّ الترك الأحساء حوالي سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م(٣) ولم تكن مهمَّتهم صعبة في ذلك(٤).

---

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٤٤). ومحمد الشلّي اليمني «السناء الباهر» (١٠)، (٣٠٩)، (٣٣٨ ـ ٣٣٩). ومحمد بن عمر بافقيه «تاريخ الشحر» (٢٥٣ ـ ٢٥٤). و: ج. لوريمر، «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٣/١ ـ ١٥).

(٣) انظر: محمد أل عبد القادر: «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد» (٢١٢/١).

(٤) من بعد ذلك جاء احتلال الترك لتونس ثمَّ ليبيا والجزائر ولم يتمكّنوا من احتلال المغرب الأقصى إطلاقاً. وقد اكتفيت بإيراد ذلك هنا في تلك الهامشة لأنَّ البحث في تلك الحوادث في الشمال الأفريقي بعيدٌ عن نطاق هذا البحث، وهي ليست من محيط إقليم نجد.

وبعد هذه الهيمنة العثمانية التركية على بقاع العرب المذكورة، لا بدَّ لنا من التساؤل عن مدى التطوّر والتبدّل الذي حَدَثَ وجَدَّ؟.

فأقول: إنَّ مَنْ يُمعِن النظر في حوادث ذاك الزمن بعد احتلال الترك لبلاد العرب سيتقرَّر لديه لا محالة أنَّ الفوضى ظلَّت ضاربةٌ أطنابها في كل رَجًى من أرجاءِ البلاد العربية وإنْ سَكَنَت حيناً قصيراً، والركود الذي كانت ملامحه بادية الظهور قبيل قدوم الترك العثمانيين استحال خمولاً في بلاد العرب يوم وقعت تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين، وزادت الهمم العربية هبوطاً والعقول جهلاً، وتضاءلت في نواحي العرب أيّ بارقة من بوارق النهوض التي كنتَ تتلمَّس بعضاً من وميضها في الشام ومصر، **فمنذ هيمن الترك العثمانيين سَكَنَ كلَّ شيءٍ ورَكَدَ في بلاد العرب، وصارت تلك الهيمنة شرّاً عليهم، فأصبح العرب تحت حكمهم كقطعان الماشية قريباً من قريب**[(١)].

حتَّى أنَّ العلامة عبدالقادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[(٢)] **كتب كتابه «منادمة الأطلال» حزناً وأسفاً على تخريب الترك العثمانيين للمدارس التي كانت تعجُّ بها دمشق قبل مجيئهم.**

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) حسين مؤنس «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) ترجمته عند: «مجلة الفتح» المصرية، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ (ص٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٣٧/٤ ـ ٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٨١/٣ ـ ١٧٨٤).

* مسألة عدم تبعية نجد للدولة العثمانية قبل قيام الدولة السعودية الأولى:

نتيجة لما تقدَّم؛ أصبحت منطقة نجد مُحاطة من أكثر جهاتها بمناطق يحتلها الترك العثمانيون، على أنَّها لم تقع تحت وطأة الاحتلال التركي إطلاقاً[١]، وفي ذلك يقول مؤرِّخ أمريكي: «**في كلِّ تلك المدَّة لم يكن للأتراك وجودٌ في وسط الجزيرة مطلقاً**، [بل] نلحظ أنَّ العثمانيين في مطلع القرن التاسع عشر لم يكترثوا كثيراً للتوسّع السعودي في نجد أو في الشرق، بَيْدَ أنَّ الرعب بدأ يدبّ في قلب الباب العالي[٢] بعد أن طرد السعوديون الأتراكَ العثمانيين من المُدن المقدَّسة وبعد أن غزوا حدود سوريا والعراق»[٣].

وعليه؛ فإنَّ البحث يصل بنا من خلال دراسة أشكال ونوعيات الاحتلال العثماني آنذاك إلى **أنَّ نجداً لم تشهد على العموم نفوذاً عليها من قِبَلِ الدولة العثمانية يوماً من الأيام؛ فما امتد إليها سلطانها ولا أتى إليها ولاة عثمانيون ولا جاست خلال الديار النجدية عساكر الاحتلال التركية في ذاك الزمان الذي سبق قيام الدولة السعودية**

---

(١) لم تقع تحت وطأة الاحتلال التركي العثماني حتَّى سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

(٢) الباب العالي: المقرّ الرسميّ لرئاسة الوزارة «الصدارة العظمى» في (إسطنبول) ابتداءً من عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٦٢).

(٣) ريتشارد بايلي وايندر «المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي» (ص٣٨).

الأولى وظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١].

وهذه حقيقةٌ دليلها التاريخي يظهر باستقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية آنذاك، فبالرجوع إلى رسالة تركية عنوانها: «**قوانين آل عثمان** در مضامين دفتر ديوان»؛ بالعربية: «قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان» ألَّفَها يمين علي أفندي[٢]، ونشرها ساطع الحصري (ت: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)[٣] في ملحقٍ من ملاحق كتاب له[٤]، فمن خلال هذه الرسالة يَتَبَيَّن أنَّهُ منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري/العقد الأخير من القرن السادس عشر الميلادي، كانت الدولة العثمانية تنقسم إلى (٣٢) إيالة[٥] منها ١٤ إيالة عربية؛ وبلاد نجد ليست منها.

وعليه؛ أطبق كثير من المؤرخين المعاصرين على أنَّ إقليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية لم يكن تابعاً لحكم الاحتلال العثماني[٦]**، ويثبت إطباقهم هذا أنَّ الحكم في البلد الواحد**

---

(١) انظر: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ٢٦٠). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/ ٩٨).

(٢) يمين علي أفندي: أمين الدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م.

(٣) ساطع محمد الحصري: كاتبٌ وباحثٌ، حلبي الأصل. ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/ ٧٠).

(٤) نشرها في أول ملاحق كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية» (١٢٨ ـ ١٣٧).

(٥) إيالة: .Eyalet أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٥٧ ـ ٥٨).

(٦) وممن أطبق على ذلك من المؤرخين المعاصرين: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١). والسيِّد رجب حرَّاز «الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب» (١٢٨). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/ ٢٩). وصلاح العقاد «التيارات السياسية» (٥٧ ـ ٥٨).

من بلدات نجد لا ينتظر أمراً من السلطان العثماني ولا مِن نائبه في أيّ جهة؛ إنما الحكم فيها مستندٌ إلى نفوذ الأقوى، وشواهد ذلك كثيرة[١]، وقد مرَّ مَعكَ كثيرٌ منها في مبحث عصر الإمارات المستقلَّة في نجد/عصر دويلات المدن النجدية في هذا الفصل من هذا الكتاب الذي بين يديك.

ثمَّ تظهر للبحث دلائل أخرى تثبت أنْ لا تَبَعِيَّة لنجد تحت حكم الدولة العثمانية؛ ومن تلكم الدلائل: خريطة توضّح حكم الدولة التركية ونفوذها في الأقاليم والبلدان، إذ توجد تلك الخريطة في متحف طوب كابي[٢]، وأوّل نظرٍ يَلفِتُ من يُطالعها أنها تُثبت امتداد حكم الدولة إلى هنغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا شمالاً والحجاز ومصر جنوباً وليبيا وتونس غرباً والعراق وبعض من سواحل الخليج العربي شرقاً، ووجود فراغ وسط جزيرة العرب والذي يشمل البلاد النجدية، كما يُلاحظ وجود فراغ في شمال جزيرة العرب والتي يشملها الأردن[٣]، فوجود الفراغات عند باحثي التاريخ يَدُلّ على كَوْنِ تلك الجهات ليست تحت حكم احتلال الدولة التركية العثمانية[٤].

---

(١) عبدالله أبا حسين «تعدد الخلفاء في الزمن الواحد» (٢٨٥).

(٢) طوب قابي/ طوب كابي: هو في الأصل قصر قابي «طوب قابي سراي» في تركيا. انظر: محمد شكري نعمة «دليل الأستانة» (٣١). وحسين مجيب المصري «معجم الدولة العثمانية» (١٦٥).

(٣) انظر الخريطة التي أوردتها «جمعية التاريخ التركية»، نقلها عنها ساطع الحصري في ملحق خرائط كتابه: «البلاد العربية والدولة العثمانية». وانظر صورتها في ملاحق الكتاب الذي بين يديك.

(٤) انظر: عبد الله أبا حسين، «تعدد الخلفاء» (٢٨٨). وانظر توثيقاً مهماً لتلك الحقائق في: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (٩٨/١ ـ ٩٩).

* مزيد بَسْطٍ لنقاط التَّماس بين الأحساء ونجد قبيل قيام الدولة وظهور الدعوة:

إقليم الأحساء هو الإقليم المجاور لإقليم نجد، والدولة العثمانية استولت عليه سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، كما مرَّ معك قبل قليل، فانقرضت من الأحساء مع هذا الاحتلال التركي دولة أَجْوَد الجبري العامري[١] وذويه[٢].

وتوالى على الأحساء نُوَّاب الدولة العثمانية، وأوّلهم فاتح باشا ثمّ علي باشا ثم محمد باشا ثمّ عمر باشا؛ وهو الذي سلب آل حميد (بني خالد) منه الأحساء وأخذوها من يده؛ حيث قام برّاك بن غرير الخالدي عام ١٠٨٠هـ/١٦٧٠م بالهجوم على حامية الاحتلال العثماني التركي في الأحساء وقتلوا عسكر الباشا، فاضطرَّهم إلى تسليم البلاد ونودي به ملكاً عليها سنة ١٠٨١هـ/١٦٧١م[٣].

ثم توفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م بعد أن صار له بعض الكلمة والتأثير على بعض أجزاء من نجد غرباً، ثم اشتمل ملكه على الخليج العربي شرقاً ومن عمان جنوباً إلى البصرة شمالاً، وتتابع بعده حكام حتى سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م وهي السنة التي سار فيها سعود بن عبد

---

(١) انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١/١٩٠).

(٢) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٤ ـ ٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥) (٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٣) انظر: محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٣). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٣٨ ـ ٣٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٤ ـ ٩٦).

العزيز بن محمد بن سعود[١] إلى الأحساء، وتفيَّأت ظلال حكم الدولة السعودية الأولى[٢]، وانتهت بذلك دولة آل حميد.

المقصود أنَّ آل حميد استطاعوا أن **يشكِّلوا في شرقي نجد إمارة مستطيلة من قطر إلى الكويت طولاً، ومن الخليج العربي إلى الدهناء عرضاً، وكانت لديهم قوة لا يستهان بها، ولكنها ليست بالتي تُخْضِع أمراء نجد وأهلها لسلطتهم**، وإن كانت لهم بعض من مظاهر السيطرة في نجد وهيمنة على بعض شؤونه، فأصلها يرجع إلى المخصصات التي يدفعها آل حميد لأمراء البلدان في نجد كآل مُعَمَّر وغيرهم؛ فقد كانوا ينالون طاعة أهل نجد بالمال متى عجزوا عنهم بالقوة[٣]؛ ومن ذلك أنَّه كان لأمير العيينة **عثمان بن معمَّر** نخيل ومزارع في الأحساء ورثها عن آبائه وأجداده يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال وذهب[٤]، وقيل إنَّه اثنا عشر مئة أحمر وما يتبعها من كسوةٍ وطعام[٥].

❋ ❋ ❋ ❋

* مزيد بَسْطٍ لمظاهر الاحتلال التركي العثماني في الحجاز:

كان الأشراف يحكمون الحجاز تحت راية سلطان الدولة

---

(١) ستأتي أخباره في ثنايا الكتاب الذي بين يديك.

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٣ ـ ٨٨٥).

(٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٧٦). وعبدالكريم الوهبي «بنو خالد وعلاقتهم بنجد» (١٩٢) (٢١٩)، (٢٢٢) (٢٣١) (٢٤٢).

(٤) بحسب ما ذكره حسن الريكي في كتابه «لمع الشهاب» (٧٨ ـ ٧٩).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠).

العثمانية سنة ٩٢٢هـ/١٥١٧م، وكان السلطان التركي هو المتحكّم في تعيين من يشاء وعزل من يشاء، بل وقتل من شاء من حكّامهم على مكّة[١].

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كان **هؤلاء الأشراف في منازعات بينهم وحروب تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه وتُسفك فيها الدماء وتُستحل فيها الحرمات، ويصل نزاعهم أحياناً إلى حدّ التقاتل في قلب الأماكن المقدسة** مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة، فأُهملت بسبب ذلك أمور الدين وتعطّلت الشعائر في البقعة المقدّسة، حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام في نظر المسلمين[٢].

كان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أو سنتين لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف، فلا غرابة أن يتعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثاني عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وحده نحو ثلاثين شريفاً لم ينعم واحد منهم بالاستقرار، إذ صارت السلطة هناك مثار نزاع لا نهاية له، يُؤجّج بعض أسبابها تَدَخُّل السلطان التركي أحيانا في النزاع ليُجلس على كرسي الحكم أحد الخصوم من الأشراف[٣].

---

(١) انظر على سبيل التمثيل: محمد أمين المحبّي «خلاصة الأثر» (١/١٥٧) (٢٢٠ ـ ٢٢١) (٢٧٢ ـ ٢٧٣). وعبدالرحمٰن الأنصاري «تحفة المحبين» (٥٨). ولويس ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم» (٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الأنصاري، «تحفة المحبين» (٤١) (٧٥) (١١١) (١٢٣) (٢١٠) (٢١٢) (٢٦٤) (٣١٢). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٩٠ ـ ٩٢). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤١٢) (٤١٤) (٤٣٠) (٤٥٠) (٤٨١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣١٤ ـ ٣١٥) (٣٢٠) (٣٢٨). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٣٠ ـ ٢٣١). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة=

ومن يُمعن البحث ويطيل النظر في تاريخ الحجاز في تلك الأزمنة سيأخذه العجب من الحال التي وصل إليها أشراف مكة وتدخُّل من هم برتبةٍ أقلّ من السلطان العثماني؛ وهم أمراء الحج الشامي والمصري الذين صاروا يعزلون الأشراف ويعينون من يشاؤون، «ولستُ أدري أيّ نظام ذلك الذي يبيح لأمراء الحج أن يعزلوا أميراً منصوباً بتأييد من [سلطان الدولة التركية العثمانية] ليقيموا غيره، إنّا إذا افترضنا وجاهة الشكاوى التي اتصلت بأمراء الحج فإننا لا نستطيع أن نفهم أن يكون لهم صلاحية العزل والتنصيب»[(١)].

وكان قد بلغ من هوان أشراف الحجاز على السلطان العثماني أنه يوكل أمرهم أحياناً إلى واليه على مصر، وكان والي مصر يولي من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان[(٢)].

❋ ❋ ❋ ❋

❋ نقاط التَّمَاس بين نجد والحجاز قبل قيام الدولة السعودية الأولى:

لقد حاول أشراف الحجاز غير مرّة الاستيلاء على نجد ففشلوا

= العرب» (٨٩ ـ ٩٢). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤٠٨) (٤١٠) (٤١٤ ـ ٤١٦) (٤٢٢) (٤٤٣ ـ ٤٤٤) (٤٤٨) (٤٥٠) (٤٧٨).

(١) ما بين الهلالين من كلام لأحمد السباعي في كتابه «تاريخ مكة» (٢/٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٢) انظر: يوسف الملواني «تحفة الأحباب» (٣٠٣). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/١١٣). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٨٩). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤١١) (٤٢٨) (٤٣٢) (٤٤٧) (٤٥١).

فشلاً مريعا[(١)]، وكثيراً ما تتراجع جيوشهم الجرارة أمام حصن صغير وليس فيه من الحامية إلا عشرون أو ثلاثون رجلا، وقوتهم ليست معنوية برغم ضخامة المظهر[(٢)].

على أنَّ مؤرخي نجد يذكرون أنَّه لمَّا قويَ أمر أشراف مكة بسطوا نفوذهم وسلطانهم على كلّ ما يستطيعون الوصول إليه من أراضي نجد، وكان نفوذهم وسلطانهم يتمثَّل في جباية الأموال وأخذ الهدايا من أمراء المناطق التي يُخضعونها، ومن الثابت أن هذا النفوذ بلغ قمَّته في عهد الشريف أبي نمي (ت: ٩٩٠هـ/١٥٨٠م)، وهذا الشريف هو الذي جاء سنة٩٨٦هـ/١٥٧٦م، وتكرر مجيئه سنة ٩٨٩هـ/١٥٧٩م إلى نجد بجيش كثيف واستولى على بعض مدنها وحصونها ومواضع أخرى[(٣)].

استمرَّ هذا العمل الهجومي من جانب الأشراف على المدن والقرى النجدية طوال القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجريين[(٤)]، **واتسمت عمليات الأشراف الحربية**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٧)، (٣٢٥). أحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤٠٥). وانظر أيضا: سانت جون فيلبي «تاريخ نجد» (٢٤). وعبدالله العثيمين «نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص١٢)، مجلة الدارة، عدد ١، سنة ٢.

(٢) خالد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (١٤٩).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٣).

(٤) راجع تفصيل ذلك فيما أوردناه سابقاً في هذا الفصل في مبحث: دويلات المدن النجدية.

ضد أهل نجد بالقسوة والعنف، ولم تكن سيرة الأشراف مع أهل نجد حسنة[١].

على أنَّه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بدأ تدخّل الأشراف في أمور نجد يضعف وانقطعت غزواتهم أو كادت تنقطع، لا تعفّفاً منهم كما تثبت الأحداث، ولكن لانشغالهم بالمنازعات فيما بينهم على منصب الإمارة وانقسامهم إلى بيوت متصارعة[٢]، بالإضافة إلى أنَّه في هذا الوقت بدأت قوة آل سعود تظهر على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة العربية[٣].

كانت هذه هي حالة أشراف مكة في أول قيام الدولة السعودية الأولى وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فما كانوا في أغلب أحوالهم قادرين على غزو أهل نجد ولا غير أهل نجد كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجري؛ فقد تبدَّلَت حال أشراف مكَّة واستحالت إلى الضعف والتخاذل والخوف من بعضهم البعض[٤].

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) راجع: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٨/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) انظر على سبيل التمثيل: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥٢/٢ ـ ٣٥٤، ٣٥٩).

(٣) عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٣ ـ ١٣٤).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣٠/١ ـ ٣١).

* تقرير مبنيٌّ على ما سبق، بعدم تبعية نجد للدولة العثمانية من قبل قيام الدولة السعودية الأولى حتى سقوطها:

بناءً على ما سبق تبيانه؛ فإن واقع الحس في تلك الفترة يخبرنا أنَّه «ليس من حاكم أو سلطان [عثماني] غرَّرَ بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحاري الرملية المُحرقة والتوغّل في فيافيها المهلكة، حيث الموت الكريه كامنٌ على الدوام لكل طامع غريب دخيل، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم، بل دأبهم دوماً الحِلّ والترحال وارتياد المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء.

لقد استطاع أولئك العرب منذ القديم الاحتفاظ من خلال هذا الحصن المنيع برابطتهم السياسية لا تنفخ في نيانها ريح»(١).

وهو الأمر الذي أيَّده المؤرخ أمين سعيد (ت: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)(٢) حين قال: «ولقد حاولنا كثيراً من خلال دراستنا لتاريخ العثمانيين أن نعثر على اسم والٍ أو حاكم أرسله هؤلاء إلى نجد أو إحدى مقاطعاتها الوسطى أو الشمالية أو الغربية أو الجنوبية، فلم نقع على شيء»(٣).

وتخبرنا وثيقة بريطانية أنَّ قيام الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ظهرا في وقتٍ لم يكن للأتراك العثمانيين أيّ نفوذٍ على نجد إطلاقاً. كما تخبرنا تلك الوثيقة أنَّ

---

(١) لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/٢٦٠ ـ ٢٦١) باختصار يسير.

(٢) أمين محمد سعيد: صُحُفيٌّ مؤرِّخٌ من (اللاذقية). انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/٢٠ ـ ٢١).

(٣) أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/٢٣) باختصار وتصرّفٍ يسير.

الأتراك حاولوا مراراً أن يبسطوا هيمنتهم على نجد؛ إلَّا أنهم لم ينجحوا. ثمَّ تُنَبِّه تلك الوثيقة قائلةً عن إمارات نجد ـ قبل قيام الدولة السعودية في تلك المناطق الصحراوية ـ لم تخضع قطّ لحكوماتٍ خارج نجد[١].

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[٢]: «**فإنَّ الدولة السعودية [الأولى] دولة مستقلَّة ليس للترك عليها سلطان من قبل كسائر بلاد نجد التي يحكمها أهلها**»[٣].

ويقول المؤرِّخ عبدالله العثيمين (ت: ١٤٣٦هـ/٢٠١٦م)[٤]: «**ومهما يكن من أمر؛ فإنَّ نجداً لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنَّها لم تشهد نفوذاً قويّاً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأيَّةِ جِهةٍ كانت؛ فلا** نفوذ بني جبر أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعاً من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلَّت قائمة والصراع بين قبائلها استمرَّ حادّاً عنيفاً»[٥].

والدليل بأنَّ نجد مستقلَّة لا تتبع الدولة العثمانية؛ أنَّ الشيخ

---

(١) Records of Saudi Arabia; L/PS/10/389,. من وثائق دارة الملك عبدالعزيز.

(٢) الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان: عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية.

(٣) صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (١٦).

(٤) عبدالله الصالح العثيمين: مؤرِّخ سعودي.

(٥) عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (١١).

محمد بن عبدالوهاب دعا بدعوته فيها تحت ولاية آل سعود، وهم أمراء مستقلون ناصروه ودعوته، فاستطاع الشيخ أنْ يُظهر دعوته في ظلّ حاكمه المستقل.

وتبيان ذلك رسالة للشيخ أرسلها إلى أحد رؤساء بادية الشام[١]، يخبره فيها: «أنَّ هذا الأمر[٢] الذي أنكروا عليَّ وأبغضوني وَعادُوني من أجله، إذا سألوا عنه كلّ عالم في الشام أو غيرهم، يقولون: هذا هو الحقّ وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أُظْهِره في مكاني لأجل أنَّ الدولة ما يرضون[٣]، وابن عبدالوهاب أظهره لأنَّ الحاكم في بلده[٤] ما أنكره»[٥].

ويستبين الأمر أكثر حينما نقرأ رسالة من عالم يمني اسمه إسماعيل الجراعي، ظهرت هذه الرسالة في الوقت الذي كانت اليمن تقبع تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين، وقد أرسل هذا العالم اليمني وقتها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يسأله عن حقيقة دعوته، فيقول: «والناس اقتسموا فيكم بين مادحٍ وقادح، فالذي سرَّني عنك: الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان وفي غربة الإسلام: انَّكَ تدعو به وتقوّم أركانه، فوالله الذي لا إله إلَّا غيره، مع ما نحن فيه

---

(١) والشام في ذاك الوقت (كما هو معلوم) كانت تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين.

(٢) يقصد دعوته السلفية في نجد.

(٣) يقصد الدولة العثمانية التي كانت تحكم الشام.

(٤) يقصد محمد بن سعود وأبنائه.

(٥) رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤١١/١).

عند قومنا، ما نَقدِرُ على ما تقدر عليه من بيان الحقِّ والإعلان والدعوة»[١].

وكلتا الرسالتين السابقتين تدلُّكَ على أنَّ الشيخ ظهر بدعوته تحت حاكم مستقل ـ وهو ابن سعود ـ لا يتبع حكمه السلطان العثماني، ولا تتبع إمارته حكومة الترك العثمانيين، بالرغم من أنَّ الترك يهيمنون على محيط نجد جهة الشمال في العراق والشام وجهة الجنوب في اليمن، ومع ذلك كانت نجد بمدنها وقراها ووديانها وشعابها وصحاريها وفيافيها ورؤسائها وشيوخها لم يكونوا في يوم من الأيام تبعاً لسلطة الترك العثمانيين بأيِّ حالٍ من الأحوال، كما بُيِّنَ هنا في تلك الرسالتين وفي الوثيقة البريطانية المذكورة سابقاً، وكما بُيِّنَ من قبل في مبحث الإمارات المستقلة في نجد في هذا الفصل.

بل أقول زيادةً في التبيان: أنَّه حتى قبل قيام الدولة السعودية الأولى، يخبرنا التاريخ أنَّ إقليم نجد لا يتبع الدولة العثمانية ولا غيرها بأيّ شكلٍ من الأشكال، حيث كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها[٢]؛ لقد كانت على وجه التقريب مدناً وبلدات أشبه بممالك المدن، كلّ مدينة لها حاكم لديه من النفوذ عليها. كما وثقناه في مبحث دويلات المدن النجدية في هذا الفصل.

وعندما صنَّفَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بلدة حريملاء

---

(١) رسالة من إسماعيل الجراعي إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (١/٩٩).

(٢) عباس العزّاوي «عشائر العراق» (١/٢٨٤).

كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»، شَهِدَ الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[١] بأنَّ هذا الكتاب قد حُرِّرَ وأُمِرَّ عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم مشايخ شاميون، «وكلُّهم قد أقرُّوه وحرَّروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعدة لهم في قيام ما تضمَّنه من إقامة الدين وإخلاصه لربِّ العالمين، وإلا هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم، لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وقالوه؛ لأنَّ ذلك يحتاز إلى سيفٍ قائمٍ وإمامٍ عادلٍ وذلك متعذِّر الآن إلا بتوفيق الله وإيجاده»[٢].

فهذا من الدلائل على أنَّ حكومة الدولة العثمانية المهيمنة على الشام لا ترضى بانتشار العقيدة السلفية، وهو دليلٌ على أنَّ ذلك تيسَّر للشيخ محمد لمَّا انتقل من حريملاء إلى العيينة يوم آزره حاكم تلك البلدة، ثمَّ بعد انتقاله إلى الدرعية ومناصرة آل سعود له، وهي لفتةٌ

---

(١) الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: الشيخ والفقيه والمحدِّث. وُلِدَ في الدرعية عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م. قتله إبراهيم باشا لما احتلَّ الدرعية بعد أن أرغمه على رؤية آلات اللهو والربابة تعزف أمامه، ثم أمر عساكره أن تقتله في المقبرة رمياً بالرصاص والقرابين فَقُطِّعَت جسده أشلاءً متناثرة. انظر أخباره لدى: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤ ـ ٤٢٥). انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٢ ـ ١٦٦٣). وعبدالله بن عبدالرحمن البسام «علماء نجد» (٢/٣٤١ ـ ٣٤٩).

(٢) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «التوضيح عن توحيد الخلَّاق في جواب أهل العراق» (٢٩). ويقول الشيخ عبدالله البسام في «علماء نجد» (٦/٣١٣): أنَّ كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق» هو للشيخ محمد بن علي بن غريب.

تاريخية تميط لك لثام بعض ما غَمض من تاريخ تلك الفترة المُنبِئَة عن أنَّ بلدات ومدن نجد في ذلك الوقت ليست تحت هيمنة الحكم التركي العثماني، لذلك استطاع الشيخ بمعاونة أمير العيينة بدايةً ثمَّ معاونة آل سعود في الدرعية بعد ذلك، أن ينشر عقيدته ودعوته السلفية في ظلّ حكَّامٍ مستقلين عن الحكومة التركية العثمانية.

المقصود؛ أنَّه من بعد طول الدرب الذي سار به البحث في هذا الفصل، ظهر لكَ جليّاً أنَّ جُلّ ما استطاع التُّرْك إخضاعه من بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر والأحساء دون غيرها وأطراف اليمن الساحلية، أما منطقة نَجْد فقد ظلَّت حرة مستقلة ولم تفكّر تركيا باحتلالها حتَّى سقطت الدولة السعودية الأولى.

هكذا كانت الحالة السياسية في نجد ومحيطها لمَّا قامت الدولة السعودية الأولى وناصرت دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. أما الحالة الدينية فهي أسوأ من ذلك بكثير؛ فقد هَوَت إلى دركاتٍ سحيقة من التخلّف وهيمنة الخرافة عليها، وتفَشّى فيها الشرك كبيره وصغيره. كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.





الفصل الثاني

الأحوال الدينية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.



أولاً: أحوال نجد الدينية قبل قيام الدولة وظهور الدعوة (على هيئةٍ مُجمَلَة)(١)

عمَّت في نجد «البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجُّه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسمٰوات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم

(١) تكمن أهمية البحث في حال نجد ورصد ما كانت عليه في واقعها المحسوس آنذاك قبل ظهور الدعوة وقيام الدولة؛ في الاستدلال بذاك الواقع في الردّ على من أنكر واستنكر ما رَصَدَهُ مؤرخو نجد المتقدمون: ابن غنام وابن بشر، فوَصَمَهُما المنكر والمستنكر بالمبالغة وَوَسَمَهُما بالتحمّس لدعوة الشيخ، ثمَّ اتَّهمهما بأنَّهما صَوَّروا ما صوَّروه من انحراف وانحطاط ديني سبق ظهور الدعوة؛ لكي تبدو دعوة الشيخ ممثلة لانقلاب فكري وثقافي للمجتمع والدولة (هكذا)، ولتكون في إطار صورةٍ مزهرة باهرة (هكذا). ولا يزال مثل هذا الإنكار وذاك الاستنكار يُطرَح حتى يوم الناس هذا، فيُرَدّ عليه بواقع تلك الفترة التاريخية التي تصدّقها كتابات معاصريها وشهادات المعاينين لحوادثها، مما سيرد في الصفحات الآتية إن شاء الله.

وللمزيد انظر الردود الجيدة على تلك الشُّبَه عند: سليمان الخراشي وخالد الزهراني في «دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقائق علمية وشهادات منصفة» (١٨٦ ـ ١٩٧). ونادر العبدالكريم في «نجد والشرك وعبث الأسئلة».

في كشف الشدائد وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا تصلح إلا لله»[١].

«فاشتدَّت غربة الإسلام بينهم وعَفَت آثار الدين لديهم وتَهَدَّمت قواعد المِلَّة الحَنيفية وغَلَبَ على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانْطَمَسَت أعلام الشريعة في ذلك الزمان وغَلَبَ الجهل والتقليد والإعراض عن القرآن والسنَّة، فشَبَّ الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهَرِمَ الكبير على ما تلقَّاه عن الآباء والأجداد، وأحاديث الكُهَّان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجَدّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام[٢] والشياطين»[٣].

والسواد الأعظم من علماء تلك الفترة ورؤسائها على ذلك الانحراف «مقبلون ومن بحره الأُجاج شاربون وبه راضون وإليه مدى

---

(١) هذه شهادة الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ضمن رسالته للركب المغربي في ٢٩ صفر ١٢١٨هـ/ ٢٠ يونيو ١٨٠٣م. أوردها: عبد الرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» (٤٠٢/٦). ووردت في «الدرر السنيَّة» (٢٦٦/١).

(٢) قال محمد بن إسماعيل الصنعاني في «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (ص: ١١٨): «وكذلك تسمية القبر: مشهداً، ومن يعتقدون فيه وَلِيّاً، لا يُخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هُم مُعامِلونَ لها مُعامَلَةَ المُشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحُجّاج ببيت الله الحرام، ويستلمونها استلامهم لأركان البيت».

(٣) جواب الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمٰن عن عقيدة الشيخ ودعوته، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٧٨/١).

الزمان داعون، قد أَغْشَتْهُم العوائد والمألوفات وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المُحْكمات والآيات البيِّنات، يحتجّون بما رأوه من الآثار الموضوعات والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغُبَّر الفترات، وكثير منهم يعتقد النفع والضُّرَّ في الأحجار والجمادات ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات»[١].

«وساعدهم على ذلك من قلَّ حظّه ونصيبه من الرؤساء والحُكَّام والمنتسبين من الجُهَّال إلى معرفة الحلال والحرام، فاتَّبَعتهُم العامَّة والجمهور من الأنام، ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة والمباينة لدين الله الذي اصطفاه لخاصَّتِهِ وأوليائه وصفوتِهِ الكرام. ومع عدم العلم والإعراض عن النظر في آيات الله والفهم، لا مندوحةَ للعامَّةِ عن تقليد الرؤساء والسَّادَة ولا يمكن الانتقال عن المألوف والعادة»[٢].

على هذه الصورة كانت الحال في نجد «في ذلك الحين؛ مباءة للأوثان والطواغيت التي لا يحصيها العَدّ، كغيرها من الأمصار الإسلامية، وكان للقلب تعلّق شديد بهذه الطواغيت لطول الأمد عليها، وليس في الناس من يقوم بالإنكار على هذه المبتدعات ولا من يردّ الناس عنها إلى الدين الصحيح»[٣].

وإليك شهادات من عاين الحدث أو عاصره أو أدرك معاصريه.

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) الرسالة السابقة، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٢) الرسالة السابقة، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٨٧).

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح» (٣٨) باختصار.

* شهادة المؤرخين الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

سوف تجد أهم شهادة في وصف الحال الديني في نجد تبدو أظهر ما تكون في وصف مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غَنَّام (ت١٢٢٥هـ/١٨١١م)[١]؛ وهو من هو في مكانته العلمية ومقامه الذي تسنَّمه في تأريخه الذي أرَّخه لدعوة الشيخ والدولة السعودية الأولى، إذ جاء تأريخه عن معاينةٍ للحوادث وشهادة الواقف على الوقائع، فلا عَجَبَ أن يأتي تلميذه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م)[٢] ليصفه بالعلّامة و «فريد وقته بعلم المعقول

---

(١) هو الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنَّام، من بني تميم، نجديّ الأصل، من سكّان الأحساء، وُلِدَ في (المُبَرَّز) من ضواحي (الهفوف) وطلب العلم هناك، ثمَّ انتقل إلى (الدرعية) بعد قيام الدولة السعودية الأولى ومناصرتها لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣١٠ ـ ٣١١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٢/٥٦ ـ ٥٨).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: حفيد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كان قاضياً من قضاة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. حمل لواء الدعوة، وحمل لواء الجهاد أيضاً يوم غزا الترك الدولة السعودية الأولى. وقد كان من ضمن الذين رحّلهم إبراهيم باشا من (الدرعية) إلى (القاهرة)، ثم عاد إلى (الرياض). انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٩٦) (٢٢٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٩١ ـ ١٩٣) (٣٦٣) (٢/٤٢ ـ ٤٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» (١١٤) (١٢٩). وكتاب ابن عيسى الآخر «عقد الدرر» (٦٤ ـ ٧٠). وانظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٧٠٤ ـ ١٧٠٦). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/١٨٠ ـ ٢٠١). وستأتي أخبار حرب إبراهيم باشا لأهل الدعوة وترحيله لأهل الدرعية في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

والمنقول والشعر والإنشاء في صدر القرن الثالث عشر»(١).

ولا عجب أيضاً أن تجد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)(٢) يوصي بقراءة تاريخ ابن غنَّام وتكرار النظر فيه(٣). وكثير من أهل العلم يثنون عليه(٤) ويوصون بقراءته لمعرفة حال ذاك الوقت(٥).

يقول ابن غنَّام في تأريخه «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» : إنَّ أهل نجد قد «عَدَلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث،

---

(١) رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٤٨٧/١١). وله ثناء على تاريخه في «الدرر السنية» (٣٢٤/١ ـ ٣٢٥).

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، أحد كبار العلماء في نجد. تلقى تعليمه الأوّليّ في مصر يوم رُحِّلَ إليها بعد سقوط (الدرعية)، فبرع وبزّ كثير من أقرانه، ثم عاد إلى (نجد) زمن الدولة السعودية الثانية. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣/٢). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧١٣/٣ ـ ١٧١٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٢٠٢/١ ـ ٢١٤).

(٣) انظر: «الدرر السنيَّة» (٣٨٠/٨). وكتاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن المعنون بـ«منهاج التأسيس» (٢٦ ـ ٢٧).

(٤) أثنى عليه عالم الجنوب ومؤرِّخُهُ: الحسن بن أحمد عاكش في «تكملة نفح العود في سيرة الشريف حمود» (٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٥) أوصى بذلك الشيخ عبدالله آل محمود في رسالته «تحذير أهل الإيمان عمَّا تضمَّنته رسالة ابن فيروز من البهتان» (٥٧) (٦١ ـ ٦٢). ومثله الشيخ صالح الفوزان في «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدرّ النضيد» (١٤٣).

وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات، وكثيرٌ يعتقد النفع والإضرار في الجمادات كالأحجار والأشجار، ويتنابون ذلك في أغلب الأزمان والأوقات، وقد مضوا قبل بُدُوِّ نور الصواب يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب»[١].

ولا مبالغة فيما ساقه ابن غَنَّام من وصفٍ لحال نجد قبل الدعوة وقيام الدولة، فإنَّك مُلاقٍ ما يُعزِّز شهادة ابن غنَّام عند **«مؤرّخ نجدٍ وعالمها»**[٢] **المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر** (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) في كتابه الموسوم بـ**«عنوان المجد في تاريخ نجد»**؛ وهو **«كتابٌ مفيدٌ من جُزْأَيْنِ»**[٣]، وهو أيضاً **«من أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صُنِّفَ من تواريخ نجد»**[٤]، ومصنِّف الكتاب **«عُمْدَةٌ لتاريخ نجد ودولة آل سعود في دوريها الأول والثاني من حيث شمول مادّته وتحقيقه وأمانةِ نقلِه ومعاصرته لجلّ ما حدث تلك الفترة»**[٥].

فقد أكَّدَ ابن بشر في تأريخه أنَّ الشرك «إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكَثُرَ بها الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء

---

(١) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٧١ ـ ١٧٣) باختصار.

(٢) قاله: بكر أبو زيد في كتابه «طبقات النسَّابين» (٢٧١).

(٣) كلمةٌ لصالح آل عثيمين في كتابه «تسهيل السابلة» (٣/١٧١١).

(٤) كلمة لعبدالله البسام في كتابه «علماء نجد» (٥/١١٧).

(٥) كلمةٌ لعبدالله بن خميس قالها في بحثٍ له بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر» نشره في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٩٩).

عليها والتبرُّك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم لشفاء مرضاهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر، حتى كثر في أهلها الجهل والضلال»[(١)].

وستجد ما يؤكِّد شهادة ابن غنَّام وابن بشر عند مؤرِّخ من خارج نجد، وهو الإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)[(٢)] **الذي شهد على بلاد نجد ومحيطها بما يتفق مع سياق ابن غنَّام وابن بشر؛ فقد ذكر الشوكاني أنَّ نَجْداً قبل الدعوة ونُصرة الدولة لها «قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريباً»**[(٣)]. ونقل كلام الشوكاني بنصِّهِ المؤرخ الدمشقي الشيخ عبدالرزاق البيطار (ت: ١٣٣٥هـ/١٩١٧م)[(٤)] في حليته[(٥)].

لذلك ذكر المؤرِّخ حسن بن جمال الرِّيكي ـ وهو معاصرٌ للدولة السعودية الأولى ـ واصفاً حال أهل نجد عند ظهور الدعوة، فقال: **«أمَّا أكابر ومشايخ سائر نجد لم يرضوا بشيوع هذا الدين وإذاعته لأنَّه**

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣)، (٢٦ ـ ٢٧).

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني، المولود في (هجرة شوكان) باليمن سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، والمتوفي في (صنعاء) ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. انظر: ترجمته لنفسه في كتابه: «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (٢/١٠٦ ـ ١١٣). وله ترجمة عند: محمد بن محمد بن يحيى زبارة «نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر» (٢/٢٩٧ ـ ٣٠٢).

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٢).

(٤) ترجم له حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار في مقدمة «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (١/٩ ـ ٢٠).

(٥) انظر كتابه «حلية البشر» (٢/٦٦٥).

يُفسِدُ عليهم قوانين كليَّةً وقواعد أصليَّةً وضعت عليها حكوماتهم»[١].

ثمَّ قال عن بدو نجد: «**وكان البدو يتحاكمون في قصصهم وحوادثهم إلى العُرفِ لا إلى الشرع، وقد يأخذ العُرف منهم الرشوة؛ وهي حقيقة ما يُعطى لإبطال الحق. وأولئك الحكَّام طواغيت لكونهم يصدُّونَ الناس عن اتِّباع حكم الشريعة»**[٢]. وقال أيضاً: «**والبدو كانوا قبل خروج هذا المذهب**[٣] **يتحاشون عن متابعة الشرع الشريف»**[٤].

وهذه شهادةٌ أخرى من الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ[٥]، **التي دوَّنها في «المقامات»**؛ حيث يقول: إنَّ جاسر الحسيني[٦] لمَّا حضر عند شريف مكة[٧] مجاوراً، سمع الشريف يسبّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فقال له الحسيني: «يا شريف، لك عليَّ معروف ما يوجب أن أنصح لك؛ لا تقل هذا في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنَّه قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد

---

(١) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٧٦).

(٢) المصدر السابق (٧٧).

(٣) ليست مذهباً؛ بل دعوة سلفية عقيدةً ومنهجاً. وانظر في الفصل الثامن من هذا الكتاب ردودٌ على شُبَهِ من سمَّاها مذهبا أو ديناً جديداً.

(٤) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٠٢).

(٥) والشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وإن لم يكن مؤرّخاً بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، إلَّا أنَّه يُعدّ من مُمَوِّلي التاريخ بشهاداته التي جاء بها في كتابه «المقامات»، ولذلك أوردناه هنا مع شهادات المؤرّخين.

(٦) عرَّف به الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن: بأنَّه جَلا عَن (حَرْمة) بسبب عداوته لدعوة الشيخ، فَسَكَنَ (بغداد)، ثم جاوَرَ في (مكة).

(٧) شريف مكَّة وقتها هو الشريف غالب، وستأتي أخباره في الفصل السادس.

والظلم والضلال، فجمعهم الله تعالى به بعد التفرّق والاختلاف وعلَّمَهم مكارم الأخلاق حتى ما ينبغي أن يقولوه في مخاطباتهم وما لا ينبغي أن يقولوه من الألفاظ المستكرهة، فاحذر أن تذكره بسوء»[(١)].

وهذا يثبت لك كيف كان الحال في نجد قبل ظهور الدعوة وقبل قيام الدولة. فتأمَّل.

ولدينا **مؤرِّخ من العراق** يأتينا بذكر كثير من صور الانحراف العقدي الذي دها نجد إبّان تلك الفترة؛ ومن تلكم الصور: «محبتهم مع الله لأصحاب القبور محبة تألّه وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمّات والملمّات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسمٰوات، والعكوف حول أجداثهم وتقبيل أعتابهم والتمسُّح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات، وإظهار الفاقة وإبداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية وإعطائهم تلك المراتب السامية.

وجماهيرهم، لمَّا أَلِفَت ذلك طباعهم وفسدت به فِطَرهم وعزَّ عنه امتناعهم، لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين مِن قصد الله تعالى والإنابة إليه، بل ليس ذلك عندهم إلَّا للولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان»[(٢)].

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٢٤).

(٢) محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٧٦ ـ ٧٧).

* شهادة العلماء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.

يشهد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن: بأنَّه غدا «من المعلوم عند كل عاقل خَبَرَ الناس وعَرَفَ أحوالهم وسَمِعَ شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أنَّ أهل نجد وغيرهم، ممن تَبِعَ دعوة الشيخ واستجاب لها من سكان جزيرة العرب، كانوا [قبل الدعوة الإصلاحية] على غاية من الجهالة والضلالة والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية؛ يدعون الصالحين ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران ويطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية(١) وجهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الإيمان والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو مشهور»(٢).

وأضاف قائلاً: بأنَّ أهل نجد باديتهم وحاضرتهم، قبل قيام الدولة وظهور الدعوة، قد «عَفَت آثار الدين لديهم وانهدمت قواعد الملَّة الحنيفية»(٣).

ويزيد الشيخ محمد بن عبداللطيف (ت: ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)(٤):

---

(١) سيأتي إثبات ذلك في الفصل الخامس من هذ الكتاب.

(٢) الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «مصباح الظلام» (٤٤ ـ ٤٥).

(٣) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (٣٧٨/١).

(٤) هو محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. عيَّنَهُ الملك عبدالعزيز قاضياً في (القويعية) ثمَّ في (الوشم)، ثمَّ بعثه إلى عسير=

بأنَّهم أصبحوا «في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم واستحكمت، وعمّ الشرُّ وطمَّ وفشا الشِّرك وشاع الكفر في القرى والأمصار والبادية والحُضَّار، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان دينا يدينون به، ويعتقدون في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة وترك الزكاة وارتكاب المحرمات، ولم يوجد من ينكر ذلك؛ فنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير»[(١)].

وذكر الشيخ **عبداللطيف بن عبدالرحمٰن** أنَّه لم يسلم مِمَّا سبق ذكره «إلَّا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله ﷻ، وأما الأكثرون؛ فعاد المعروف بينهم منكرا، والمنكر معروفا، والسنة بدعة، والبدعة سنة»[(٢)].

من هنا قَرَّرَ **الشيخ محمد رشيد رضا** (ت: ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[(٣)] بأنَّ «السواد الأعظم من أهل نجد، سيَّما بدوُها، كأكثر أعراب سوريا والعراق والحجاز؛ كانوا في جاهلية شرٌّ من الجاهلية الأولى؛ يؤمنون

= وبلاد الحجاز مرشداً وداعياً إلى الله. عُرِفَ بأنَّ عنده مكتبة كبيرة؛ كانت هي النواة للمكتبة السعودية بالرياض. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٨٢٣/٣). وعبدالله البسام «علماء نجد» (١٣٤/٦ ـ ١٣٩).

(١) أحد أجوبة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ضمن: «الدرر السنية» (٤٤٩/١٠).

(٢) جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن على أسئلة وردت إليه من الساحل الشرقي، ضمن: «الدرر السنية» (٤٤٢/١ ـ ٤٤٣).

(٣) محمد رشيد رضا: صاحب مجلة المنار. وُلِدَ في (القلمون) من اعمال (طرابلس الشام) وبها نشأ وتعلَّم، ثمَّ رحل إلى مصر وأنشأ مجلته المنار. توفّي في حادث سيَّارة وهو عائدٌ من (السويس) إلى (القاهرة). انظر: خير الدين لزركلي «الأعلام» (١٢٦/٦).

بالجِبْتِ ويعبدون الطاغوت: من حجرٍ وشجرٍ وحيوان وإنسان حيّ أو ميِّت، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ويستحلّون قتل النفس لمجرد الكَسْبِ وأكل أموال الناس بالباطل من سلبٍ ونهب، فسخَّرَ الله لهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده فجدَّدَ فيهم الإسلام»[(١)].

ومن قبل كلّ أولئك شهد **الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب** قائلاً: «وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إلٰه إلّا هو، لقد طلبت العلم، واعتَقَدَ مَن عَرَفَني أنَّ لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى (لا إلٰه إلّا الله) ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به، وكذلك مشايخي ما مِنهم رجل عَرَفَ ذلك، فمن زَعَم مِن علماء العارض أنَّه عَرَف معنى (لا إلٰه إلّا الله) فقد كَذَّب وافترى ولَبَّس على الناس ومَدَحَ نفسه بما ليس فيه»[(٢)].

وهذا **الشيخ عبدالله بن عيسى**[(٣)] **الذي وُصِفَ بأنَّه لا يُعرف في نجد ولا علماء العارض أجلَّ مِنْه، يقول: «فالله الله عباد الله؛ لا تغترُّوا بمن لا يعرف شهادة ألّا إلٰه إلّا الله وتلطَّخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم،**

---

(١) نقلاً عن: سليمان بن سحمان في «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية» (١٠٠) باختصار.

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٠٢/١). وفي «الدرر السنيَّة» (٥١/١٠).

(٣) عبدالله بن عيسى: قاضي الدرعية أيَّام كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يزال في العيينة. انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٠١/١). وانظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٣٩/٥ ـ ٣٤٠)، ولم يقف ابن بسَّام على ترجمته ولم يعرف نسبه.

فلله الحمد على ما علمنا من دينه، ولا يُهَوِّلَنَّكم اليوم أنَّ هذا غريب، فإنَّ نبيكم قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ). فإن قال جاهلٌ: أرى عبدالله [بن عيسى] تَوَّهْ[1] يتكلّم في هذا الأمر؟ فيعلم أنَّه إنَّما تبيَّن لي الآن وجوب الجهاد في ذلك عليَّ وعلى غيري»[2].

وهاهنا نقلٌ لأحد النصوص، فيه لَفْتَة تاريخية مهمّة قلَّ من ينبّه عليه، فاقرأه وتأمّله، **فإنَّه يحلّ كثيراً من إشكالات من شكّك في ابن غنَّام وابن بشر وتأريخهما حول انتشار الشرك في نجد قبل الدعوة،** وفيه بيان لأسباب معارضة كثير من أهل العلم لتلك الدعوة؛ فإنَّه لما ضجَّ العامة على من يترشّح للعلم في نجد وسألوهم عن التوحيد الذي يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال العامَّة لأدعياء العلم هؤلاء: «إذا كان هذا هو الحقُّ، فلأيِّ شيءٍ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله[3]؟. فتعذَّروا: أنكم ما سألتمونا!!. قالوا: وإن لم نسألكم!، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟!»[4].

هكذا كان حال من يترشَّح للعلم في نجد قبل ظهور دعوة الشيخ وقبل قيام الدولة السعودية بمؤازرتها وحمايتها والانتصار لها؛ كان المترشّحون للعلم يصمتون عن وقوع الناس بالشرك ولا ينهون عنه، ويسايرون السواد الأعظم فيما وقعوا فيه بسكوتهم وعدم نهيهم عنه.

---

(١) تَوَّهْ: أي لِتَوِّهِ.

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٠٨/١ ـ ٤٠٩).

(٣) ستأتي بعد قليل أخبار شمسان.

(٤) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٨/١).

من هنا ستعلم صدق شهادة الشيخ **عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ** ومدى واقعيتها التاريخية؛ حين قال: «**وفي حدود القرن العاشر** [الهجري/السادس عشر الميلادي] **وما بعده لا يُعرَف أحد من العلماء تكلم بالتوحيد ودعا إليه وعرف هذا الشرك ونهى عنه، حتى أظهر الله هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [في أول القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي]، وهي نعمة عظيمة؛ فبيَّنَ حقيقة وأنواع التوحيد الذي اندرس وعفت آثاره، وبيَّنَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها لا يعدل عن طريقتهم»[١].

المقصود؛ لدينا شهادة أخرى **للشيخ محمد بن عبدالوهاب على فشوّ الشرك في نجد** ذكر فيها غلوّ أهل تلك الأوقات بالأشخاص؛ كاتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد[٢]، واتخاذهم السُّرُجَ على القبور[٣] وهو من وسائل الشرك[٤]، ومثل عكوف أهل تلك الفترات عند القبور واتخاذهم القبور أعياداً[٥]، إلى جانب تقربهم إلى الله بالذبح عند القبور[٦] والذبح لدفع شرّ الجنّ.

---

(١) ردّ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على عثمان بن منصور، ضمن «الدرر السنية» (١١/٥٧٢).

(٢) محمد بن عبدالوهاب «مسائل الجاهلية» (٢٢٧).

(٣) المصدر السابق (٢٣٠).

(٤) وقد نهى عنه النبيّ ﷺ حين قال: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه أبو داوود (٣/٣٦٢ رقم ٣٢٣٦) والترمذي (٢/١٣٦ رقم ٣٢٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٥١٠٩).

(٥) محمد بن عبدالوهاب «مسائل الجاهلية» (٢٣٣).

(٦) المصدر السابق (٢٣٦).

وهذا له شاهد؛ **فالشيخ أحمد المنقور** (ت: ١١٢٥هـ/١٧١٣م) من علماء نجد المشهورين قبل ظهور دعوة الشيخ[(١)]، يفتي قائلاً: «الذبح لدفع أذى الجن، وسمَّى؛ أبيحت»[(٢)]. وقد عدَّ العلماء أن الذبح لقصد دفع شرّ الجن عبادة لهم، وهي شركٌ بالله ﷻ[(٣)].

وكان الشيخ أحمد المنقور يندُب زيارة البيت الذي وُلِد فيه النبي ﷺ والغار الذي بجبل حراء وبيت خديجة ودار الأرقم والغار الذي بجبل ثور[(٤)]. كما ذكر المنقور المواضع التي يستجاب عندها الدعاء، ومنها «عند صخرة بيت المقدس»[(٥)]. هكذا.

أقول: قد بيَّنَ **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** حال نجد قبيل أن يصدح في دعوته، في رسالة منه إلى أحد علماء العراق، قال فيها: «بيَّنتُ للناس إخلاص الدين لله ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات

---

(١) انظر ترجمة ابن منقور عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٥٢ ـ ٢٥٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٥٩٣). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (١/٥١٧ ـ ٥٢٢).

(٢) أحمد المنقور «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» (٢/٨٧).

(٣) من فتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وردت في هامش (ص: ٨٨) تعليقاً على فتوى الشيخ أحمد المنقور في كتابه «الفواكه العديدة».

(٤) أحمد المنقور «جامع المناسك الثلاثة الحنبلية» (٧٠ ـ ٧١). وعلّق محمد بن عبدالعزيز المانع في (ص: ٧٠) على كلام المنقور قائلاً: «ليس على الندب لزيارة المواضع المشهورة دليل». وسيأتيك في الفصل الثالث من هذه الدراسة بيان مفصَّل عن تلك الأماكن في الحجاز التي خصَّها اهل البدع بالزيارة والدعاء.

(٥) أحمد المنقور «الفواكه العديدة» (١/١٧٨). وانظر: عبدالله أبا حسين «تعدد الخلفاء» (٢٨٠).

من الصالحين وغيرهم وعن إشراكهم فيما يُعبَد الله به من الذبح والنذر والتوكّل والسجود، وغير ذلك مما هو حقّ الله الذي لا يشركه فيه أحد؛ لا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، فأنكر هذا بعض الرؤساء لكونه خالف عادات نشؤوا عليها»[(١)].

وللعالم **الأمير الصنعاني** (ت: ١١٨٢هـ/١٧٦٨م)[(٢)] **كلمة عن الشرك في نجد ذكرها يوم بيَّن سبب تأليفه لكتابه «تطهير الاعتقاد»** فقال: «وجب عليَّ تأليفه وتعيَّن عليَّ ترصيفه لِما رأيتُهُ وعَلِمتُهُ يقيناً من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجدٍ وتهامة وجميع ديار الإسلام؛ وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء مِمَّن يدَّعي العِلمَ بالمُغيَّبات والمُكاشفات وهو مِن أهلِ الفجور»[(٣)].

ثمَّ تظهر لنا رسالة مهمَّة من رسائل العلماء في نجد تُقِرّ بانتشار الشرك في نجد وتشهد بِتَفَشِّيهِ قبل دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى؛ وهي رسالةٌ كَتَبَها **الشيخ محمد بن غيهب**[(٤)] **والشيخ محمد بن**

---

(١) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى ابن السويدي، ضمن «الدرر السنية» (١/٧٩ ـ ٨٠) باختصار.

(٢) هو الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني. الفقيه الأديب الشاعر المؤرِّخ. وُلِدَ في (كحلان) قريبة من (صنعاء)، ثمَّ انتقل إلى (صنعاء) وتوفي فيها. انظر ترجمته عند: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٢/٥٢ ـ ٥٦).

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (٢٣).

(٤) لست متيقناً إن كان محمد بن غيهب هو نفسه محمد بن عبدالله بن حمد بن غيهب صاحب شقراء، الذي أورده عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (١/٣٠٢). على أنَّ عبدالله البسام في «علماء نجد» (٤/٣٦٧) يذكر أنَّ ابن=

عيدان[١]، وأرسلاها إلى عبدالله المويس (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦١م)[٢]، وهي بمثابة وثيقة تاريخية تصف الحال في نجد آنذاك، وهذا نصّها:

«من محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان إلى عبدالله المويسي: الباعث للكتاب إخبارك عن ديننا قبل أن يجعل الله هذا الشيخ لهذا القرن يدعوهم إلى الله وينصح لهم ويأمرهم وينهاهم، حتى أطلع الله به شموس الوحي وأظهر به الدين وفَرَقَ به أهل الباطل من السادة والكُهّان والمرتشين، فهو غريب في علماء هذا الزمان؛ هو في شأن وهم في شأن آخر، رَفَع الله به عَلَم الجهاد فشمَّرَ إليه فأمر ونهى، ودعا إلى الله تعالى ونصح ووفّى بالعهد لمَّا نقضوه، وشمَّر عن ساعد الجِدِّ لمَّا تركوه، وتمسَّك بالكتاب المنزَّل لمَّا نبذوه، فبدَّعوه وكفَّروه.

فدينا[٣] قبل هذا الشيخ المجدّد لم يَبقَ منه إلا الدعوى

= غيهب من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ الذين تتلمذوا عليه بعد أن أظهره الله بدعوته السلفية في نجد ومناصرة آل سعود لها.

(١) لم أقف على ترجمة لمحمد بن عيدان، وقد وصفه ابن بسام بأنهم من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ الذين تتلمذوا عليه بعد أن أظهره الله بدعوته السلفية في نجد. انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤/٣٦٧).

(٢) عبدالله بن عيسى المويس، ويقال (المويسي): من بلد (حريملاء) في نجد. وكان المويس هذا من أعاظم من عادى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما سيأتي في الفصل الخامس. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٩).

(٣) من هنا إلى آخر الرسالة، اقرأها بتأمل ومزيد تدقيق؛ لتبرز لك الأهمية التاريخية لهذا النص، التي هي بمثابة توثيق تاريخي لحال نجد قبل ظهور الدعوة وقيام الدولة السعودية. فهذه الرسالة ردٌّ على من وجّهوا التهم إلى تاريخ ابن غنّام وتاريخ ابن بشر: بأنَّ ابن غنّام وابن بشر في تاريخيهما روّجا =

والاسم، فوقعنا في الشرك؛ فقد ذبحنا للشياطين ودعونا الصالحين، ونأتي الكُهَّان ولا نُفَرِّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنَّة والبدعة؛ فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم يُنزَّل بها من سلطان، ونضيِّع الفريضة ونُقَدِّم قبل الصلاة الوسطى (صلاة العصر) من الهذيان ما يفوّتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة، هذا وأضعافه مِنْ البدع لم ينهنا عنه علماؤنا بل أقرُّونا عليه وفعلوه معنا؛ فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا ينصحون جاهلاً ولا يهدون ضالاً.

ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به على منابرهم، ومن ذلك قولهم: اللهم صلِّ على سيدنا ولينا وملجئنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا.

فقبل هذا الشيخ لا تُؤدَّى أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يُزكِّي الخارج من الأرض، حتى جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا»[1].

وهذه حقيقة تاريخية؛ فلقد ظهر الشيخ المجدّد في وقتٍ كان أهله شرٌّ من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة، من شركٍ وخرافاتٍ وبدعٍ وضلالاتٍ وجهالةٍ غالبة[2].

= انتشار الشرك في نجد؛ ليظهرا دعوة الشيخ محمد في مظهر كبير بهيّ، وعلى أنَّ ابن غنَّام وابن بشر كانا مخطئين في كلامهما!!!.

(١) أورد الرسالة كاملة: عبدالله البسام، في «علماء نجد» (٤/٣٦٧ ـ ٣٦٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن قاسم في مقدِّمته لكتاب «الدرر السنيّة» (١/١٨).

والاسم، فوقعنا في الشرك؛ فقد ذبحنا للشياطين ودعونا الصالحين، ونأتي الكُهَّان ولا نُفَرِّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنَّة والبدعة؛ فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم يُنزَّل بها من سلطان، ونضيِّع الفريضة ونُقَدِّم قبل الصلاة الوسطى (صلاة العصر) من الهذيان ما يفوّتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة، هذا وأضعافه مِنْ البدع لم ينهنا عنه علماؤنا بل أقرُّونا عليه وفعلوه معنا؛ فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا ينصحون جاهلاً ولا يهدون ضالاً.

ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به على منابرهم، ومن ذلك قولهم: اللهم صلِّ على سيدنا وولينا وملجئنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا.

فقبل هذا الشيخ لا تُؤدَّى أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يُزكّي الخارج من الأرض، حتى جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا»[١].

وهذه حقيقة تاريخية؛ فلقد ظهر الشيخ المجدّد في وقتٍ كان أهله شرٌّ من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة، من شركٍ وخرافاتٍ وبدعٍ وضلالاتٍ وجهالةٍ غالبة[٢].

= انتشار الشرك في نجد؛ ليظهرا دعوة الشيخ محمد في مظهر كبير بهيّ، وعلى أنَّ ابن غنَّام وابن بشر كانا مخطئين في كلامهما!!!.

(١) أورد الرسالة كاملة: عبدالله البسام، في «علماء نجد» (٣٦٧/٤ ـ ٣٦٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن قاسم في مقدِّمته لكتاب «الدرر السنيّة» (١٨/١).

وتلك الحقيقة شَهِد بها عالم من علماء نجد عاصر من أدرك تلك الفترة؛ وهو **سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب** (ت: **١٢٣٣هـ/١٨١٨م**) الذي ذكر: أنَّ الإمام المجدّد لمَّا «رجع إلى نجد؛ وَجَدَ أهلها ضالّين وعلى أصنامٍ يعبدونها من دون الله عاكفين ما بين أشجار وأحجارٍ وغيران وطواغيت من الأنس والجان فاتنين مفتونين»[١]، لذلك «عاداه أهل الباطل وأقاموا بأنواع العداوة عليه؛ ليُرجعوه هو أتباعه عن إقامة التوحيد والدعاية إليه وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بأنواعها لله وحده، إلى ما كانوا عليه من الطغيان وعبادة الشيطان من الإنس والجان»[٢].

وهذا صحيح من الناحية التاريخية؛ فإنَّ كثيراً من أهل نجد استغرب دعوة الشيخ إلى التوحيد ورأوا فيها مناقضةً لِما ألفوه فحسبوها دعوة إلى بدعةٍ أو دينٍ جديد، فقال أولئك المحتجون المشغِّبون: «**هذه دعوةٌ عوجاء**»[٣].

من هنا جاء تصريح أعداء الدعوة بأنَّ من أقرَّ بالتوحيد الذي دعا إليه محمد بن عبدالوهاب فقد كَفَر وحلَّ ماله وقُتِلَ في الحلِّ والحرم[٤].

---

(١) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٦)، وقيل إنَّ الكتاب من تأليف ابن غريِّب.

(٢) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٧).

(٣) عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (١/٤٢٤) و(٢/١٨٨). وانظر الفصل الخامس وبحث مسألة نخوة آل سعود حينما ينتخون ويقولون: «حِنَّا أهل العوجا».

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٢٤).

ومن أصرح النصوص على ذلك؛ ما أعلنه **عدوّ التوحيد محمد بن فيروز** (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م)[١] يوم قال بالنصِّ: «والحاصل: أنَّ أمر طغاة نجد لا يُشكِل على من تُشكل عليه الشمس، ولا يتوقف في تكفيرهم وحِلِّ دمائهم وأموالهم من له مَسْكَة من الدين، ولا يتوقَّف في كون من قتلوه شهيداً ومن قتلهم مثاباً»[٢]. هكذا!!!.

وهذا يذهب بنا إلى تسليط الضوء على أعداء الدعوة الذين رفضوها وناوأوها ولم يطيقوا البقاء في نجد فرحلوا عنها وتركوها بعد أنَّ بدأت أرضها تَتَشَمَّم طيب التوحيد ويتنسَّم أهلها عبيره الذي انتشر، فهجَّ الكارهون للتوحيد راحلين عن نجدٍ إلى بلدان تتوافق مع مشربهم العقدي، ومن أولئك: سليمان بن سحيم مفتي الرياض[٣]، فإنَّه لمَّا اتَّسعت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقويت بدولة آل سعود لم

---

(١) محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز الوهيبي التميمي نسباً النجديّ أصلاً الأحسائيّ مولداً ومنشأً ثم البصريّ وفاةً الزبيريّ مدفناً. قال عبدالله آل محمود في «تحذير أهل الإيمان» (٦٢ ـ ٦٣): إنَّ ابن غنَّام الأحسائي وصف ابن فيروز الأحسائي في كتابٍ سمَّاه «الرد المركوز على مخازي ابن فيروز» بأنَّه من أفجر علماء الأحساء، وأنَّ من سجيَّتِهِ أكل الرشاء وإجراء المظالم فيها، ولمَّا ظفر المسلمون بالأحساء خرج هارباً في وقت الظهيرة وتوجَّه إلى (الزبارة) في قطر. وانظر ترجمة ابن فيروز عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٩٣ ـ ٩٤). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣/٩٦٩ ـ ٩٨٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٥٢ ـ ١٦٥٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٦/٢٣٦ ـ ٢٤٥).

(٢) عبدالله آل محمود «تحذير أهل الإيمان» (٣٦).

(٣) انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦١٦).

يَبقَ لابن سحيم قرار في مجاورتها، فسافر إلى الزبير؛ لأنَّ هذا هو الوقت الذي احتدم فيه النزاع والقتال بين الدرعية والرياض[١].

ومنهم حميدان بن تركي[٢] الذي ترك القصيم بعد أن تفيَّأت في ظلال التوحيد ورحل عنها إلى المدينة النبوية وأقام فيها حتَّى توفي[٣].

ومنهم صالح[٤] ووالده سيف بن أحمد العتيقي[٥] الذي هاجر من حَرْمَة إلى الأحساء ثمَّ إلى العراق[٦].

على هذا الحال كانت شهادة أهل العلم بما كان شائعاً وذائعاً من الشرك في إقليم نجد، وعلى هذا الحال أيضاً جاءت شهادات وتصرّفات أعداء الدعوة ومعارضيها لِتقَرِّر حقيقة وجود الشرك في نجد قبل الدعوة وقبل قيام الدولة.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٢/٣٨٢).

(٢) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٣) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٣٨١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٢/١٤٩).

(٤) هو صالح بن سيف بن أحمد العتيقي النجدي ثمَّ الأحسائي ثمَّ الزبيري، من أهل (حَرْمَة) من بلدان (سدير). انظر: عبدالله البسّام «علماء نجد» (٢/٤٧٤).

(٥) انظر: ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٤١٧ ـ ٤١٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٢٢). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (٢/٤١٥ ـ ٤١٦).

(٦) انظر: عبدالله البسّام «علماء نجد» (٢/٤٧٥).

* شهادة الأمراء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.

تأتي شهادة الأمراء كرافدٍ تاريخي مهم لمعرفة حال نجد قبل الدعوة؛ فهذا **الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م) ثاني حكَّام الدولة السعودية الأولى، يشهد بأنَّه هو نفسه «والناس فيما مضى على دين واحد؛ يدعون الله ويدعون غيره، وينذرون لله وينذرون لغيره، ويذبحون له ويذبحون لغيره، ويتوكلون عليه ويتوكلون على غيره، ويخافون منه ويخافون من غيره، ويُقِرُّون الشرائع من صلاة وزكاة وصوم وحج، والذي يعمل بهذا عندهم القليل، مع الإقرار، ويُقِرُّون بالمحرمات من أنواع الربا والزنا وشرب الخمر وما يشبه هذا من أنواع المحرمات، ولا ينكرها خاص على عام»[(١)].

نعم؛ كان هذا هو شأن الناس «في تلك الأوقات والأزمان، وقد أُشْرِبَت منهم القلوب بمحبة المعاصي والذنوب، وتولَّعوا بما كانوا عليه من العصيان وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان»[(٢)].

لذلك وصف **الإمام عبد العزيز** نفسه ذاك الحال في رسالة منه

---

(١) من رسالةٍ للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن: «الدرر السنية» (٢٧٩/١)، بتصرفٍ يسير.

(٢) كلمةٌ لمحمد بشير السهسواني في وصف حال أهل نجد آنذاك، أوردها في كتابه: «صيانة الإنسان» (٤١١) أثناء ردِّهِ على أباطيل أحمد زيني دحلان المفتري على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ السلفية.

لأهل المخلاف السليماني[١]، قائلاً: «من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني وكافة أهل تهامة[٢] وفَّقنا الله وإيَّاهم إلى سبيل الحق والهداية وجَنَّبنا وإيَّاهم طريق الشرك والغواية، فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله؛ من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرُّبِ بالذبْحِ لهم وطلبِ الحاجات منهم، مع ما يَنْضَمّ إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الدين، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب»[٣]، **«فلمَّا أنكر عليهم الشيخ ـ عفا الله عنه ـ الشرك، بَدَّعوه وخرّجوه ورموه بالعظائم»**[٤].

ويشهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بأنَّه لولا ما كان موجوداً من الشرك عندَ كثيرٍ من أهل نجد لَما حاربوا الدولة والدعوة حينما دعوا إلى إخلاص التوحيد وتجريده لله ﷻ، حيث قال الإمام عبدالعزيز:

---

(١) المخلاف السليماني: هو الاسم القديم لبلاد (جازان). انظر: محمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٤/١).

(٢) تهامة: المقصود بها تهامة الجنوب. وهي السهل الساحلي العظيم المتاخم للبحر الأحمر ناحية (جازان). انظر: محمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٤/١).

(٣) جزءٌ من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، أوردها: عبدالرحمٰن البهكلي في كتابه «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (٦٨ ـ ٨٦) باختصار يسير.

(٤) رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى رجل يقال له ياقوت، ضمن «الدرر السنية» (٢٧٦/١).

«سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيَّانا لمَّا أخلصنا العبادة لله وحده ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها من البدع المضلَّة والمنكرات المغويَّة؛ فلأجل ذلك رمونا بالعظائم وحاربونا، ونقلونا عند السلاطين والحكام، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجِلَه»[١].

❋ ❋ ❋ ❋

* شهادة الشعراء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.

يأتي الشعراء ليموّلوا بيان حال نجد قبل الدعوة، فلدينا شاهدٌ على شيوع التصوف في نجد قبل دعوة الشيخ، وهي أبيات قالها أحد مشايخ الخرج وهو راشد بن خنين (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٢] عن زيارة قبر الرسول ﷺ وفيها من الغُلُوِّ واللجوء لغير الله ما سوف تراه، إذ يقول ابن خنين:

فزُر قبره إنَّ الزيارة سنَّةٌ ... على كلّ مشتاقٍ وشائق
توجَّه إلى وجه الوجيه مقابلاً ... وشاهد لأنوار الحبيب البوارق
وسلِّم بلا صوت رفيع على الذي ... تلوذ به من كلّ خطب مضايق
محمد الجالي عن القلب رَيْنَه ... ومَن فاق حقّاً في العلى كل فائق[٣].

---

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى أهل بلدان العجم والروم، ضمن «الدرر السنية» (١/٢٦٢).

(٢) ترجمته عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٢٦ ـ ٢٧). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (٢/١٨٢ ـ ١٨٩).

(٣) انظرها عند: علوي الحدّاد في كتابه «مصباح الأنام في الردّ على شبه النجديّ التي أضلَّ بها العوام» (٧٢).

إنَّ هذه الأبيات تحمل في ثناياها غلوّاً واضحاً في شخص الرسول ﷺ، وإذا علمنا مكانة ابن خنين في الخرج أدركنا مدى ما وصل إليه اعتقاد بعض أهالي المنطقة في مثل ذلك[١].

وهذا **الشاعر راشد الخلاوي** (من أهل المنطقة؛ عاش قبل ظهور الدعوة) وهو يمدح النبي ﷺ على طريقة البوصيري الصوفي الغالي ومن على شاكلته، فيقول الخلاوي:

وَاصَلِّي صلاةٍ تملأ الأرض والسَّمَا ... صلاةٍ وتسليم من الله واجبِه

على المصطفى (سِرِّ الوُجودِ) الذي سرى ... إلى حضرةٍ ما نالها كُود جانبِه

إلى أن يقول:

هو الشافع المقبول في كلّ ما جرى ... وإنْ شبَّتْ النِّيران عنها (يلاذ به)!

ويعلّق جامع الديوان **عبدالله بن خميس** (ت: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)[٢] على قصيدة الخلاوي قائلاً: «**والخلاوي في هذا الباب تَبعَ هؤلاء المفرطين وغلا غلوّاً تجاوز فيه الحدود الشرعية وأتى بمثل ما أتى به البوصيري ومن على شاكلته، أو تجاوز وراءهم**»[٣].

إلى جانب ما سبق؛ فلدينا من الشعراء الذين بيَّنوا حال نجد

---

(١) انظر: عبدالرحمن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٥٦) رسالة دكتوراه (غير منشورة).

(٢) عبدالله بن محمد بن خميس، المؤرخ البلداني السعودي، من مشاهير أدباء السعودية المعاصرين.

(٣) عبدالله بن خميس «راشد الخلاوي» (١٠٩ ـ ١١٢).

قبل الدعوة وقبل قيام الدولة، مثل الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي (ت: ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م)[(١)] الذي وصف الحال هناك قائلاً:

فقام[(٢)] والشرك الصريح قد سرى ... بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا ... وطرق الإسلام والسبيلا
إلا أساميها وباقي الرسم ... والأرض لا تخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة ... يدعونه في الضيق للتفريجة
وملَّة الإسلام والأحكام ... في غربة وأهلها أيتام[(٣)]

وفي بيت من قصيدةٍ لحسين ابن غنَّام (ت١٢٢٥هـ/ ١٨١١م) وصف بها من استنكر دعوة الشيخ بسبب ما شاع في نجد من الشرك، فيقول ابن غنام في بيته هذا:

وقام بأمر الحق في جاهلية ... وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا[(٤)].

ومثله وصف الشيخ عمران بن علي بن رضوان (ت:

---

(١) مؤرِّخ أديب من عسير. انظر ترجمته عند: خير الدين الزِرِكْلي، «الأعلام» (١٧/٦ ـ ١٨). وبحث عبدالله أبو داهش «الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية»، في «مجلة العرب»، (ص: ١٩٠ ـ ٢٠١)، ج١ ـ ٢، رجب/ شعبان ١٤٠٧هـ ـ مارس/ أبريل ١٩٨٧م.

(٢) يقصد الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) أوردها سليمان بن سحمان في رَدِّهِ على رجل يسمى (شرف) نزيل البحرين، ضمن «الدرر السنية» (٥٤٩/١٢).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٣/٢ ـ ٩٥٤).

١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)[١]، حال نجد وقت بداية ظهور دعوة الشيخ وقبلها؛ قائلاً:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة ... يدعون أصحاب القبور الهُمَّدِ
تاجاً وشمساناً[٢] ومن ضاهاهما ... من قُبَّةٍ أو تربةٍ أو مشهدِ
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤمّلون كذاك أخذاً باليد
ورأى لعُبَّادِ القبور تقرّباً ... بالنذر والذبح الشنيع المفسدِ
ما أنكر القرّاء والأشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذي لم يُحْمَدِ
بل جَوَّزوه وشاركوا في أكله ... من كان يذبح للقبور ويفتدي[٣]

وقال الشاعر أحمد بن علي بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) مادحاً دعوة الشيخ ومبيِّناً الحال قبل قيامها:

لقد أَوضَح الإسلام بعد اغترابه ... وقد جَدَّ في إخفائه كلّ ملحدِ
وجَدَّدَ منهاج الشريعة إذ عَفَتْ ... فَأكرِم بِهِ مِنْ عالمٍ ومُجَدِّدِ
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقولِ واليَدِ
وكم شبهةٍ للمشركين أزاحها ... بكلّ دليل كاشف للتردّدِ[٤].

---

(١) عمران بن علي بن رضوان: صاحب لنجة (على ساحل الخليج العربي لبرّ فارس). سلفيّ العقيدة، شافعي المذهب، أسند إليه قضاء لنجة وكان مفتيها.
انظر: سليمان بن سحمان «الهدية السنية» (١١٠).
والموقع الإليكتروني: www.al-tawhed.net/shekh/showCat.aspx.

(٢) تاج وشمسان: اثنان من كبار الطواغيت اللذان غلا فيهما أهل نجد. وسيأتي - حين البحث عن الحال الديني في نجد على هيئة مفصلة - مزيد تعريف بهما.

(٣) أوردها: سليمان بن سحمان في كتابه «كشف غياهب الظلام» (١٣٨ - ١٤٣).

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

فابن مشرّف يخبرك بأنَّ الإسلام كان غريباً قبل ظهور هذا الإمام، وأنَّ الشريعة قد عَفَت مناهجها واندرست، وأنَّ الشرك موجودٌ فجاءت تلك الدعوة وأماتته بكشف شبه المشركين وإزاحتها بالدلائل الكاشفة.

ثمَّ قال ابن مشرّف مبيّناً ما كان واقعاً قبيل قيام آل سعود بنصرة الدعوة، مادحاً نصرتهم وجهادهم:

وقد طهّروا تلك الديار وطردوا ... ذوي الشرك والإفساد كلّ مطرد
بأمر بمعروف ونهيٍ عن الرَّدَى ... وبالصلوات الخمس للمُتَعَبّدِ
وقد هدموا الأوثان في كلّ قرية ... كما عمَّرَت أَيْدِيهُمُ كلّ مسجدِ
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم ... ونادِ به في كلّ نادٍ ومشهد[1].

فهذه شهادةٌ من ابن مشرّف بأنّ نجداً قبيل قيام دولة آل سعود لم يكن يُأمر بها بالمعروف، وأنَّ التهاون بَيِّنٌ بالصلوات الخمس جماعة، وأنَّ الأوثان قد ملأت البلدات والقرى.

ولدينا شاهد على ما كان منتشراً من بدعٍ وشرك قيَّض الله له أئمَّة آل سعود في تلك الدولة أن يهدّوا بنيانه وينقضوا أركانه، فهذا سلطان المغرب المولى سليمان بن محمد (ت: ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م)[2] يكلّف شاعره الأديب أبا الفيض حمدون بن الحاج (ت: ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[3] أن يرسل رسالة على هيئة قصيدة للإمام سعود بن

---

(١) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

(٢) ترجمته عند: أحمد الناصري السلاوي «الاستقصا» (٨/٨٦ ـ ٩٠).

(٣) ترجمته وأخباره عند: أحمد الناصري السلاوي «الاستقصا» (٨/١٢٠) (١٢٧) (١٣٣).

عبدالعزيز بن محمد بن سعود؛ يثني فيها على ما قام به من محاربة البدع وهدم بنيان الشرك، إذ يقول شاعره:

وقد حَيِيْنا بما أَمَتَّ من بِدعٍ ... كانت قَذى بعيون الدين لم يَرِمِ

وكانت السنَّة البيضاء مظلمة ... بها، وكان بها الإسلام لم يَقُمِ

فأصبحت وهي شمسٌ غير آفلةٍ ... نوراً، وقد قام إسلامٌ على قَدَمِ[1].

❋ ❋ ❋ ❋

* البحث في جذور الانحراف العقدي الذي حلّ في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

إنَّ شهادة الحس لواقع تلك الفترة السابقة لظهور دعوة الإمام المجدَّد تُنبِئ أن العرب كانوا في نجد، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الأهواز، أو بالأحرى من بلاد فارس؛ فكان لا يزال للقرامطة أثر في الأحساء، وكانت للقبور شفاعةٌ لا شفاعةَ فوقها؛ فحلَّها الناس المحلّ الأعلى في العبادة والتوسّل[2].

ولئن أصبح تسرب تلك العقائد الوثنية والعادات المجوسية بمثابة معول هدَّام في صرح الدين الحنيف في الهند وإيران والعراق، بل وسائر البلدان القابعة تحت هيمنة العثمانيين، خصوصاً البلاد المأهولة

---

(١) التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز» (١٧١).

(٢) انظر: أمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث» (٣٥). وأحمد بن حجر آل أبو طامي «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١٦).

بالأعاجم الذين اعتنقوا الدين الإسلامي؛ فقد أضحى لهم في نجد كبير أثر في إحداث البدع والخرافات التي تخالف بساطة الدين وروحه وهدفه، بل وركنه الركين؛ وهو التوحيد[(١)].

ودليل ذلك أنَّ الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (ت: ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)[(٢)] **والد الإمام المجدِّد رأى في بلدة حرمة بعض الأفاعيل المنكرة من قِبَلِ بعض أهل التصوّف الذين يمارسون الشعبذة والمنكرات والأحوال الشيطانية، فقال الشيخ عبدالوهاب: «فاعلم أنَّ منشأ هذه البدعة من المجوس والصابئين الكافرين بالله ورسوله»**[(٣)].

وهنا تحقيقٌ تأريخي مهم أتى به أحد الكتّاب، يقول فيه: «وأظن أن من أسباب انتشار تلك الأماكن المقدسة في المنطقة هي سيطرة الدولة الأخيضرية على منطقة اليمامة نحو أربعة قرون خلال الفترة التي امتدت من منتصف القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري، وبسط نفوذها ومحاولة نشر عقيدتها العلوية الزيدية[(٤)]، التي من بعض سماتها الظاهرة التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيم الأماكن والأشجار وغيرها.

وهذه أمور غريبة على المنطقة لم توجد من قبل، وقد استمرت

---

(١) انظر: خالد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (١٥٦).

(٢) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥/ ٤٠ ـ ٤٣).

(٣) رسالة الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي، ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٥٢٤).

(٤) انظر: ما فصَّلناه في الفصل الأول عن الدولة الأخيضرية وعقيدتها الزيدية وبسط نفوذها في نجد آنذاك.

تلك المظاهر الشركية بعد سقوط دولة الأخيضريين على يد [القرامطة][١]، وتطورت إلى العصر الذي ظهر فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ الذي حارب بدوره تلك الأمور الشركية»[٢].

لذلك قرَّر بعض أهل العلم والنظر أنَّ «**أكثر هذه العقائد الزائفة والأعمال الضالة كان وافداً على نجد وغير نجد من بلاد العَجَم:** كربلاء والأهواز وغيرها؛ التي هي معقل عبادة القبور ومنبع العقائد الشركية في المقبورين وآثار الصالحين. ولقد كان سَلَفُ هؤلاء الأَوَّلِينَ يُضمِرون في نفوسهم نَزَعَات وثنية مجوسية ونَزَعَات سياسية فارسية، يَحرِصون على تحقيق كلّ منهما ويعملون عليه ويبذلون ما يستطيعون فيه، ويسلكون إلى أغراضهم من ذلك كل طريق»[٣]؛ «وذلك لِما رسخ فيهم من عقائد ديانتهم الأولى وعاداتهم الأعجمية؛ كالنظريات الحلولية وتعظيم الأماكن وتقديسها، مما أدى إلى تشييد القباب والقبور والمزارات والحج إليها والاطِّراح على أعتابها لطلب الغفران وقضاء الحوائج، والنظر إلى بعض المخلوقين كشبهِ آلهة، تمليها عقولهم الباطلة المتأثرة بالعقائد الوثنية.

---

(١) قال الكاتب في مقاله: أنَّ الدولة الأخيضرية سقطت على يد بني عصفور، والحقّ أنَّها سقطت على يد القرامطة. راجع ما بحثناه في الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٢) عبدالحكيم العواد «أماكن يُتَبَرَّك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية»، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٥٨٢، الأحد ٢١ صفر ١٤٢٨ﻫ/ ١١ مارس ٢٠٠٧م. وهو مقال طيّب، مع التحفّظ على ما أورده العواد حول التشكيك في شيوع البدع والشرك في نجد قبل الدعوة.

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٣٧) باختصارٍ يسير.

ومنهم من تعمَّد إدخال هذه العقائد لغايات سياسية يقصد منها هدم الدين الإسلامي بتضليل العامة بشتى الدعايات والبدع، وَلَإِنْ قام في تلك الأصقاع علماء موحدّون أجلّاء دافعوا عن التوحيد وفنّدوا تلك الضلالات والشبهات ونَعوا على أهلها ما هم فيه، فإن جزيرة العرب، وبالخاصة نجد، مُنِيَت بالجهل المطبق والانقياد للخيالات والأوهام التي تسلّطَت على عقول حاضرتها وباديتها، حتى أنَّ بعض الحكايات لتُروى فتصوّرهم في حياة الجاهلية الأولى، وقد تسرَّبَت إليها من دول الجوار»[١].

هكذا كان الحال في نجد على هيئةٍ مجملة. أمَّا حالها على هيئةٍ مفصَّلَة، فإنَّه يُظهر سوء ما وصل إليه حال الناس هناك في انحرافاتهم العقدية آنذاك؛ وتفصيله في المبحث التالي:

---

(١) خالد الفرج «الخبر والعيان» (١٥٦ ـ ١٥٧) باختصار يسير.

ثانياً: أحوال نجد الدينية قبل قيام الدولة وظهور الدعوة (على هيئة مفصَّلة)[١]

* باب: ما جاء في التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبرِ رجل صالح فكيف إذا عَبَدَهُ:

فمن هذا الباب؛ كان الناس في نجد يزعمون أن في **قريوة**[٢] **في الدرعية** قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقرَّبوا إليهم وهم يظنون

---

(١) سترى أنني جعلت الحالة التفصيلية لنجد قبل الدعوة على بعض عناوين أبواب «كتاب التوحيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما ستراه في هذا المبحث؛ لعلمي أنَّ الشيخ في «كتاب التوحيد» جعل عناوينه واصفةً الحال العقدي المنحرف في نجد قبلَ دعوته المباركة، وأن ما في الكتاب من النصوص والأحكام جاءت لعلاج ذلكم الانحراف الذي شاع وذاع في نجد وغيرها في تلك الأوقات. وذكرت عنواناً واحداً فقط من كتاب «مسائل الجاهلية».

(٢) قريوة: هي المقبرة الرئيسية لأهل (الدرعية)، يرقد فيها الأئمة من آل سعود والأمراء والأعيان، وبها قبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأعلام من أسرة آل الشيخ. انظر: عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال»، مقالة نشرت في «مجلة الدارة» (ص٢٠)، العدد١، ربيع أول ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥م. وانظر أيضا كتابه الآخر «معجم اليمامة» (٤٢٥/١).

أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله؛ فكأنما عناهم الله تعالى بقوله ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات: ٨٦]، وكأنما كان جوابهم دائماً ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وكانوا يأتون في شعيب غبيرا[(١)] **من المنكر ما لا يُعْهَد مثله: يزعمون أنَّ فيه قبر ضرار بن الأزور رضي الله عنه، وذلك كذب محضٌ وبهتان مَثَّلَهُ لهم إبليس وصوَّرهُ ودلَّسَهُ عليهم من غير أن يشعروا**[(٢)].

والصحيح أنه لم يثبت استشهاد الصحابي الجليل ضرار بن الأزور رضي الله عنه في حروب اليمامة، بل ذكر أئمة التاريخ أنه اشترك بعدها في معركة اليرموك سنة ١٣هـ/٦٣٤م بالشام، كما شارك في معركة فِحل، واستشهد في معركة أجنادين في ذات السنة[(٣)]. إذن؛ فلا علاقة لضرار بن الأزور رضي الله عنه بالقبر الذي دلَّسه الشيطان على الناس في شعيب غبيرا في نجد.

أيضاً؛ كانوا في نجد يذهبون إلى الجُبَيْلَة؛ ففيها جُبانةٌ تقع بها قبور الصحابة الذين استشهدوا في (الحديقة) وما حولها، ومن بين

---

(١) شعيب غبيراء: أحد الشعاب التي تشكل أكبر الروافد للدرعية. انظر: عبدالله بن خميس، المقالة السابقة. وانظر كتابه «معجم اليمامة» (١/٤٢٤).

(٢) انظر: رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٧٩). وانظر أيضاً مبحث حول تدليس شياطين الإنس على الناس بقبور مكذوبة، في: رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٣) انظر: إسماعيل بن كثير «البداية والنهاية» (٩/٥٥٧)، (٥٦١)، (٥٦٥)، (٥٨٩)، (٦٠٣).

تلك القبور قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه[١] الذي يقصدونه ويدعونه رَغَباً ورَهَباً بفصيح الخطاب[٢] ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج، ويرونه من أكبر الوسائل والولائج[٣].

ومعلومٌ أن «قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه لا يُعرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتِلُوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي [وادي حنيفة] ولا يُعرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنَّما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة، ويجتمع عنده جمعٌ كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات»[٤].

يقول المؤرخ البلداني عبدالله بن خميس: «حدَّثني والدي وقد ذهبتُ معه في زيارةٍ للجبيلة وأنا تقريباً في الثانية عشرة، فقال: إنَّ الناس يخطئون حينما يقولون: أنَّ هذه القبور هي قبور الصحابة، تعال أريكَ قبور الصحابة.

فأخذني إلى تلعةٍ[٥] شمال الجبيلة، فقال: إنَّ هذه القبور هي

---

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٦٤).

(٢) انظر: الشيخ عبدالرحمٰن بن قاسم، ضمن «الدرر السنية» (١٦/٣١٨).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (١/١٧٣).

(٤) كلمة لحسين بن غنام أثناء تعليقه على ردّ الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب على ابن سحيم: «تاريخ ابن غنام» (١/٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٥) تلعة: جمعها تلاع؛ وهي الشعب الصغير ينحدر من الجبل. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٦٤٧).

قبور الصحابة، وهي قبور دارسة. إلّا أنَّني أستبعد أن تكون مضت عليها هذه الأحقاب ولا تزال محتفظة ببعض معالمها رغم أنها مكشوفةٌ وتلحّ عليها عوامل التعرية وهي أيضاً في مسيل تلعة؟!.

وهذا البحث يجرّنا إلى بحث موضوع قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، فلقد استشهد من بين هذا العدد الكبير من الصحابة وانشغل المسلمون بتجميع قتلاهم ودَفْنِهم، فما نُقِلَ بأنَّهم خصّوا زيداً أو غيره من مشاهير الصحابة بقبورٍ متميِّزة، لا سيَّما وعصرُهم عصرُ صفاءٍ وخُلُوّ من البدع، عصرُ تَمَسُّك بما أمر به النبي ﷺ من تسوية القبور وعدم تسنيمها أو البناء عليها، [يعرفون] تحذيره ﷺ من ذلك: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يُحذّر ﷺ ما صنعوا.

فعلى هذا لا إفراد لقبر زيد بن الخطاب ولا تمييز له، فمن أين جاء الخَلَف بوضع قبَّةٍ على قبر زيد حتى صارت فتنة كبرى وضلالة ضلّ بها أجيال وأجيال كلّها بسبب فكرة خبيثةٍ من أطماعٍ تريد سدانة القبر والارتزاق من سواد السُذَّج ومغفليهم.

لقد لعبت فتنة قبر زيد بن الخطَّاب دوراً خطيراً في سواد الناس بذلك الزمن، واهتمَّ لها إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، اهتمَّ لها جداً، وكانت في مقدِّمَة ما دعا إلى هدمه أميرَ العيينة ابن معمَّر آنذاك»[1].

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٦٤ ـ ٢٦٥).

* باب: من تبرَّك بشجرة أو حجر ونحوهما.

ومن ذلك؛ تقديس الناس في نجد للأشجار والأنصاب وما شابهها، فقد كان النساء والرجال يأتون بليدة الفدا[(١)]؛ حيث يكثر ذَكَر النخل المعروف بالفحَّال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبرَّكون به ويعتقدون فيه؛ فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمّهُ بيديها ترجو أن يفرَّج عنها كربها، وتقول: فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول!!.

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية[(٢)] يتبركون بها ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من السوء[(٣)].

كما اعتقد بعض أهالي نجد بشجرة تسمى شجرة الذيب بالقرب من العيينة؛ فكانوا يتبركون بها، وتأتيها بعض النساء، خصوصاً العوانس منهن، فيفعلون عندها مثلما فعلوا بنخل الفحال السابق ذكره[(٤)]. وسبب تقديسهم لشجرة الذيب؛ هو اعتقادهم الناشئ عن

---

(١) بليدة الفِدا: (البُلَيْدَة) شِعَبٌ يسيل على أعلى وغرب (الدرعية)، وهي ذات الفحال التي أورد ذكرها ابن غنَّام في تاريخه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٧٩/١، و١٨٦). ومقالة ابن خميس السابقة في «مجلة الدارة» (ص١٩).

(٢) الطرفية: أحد أحياء (الدرعية) شمالي (ظهرة سمحان). قاله: عبدالله بن خميس في مقالته السابقة في «مجلة الدارة» (ص١٩).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٧٥/١). ورسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٣٧٩/١).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١).

حكاية يتداولونها حول حماية تلك الشجرة لأحد أهالي المنطقة من سطوة أحد الذئاب(١).

وينسحب على شجرة أبي دجانة في العيينة ما انسحب على شجرة الذيب من التقديس والتبرك والتعظيم(٢).

وكان يوجد في أسفل الدرعية غار بنت الأمير(٣)، له قصة تاريخية؛ وهو غار كبير يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا؛ وقد نسوا قوله تعالى ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات، الأية: ٩٤ ـ ٩٥](٤). ويقال: إن أحد المشعوذين كان يختبئ في هذا الغار، وعندما يأتيه طالب الحاجة ويبدأ في ذكر حاجته يقوم هذا المشعوذ بإصدار همهمة من داخل الغار، فيظن الجهلة أن الغار يجيبهم، ويضعون له الطعام والهدايا، فيخرج المشعوذ بعد

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٣٣).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١). وانظر إشارة عثمان بن بشر إلى تلك الأشجار في العيينة وتقديس الناس لها، في كتابه: «عنوان المجد» (٣٩/١). وأمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث» (٣٥).

(٣) غار بنت الأمير: في أسفل (الدرعية)، بين (المُفَيجر) و(المُغتَرَّة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٣٠/٢).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١٧٣/١ ـ ١٧٥). ورسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (١٩٣/١٠).

تأكده من ذهابهم، وبعد أن يرخي الليل سدوله، فيلقف ما صنعوا له![١].

❊ ❊ ❊ ❊

❊ باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ومن ذلك؛ تقديس كثير من أهل نجد للأولياء؛ فقد اشتهر عندهم رجل يزعمون أنَّه من الأولياء اسمه تاج[٢]، سلكوا فيه سبيل الطواغيت فصرفوا إليه النذر وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً، وكان هو يأتي إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمَّع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد وما جاورها يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً حتى خافه الحكام، ويهاب أعوانه وحاشيته كل الناس هناك، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدَّعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة، وكانوا ـ لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها ـ يصدقون ما فيها من مَيْنٍ وزُور؛ فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي مَحَطُّ رحال المشركين والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم وأعرضوا عن إخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين الذي ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ

---

(١) انظر: عبدالحكيم العواد، المقال السابق في «صحيفة الجزيرة».

(٢) تجد في بعض رسائل أئمة الدعوة من يسميه تاج بن شمسان؛ فيجعله شخص واحد، وبعضهم يفرق بين الاسمين دلالة على أنهما شخصان اثنان. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٣٦/١)، (٢٦٥/٢). وعبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٣٥).

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢][1].

وظهر أيضاً عندهم رجل اسمه «شمسان» ، وكان الناس في نجد يقدسونه ويعظّمونه حتى أضحى طاغوتاً، ففعلوا معه مثلما فعلوا مع ذاك الولي المسمى «تاجاً»[2].

والعجب أنَّ الناس في نجد يقدسون شمسان هذا مع شهادتهم عليه بالفجور، لكن يزعمون أنه وليٌّ لا تضرّه الذنوب، ويهابونه أعظم مما يهابون الله، فينخونه ويندبونه وينذرون له، ويرون ذلك من الدين والاعتقاد الصحيح؛ مثلما فعل ادهام بن دواس حين نَذَرَ أن يذبح جزور لتاج وشمسان إن قَطَعَ ابن سعود عليه الفوارة[3][4].

وكان من أهل نجد من «يدعو شمسان وأمثاله في الشدائد،

---

(١) انظر: رسالة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٨). وحسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٧٥ ـ ١٧٦)..

(٢) له قبة تسمى (قبة تاج بن شمسان) كانت معروفة في (الرياض)، وهي اليوم (حيّ القبة) حيٌّ من أحياء (الرياض القديمة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٦) (٢/٢٦٥).

(٣) الفوارة: ضاحية قديمة من ضواحي شمالي (الرياض)، يحدّها من الجنوب (ظهر الوشام) ومن الشمال (المَعْذَر) ومن الغرب (وادي أَلْيَسْنَ) ومن الشرق (الظهر) الذي يسيل منه (أبو رُفَيْع). بنى فيها الملك سعود قصراً سمّاه (الناصرية) ثمَّ أصبح حيّاً كبيراً حافلاً بشوارعه وإدارته ومساجده. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٥٩).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٥١).

وينذر له ليبرئوا المريض ويفرِّجوا عنه المكروه»[١].

لذلك أفتى الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسمَّاهم طواغيت لأنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظم من عبادة اللات والعزَّى بأضعاف[٢].

كما اشتُهِرَ عندهم شخص يُدعى «السائح الأعرج» يُظهر الخوارق الصوفية؛ كالطيران في الهواء والمشي على الماء، وكان الناس يعتقدون ولايته وصلاحه[٣].

❋ ❋ ❋ ❋

❋ مسألة اعتقادهم في مخاريق السَّحرة وأمثالهم أنَّها من كرامات الصالحين[٤]:

ومن ذلك ما كان يقع في بلدة حرمة في إقليم سدير في نجد، فقد أرسل عبدالله بن أحمد بن سحيم

---

(١) انظر: المسائل التي سئل عنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أوردها: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٥٢١).

(٢) حسين بن غنَّام، المصدر السابق (١/٣٦١). و«الدرر السنية» (١٠/٢٩).

(٣) انظر: رسالة من الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم، عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٢٠). وفي «الدرر السنية» (١٠/٢٩).

(٤) هذه هي المسألة العشرون من كتاب «مسائل الجاهلية» للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م)[١] رسالةً إلى الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي (ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)[٢] (والد الإمام المجدد الشيخ محمد)، يخبره ابن سحيم بأنَّه عندهم في حرمة أحوال المتصوفة الفقراء المنكرة؛ مِنْ أخذهم النار وضربهم أنفسهم بالحديد ونطيطهم من السطوح، ولعبهم بذكر الله حتَّى أنَّهم يفعلونه كالنَّبح.

فأجاب الشيخ عبدالوهاب بن سليمان قائلاً: «ما ذَكَرتَ من أمرِ هؤلاء الشياطين الفَسَقَة الذين يسمُّون أنفسهم الفقراء[٣]، فاعلم يا أخي أنَّ هؤلاء شياطين، وأنَّ أفعالهم منكرة، بل والعياذ بالله بعض أفعالهم كفر، ولا شكَّ ولا ريب عند من له أدنى عقل ومَسْكَة في الدين أنَّهم منافقون أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من أفعالهم.

وأمَّا دخولهم في النار ونطيطهم من السطوح وضربهم أنفسهم بالحديد؛ فاعلم أنَّ منشأ هذه البدعة من المجوس والصابئين الكافرين بالله ورسوله»[٤].

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) عبدالله بن أحمد بن سحيم: عالم بلد (المجمعة). انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨/٤ ـ ٤٠).

(٢) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤٠/٥ ـ ٤٣).

(٣) يُلَقِّب المتصوِّفَة أنفسهم بالفقراء. انظر: عبدالرزاق الكاشاني «اصطلاحات الصوفية» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) رسالة للشيخ عبدالوهاب بن سليمان، ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥٢٣/١ ـ ٥٢٤).

* باب ما جاء في الذبح والنذر والاستعاذة بغير الله.

توجَّهَ كثير من الناس في نجد إلى عبادة الجن؛ بدعائهم والذبح لهم والنذر لهم والخوف منهم وطلب رضائهم عليهم[١]؛ وقد وُجِدَت فتوى للشيخ أحمد المنقور (ت: ١١٢٥هـ/١٧١٣م) قال فيها: «الذبح لدفع أذى الجنّ، وسمّى؛ أبيحت»[٢]. وقد عدَّ العلماء أن الذبح لقصد دفع شرّ الجن عبادة لهم، وهي شركٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ[٣].

وكان متطَبِّبَة البادية الذين يقطنون قرب البلدان النجدية وقت صرام النخيل وحصاد الزروع يعرضون خدمات طبيَّة يعتقد بجدواها بعض النجدين، ويشترطون عليهم ذبح تيس أصمع أو خروف أسود دون تسمية لله عليه، ويُحدِّدون له مكاناً لذلك ليلاً[٤].

وفي حريملاء كان الناس يتوجهون للجنِّ بالذبائح، وحين أنكر عليهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذلك، كرهوا ذلك منه وطردوه من حريملاء[٥].

وكان الذبح للجن «يُفعل في بلدان العارض وغيرها، ولا ينكر أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجُهَّال بذلك ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (٢/٢٢٠) (١٠/١٩٤) (١٢/٩) (١٢/٣١٢).

(٢) أحمد المنقور «الفواكه العديدة» (٢/٨٧).

(٣) من فتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وردت في هامش (ص: ٨٨) تعليقاً على فتوى الشيخ أحمد المنقور في كتابه «الفواكه العديدة».

(٤) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٤٩).

(٥) انظر: رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٢/٢١٩).

ولا تُسَمُّوا عليها. وقَصدُه بذلك أنَّ الجنَّ يزيلون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله الشيخ [محمد بن عبدالوهاب] ونهى عن ذلك وبلَّغَ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم؛ أنَّ ذلك كفر ورِدَّة، [فظهر مَن] يُنكر عليه مَن يزعم أنه مِن العلماء»[١].

وهذا ما قرَّره الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، وهو معاصر لمن شهد تلك الحِقَب، فقد ذكر واصفاً حال تلك الأوقات، وقال ما نصّه: «وأنت تجد أكثر من يقول: لا إلٰه إلا الله ويدّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته؛ بدعوته من لا يضرّ ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجنّ وغيرهم، ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، ويُنكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أنَّ ذلك بدعة وضلالة»[٢].

❋ ❋ ❋ ❋

❋ باب: ما جاء في الرُّقى والتمائم و بدعة المولد.

ثم تأتي مع ما سبق بدعة إحياء الموالد البدعية؛ فقد ظهر في نجد من يُحيي بدعة الموالد؛ مولد النبي ﷺ[٣] أو موالد الأولياء.

---

(١) من تعليق للشيخ حسين بن غنَّام على ردّ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على عبدالله بن سحيم؛ تجدها في «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٨٨).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «قرّة عيون الموحدين» (١/٢٣٣)، بتعليقات الشيخ صالح الفوزان.

(٣) من جياد الكتب والبحوث التي تناولت بدعة الاحتفال بالمولد النبوي ونشوئها =

وشهد أهل نجد بذهاب بعض من يدعي العلم للمولد، فيقرأ للحاضرين أحزاباً وأوراداً بدعية مخصوصة لمولد المحتفى به، والحضور يندبون ويدعون مشايخهم وأولياءهم ويطلبون منهم الغوث والمَدَد، ومن حضر ممن يدعي العلم يأكل من طعامهم الذي أعدّوه لذاك الاحتفال البدعي. وفي تلك الموالد يقوم بعض أدعياء العلم بتعليق التمائم الشركية لمن حضر، ويكتب لهم الحُجُب، وبعضهم يأخذ على الناس أجراً مقابل كتابة الحجب للمرأة التي تطلب الحمل، وفي حُجُبهم تلك من الطلاسم وأمور السحر الكثير[١].

* * * *

* باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، ومن أنكر البعث.

وظهر في نجد بعض من المتصوفة؛ كمتصوفة معكال وغيرهم ممن «يتّبعون مذهب ابن عربي [ت: ٦٣٨هـ/١٢٤٠م][٢] وابن الفارض

= من جهة تاريخية؛ ما صنّفه حسين السندوبي في كتابه: «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأوّل إلى عصر فاروق الأوّل».

(١) انظر: رسالة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنّام «تاريخ ابن غنّام» (١/٣٨٩ ـ ٣٩٠). وضمن «الدرر السنية» (١٠/٣٢).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ابن عَرَبيّ الطائي الحاتميّ الأندلسي الشهير بمحيي الدين ابن عربي. الصوفيّ الحلولي الشهير، صاحب كتاب «الفتوحات المكيّة»، الذي قال عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧/٢٥٣): «فيه ما يُعقَل وما لا يُعقل، وما يُنكَر وما لا يُنكر». وله كتاب «فصوص الحِكَم»، الذي قال عنه ابن كثير في المصدر نفسه: «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كُفر صريح». انظر ترجمته عند: شمس الدين الذهبي «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٤٨). وإسماعيل بن كثير «البداية والنهاية» (١٧/٢٥٢ ـ ٢٥٣).

[ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٥م][١]، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى»[٢].

وكثر في نجد من ينكر البعث، وقليلٌ من يُقِرّ به خصوصاً في البوادي؛ وسبب ذلك قلّة من يعرف الدين فيهم، فكثر فيهم من يُضيّع الصلاة وقلّ من يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة فيهم أكثر ممن يؤديها[٣]، بل ظهر في البواديَ من ترك الصلاة رأساً وظهر فيها من ينكر الشرائع[٤]، إلى جانب ارتكاب المحرمات وانعدام من ينكر على ذلك كلّه قبل الدعوة الإصلاحية[٥].

---

(١) هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي. من شعراء المتصوفة، وقيل إنّه أشعر المتصوّفة. يُلقّب بسلطان العاشقين. قال الذهبي: إنّه كان ينعق بالاتحاد الصريح في شعره. وذكر المناوي: أنّه كان للفارض جوارٍ بـ(البهنسا) بمصر، يذهب إليهنَّ فيُغنِّينَ له بالدفّ والشبابة وهو يرقص ويتواجد. انظر ترجمته عند: ابن خَلِّكان «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦). وشمس الدين الذهبي «ميزان الاعتدال» (٣/٢١٤ ـ ٢١٥). ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريّة» (٢/٤٩٥ ـ ٥٠٤).

(٢) رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، موجودة عند: حسين بن غنّام «تاريخ ابن غنّام» (١/٤٠٥). وضمن «الدرر السنية» (١٠/٥٤). وانظر ما سيأتي في الفصل الخامس من كلام العلماء على ابن الفارض وابن عربي.

(٣) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنّام «تاريخ ابن غنّام» (١/٣٩٩). وضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٣).

(٤) انظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمّر، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٣٣٠).

(٥) انظر: جواب الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٤٩). وانظر مقامات الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٢).

هكذا كانت الحالة الدينية في نجد، أما الحالة الدينية في محيط نجد في جزيرة العرب ومحيطها من البلدان العربية فهي أشدّ وأنكى من حالتها في نجد بمراحل كبيرة، مِمَّا يُظهر لكَ أنَّ نجداً لم تكن استثناءً عن سائر بلاد العرب التي وقعت في الشرك والانحراف العقدي، وهو ما سنأتي عليه في الفصل الآتي.





الفصل الثالث

رصد تاريخي لشيوع الشرك والانحرافات العقدية في جزيرة العرب ومحيطها قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة





مُقدّمَة مهمّة

مَنْ أَجَالَ النَّظَر في كتب الرحلات وكتب التراجم من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حتى ظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فَكَأَنَّما طافَ البلاد وخَبرَ أحوال الناس من أزمان متطاولة؛ فَيَعرف حينها مدى انحرافهم وبُعدهم عمَّا جاءت به الرسل من توحيد الله، فكُلّ بلد وكَلّ قُطر وكلّ جِهَة تجد فيها الآلهة التي عُبِدَت من دون الله بخالص العبادات وقُصِدَت من دونه بالرغبات والرهبات، على ما هو معروف مشهور في تلك المصادر وهاتيك الكتابات مِمَّا لا يمكن جَحده ولا إنكاره.

فأكثر المنتسبين إلى الإسلام في تلك الأزمان يعتقدون أنه من الإسلام الاعتقاد في الصالحين ودعوتهم والاستغاثة بهم والتقرب إليهم بأنواع العبادات: كالذبح والنذر والحلف وغير ذلك من أنواع الطاعات، وتجد أكثرهم قد تجاوز القنطرة فادَّعى للأولياء والصالحين شِركة في التأثير وشِركة في تدبير ما جاءت به المقادير، وأوحى إليهم إبليس اللعين أنَّ هذا من أحسن الاعتقاد في الصالحين وأنَّ هذا من كرامة أولياء الله المقربين[1].

(١) انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١١/٥٤٣ ـ ٥٤٤).

ولو تأمَّلتَ أحوالهم في تلك الأزمان؛ سوف:

ترى كل موتور ينادي وليجه ... ويسأل ما لا يُستطاع من الأمر
يرون صوابا من سفاهة رأيهم ... مناشدة الأموات من ساكني القبر[١].

حتى ساد أهل البدع وأصحاب الخرافات، وقوي بأسهم واشتد أزرهم يوم عاونهم كثيرٌ من ذوي السلطان والقوَّة الذين أقاموا القباب على القبور وزخرفوها بالبناء وكسوها كما يُكْسَى البيت الحرام، وفعلوا عندها ما يفعله عباد الأصنام، حتى صارت لهم مواسم معلومة يحضرونها فأصبحت لهم عيداً يعيدونه في موعد معيّن يضربونه لحضورها وإحياء البدع عندها؛ ومن ذلك: الصلاة إليها والطواف عليها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها والاستغاثة بأصحابها وسؤالهم الرزق والنصر والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات[٢]، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأصنام يسألونها أوثانهم[٣].

لهذا تجد في ذاك الوقت وتلك الفترات أقواماً كثيرين يتضرعون ويتخشعون عند مشاهد القبور، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد، بل ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم

---

(١) انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٣٣٤).

(٢) انظر: جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، ضمن: «الدرر السنية» (١١/٩٦ - ٩٧).

(٣) سيأتي في هذا الفصل تفصيل ذلك بالشواهد التاريخية.

يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد[١].
«فترى أحدهم يقول للميت في القبر: إني أستغيث بك أو أستجير بك أو أنا في حسبك أو اسأل لي الله، ونحو ذلك؛ فيحدث أنَّ من الناس الذين يستغيثون بغائبٍ أو ميّت من تتمثل لهم الشياطين، وربما كانت على صورة الغائب، وربما كلّمته، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام؛ فإنَّه قد وقع عند كثير من المتأخرين وأتباعهم إذا استغاث بالميت أو بالشيخ رأى صورته، وربما قضى حاجته فيظنّ أنّه الشيخ نفسه أو أنّه ملك تصوّر على صورته، وأنَّ هذا من كراماته، ولا يَعلَم أنَّ هذا من جنس ما يفعله الشياطين بُعبّاد الأوثان؛ حيث تتراءى أحياناً لمن يعبدونها، تخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات»[٢].

وبالبحث وإدامة النظر ستعلم «بلا شك أن السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الأموات: هو ما زَيَّنَهُ الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنِيَت عليه قُبَّة فَدَخَلَها ونَظَرَ على القبور والستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد صَدَعَت حوله مجامر الطيب، فلا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تَصَوُّرِ ما لهذا المَيِّت من المنزلة، ويَدخله من الروعة والمهابة ما يَزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله إلى إضلال العباد، ما يَزلزله عن الإسلام قليلاً قليلا، حتى يَطلب من

---

(١) انظر: أحمد بن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٩).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٧٣ ـ ٢٧٥).

صاحب ذلك القبر ما لا يَقدر عليه إلا الله سبحانه، فَيَصِير في عِداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه متمسحاً بأركانه»[١].

«فلما وقع التساهل في هذه الأمور؛ وقع المحذور وعظمت الفتنة بأصحاب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جُلّ العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور، وغير ذلك من كل شرك محظور»[٢].

أعادوا بها معنى سُواعٍ ومِثْلَهُ يَغُوثُ وَوَدٌّ بِئْسَ ذلِكَ مِنْ وَدِّ
وَقَدْ هَتَفوا عِندَ الشدائِدِ باسمِها كما يهتُفُ المضطَرُّ بالصَّمَدِ الفَرْدِ
وكَمْ عَقَروا في سُوحِها من عَقِيرَةٍ أُهِلَّتْ لغيرِ الله جهلاً على عَمْدِ
وكَمْ طائفٍ حَوْلَ القبور مُقبِّلٍ ومُسْتَلِمِ الأركانِ مِنْهُنَّ باليَدِّ[٣]

واستمر الحال على هذا المسير حتَّى «آل الأمر بهؤلاء الضلّال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجّاً ووضعوا له مناسك؛ حتى صنَّف

(١) محمد الشوكاني «شرح الصدور» (٣٣ ـ ٣٤) باختصار.

(٢) سليمان بن عبدالله «تيسير العزيز الحميد» (٧٠٢).

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني» (١٢٩).

بعض غلاتهم كتاباً سمَّاه: (**مناسك حج المشاهد**)[١]. ولا يخفى أن هذا مفارقة لدينِ الإسلام ودخول في عُبّاد الأصنام»[٢]؛ إذ جعل صاحب هذا الكتاب «قبور المخلوقين تُحجّ كما تُحجّ الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس»[٣].

هكذا كان الحال في العالم العربي الإسلامي؛ بصورةٍ مجملة حيث انتشر الشرك والانحرافات العقدية، وسنأتي بشيءٍ من التفصيل على ذكر هذه الشركيات والبدع والانحرافات التي تَدُلُّكَ على ما وصل إليه الناس من حال سيِّء.



(١) صنَّفه أحد الشيعة من كبار الإمامية عندهم واسمه ابن النعمان المعروف عندهم بـ(المفيد)، كذا يُعرَف بـ(المُعلِّم)، توفي سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م. كان ذا حظوةٍ عند أصحاب السلطان في الدولة البويهية. انظر: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية «منهاج السنَّة» (٤٧٦/١). وانظر ترجمة المفيد ابن النعمان عند: شمس الدين الذهبي «العبر» (٢٢٥/٢).

(٢) شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «إغاثة اللهفان» (٣٦٨/١).

(٣) تقي الدين ابن تيمية «منهاج السنَّة» (٤٧٦/١).

أوَّلاً: الحال الديني في جزيرة العرب قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.

١ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في الحجاز قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة:

من العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة والطرائق الخاسرة التي مرَّ عليك شيء من ذكرها قبل قليل، قد فشت وظهرت وعَمَّت وطَمَّت حتى بلاد الحرمين الشريفين؛ ومن ذلك ما يصنعه أهل الضلالة أحلاس القبور آنذاك.

وهذا بيانه:

ـ قبر أبي طالب أبي نمي[(١)]:

زار الرحالة المغربي المتصوِّف أبو سالم العياشي

(١) هو الشريف أبو طالب بن حسن أبي نمي؛ تولى منصب شريف مكة بعد وفاة أبيه ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، وتوفِّيَ سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م. ترجمته عند: محمد أمين المحبي «خلاصة الأثر» (١/١٥٧ ـ ١٦٠).

(ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)[١] قبر الشريف أبي طالب أبي نَمَي وأثنى على صاحب القبر؛ لأنَّ العيَّاشي طول رحلته من المغرب الأقصى إلى الحجاز ـ ذهاباً وإياباً ـ كان يزور القبور ويتمسَّح بمقاماتها ويتبرك بقبابها ويدعوها من دون الله ﷿ ويثني على أصحابها، ومن هذا الباب قال العيَّاشي عن الشريف أبي طالب أبي نمي: «ظهرت له بعد وفاته كرامات كثيرة [هكذا] وصار قبره من أعظم المزارات»[٢].

مع أنَّهم يعلمون أن أبا طالب أبي نمي حاكم متعدٍّ غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجاً من المال فإن أُعطِيَ ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم[٣].

يقول مؤرّخ مكّة القبوري أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)[٤]

---

(١) عبدالله بن محمد العياشي: رحالة وفقيه مغربي؛ على عقيدة القوم في تقديس القبور. انظر ترجمته عند: محمد بن الحاج الصغير الإفراني «صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/٣٧٨).

(٣) انظر إشارة إلى ذلك عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٣٧).

(٤) أحمد زيني دحلان: الحنفيُّ الصوفيُّ. ذَكَرَ محبّوه: أنَّه كان يكره التنباك والشيشة، لكنَّهُ لمَّا كثر عليه توارد الواردات وحصول الأنوار والمكاشفات صار يدخن التنباك والشيشة تستّراً. انظر: أبو بكر شطا الدمياطي الشافعي (ت: ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) في كتابه «نفحة الرحمٰن في بعض مناقب سيِّدنا ومولانا وشيخنا المرحوم السيد أحمد ابن المرحوم السيد زيني دحلان» (ص: ٣٣). وانظر ترجمة دحلان عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١/١٨١ ـ ١٨٣).

عن أبي طالب: «دُفِن في المعلاة[١] وبني عليه قبة، وقبره يُزار، ويحمي ساداتنا بنو حسن من استجار بقبره، ولا ينال من استجار به مكروه»[٢].

ـ قبر عمر عرابي.

كان أهل مكة وأعرابها في تلك الأوقات يواظبون على زيارة قبر من يسمَّى عندهم بالقطب[٣] الولي سيدي عمر العرابي[٤]، وغالب السائلين بمكة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه، وتسمع رجال البادية ونساءهم يقولون: «شيء لله يا عرابي». وهو عندهم عظيم القدر شهير الذكر ومن أئمة طرائقهم الصوفية[٥].

ـ ما يصنعونه عند قبر عبدالله ميرغني المحجوب.

أمَّا عند قبر المحجوب (ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)[٦]، فإنَّهم

---

(١) المعلاة: في مكَّة، على يسارها (زقاق البقر) و(سويقة). انظر: عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز» (٣٢٠).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (١٤٣ ـ ١٤٤).

(٣) القطب: وجمعها أقطاب. سمّيَ القطب قطباً عند المتصوفة: لاعتقادهم أنَّه الغوث الذي يغيث الملهوف اللاجئ إليه، وأنَّه لا يصل إلى الخلق جليل أو دقيق إلا بحكمه. انظر: الشريف علي الجرجاني «التعريفات» (١٤٢) (١٥٥ ـ ١٥٦). ومحمد الخضر الجكني الشنقيطي «مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلقات التجاني الجاني» (٥٠٥).

(٤) ضريحه في (المعلاة) بالقرب من (تربة الشولي). انظر: أحمد الحضراوي «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» (١/١٦٥) (٢/٦١).

(٥) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٦) هو عبدالله بن إبراهيم بن حسن ميرغني الطائفي المعروف بالمحجوب. انظر=

يلهجون باسمه ويحلفون به، يُعَظِّمونَ أمره ويحذرون سرَّه ويلتمسون عنده الشفاعة لتُغْفَر ذنوبهم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر المحجوب لم يتعرض له أحد؛ لِمَا يرون له من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم[١].

ـ ما يصنعونه عند قبَّة النبي ﷺ.

سترى في كتب تواريخ البيت الحرام وكتب الرحلات ذكرٌ كثيرٌ لِمَا يفعله أهل البدع عند الدار التي يزعمون أنَّ النبي ﷺ وُلِدَ فيها؛ تلك الدار التي أمر السلطان العثماني محمد بن مراد بن سليم[٢] سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م أن يُبنى عليها عمارة، فأنفق عليها جملة من المال فرفع جدران المحلّ وبنى بأعلاه قبَّة عظيمة ومنارة وأوقف عليه وقفاً في تركيا ورتَّبَ له مؤذِّناً وخادماً وإماماً[٣] ليؤمَّهُ أهل البدع

يقول الوزير الشرفيّ الإسحافيّ (ت: بعد ١١٥٠هـ/١٧٣٧م)[٤] عن تلك القبَّة والدار: «ومن مشاهد مكة الكريمة: مولد النبي ﷺ

= ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٦٤ ـ ٣٦٥)، وعبدالله الغازي في «نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر» (٢٩٠ ـ ٢٩١).

(١) انظر: رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٢٨٦).

(٢) السلطان العثماني محمد بن مراد الثالث بن سليم الثاني: حكم في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م. ترجمته وأخباره عند: محمد أمين المُحبِّي «خلاصة الأثر» (٤/٣٣٣ ـ ٣٤٤).

(٣) علي السنجاري «منائح الكرم» (٣/٥٠٦).

(٤) الوزير المغربي أبي محمد الشرفي بن محمد الإسحافي، له ترجمة في مقدمة رحلته «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (١/٤٣ ـ ٨٦).

والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسَّت جسمه الطاهر، بُنِيَ عليها مسجد، يُفتح للحجاج في يومٍ مشهور بمكة فيتبركون به وينعمون بمشاهدته»[١].

ويذكر عبدالله العياشي (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) : أنَّ «تلك الدار اتُّخِذَت مسجداً ومزاراً عظيماً يجتمع إليه الوفود من كلّ جانب أيام المولد النبوي»[٢].

وعلى الرغم من أنَّ العيَّاشي على جادَّة القوم في تقديس الأضرحة والتبرك بالقبور، إلَّا أنَّه نفي صِحَّة أن يكون هذا الموضع هو المكان الذي وُلِدَ فيه النبي ﷺ، يقول العيَّاشي عن ذلك مستنكراً[٣]: «وقد عُلِمَ من كتب السِّيَر ما وقع من الاختلاف في مولده ﷺ هل هو في مكة أو بالأبواء[٤]، وعلى أنه بمكة فقيل بالشِّعَبِ، وقيل بالمحصّب إلى غير ذلك من الأقوال. **ولا أدري من أين أخذ الناس تعيين هذا المحلّ بالخصوص... والعجب أنهم عيّنوا محلاً من الدار مقدار مضجع، وقالوا له: موضع ولادته ﷺ! ويبعد عندي كلّ البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف، لما تقدّم من الخلاف في كونه في مكة أو غيرها، وعلى القول بأنه فيها ففي أيّ شعابها؟. وعلى القول بتعيين هذا الشِّعَب ففي أيِّ الدور؟. وعلى**

---

(١) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥٤٥ ـ ٥٤٦) باختصار.

(٢) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٣) تنبيه: العياشي يستنكر هنا تعيين المكان وتحديده فقط.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال (الفرع) من (المدينة النبوية). عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٤).

القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار، بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار. والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة؛ سيَّما مع عدم تعلّق غرض لهم بذلك، وبعد مجيء الإسلام فقد عُلِمَ من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقيّد بالأماكن التي لم يتعلّق بها عمل شرعي؛ لصرفهم اعتناءهم ـ رضي الله عنهم ـ لما هو أهم؛ من حفظ الشريعة والذبّ عنها بالسنان واللسان»[١].

ـ ما يصنعونه عند قبر خديجة الذي زعموه.

ثمَّ تجد في كتب الرحلات الحجازية أيضاً، ذكرٌ لما يفعله أهل البدع وما يقع منهم من المنكر عند قبر خديجة رضي الله عنها في المِعْلاة، إذ يفعلون عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عليه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة، وفيه وقتذاك من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال وارتفاع الأصوات عندها بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه فضلاً عن أن يرى فيه قُرْبَة يدرك بها أجراً وفضلا.

وكان قبر خديجة رضي الله عنها قد بُنِيَت عليه قبَّة من حجر في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، بناها الأمير محمد بن سليمان الجركسي[٢]، وكان

(١) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٣٥٨/١ ـ ٣٥٩). وللمؤرّخ الكويتي الشيخ عبدالعزيز الرشيد تنبيه جيِّد حول وهم العامَّة بموضع مولد النبي ﷺ؛ انظر: عبدالعزيز الرشيد في مقال له بعنوان «الافتراء على أهل نجد»، نُشِرَ في جريدة «التوحيد» لعبدالعزيز الرشيد، تصدر في جاوة ـ أندونيسيا، ٥ ذي القعدة ١٣٥١هـ/ ١ مارس ١٩٣٣م، (ص: ٤).

(٢) محمد سليمان الجركسي: كان دفتر دار عند داوود باشا والي مصر من قبل=

الضريح قبل هذا البناء عليه تابوت خشب، وجعل الأمير المذكور لخادم القبَّة مرتَّب - معاش - من صدقات السلطان العثماني سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)[١].

وفي دار خديجة رضي الله عنها في مكة قبَّة يسمونها قبة الوحي، يقدسها الناس[٢] ويتبرَّكون بها، وفي القبة موضع يقال له مولد فاطمة رضي الله عنها، وفيه موضع يقال له المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحي، زعموا أن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون. وكلُّ هذه المواضع يقول عنها الإسحافي بأنَّها مواضع مقدسة مصونة بُنِيَت بناءً يليق بمثلها[٣] (هكذا).

والحقُّ؛ أنَّ قبر السيدة خديجة (أم المؤمنين) رضي الله عنها كان مجهولاً لدى مؤرخي مكة حتى القرن الثامن الهجري، ثم أصبح معروفاً في القرون السبعة الماضية، ذلك أنَّ أحد (من يسمونهم) بالعارفين رأى في منامه كأنَّ نوراً ينبعث من مقبرة المعلاة، ولمَّا علم بذلك الخبر أحد الأشراف (قيل إنه أمير مكة) قاسم بن محمد بن إدريس الحسيني، أمر ببناء قبة فوق المكان الذي رآه ذلك العارف أن النور انبعث منه، جازماً هذا الشريف (أمير مكة) أنَّ ذلك المكان ما هو إلا قبر خديجة رضي الله عنها.

= السلطان العثماني سليمان القانوني. انظر: قطب الدين النهراوالي «البرق اليماني» (٧٨).

(١) انظر: علي السنجاري «منائح الكرم» (٣/٣٠٧ - ٣٠٨).

(٢) قبل حكم الدولة السعودية الأولى للحجاز.

(٣) انظر: الشرفيّ الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥٤٥).

ويعلّق عفيف الدين المرجاني (ت: ٧٧٠هـ/١٣٦٩م)[١] على ذلك الخبر قائلاً: «ولا كان ينبغي تعيينه على الأمر المجهول»[٢].

كما علَّق تقي الدين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)[٣] قائلاً: «ولا يُعرف فيها [أي في مقبرة المعلاة بمكة] تحقيقاً قبر أحدٍ من الصحابة، وليس في القبر الذي يقال له: قبر خديجة بنت خويلد ﵂ أثرٌ يُعتمد»[٤].

المقصود؛ أنَّ الدولة السعودية الأولى لمَّا أظلَّت مكَّة بحكمها، هَدَمَت تلك الدولة كلّ بنيان شركي وكلّ مظهر بدعي، ومن ضِمن ما هدمته قبَّة قبر خديجة الذي يزعمه المتصوِّفَة، إلَّا أنَّ أهل البدع أعادوا بناء القبَّة على القبر المزعوم بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، وفعلوا عند القبَّة كما كانوا يفعلون من قبل.

وعندنا شاهدٌ على ذلك؛ فهذا الشيخ محمد بن عثمان الشاوي

---

(١) هو عبدالله بن عبدالملك البكري التونسي الأصل، الإسكندري المولد، المكّي الدار، المعروف بالمرجاني. وكان توجَّه إلى بلاد المغرب وانقطع خبره. له ترجمة عند: تقي الدين الفاسي «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٢٠٣/٥ ـ ٢٠٤).

(٢) عفيف الدين عبدالله المرجاني «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار» (١٠١٦/٢ ـ ١٠١٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المكي المالكي، شيخ الحرم. يُعرف بالتقي الفاسي. وُلِدَ سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م في (المدينة النبوية). وَلِيَ قضاة المالكية في (مكَّة) سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م. توفِّيَ ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م. له ترجمة عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١٨/٧ ـ ٢٠).

(٤) تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» (٤٧٠/١).

(ت: ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[١] - وهو أحد الداخلين مع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود يوم ضمَّ الحجاز - واصفاً ما رآه عند قبر خديجة رضي الله عنها، فيقول: «ليلة دخولنا مكة المشرفة بعد فراغنا من أعمال العمرة ومبادرتنا إلى هدِّ القباب، **وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة** رضي الله عنها **ما لا يستطاع حكايته**؛ من ذلك أنَّا وجدنا رقاعاً مكتوباً فيها ما لفظه: (**يا خديجة يا أم المؤمنين، جئناك زائرين وعلى بابك واقفين فلا تردينا خائبين، فاشفعي لنا إلى محمد يشفع لنا إلى جبريل، يشفع لنا إلى الله**). ووجدنا عندها كبشاً قد جاء به صاحبه ليقربه إليها فعاجلته الجيوش، فتركه حياً، **ووجدنا عند باب القبة عجوزاً** شوهاء من سدنتها، **ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها ما حالك؟، فقالت: هي خادمة لسيدتها المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم ولا تصلي، ومع ذلك يتمسح بها الزوار!**. وعند القبة من الشمع والسُّرج ما لا يحصى، وعندها من أنواع الطيب ما لم نجد مثله عند البيت الحرام والحجر الأسود، وأمثال ذلك كثير معلوم، فلهذا حمدنا الله تعالى على إزالة تلك القباب»[٢].

---

(١) محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان الشاوي من عشيرة آل عثمان من فخذ الموهبة. وهم من قبيلة البقوم بني عمرو بن حوالة. وُلِدَ في (البكيرية) من بلدان القصيم، وكان قد أصيب أوَّل عُمره بالجُدَريّ ففقد بصره، طلب العلم في (البكيرية) و(بريدة) و(الرياض). عمل قاضياً في قرية (سنام) عند العصمة؛ بطنٌ من قبيلة عتيبة، ثمَّ قاضياً في (الغطغط) عند سلطان بن بجاد بن حميد. وحضر معركة (تربة) سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، وحضر فتح (الطائف) سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، وكان هو إمام الإخوان (إخوان من طاع الله) في هذا الفتح. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٨٠٥ - ١٨٠٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٦/٢٧٥ - ٢٨٦).

(٢) محمد بن عثمان الشاوي «القول الأسدُّ في الردِّ على الخصم الألدّ» (١١٨).

ـ مواضع شركية أخرى في مكّة.

كما كان أهل البدع والضلالات في تلك الأوقات يزورون داراً قالوا إنها دار أبي بكر الصديق، وبقرب الدار حجرٌ في جدار، فيه كأثرِ المِرْفَق، يقال إنَّ مرفق النبي ﷺ غاصت فيه لَمَّا استند إليه، والناس يتمسَّحون به ويتبرَّكون[١].

ويقول العياشي أنَّه تبرّك بهذا الحجر الموجود في الجدار وأنَّه تمسّحَ به بالنية المتقدِّمة[٢].

ويذكر الوزير الشرفيّ الإسحافيّ في رحلته الحجازية عن مسجد الخيف[٣] قائلاً: «وهو من المساجد الشهيرة بركة وشرف بقعة، وبمقربة منه عن يمين المارّ في الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يُظِلّ ما تحته، ذكروا أن النبي ﷺ قعد تحته مستظلّاً ومَسَّ رأسه المُكرَّم فيه، فَلَانَ له حتى أَثَّرَ فيه تأثيراً بقدر دَوْرِ الرأس، فيبادر الناس بوضع رؤوسهم في ذلك الموضع تبرّكاً واستجارة بموضع الرأس المُكَرَّم ألّا يَمَسّها النار»[٤].

ويذكر الوزير الإسحافيّ أيضاً: أنَّه من عند باب الزاهر[٥] غرباً

---

(١) انظر: الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥٤٦). ومحمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٢/٥٥٧ ـ ٥٥٩).

(٢) انظر: عبدالله بن محمد العياشي «الرحلة العياشية» (١/٣٥٩).

(٣) الخيف: هو خيف منى، الذي يُنسب إليه مسجد الخَيْف، وهو في سفح جبل منى الجنوبي. انظر: عاتق البلادي «معالم مكة التاريخ والأثرية» (٩٩).

(٤) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥١٥) باختصار.

(٥) الزاهر: أحد أحياء مكة الغربية. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٧٥٢ ـ ٧٥٣).

يوجد مسجد بإزائه حجر موضوع على الطريق كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر الرسم يُقال: أنَّه الموضع الذي قَعَدَ فيه النبي ﷺ مستريحاً عند مجيئه من العمرة، فيتبرّك الناس بتقبيلِهِ ومسحِ الخدود ويستندون إليه لتنال أجسامهم بركة لمسه. وعَلَّقَ الإسحافي على هذه الأفاعيل قائلاً: «وحُقّ ذلك»[١]!!!.

والناس في الحرم المكي يتبركون (آنذاك) بالصلاة على قبر إسماعيل عليه السلام وقبر أمه هاجر رضي الله عنها، ويُعَلِّقُ الإسحاقي: «وحُقَّ لهم التبرك بهما لأنَّهما من البيت العتيق وقد انطبق على جسدين مُقَدَّسين مُكَرَّمين»[٢].

كما يَتَبَرَّكُ الناس[٣] بقبرٍ يقولون إنَّه قبر آدم عليه السلام في جبل أبي قبيس[٤]، ويقولون أنَّ فيه موضع موقف النبي ﷺ عند انشقاق القمر له بقدرة الله عز وجل، والناس تتمسّح بهذه المواضع وتتبرّك بها وتصلي لها وتأتي بأنواع البدع عندها[٥]. ويرون أنَّ الوقوف على هذه القبور خيرٌ من الطواف ببيت الله الحرام.

---

(١) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥٢٩/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٣٦/٢).

(٣) قبل حكم الدولة السعودية الأولى للحجاز.

(٤) أبو قبيس: جبلٌ بين شعب عليّ وبين أجياد. انظر: محمد المالكي الشهير بابن الصبَّاغ «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام» (١٧٧/١ ـ ١٧٨).

(٥) انظر: الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥٤٤/٢). ومحمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٥٦١/٢ ـ ٥٦٢).

كلّ ما مرَّ معك من بدعٍ ومظاهر شركية كانت مهيمنة على الحجاز إبَّان هيمنة الحكم العثماني التركي عليها، فأصبحت راسخة في عقائد السواد الأعظم من أناسها، حتَّى أنَّ من أدرك ذاك الوقت ليذكرون أموراً يعجب منها مَنْ وَقَرَ في قلبه تعظيم الله وتوحيده، فقد رُوِيَ: أنَّ رجلاً كان بمكة عند بعض المشاهد الشركية فقال لِمَن عِندَهُ: أريد الذهاب لأطوف ببيت الله الحرام، فقال بعض غُلاة مكَّة: مقامك هنا أَكْرَم!!![1].

ـ مظاهر الشرك في الطائف:

اقرأ في التواريخ ما يأتيه أهل تلك الأزمان عند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه في المسجد الذي في الطائف[2]، من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين وتردّها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين؛ منها: وقوف السائل عند القبر متضرعاً مستغيثاً، وَصَرْف خالص المحبة التي هي محبة العبودية والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد وتلك البَنِيَّة[3].

وقد كان الفقيه المغربي المتصوّف عبدالله العياشي (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) والفقيه الجزائري المتصوّف الحسين الورثيلاني

---

(١) انظر: عبداللطيف بن عبدالرحمٰن آل الشيخ «منهاج التأسيس» (٥١).

(٢) عمَّره المستضيء العباسي مع ضريح ابن عباس رضي الله عنهما، واسمه كان مكتوباً في المنبر الذي في المسجد، ثمَّ زاد الملك المظفر صاحب اليمن في عمارة قبَّة الضريح فيما بعد. انظر: تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام» (١٤٨/١).

(٣) انظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٦/١٠).

(ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)[١] يُؤَكِّدَانِ على من يَزُور الحجاز للحجِّ أو العمرةِ بضرورةِ زيارة قبر ابن عبّاس تبرّكاً وقربى إلى الله بالدعاء عنده والتَّمَسُّحِ بِهِ[٢].

فلا عجب أن ترى أهل البدع ذاك الوقت يلهجون بابن عباس كما يلهج الصبي بذكر أُمِّه، ولا يذكرون إلّا اسمه، فإذا تَعِسَ أحدهم قال: «يا ابن عباس»، ومنهم مَن يحلف بالله ويكذب، ويحلف بابن عبَّاس فيصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق[٣].

وأكثر سِوْقَتهم وعامَّتهم يلهجون بالأسواق: «اليوم على الله وعليك يا ابن عباس»، فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس[٤]؟

لذلك لمَّا رأى أحد الرجال ما يفعله أهل الطائف من الشُّعَبِ الشركية، قال: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فردَّ عليه بعض من يترشح للعلم قائلاً: معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنَّه يعرف الله[٥].

---

(١) الحسين الورثيلاني: مؤرخ جزائري من فقهاء المالكية، قبوريٌّ بَيِّن. انظر ترجمته عند: محمد مخلوف «شجرة النور الزكية» (١/٥١٣ ـ ٥١٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/٢٥٧).

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/١٧٥). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٤٢).

(٣) نظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٢٨٦).

(٤) انظر: محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد» (١١٨).

(٥) انظر: حسين النعمي «معارج الألباب» (١٧٧).

فانظر إلى هذا الشرك الوخيم والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم، ووازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦][١].

وفي الطائف أيضا كان هناك المسجد المسمى المسجد الأعظم، يرون أنّه محلّ نزول عسكر النبي ﷺ عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي صحن المسجد مسجد صغير يقال أنه منزل النبي ﷺ في الحصار المذكور، وفيه محلّ يقال إنه محلّ قبة أم المؤمنين أم سلمة وقبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، والناس يزورونها ويتبركون بها[٢].

ـ قبر آمنة.

وفي الحجاز أيضاً يزور الناس، قبل الدعوة الإصلاحية، قبر آمنة بنت وهب؛ وهو مكان في الحجاز بطرف الأبواء[٣]، من الشمال الغربي فيه بناية بالحجر الجاف مسقفة بخشب الأشجار، ومتعارف في هذه الديار من مسافات بعيدة بأنه قبر أمه ﷺ، وكان يُزار ويُفعل عنده من الأمور البدعية والشركية؛ كالتبرك والتمسح والدعاء والذبح والنذر[٤].

---

(١) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨١).

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/١٧٥). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٤٢).

(٣) محمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٢/٥٦١).

(٤) انظر: عاتق بن غيث البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٤٩).

وظَلَّ قبر أمنة أم النبي ﷺ يزار ويفعل عنده من البدع وأمور الشرك، حتى ضمَّت الدولة السعودية الحجاز إلى حكومتها (في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود)، فأزيلت تلك الزيارات البدعية إلى ذلك القبر، ثم اختلس من بناه بناء كالرضم وهي حالته اليوم[١].

ـ مظاهر الشرك في جُدَّة؟.

إن انتقلت بنظرِكَ إلى مدينة جُدَّة سترى أنَّ الضلال والفحش بلغ فيها غاية ما بعدها غاية؛ ففيها قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبَّة يزعمون أنه قبر حواء، يَجبي عنده السدنة من الأموال كل سنة ما لا يكاد أن يخطر على البال، ولا يدخل إنسان ليسلِّم على أمِّه إلا عجل بتقديم الدراهم، وقد خصَّصَ العياشي زيارة في رحلته لهذا القبر تبرُّكاً ورجاء تحقيق مطلوبٍ يطلبه من حوَّاء[٢].

يقول تقي الدين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م): بعدما ذكر «أنه كان في جدة موضع قبة مشيدة عتيقة يُذكر أنها منزل حوَّاء أم البشر»، فعلَّق الفاسي قائلاً: «وأستبعد أن يكون قبر حوَّاء بالموضع المشار إليه»[٣].

وفي جُدَّة أيضاً مشهد العلوي[٤] الذي بالغوا في تعظيمه وتوقيره

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/١٥٣ ـ ١٥٥).

(٣) تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام» (١/١٤٤).

(٤) هو أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي؛ من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبي بكر بن علوي. وُلِدَ في (الشَّحر) باليمن وتربى فيها، ثم توجه إلى الحج=

وخوفه ورجائه، وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم، وذلك سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، فهرب إلى مشهد العلوي مستجيراً ولائذاً به مستغيثاً، فتركه أرباب الأموال، ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذاك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيمه في مدة سنين[(١)].

ـ مظاهر الشرك في المدينة النبوية:

إنْ طوَّفتَ نظرك ناحية المدينة النبوية سترى ما كان يصنعه أهل البدع من التقديس والتمسُّح والتبرُّكِ بقبر النبي ﷺ، إذ كانوا يدعونه من دون الله ويطلبون منه ﷺ ما يطلبونه من الله تعالى، فساووا النبي ﷺ برب العزة والجلالة سبحانه عما يصنعون.

ومن ذلك ما وجده أهل الدعوة الإصلاحية «لما فتحوا الحجرة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام ١٢٢٢هـ [١٨٠٧م]؛ فرأوا رسالة للسلطان العثماني سليم، أرسلها ابن عمِّهِ إلى رسول الله ﷺ يستغيث به ويدعوه ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم؛ وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع.

ومكتوبٌ في أوّل الرسالة: من عُبَيْدِكَ السلطان سليم، وبعد. يا رسول الله؛ قد نالنا الضرّ ونزل بنا من المكروه ما لا نقدر على دفعه، واستولى عُبَّاد الصلبان على عِباد الرحمٰن، نسألك النصر عليهم

= وهو ابن خمس عشرة أو ست عشرة سنة. توفي في جدة سنة ١١٢٨هـ. انظر: أحمد الحضراوي «نزهة الفكر» (٨٧ ـ ٨٨).

(١) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٢ ـ ٣٨٣).

والعون عليهم وأن تكسرهم عنا. وذكر كلاماً كثيرا هذا معناه وحاصله.

فانظر إلى هذا؛ فما سأله هنا قد سأله المشركون آلهتهم: العزى واللات.

فإذا كان هذا حال خاصة الأتراك [وهم المهيمنون على الحجاز وقتها] فما الظنُّ بفعل عامتهم، وقد وُجِدَ من جنس كلام سلطانهم كتباً كثيرة في الحجرة للعامة والخاصة فيها سؤال الحاجات وتفريج الكربات ما لا يُقدر على ضبطه»[1].



(١) من رسالة الإمام سعود إلى الوالي العثماني ببغداد سليمان باشا، موجودة ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٠٤) باختصار.

٢ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في بلدان جنوب جزيرة العرب: بلاد عسير[١] وجازان[٢] ونجران[٣] قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.

لم تسلم مناطق الجنوب من تفشِّي الشرك وشيوع مظاهر الانحرافات العقدية، فهذا أحد المؤرخين يذكر أنَّ «منطقة جازان وعسير ونجران كانت مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، بل الأقطار العربية والإسلامية كافة؛ فقد تفشَّى فيها منذ زمنٍ بعيد

(١) عسير: منطقة واسعة في جنوب المملكة العربية السعودية، قاعدتها (أبها). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٦٦/٢).

(٢) جازان: جنوب غربي المملكة العربية السعودية، وهي من ضمن ما كان يسمى بالمخلاف السليماني قبلا. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٤٣/١).

(٣) نجران: منطقة واسعة ذات قرى وموارد كثيرة في جنوب غربي المملكة العربية السعودية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٦٢/٣).

الانحراف عن مبادئ الدين القويم وانتشار البدع والخرافات بين عامة الناس وخاصَّتهم، ودخل الانحراف إلى العقيدة الإسلامية من أوسع أبوابه؛ عن طريق الصوفية وغيرها»[١].

- مظاهر الشرك في جازان ورجال ألْمَع وعسير وبيشة[٢].

ذكر أحد المؤرِّخين من جازان عن بلدة رجال ألمع[٣] قائلاً: ولَمْ يَزَل الحال فيها «تحت قُدرة ذي الجلال في مُلْكٍ عضوض ونزولٍ ونهوض، وحصلت بعد ذلك غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعمال كفرية وأقوال شركية ورِدَّة صريحة وأفعال قبيحة، حتى بَزَغَ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أسكنه الله جنَّة المآب، فنوَّر [رَحِمَهُ اللهُ] الظلام وجلَّى القتام وبيَّنَ سبل السلام إلى بلوغ المرام»[٤].

---

(١) عبدالواحد محمد راغب في كتابه «البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران» (٨/٢).

(٢) بيشة: مدينة معروفة في إمارة بلاد عسير. وهناك أيضاً: (بيشة)؛ من قرى (خميس مشيط) في منطقة (أبها) وتدعى (بيشة ابن مشيط) من قرى (شهران)، في إمارة بلاد عسير. وهناك أيضاً (بيشة) من قرى (رجال ألمع) بمنطقة إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٠٥/١).

(٣) رجال ألْمَع: بلدة قديمة تقع أعلى (وادي كسان)، يفصل بينها وبين (الشعبين) (عقبة رز). وهي اليوم تبع لإمارة عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٤/١)، (٦٢٢/٢). وانظر أيضاً: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٧٠٨/٢ ـ ٧٠٩).

(٤) إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «رسالة في تاريخ عسير» (٣٢ ـ ٥٤).

فلم تسلم، إذن، تلك الأجزاء من جزيرة العرب آنذاك من شيوع البدع والمعتقدات الباطلة؛ فقد وُجِدَت القباب والقبور ذات القداسة عند أهل المخلاف السليماني، وكان أبرزها قباب الأشراف بأبي عريش[(١)]، وقبر أبي سَبْعة لدى السادة الجعافرة[(٢)]، «ولأهل هذه البلاد اعتقاد كبير بقبر أبي سبعة، وكل أهل تلك الجهة لهم اعتقاد فيه؛ يطلبون منه ما يَطلب العبد من الربّ من الاستغاثة والتوكل»[(٣)].

يقول المؤرِّخ البلداني محمد أحمد العقيلي (ت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)[(٤)] عن (أبي سبعة): «لا نعرف عنه إلا ما ورد في (نفح العود)، ويظهر أنَّه من صالحي جهتنا، فَتَنَ الناس حَيّاً كما زادت الفتنة به بعد موته، وهو من قبيلة الجعافرة من أهل قرية الرجيع[(٥)]، وقد اتُّخِذَ من قبره وثناً يُعبد حتى وصلت الدعوة السلفية [بقيادة الدولة السعودية الأولى]، فَهُدِم بناءه على يد الداعية أحمد الفلقي[(٦)] [من أهل

---

(١) أبو عريش: هي اليوم تابعة لإمارة (جازان). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/١٦٤).

(٢) السادة الجعافرة: تقع بلادهم في تهامة شمال (جازان)، وتُدعى (قوز الجعافرة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١/٩٩).

(٣) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٤ ـ ٩٥).

(٤) محمد أحمد العقيلي: مؤرّخ بلداني سعودي، وأديب وشاعر من جازان.

(٥) الرَّجِيع: من قرى قبيلة الجعافرة، بين قريتي (البطيح) و(الحقاوية). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المخلاف السليماني/ جازان» (١٩٦).

(٦) الشريف أحمد بن حسن الفلقي: وُلِدَ في (الحارة الشامية) في (صبيا). اشتغل في شبابه الباكر بالبيع والشراء، ثم رحل لطلب العلم في الدرعية. كان من=

صبيا[(١)]. أما عشيرته [عشيرة أبي سبعة] فهم بيت علم»[(٢)].

المقصود؛ أنَّه إضافة إلى جهل الناس حينذاك بوحدانية الله وتفرده وانصرافهم نحو البدع الضالة؛ فقد كان في رجال ألمع قبيل الدعوة السلفية قبر لأحد الأولياء يُعرف بقبر الولي في منطقة لِقْع[(٣)]، كان الناس يعتقدون به ويقدّسونه[(٤)].

وعليه فإن مناطق رجال ألمع لم تسلم حينذاك مما أصيبت به معظم بلدان الجزيرة العربية من رزءٍ في دينها[(٥)].

ومما يُؤكِّدُ هذه الأمور ما شهد به محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)، حين قال عن أهل البلدان المحيطة بجازان ورجال ألمع ما يلي: «ومن ذلك تتابعهم على بناء القباب

= قادة الدولة السعودية الأولى في (المخلاف السليماني). توفِّيَ سنة ١٢١٨هـ. انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٦١ ـ ٣٦٢) (٤٧٥ ـ ٤٧٧) (٤٨٥ ـ ٤٨٧) (٤٨٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٨٣ ـ ٨٥) في الهامش من تعليقات محمد أحمد الفلقي على الكتاب.

(١) صبيا: مدينة في جازان، فيها إمارة يتبعها قرى كثيرة. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢/٨٢٩).

(٢) محمد أحمد العقيلي في تعليقه على كتاب «نفح العود» (٩٤ ـ ٩٥) لعبدالرحمٰن البهكلي.

(٣) لِقْع: من مناطق (رجال أَلْمَع) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجمٌ مختصر» (٣/١٢٣٩).

(٤) انظر: عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٤٥) (٥٣).

(٥) انظر: محمد بن إبراهيم الحفظي في كتابه «نفحات من عسير» حين ترجمته للشيخ أحمد الحفظي في (ص٢٣).

والقبور في كل بلدة وعلى اتخاذها أعياداً في الغالب؛ فلكلّ شيخٍ يومٌ معروف في شهرٍ معلوم يؤتى إليه من النواحي وقد يحضر معهم بعض العلماء ولا ينكر»[١].

ويؤكِّد هذا ما أرسله الشيخ محمد بن أحمد الحفظي نفسه إلى الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)[٢]، **وسؤاله عن القباب الموجودة على القبور التي لديهم في بلادهم: جازان ورجال ألمع، والتي كانت مبنية قبيل وصول الدعوة السلفية إليها، وأنهم ظهروا على هذه الدنيا وهي مبنية من قِبَلِ من سبقوهم من الآباء والأجداد**[٣].

ويدلّك على انتشار الشركيات والانحرافات العقدية في رجال ألمع وجازان وعسير قبل مجيء حكم الدولة السعودية الأولى، ما ذكره المؤرخ الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٤]، **حيث يقول واصفاً حال الناس آنذاك: «وخفي على الناس معنى توحيد الألوهية واندرست معالم النبوة، وصار الناس**

---

(١) محمد بن أحمد الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين» (٦٤ ـ ٦٥).

(٢) عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كان المُقدَّم بعد وفاة والده، وكانت له المكانة الدينية العالية في الدولة السعودية الأولى. توفِّيَ في (القاهرة) بعيداً عن (الدرعية) التي رُحِّلَ عنها قسراً. انظر ترجمته عند: عبدالله البسّام «علماء نجد» (١/١٦٩ ـ ١٧٩).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/٢٤٥).

(٤) هو من منطقة (رجال ألمع) ومن علماء تلك الجهات. انظر ترجمته في: مقدمة «الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين» (ص٩ وما بعدها) لمحقق الكتاب: عبدالله أبو داهش.

يخبطون خبط عشواء ويمتطون متن عمياء»[١].

كما وصف الشيخ محمد هادي البكري حال أهل أبو عريش قبل وصول دعوة الإمام المجدد لها، وحال أهل وادي خلب[٢] ووادي تعشر[٣] وأهل حَرَض[٤] وأهل خبت المسارحة[٥] ومن يحاذيهم من الجبال والأحواز وأهل جزيرة فرسان[٦] قائلاً عنهم: إنَّهم كانوا «مقيمين على الشرك الأكبر، عاكفين على عبادة القبور يدعون أهلها ويستغيثون بهم في الشدائد والرخاء وينذرون لهم ويذبحون لهم

---

(١) محمد هادي البكري العجيلي «الظل الممدود» (٢١).

(٢) وادي خُلَب: وادٍ ذو روافد عديدة، فيه قرىً كثيرة، من أعمال منطقة جازان. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٥٣٨/١). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٨).

(٣) وادي تعشر: وادٍ من أشهر أودية منطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٧).

(٤) حَرَض: يقال لها (مهد حَرَض)؛ من قرى (واهب) بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٤٤/٣).

(٥) خبت المسارحة: قرية في بلاد المسارحة بمنطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٦) فرسان: جزائر في البحر الأحمر تابعة لمنطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٢٧ ـ ١٣١).

ويحلفون بهم، منهمكين في عبادتهم، وكلّ من وَفَدَ منهم اعترف بذلك وأقرّ به، وهم مع ذلك لا يعرفون قواعد الإسلام ولا أصول الإيمان ولا يميِّزون بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ولا يعرفون إلا توحيد الربوبية، أمَّا توحيد الألوهية فهو منبوذ وراء ظهورهم لا يدينون ولا يتمسكون بعروته»[١].

وكذا الحال في ضَمَد[٢] قبل الدعوة السلفية، كانت كغيرها من مدن المخلاف السليماني تعيش حالة من الفوضى الدينية؛ فكان أغلب علمائها على مذهب الزيدية لاتصالهم بعلماء اليمن، بالإضافة إلى ما كان شائع في تلك الفترة من معتقدات باطلة كالتوسّل بالأحجار والأشجار والاعتقاد بالأولياء والصالحين وما إلى ذلك من أنواع الشرك، وظلّت الحال على ما هي عليه حتى ظهرت الدعوة السلفية في المخلاف السليماني عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، والتي أعادت إحياء السنَّة النبوية في بلدانه وقراه وأزالت ما كان عالق في أذهان الناس من بدع ومعتقدات باطلة[٣].

لذلك قال أحد مؤرّخي المخلاف: «فإنَّ بدعوتهم [دعوة الدولة السعودية الأولى وأتباعها السلفيين] زالت بدع كثيرات وارتدع الناس

---

(١) محمد هادي البكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٨) باختصار.

(٢) ضَمَد: من أودية تهامة في المخلاف السليماني، وفيها بلدة باسم (ضَمَد). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٦٧ ـ ٢٦٩).

(٣) انظر: عبير بنت أحمد القرني «الحياة العلمية في مدينة ضَمَد وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م» (ص٣١)، رسالة ماجستير غير منشورة.

عن المنكرات، فجزاهم الله خيراً»[١].

وبرز في عسير من المعتقدات الباطلة قبيل ظهور الدعوة السلفية؛ كتقديس الناس بزهران[٢] وما حولها لصنم ذي الخلصة[٣]، إذ كان الناس يتمسَّحون بهما وينحرون عنده ويطوفون به ويُهدون له أنفس المتاع، إلى أن قيَّضَ الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، فكان من نتائج ذلك أن هُدِمَ ذو الخَلَصَة؛ هدمه أهل الدعوة السلفية في الدولة السعودية الأولى زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤]، كما ذَكَرَه المؤرخ عثمان بن بشر حين قال: «وهدموا القباب والمواضع الشركية في تلك الأقطار، وعمّروا المساجد بالصلوات والأذكار، وكسروا الصنم ذا الخَلَصَة في تُباله[٥]، فهدموه وأعدموه، وقرَّروا التوحيد في تباله وبيَّنوه»[٦].

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش الضَمَدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني/ المسمَّى: الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك» (٨٨).

(٢) زهران: بلادٌ واسعة، تُعرف اليوم باسم بلاد زهران سراة وتهامة. انظر: علي صالح السلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (١٢٠).

(٣) ذو الخَلَصَة: الخَلَصَة وادٍ في (بلاد دوس) بسراة زهران أسفل (وادي ثروق) من جهته الشمالية. انظر: علي صالح السلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٩٢).

(٤) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٦٨ ـ ٦٩).

(٥) تَبَالَه: وادٍ بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجمٌ مختصر» (١/٣١٣).

(٦) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨ ـ ٢٩) (٣٧٢ ـ ٣٧٣) باختصار.

يذكر الشيخ سليمان بن سحمان (ت: ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)[١] **قائلاً**: «وقد حدَّثني رجلٌ من أعراب بيشة، وقد أدرك زمن الدرعية، ووفد مع من وفد إليها من قومه، فذكر أنهم كانوا في طريقتهم إذا اجتمعوا بمن قدم من الدرعية من وفود الأعراب يسألونهم عمَّا أفادهم به الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الفوائد وما علَّمهم من توحيد الله وما أمرهم به من ذلك وما نهاهم عنه مما يخالف دين الإسلام مما كانوا عليه [يعني أهل بيشة] في الجاهلية، ويتذاكرون ويحمدون الله على ما مَنَّ الله به عليهم من الإسلام»[٢].

- في نجران.

بانتقال النظر إلى ما جرى في أرض نجران وما يليها من البلاد وما حولها من الأعراب؛ فقد ظهر عندهم تقديس الأشخاص وتعظيم السادة هناك والغلوّ في ذلك غلوّاً كبيرا مِمَّا هو مدوّن في كتب أهل العلم والتاريخ[٣].

ولقد شهد الشوكاني على بلاد عسير وجازان ونجران ومحيطها بأنَّ أهلها «كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلا مجرّد التكلّم بلفظ الشهادتين، على ما في لفظهم بهما من

---

(١) الشيخ سليمان بن سحمان: من علماء نجد، وأصله من (تبالة). انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٢٦/٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٨٨/٣ - ١٧٩١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣٩٩/٢ - ٤١٢).

(٢) سليمان بن سحمان «منهاج أهل الحق والاتباع» (١٧ - ١٨).

(٣) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (٣٨٤/١). وحسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٦/١).

عِوَجٍ. وبالجملة: كانوا [في] جاهلية جهلاء، كما تواترت بذلك الأخبار»[١].

والشوكاني يذكر بعد ذلك أن هذه البلاد بعد أن وصلتها دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستظلَّت بحكم الدولة السعودية الأولى، صار أهلها يصلون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[٢].



(١) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

٣ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في اليمن قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

أمَّا الحال «في بلدان اليمن فهو جارٍ على تلك الطريق والسنن، ما يتنَزه العاقل عن ذكره ووصفه ولا يمكن الوقوف على غايته وكشفه، ناهيك بقوم استخفهم الشيطان وعدلوا عن عبادة الرحمٰن إلى عبادة القبور والشيطان»[1].

ـ قبر الهادي والبرعي.

فمن ذلك: ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر الهادي (ت: ٢٩٨هـ/٩١١م)[2]؛ **فالكل على دعوته والاستغاثة به رائح غادي؛ فتأتيه المرأة إذا تعسَّر عليها الحمل أو كانت عقيمة، فتقول كلمة قبيحة**

---

(١) الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٨٤).

(٢) الهادي هو: يحيى بن الحسين بن القاسم الملقَّب بالهادي؛ جاء من المدينة النبوية إلى جبال اليمن بين (صنعاء) و(صعدة) وأسس دولته الزيدية فيها، وتلقَّب بالهادي، وحارب القرمطي. وقبر الهادي (حتى يوم الناس هذا) في مدينة (صعدة) مشهور ويزار من قِبَلِ أحلاس القبور الذين يتبركون به. انظر: محمد بن سالم البيحاني «أشعة الأنوار» (٢/٢٧). وإبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٧٨٧).

عظيمة[١].

وأما أهل بلد برع[٢] فعندهم البرعي (ت: ٨٠٣هـ/١٤٠١م)[٣]، **وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دانٍ وقاصٍ ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون إليه بالذبائح، كما حقق أخباره من شاهدها عياناً[٤].**

- قبر ابن علوان.

أما أهل الهجرية[٥] ومن جاورهم وحذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان[٦]، وقد أقبل عليه العامة يستغيثون به من نوائب الأيام ويلجؤون إليه كُلَّما حَزَبَهُم أمر.

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) بُرع: جبل شرقي مدينة (الحديدة) على بُعد ٦٠ كلم، وهو اليوم مديرية من أعمال (محافظة الحديدة). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١/١٥٦ ـ ١٥٧).

(٣) هو الأديب المشهور عفيف الدين عبدالرحيم (المهاجري) البرعي. شاعر، وأغلب شعره في التصوف الذي يسمّيه المتصوفة (المدائح النبوية). انظر ترجمته لدى: عبدالوهاب البريهي السكسكي «طبقات صلحاء اليمن» (٤٣ ـ ٤٤).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٣).

(٥) يقول إبراهيم المقحفي في كتابه «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٧٩٩ ـ ١٨٠١): إن القرى والمناطق التي تحمل اسم «الهجر» قد تعددت، ولعل أشهرها على الإطلاق هي الموجودة في وديان (محافظة شَبوة).

(٦) هو أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي اليمني (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م). انظر ترجمته لدى: أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٦٩ ـ ٧١). وقبره=

ويُسَمِّيه بعضهم (مُنجي الغارقين)، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن كانوا بعيدين عنه، ويُنْذَر له في البر والبحر، وتعظيمه عند أهل بلده يفوق الوصف، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والفساد.

قال أحمد الشرجي الزبيدي (ت: ٨٩٣هـ/١٤٨٨م)[(١)] عن قبر ابن علوان ما نَصُّهُ: «وقبره في مدينة تعز[(٢)] ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع ـ أهل تعز وغيرهم ـ ويخرجون بالنساء والأولاد، وقرية الشيخ [يفرس[(٣)]] محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه»[(٤)].

فليس في أقطار اليمن من يساوي قبر ابن علوان في الشهرة، بل ولا سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها تديُّناً ويكررونها

= مشهور جداً في (قرية يفرس) اليمنية، ولابن علوان أتباعٌ في (يفرس) وغيرها لا يزالون إلى الآن. قاله: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٩١٩/٢).

(١) أحمد بن أحمد بن عبداللطيف بن أبي بكر السراج الشرجي الزبيدي اليماني الحنفي. أحد أعيان الحنفية في اليمن. أديب وشاعر ومؤرّخ. انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٢١٤/١ ـ ٢١٥).

(٢) تَعِز: تبعد عن (صنعاء) جنوباً بمسافة ٢٤٥كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢٣١/١).

(٣) يَفْرُس: مدينة بالغرب الجنوبي من (تعز). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٩١٩/٢).

(٤) أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٧١).

بين حين وحين، وقد جعلها الشيطان لهم عبادة: إذ يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، ويقولون وهم يغنون ويرقصون وقد ملأ الوجد ألبابهم: «يا سادتي قلبي بكم مُعَنَّى»[(١)].

- قبر العيدروس.

أما حال حضرموت والشحر ويافع[(٢)] وعدن، فقد ثوى فيها الْغَيّ وطَما الفساد، فعندهم العيدروس (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٨م)[(٣)]؛ **الذي قِيلَ أَنَّه مُبْتَكِر القهوة المتَّخَذَة من البُنِّ المجلوب من اليمن**[(٤)].

قال عنه أحد مؤرّخي اليمن: إنَّ «قبره في عدن يزار ويتبرك به، وبنى عليه الشيخ عامر بن عبدالوهاب قبة معظمة عجيبة، وبنى الأمير مرجان الظافري المقبور في أحواز الشيخ رباطاً كبيراً وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة، وبنى الشيخ عبدالملك بن محمد ثلاثة أروقة محيطة بالقبة، وفي مكانه من الأنوار والأنس ما يعرفه الخاص

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) يافع: منطقة بين (الضالع) و(لحج). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٨٩٤).

(٣) هو أبو بكر بن عبدالله الشاذلي العيدروس با علوي. متصوِّفٌ يمني على الطريقة الشاذلية. وُلِدَ سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م في (تريم) بـ(حضرموت)، وتوفِّيَ في (عدن) سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م. انظر ترجمته عند: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٤ ـ ١٢٨).

(٤) يقال: إنَّه رَأَى البُنّ في اليمن، فاقْتَاتَ بِهِ فأعجبَهُ، فاتَّخَذَهُ قُوتاً وشراباً وأرشَدَ أتباعَه إليه، فانتشر في اليمن ثمَّ في الحجاز والشام ومصر ثمَّ في العالم كُلِّه. انظر: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٥٧) «٩٣».

والعام وفيه من الجلالة والاحترام ما يليق بذلك المقام»[١].

ويذكر المؤرِّخ عبدالقادر العيدروس (ت: ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م)[٢] بأن قبر أبو بكر العيدروس في عدن «أشهر من الشمس الضاحية، يُقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة»[٣].

ولهم في العيدروس هذا اعتقاد عظيم؛ وسبب ذلك أنَّ العيدروس لمَّا دخل زيلع[٤] اتفق أنّ زوجة حاكم زيلع ماتت، فكاد عقل الحاكم أن يطيش، ولما رأى العيدروس جاءه معزيّاً، رجاه أن يحييها وإلا فإنه سيموت من وَجدِهِ عليها، فكشف العيدروس عن وجهها وناداها باسمها، فأجابته: لبَّيك، ورُدَّت لها روحها، ولم يخرج العيدروس حتى أكلت مع زوجها الهريسة وعاشت مدة طويلة[٥]. هكذا!.

---

(١) محمد بافقيه «تاريخ الشحر» (٨٦).

(٢) هو عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس الحسيني الحضرمي الهندي. من مشاهير متصوِّفَة الهند. وُلِدَ سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م في (أحمد آباد) من أرض الهند، وفيها توفِّيَ سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م. انظر ترجمته عند: محمد الشلِّي «عقد الجواهر والدرر» (٢/٥٢٢ ـ ٥٣٠). وعبدالحيّ الحسيني «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/٧٥٣).

(٣) عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٤).

(٤) زيلع Saylac: مدينة صومالية. شمال غربي الصومال على ساحل (خليج عدن). انظر: محمد صبري «مصر في أفريقيا الشرقية/ هرر وزيلع وبربرة» (١٨ ـ ٢٠) (٤٢) (٥٤).

(٥) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٧).

لذلك يقول قائلهم: «شيء لله يا عيدروسِ...! شيء لله يا محيي النفوسِ»[١].

- قبر الشاذلي وصدِّيق والزيلعي.

أمَّا بلدان الساحل فعندهم من ذلك شيء كثير؛ فعند أهل المخا[٢]: علي بن عمر الشاذلي (ت: ٨٢٨هـ/١٤٢٥م)[٣]، **انصرف أكثرهم إلى دعائه والاستغاثة به، يقصدون قبره زرافات ووحدانا، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعوداً وقياماً**[٤].

وإذا تحوَّلتَ إلى أهل الحديدة[٥] فعندهم الشيخ صِدِّيق[٦]، أقبل الناس جميعاً على تعظيمه والغلوِّ فيه، لا يركبون البحر ولا ينزلون

---

(١) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٨٤).

(٢) المخا: مدينة في (حضرموت) على ساحل البحر الأحمر. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٤٤٥).

(٣) هو شمس الدين علي بن عمر القرشي الشاذلي، من القبيلة المشهورة بأهل القرشية، وهم بنو دعسين في (زبيد) باليمن. ونسبته شاذلياً لأنَّه أخذ عن ناصر الدين بن الميلق فنسبوه شاذلياً. تولَّى القضاء الأكبر بمصر ثمَّ عُزِلَ. انظر ترجمته عند: عبدالوهاب البريهي السكسكي «طبقات صلحاء اليمن» (٢٦٤ - ٢٧٠). وشمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٥/٢٦٣).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٤).

(٥) الحُدَيدَة: مدينة وميناء على ساحل البحر الأحمر، تبعد عن (صنعاء) ٢٥٠ كلم غرباً. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١/٤٣٦).

(٦) قيل إنه صديق بن علي بن أبي الفتح الصوفي الشاذلي (ت: ١٠٣١هـ). انظر: تحقيق سليمان الخراشي لـ «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٥).

البر حتى يجيئوا إليه ويُسلِّموا عليه ويطلبوا منه العون والمدد فيما يقصدون[١].

وإذا انتقلت إلى أهل اللحية[٢] فعندهم الزيعلي[٣]، وهم يسمُّونه (الشمس)؛ لأن قبره مكشوف ليست عليه قبة. وكانوا يصرفون إليه النذور جميعها، وقد بلغوا أقصى الجهل والضلال والبغي في تعظيمه ودعائه. وأهل البادية منهم يروون حكاية عنه وهي: أنَّه كان رسولاً في حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس توشك أن تغيب، وكان يريد أن يدخل البلد قبل غيابها، فقال لها: قفي. فوقفت وأطاعته امتثالاً لقوله[٤].

ـ قبر أحمد بن الحسين.

رُوِيَ أنَّ بعض أهل جهات القبلة في اليمن، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين[٥] صاحب ذي

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٥).

(٢) اللُّحَيَّة: فَرْضَةٌ على البحر الأحمر، شمال (الحديدة) بمسافة ١٢٠ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٣٧٠).

(٣) هو أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي (ت: ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م). من كبار متصوِّفة اليمن. اعتقدوا به (بحسب اعتقادهم المنحرف) القدرة على التصرّف بالكون. صنَّفَ كتاب «ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح طريقة». انظر ترجمته عند: أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٧٤ ـ ٧٧). ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريَّة» (٣/١٠ ـ ١١).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٥).

(٥) المُلَقَّب المهدي، والمعروف بأبي طير، من أئمة الزيدية المتأخرين (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). انظر أخباره عند: محمد الجَنَدي السكسكي الكندي =

بين[(١)]، فرآها مسرَّجة بالشَّمع والبخور، ينفخ في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب: **أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين**[(٢)].

وهذه رَزِيَّة وبليَّة «مما صار يعتقده كثير من العوام [من أهل اليمن] وبعض الخواص [منهم] في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء؛ من أنَّهم يَقْدِرونَ على ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نَطَقَت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارةً مع الله وتارةً استقلالاً، ويَصْرخون بأسمائهم ويُعَظِّمونَهم تعظيمَ من يملك الضرَّ والنَّفع، ويَخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربِّهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا تدري ما هو الشِّرك، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر»[(٣)].

فها أنت تسمعهم في «الأقطار اليمنية يقولون يا ابن العجيل[(٤)] يا

= «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤) (٢/٥٤٢ ـ ٥٤٣) (٥٤٧ ـ ٥٤٨).

(١) ذي بين: إحدى مديريات محافظة (عمران). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١١١٩).

(٢) انظر: محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٤٨).

(٣) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٢٨).

(٤) هو أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل. من أكابر الصوفية في تلك الأنحاء وفي عسير. ذكره عبدالله بن أسعد اليافعي في «مرآة الجنان» (٤/١٥٨) في وفيات سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وذكره محمد عبدالرؤوف المناوي في «الكواكب الدرية» (٢/٣٨٠ ـ ٣٨١)، (٣/١٧٦) في وفيات سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م.

زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان، وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم؛ ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم»[(١)]، «**بل لا يستريحون ولا يستقرّون إلَّا إذا صار في بلدهم ضريح، فالبلد الذي ليس فيها ضريح أكثرهم لا يطمئنّ فيه**»[(٢)].

ـ الجبرتي وأتباعه.

مما يُروى عن أحدهم آنذاك أنَّه «**كان نازلاً بمدينة زبيد**[(٣)] **في سابق الأيام، وأن بها قوماً يَقْرَؤُونَ صحيح البخاري، فإذا فَرَغوا ـ إمَّا أحياناً أو مطلقا ـ ذهبوا إلى مشهد الجبرتي، فيظلّون عاكفين هناك ما شاء الله وعليهم السكينة والوقار وضروب من الخضوع والتأدّب لنازل الحفرة**»[(٤)].

والجبرتي هذا، هو: إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي العقيلي ثم الزبيدي الشافعي. وُلِدَ سنة **٧٢٢هـ/١٣٢٢م**[(٥)]، وكان له أحوال ومقامات ولأهل زبيد فيه اعتقاد كبير. كان أول ظهور أمره أنه بشَّرَ السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه وكان الأمر

---

(١) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٧٣).

(٢) صالح الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدر النضيد» (١٤٢).

(٣) زبيد: وادٍ مشهور يصبّ في تهامة اليمن ثم البحر الأحمر. ومدينة (زبيد) واقعة في منتصفه ما بين (بيت الفقيه) ومدينة (حَيْس). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١/٧٣٢ ـ ٧٣٣).

(٤) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٨).

(٥) انظر ترجمته عند: محمد بن عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٣/١٧٢ ـ ١٧٤).

كذلك، وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأً لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات؛ فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة وأهل البطالة للسماع واللهو وأهل الحاجات لوجاهته.

وكان الزبيدي الجبرتيّ هذا قد تتلمذ على يد شيخ من دعاة نحلة ابن عربي، حتى صار من لا يحصل على نسخة من فصوص ابن عربي[١] **تنقص منزلته عنده، واشتدَّ بسببه وبسبب رهطه بلاء العلماء الصادعين بالحق. وفيهم يقول بعض الأدباء:**

رهطُ إسماعيل قطاع الطريق ... إلى الله وأربابُ الرِّيَبْ
سُفَلٌ حمقى رعاعٌ غاغةٌ ... أكلُبٌ فيهم على الدنيا كَلَبْ[٢].

وقد قال حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)[٣] عن أتباع الشيخ إسماعيل الجبرتي الدائنين بدين

---

(١) هو كتاب «فصوص الحِكَم» لمحيي الدين ابن عربي. قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «جامع الفتاوى» (٣٦٤/٢): «ما تضمَّنَه كتاب الفصوص وما شاكله من الكلام فإنَّه كفرٌ باطناً وظاهراً، وباطنه أقبحُ مِن ظاهره، وهذا يُسمَّى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد». وقال عنه الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣): «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص؛ فإنْ كانَ لا كُفْرَ فيهِ، فما في الدنيا كُفْرٌ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله».

(٢) انظر: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٩٤/١).

(٣) هو حسين بن عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي بكر ابن علي الأهدل الحسني نسباً. فقيه يمني أصولي مؤرّخ. وُلِدَ سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م في (القحزية) غربي (الحقة) من بلاد اليمن. له عِدَّة كتب منها: «مفتاح القاري لجامع البخاري»، واختصر «تاريخ اليمن» للجندي في مجلَّدين وسمَّاه «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن». انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١٤٥/٣ ـ ١٤٧).

ابن عربي: «**إنَّ بعض فقهاء زبيد سمع من بعضهم أنه فسَّر آية الكرسي بالشيخ إسماعيل الجبرتي** ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾**، فقال: هو الشيخ إسماعيل الجبرتي** ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾»[١].

وحكى الأهدل عن أتباع الجبرتي قائلاً: «**أنَّهم يتعاطون كأس الخمر، وأنَّ الجماعة منهم يقعون على امرأة أحدهم، ويقولون: كلنا واحد بحكم الاتحاد**»[٢].

- السبعة المقبورين في زبيد:

وفي زبيد أيضاً كان أهلها يعتقدون أنَّ من زار السبعة المقبورين فيها سبعة أيام متوالية قضيت حاجته، وقد نظم أحد شعراء اليمن في أولئك السبعة قائلاً:

ببابِ سهام سبعةٌ مِنْ مشايخ ... لقاصدهم ذُخْرٌ وكنزٌ لمقللِ
فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي ... وأفلح صياد كذا ابن الرَّضي الولي
زيارتهم نَجْحٌ لكلّ حوائجٍ ... وفي الخلد سُكنى للذي زارَ مُقبلِ
زيارةُ كلّ منهم صحّ أنها ... لما شئت من جلبٍ ودفعٍ مُحَصّلِ[٣].

- غُلُوّهم بابن العجيل.

«هذا باب واسع؛ [يبين لك] تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام [هناك] حتى ترقُّوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا

---

(١) حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني «كشف الغطاء عن حقيقة التوحيد وعقائد الموحدين» (٢١٤) باختصار.

(٢) المصدر السابق (٢١٤).

(٣) عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٣).

الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب؛ ومن ذلك قول من يقول مخاطباً ابن العجيل:

هات لي منك يا ابن موسى[(١)] إغاثة عاجلاً في سيرها حثّاثة

فهذا محض الاستغاثة ـ التي لا تصلح إلا لله ـ لِمَيِّتٍ مِن الأموات قد صار تحت أطباق الثرى منذ مئين من السِّنين»[(٢)]؛ «يعني: ابن عجيل الذي يناديه ويستغيث به، فبينه وبينه مئات السنين، فهو ميِّت، رميم، ومع هذا يستغيث به»[(٣)].

ـ صورٌ أخرى من عبادتهم لأهل القبور.

«ومن عجيب ما أتته العامة [هناك] **ما شوهد بالمعاينة مكتوباً على راية مشهد من المشاهد: هذه راية البحر التيَّار؛ فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير وبه أعوذ من النار»[(٤)].**

وفي اليمن اشتهر «عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء أنَّ كثيراً منهم إذا حَدَثَ له وَلَد جَعَل قِسْطاً من مالِهِ لبعض الأموات المُعتَقَدين ويقول: إنَّه قد اشترى ولده من ذلك الميت بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سنّ الاستقلال دَفَعَ ذلك الجُعْل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال»[(٥)].

---

(١) هو أحمد بن موسى بن عُجَيْل؛: الذي مرَّت ترجمته قبل قليل.

(٢) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٩٣).

(٣) صالح الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدر النضيد» (١٨٣).

(٤) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٢).

(٥) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (١١١ ـ ١١٣).

ويدخل في هذا الباب «وهو من أشهر عجائبهم المعلومة في نواحي من البلدان؛ شراؤهم الأولاد، بزعمهم، من الوليّ بشيء معين، فيبقى ثمنه رَسْماً جارياً يؤدَّى كل عام لصندوق الوليّ، وإن كانت امرأة فمهرها له، أو نصف مهرها؛ إذ هي مشتراة منه»[(١)].

«ومن عجيب [حالهم] في هذا الباب [أيضاً]، قول بعضهم في قصيدة؛ وهي شيءٌ يقشعرّ منه الجلد:

يا سيدي يا صفِيّ الدين يا سندي	يا عُمدتي، بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته	وأنت لي ملجأ من حادث الدهر
امدد بموادّ اللطف منك، وكُنْ	لي الكفيل بكشف الضرّ ونيل الظفر
وامنن عليَّ بتوفيق وعافية	وخير خاتمة مهما انقضى عمري
وكفّ عنّا أَكُفّ الظالمين إذا	امتدَّت بسوء وأمر مؤلم نُكرِ
فإني عُبَيْدُكَ الراجي لِوُدِّكَ ما	آمله يا صفيّ السادة الغرَرِ
وقد مَدَدْتُ يَد الرَّجْوى على ثقةٍ	مني لنيل الذي أَمَّلْتُ من وَطَري.

فلا تدري أيّ معنى اختصّ به الخالق بعد هذه المنزلة من كيفية مطلب وتحصيل مأرب؟. وماذا أبقى هذا المشرك لخالقه من الأمر؟»[(٢)].

ـ قبر هود والبئر المعطَّلة والقصر المشيد في اليمن.

إضافةً لما سبق؛ فقد ظهر في اليمن آنذاك من يأتي قبر نبي الله

---

(١) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٦).

(٢) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٢ ـ ١٧٣).

هود عليه السلام[(١)] في كل حَوْلٍ لزيارته والتبرُّكِ به والاغتسال في موضع تجتمع فيه المياه هنالك؛ إذ يعتقدون أن الذي يتمكن من الغسل فيه يكون مغفورا له من جميع الذنوب.

وهناك بئر يذهبون إليها، ويقولون ـ بزعمهم ـ إنها البئر المعطلة[(٢)] التي ذُكِرَت في سورة الحج، وينادي أكبرهم، فيقول: السلام عليك يا نبي الله آدم، ويعدد الأنبياء عليهم السلام إلى آخرهم، والذين في معيته يُؤَمِّنُونَ على دعائِهِ ويعتقدون أن أرواح الأنبياء موجودة في هذه البئر؟

«مع أنه لا يُعلم على وجه الأرض قبر معروف من قبور الأنبياء، لا هود ولا غيره، ومن زعم ذلك فهو مفتر ضال، ولا يُعرف إلا قبر محمد ﷺ.

وهذه المغارات والقبور التي تُنسَب إلى الأنبياء كلّها كذب وافتراء، والماء الذي يزعمون حول قبر هود وأن من اغتسل منه فهو مغفور له، من أعظم الكذب والزور الذي يُرَوِّجُون به على خفافيش البصائر.

أما «البئر المعطلة» فالله سبحانه أخبر أنَّها هي و «القصر

---

(١) قبر نبي الله هود: منطقة شرقي (وادي حضرموت)، تبعد عن مدينة (تريم) ٣٠ كلم، يُعتقد أن بها قبر نبي الله هود عليه السلام، وله قبة قديمة. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٨٣٢/٢ ـ ١٨٣٣).

(٢) قيل: إنَّ البئر المعطَّلة على سفح قمَّة جبلٍ في اليمن بقيت خاليةً بعد هلاك أهلها يوم كفروا بنعمة الله. انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (٤٤٤/١٠).

المشيد»[(١)] آثار من مضى ذَكَرَها الله للاعتبار وأنَّ الله أفناهم وأبقى آثارهم عبرة. أما وقوف أحدهم على البئر ينادي: يا آدم حتى يعدد الأنبياء والرسل، فهذا من الكذب البحت، فإنما تخاطبهم في القليب الشياطين تُضلّهم عن سواء السبيل، ويروّجون بذلك على خفافيش البصائر الذين خَلِيَت قلوبهم من الإيمان، ولا شعور لهم بما جاءت به الرسل وأُنزِلَت به الكتب، بل هم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء»[(٢)].



(١) قيل: إنَّ القصر المشيد باليمن على قمة جبل، وكان عليها قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، فبقي القصر خالياً. انظر: المصدر السابق، (١٠/٤٤٤).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٤٣ ـ ٤٤٦).

٤ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في الإمارات والأحساء والكويت قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة

ـ الإمارات.

في الإمارات[١]، وتحديداً في رأس الخيمة[٢]، في مكان يقال له شعم[٣] يوجد ضريح الشيخ زهير أحد أولياء المسلمين، وكان بعض الناس يقدمون له النذور والذبائح وإيقاد السرج للصلاة والدعاء عند هذا القبر[٤].

---

(١) كانت تسمى قديماً: «إمارات الساحل الشمالي».

(٢) رأس الخيمة: تقع في أقصى الشمال لإمارة (الشارقة)، كان زعيم القواسم (الشيخ قاسم) هو الذي نصب خيمته في منطقة على الساحل مقابل (جلفار)، فكانت تراها جميع السفن المارة في الخليج، ومن ثم أطلقت البحارة على هذا المكان (رأس الخيمة). انظر: لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٢٤٤/٣).

(٣) شعم: في الساحل الغربي لساحل الإمارات، على بعد ١٢ ميلاً من (رَمس). ويمتد منها خليجاً يصل إلى (دبي). انظر: ج.ج. لوريمر «دليل الخليج/ الجغرافي» (١٧٩٩/٦) (١٢٤٧/٣).

(٤) Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.445-446.

وفي منطقة الصير[١] في رأس الخيمة كان هناك قبر السيد حسن؛ وهو مقام معروف يعظّمه القواسم[٢] غاية التعظيم وكان السيد حسن هذا هو المرشد الديني للشيخ راشد بن مطر القاسمي[٣]، فلما توفي جعلوا له مقاماً وبنوا عليه قبَّة[٤]. كما كان يوجد قبرين في الشارقة لوليين هما: حمُّودي وعبُّود[٥].

- الأحساء.

أما في الأحساء؛ فقد قرَّر بعض أهل العلم: «أنَّ العلماء في الأحساء وغيرها لا يعرفون التوحيد من الشرك، بل قد اتخذوا الشرك

---

(١) الصير: تقع على ساحل (رأس الخيمة)، وكانت المصادر القديمة تسمي منطقة (رأس الخيمة) كلها باسم (صير) أو (جلفار). انظر: حميد بن رزيق بن بخيت «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (ص: ٣٢٤). أيضاً: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ الجغرافي» (٧/٢٣٨٠ - ٢٣٨١).

(٢) القواسم: قال الشيخ محمد بن سعيد بن غبّاش (وهو من روّاد المتعلمين في رأس الخيمة. توفي سنة ١٩٦٩م): أنَّ القواسم «من بقايا العمالقة من ولد جاسم بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، من الذين تفرقوا في عمان والحجاز أبله». وهم حكام إمارات الساحل الشمالي من نسل سلطان بن صقر بن راشد بن رحمة بن مطر بن رحمة بن كايد بن عدوان. انظر: عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي» (٥١ - ٥٥).

(٣) انظر أخباره عند: عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلئ» (٦٠ - ٦١) (٦٥).

(٤) انظر: حسن بن جمال الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٤٣ - ١٤٤).

(٥) وقد قام أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بهدمهما. انظر: عبد العزيز البداح «حركة التصوف في الخليج العربي» (٤٣).

في العبادة ديناً، فأنكروا [دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] لجهلهم بالتوحيد ومعنى لا إله إلا الله»(١).

فلا غرابة أن انتشرت عندهم «عبادة الأصنام من بشرٍ وحجر؛ هذا يُذبح له وهذا يُنذر له وهذا يُطلب مِنْهُ إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وهذا يَدعوه المضطر في البر والبحر وهذا يَزعمون أنَّ من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عَصَى الله»(٢).

وكانت الأحساء قبل أن تتفيَّأ ظلال حكم الدولة السعودية الأولى، يكثر فيها مُدَّعُو الخوارق والمنجّمون والسَّحَرة والكُهَّان، وهو ما ذكره محتجّاً عليهم الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي قال: «ومنها ما يفعله كثيرٌ من أتباع إبليس وأتباع المنجّمين والسحرة والكُهَّان مِمَّن ينتسب إلى الفقر(٣) وينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويُشَبِّهون بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصدّ عن سبيل الله، حتَّى إنَّ بعض أنواعها يَعتَقِدَ فيه من يدَّعي العلم أنَّه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء، وهو من الجِبتِ والطاغوت»(٤).

---

(١) من رسالة من الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن إلى الإخوان والأعيان من أهل الأحسا، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٣٢٤).

(٢) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، ضمن «الدرر السنية» (١/٥٣ ـ ٥٤).

(٣) يُلَقِّب المتصوِّفَة أنفسهم بالفقراء. انظر: عبدالرزاق الكاشاني «اصطلاحات الصوفية» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، ضمن «الدرر السنية» (١/٥٤).

وفي الأحساء أيضاً كانت هناك عينٌ تسمى عين الحارَّة[١] أو عين نجم[٢]، والعوام كانوا يعتقدون أنَّ مَنْ بِهِ عاهة يبرأ منها إذا اغتسل في تلك العين[٣]، حتى أضحت العين مزاراً مشهورا.

ولما جاء عهد الدولة السعودية الأولى طُمِرَت تلك البئر درءاً لاعتقاد الناس فيها. وحين حصل احتلال الترك للأحساء بعيد سقوط الدولة السعودية الأولى أعادوها كما كانت، ثم لمَّا قامت الدولة السعودية الثانية خشي بعض أهل العلم السلفيين الفتنة على الناس واختلال عقائدهم فدفنوها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م سدّاً للذريعة، وبعد سقوط الأحساء تحت نير الاحتلال التركي وسقوط الدولة السعودية الثانية، أعادتها حكومة السلطان التركي/العثماني كما كانت وبنوا عليها قبة ومباني، فعاد الناس ينتابونها[٤].

---

(١) هكذا سمَّتها بعض مصادر التاريخ ووصفتها: بأنَّ «ماؤها أحرّ من ماء الحمَّام الذي توقد عليه النار»، وهي نفسها (عين نجم) الآتي ذكرها. انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٢).

(٢) عين نجم: في الأحساء غربي (المبرَّز) بالقرب من (جبل أبو غنيمة)، وهي في موضع سقط فيه نَيْزَك، فهي في هوَّةٍ منخفضةٍ من الأرض، ماؤها يجري تحت سطح الأرض، وهو شديد الحرارة بحيث يهابه المرءُ حتى ينغمر فيه شيئاً فشيئاً. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٢٣٦ ـ ١٢٣٧).

(٣) انظر: محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٣٧). وسليمان بن صالح آل دخيّل «تحفة الألبا في تاريخ الأحساء» (ص٤٥٧) ضمن «مجلة العرب» ج٥ ـ ٦، السنة ١٠، ذو القعدة والحجَّة ١٣٩٥هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥م.

(٤) انظر: أيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٢٤١). ومحمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٣٧).

* إمارة الكويت.

أما في الكويت فإنَّه كان ينتشر في جزيرة فيلكا[١] حوالي ٦٠ أو ٧٠ ضريحاً من أضرحة الأولياء، ومن أشهر الأضرحة هناك: ضريح الأخوين سعد وسعيد وأختهما سعيدة؛ يقال أنهم قُتِلُوا في الجزيرة، فكثر تقاطر الزوّار على تلك الأضرحة قادمين لها من اليمن والهند وأفغانستان وبلوشستان[٢].

وكان في الجزيرة أيضاً قبرٌ آخر يقصده حجّاج القبور وهو قبر محمد البدوي الذي يقدسونه؛ فقط لأنَّ إصبعه قاومت انتزاع الخاتم منها بعد مماته[٣].

وفي الجزيرة أيضاً قبر يزعمون أنَّه قبر الخضر الذي يراه أهل المراكب في البحر من مسافة بعيدة وهو كائنٌ في برج لا سقف له[٤]، وكان أهل البدع والذين استشرى فيهم الجهل يعتقدون بأنَّه ينتقل من مقرِّه قرب البصرة إلى مكة كل يوم أربعاء ويقضي يوم الخميس في جزيرة فيلكا ويعود يوم الجمعة في الطريق نفسه، لذلك كان على المرأة التي تريد أطفالاً أن تحضر إلى مقام الخضر في اليوم المناسب

---

(١) جزيرة فيلكا: تقع في الجانب الشمالي من مدخل جون الكويت (خليج الكويت) وتبعد حوالي عشرة أميال شرق الشمال الشرقي عن الرأس المعروف باسم (رأس الأرض). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

(٢) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٣/٢).

(٣) انظر: هارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٤٨/١).

(٤) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

فتُحَقِّق أمنيتها، وغالباً ما تذهب فِرَقٌ من النساء في نزهةٍ من مدينة الكويت عبر البحر إلى جزيرة فيلكا لهذا الغرض[١].

إلى جانب ذلك كان كثير من البحارة يبجّلون مقام الخضر في فيلكا، فيعاودون الزيارة مراراً للوفاء بنذورهم التي نذروها في حالات المرض والخطر في البحر، فيذبحون رأساً من الغنم أو الماعز أو يحرقون البخور عند تلك الأضرحة في تلكم الجزيرة[٢].

ويقال أنّ في الجزيرة بقايا حصن للبرتغاليين الذين كانوا احتلوها في وقتٍ من الأوقات وأخذوا يتاجرون من هناك مع برِّ مدينة الكويت، ويعتقد أهل الجزيرة بأنَّ أولياء الجزيرة المقبورين فيها أرسلوا طاعوناً من الجرذان على البرتغاليين فطردوهم منها[٣].



(١) انظر: هارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٤٨/١ ـ ٤٩). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (٩٥).

(٢) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٤/٢). وهارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٥٠/١).

ثانياً: الحال الديني في الأقاليم والبلدان المحيطة بجزيرة العرب في تلك الفترات.

١ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في بلاد الشام:

يذكر من عاين الحدث وعاصر وقائع سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م أنَّ السلطان العثماني سليم الأول (ت: ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) لما احتلَّ دمشق بعساكره التركية العثمانية، جَدَّ في البحث عن قبر الصوفي الاتحادي الحلولي محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، وقد حرص هذا السلطان غاية الحرص على تعمير قبره وتزيينه وإقامة الأوقاف له وإجراء المياه عليه وبناء البساتين حوله، وجعل له تكية[1] يُطبَخ فيها الطعام؛ لأنّ هذا السلطان العثماني على عقيدة محيي الدين بن عربي وطريقته الاتحادية، لذلك جعل من قبره مزاراً يزوره أهل البدع حتى يوم الناس هذا[2].

---

(١) تكية: لفظٌ تركيٌّ أُطلِقَ على رباط الصوفية. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٨٦).

(٢) انظر: جار الله بن فهد «الجواهر الحسان» (٢٢٥). ومحمد بن طولون «مفاكهة الخلان» (٣٤٧)، (٣٧١). ومرعي الكرمي «نزهة الناظرين» (١٧٦). ومحمد كرد علي «خطط الشام» (١٣٨/٦).

يذكر الرحالة التركي أوليا جلبي (ت: ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م)[١]؛ أنَّ السلطان سليم وصلته طلاسم لابن عربي كان قد وجدها ابن كمال باشا التركي (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م)[٢] في أثناء تنقيب الأخير في كتب ورسائل ابن عربي بعد احتلال الترك لدمشق، وفي هذه الطلاسم ـ كما يزعمون ـ قول ابن عربي: «إذا جاء حرف السين ودخل الشين ظهر مرقد الميم»، فاستخرج كمال باشا أنَّ السين إشارة للسلطان سليم الأول العثماني، و«دخل الشين» يدل على أن سليم يدخل الشام، و«ظهر مرقد الميم» يدلّ على أن قبر محيي الدين بن عربي هو الذي سيظهر على يدي هذا السلطان.

فجدَّ السلطان سليم في البحث عن قبر ابن عربي؛ لأنَّه لم يُعرف مكانه وقت احتلاله للشام، فلم يجده، وقيل: إنَّ ابن عربي جاء للسلطان في المنام ودلَّه على مكان قبره، ثم لما وجده حشد المهندسين والبنائين وسائر العمّال ليعمّروه، فبنوا له تربة وتكية وضريحاً وجامعاً عظيماً في صالحية دمشق[٣].

وهذا من خرافات وترّهات الترك العثمانيين القائمة عقائدهم على المنامات.

---

(١) هو أوليا جلبي بن محمد ظلّي، المولود في (إسطنبول) سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م. كان أبوه يعمل رئيساً للصيّاغ في قصور سلاطين بني عثمان. شُغِفَ بقراءة كتاب «المثنوي» لجلال الدين الرومي. انظر ترجمة أوليا جلبي عند مقدّم كتابه «سياحتنامة مصر» (١٠ ـ ١٢).

(٢) هو شمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بابن كمال باشا، صاحب التفاسير، أحد الموالي الروميَّة. كان جدُّهُ أحد أمراء الدولة العثمانية. له ترجمة عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) انظر: أوليا جلبي «سياحتنامه مصر» (١٦٥).

ويُظهر بعض الرحالة الأتراك أن غزو السلطان سليم لمصر ما هو إلا من إيمانه بمنامات يراها ذاك السلطان لابن عربي الذي يعتقد بعقيدته الاتحادية، وأنه بِناءً عليها احتلّ مصر[١].

وإذا انتقل النظر إلى الرقَّة[٢] السورية شمالاً على الحدود التركية السورية فسيجد قلعة تسمى قلعة جابر شرقي الفرات، وكامل المنطقة يسكنها التركمان ولا يسمحون للغريب أن يقترب من القلعة إذ تضمّ قبر سليمان شاه الذي يقدسه التركمان الأتراك، ويطلق عليه «تورك مزاري» أي القبر التركي[٣].

أمَّا في حلب فيذكر أهل التواريخ أنَّه يوجد فيها مسجد نبي الله كالب بن لوقا، وأنه كان مزاراً مشهوراً لكثير من العامة[٤]. وانتشرت أبيات تحاول التدليل على أن من في هذا القبر هو نبي من الأنبياء، فتقول:

مقام عليه هيبة وجلالة ... تدل على التحقيق ما شاع واشتهر
بأنَّ الذي هذا الضريح يضمه ... نبي له في الذكر شأن وفي الأثر

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٦٥).

(٢) الرقة: في سوريا، تقع في صحراء في الساحل الشمالي للفرات. انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٦٧/٢).

(٣) انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٦٧/٢).

(٤) علّق كامل البالي الغزّي في كتابه «نهر الذهب في تاريخ حلب» (١٠١/٢) قائلاً: «وعلى كل حال لا بأس بزيارته على توهم من وجوده». لأنَّ البالي الغزّي على جادة القوم في زيارة القبور والتبرّك بها والدعاء عندها.

وسل عنده الحاجات تظفر بنيلها
فما خاب عبدٌ بالنبيين انتصر[١].

ولقد أورد محمد كُرد علي (ت: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)[٢] **عدداً كبيراً من مراقد العظماء في الشام من الصحابة ﷺ، وما أحاطها به المتصوفة من ربط[٣] وخوانق[٤]**، ثم قال: «أكثر مراقد العظماء من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين والزهاد أشبه بزوايا[٥] وتكايا

(١) كامل البالي الغزّي «نهر الذهب في تاريخ حلب» (٢/١٠١).

(٢) محمد كُرد علي: رئيس المجمع العلمي في (دمشق)، ومؤسّسه، وصاحب مجلة المقتبس. له ترجمة عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) ربط: مفردها رِبَاط. والرباط في اللغة: ملازمة ثغر العدو، لكنها تحولت أثناء السلم واستقرار الأوضاع السياسية إلى أماكن للعبادة والدرس من قبل المتصوفة؛ على غرار الصوامع والأديرة التي كانت للرهبان عند النصارى في العصور الوسطى. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤/٧٩٣ - ٧٩٤). وإبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٣٢٣).

(٤) خوانق: مفرده (خانقاه): لفظٌ فارسيٌّ، معناه: بيت. أطلق في فترة ما بعد القرن الخامس الهجري على الأماكن المعدّة للزهاد وأتباع الطرق الصوفية ومن في حكمهم. وقد حُبِسَت من أجلها أموال كثيرة من خيرات البساتين والمحلات التجارية لإكساء وإطعام وتعليم المقيمين بها. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤/٧٢٤). وإبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٢٦٠).

(٥) زوايا: مفردها (زاوية)، وهي في الاصطلاح: مكان يُتَّخَذ من قبل المتصوفة للاعتكاف والعبادة والمطالعة، وهو على شكل خلوة أو رواق في المسجد إذا كان مشتملاً على مصلى مستور، ولكل زاوية شيخ يكون منقطعاً لها تعرف به. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٤٠٨).

يقصدها الناس للزيارة والتبرُّكِ، وإن كان منها ما لم يثبت أن فلاناً بعينه دُفِنَت تجاليده في البقعة التي يعنونها»[١].

ومن تلك المقامات والقباب التي بُنيَت على قبور الأعلام عندهم في الشام وكان الناس هناك يتناوبون زيارتها تبرّكاً: قبر يحيى بن زكريا، وقد ذكر عبدالغني بن إسماعيل النابلسي (ت: ١١٤٣هـ/١٧٣١م)[٢] أنه زار تبرّكاً رأس السيد يحيى الحصور بالجامع الأموي، وشرع في قراءة الفاتحة عليه والدعاء عند مقامه المشهور[٣].

وهناك قبر الحسين بن علي الذي يزعمونه في الجامع الأموي في دمشق[٤]، وقبر صلاح الدين بن يوسف الأيوبي شمالي هذا الجامع[٥]، ومقام ذي الكفل وهود في سفح جبل قاسيون

---

(١) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (٦/١٥٣). وقبله قال بمثل ذلك الشك في صحة تلك القبور: محمد السنوسي في «الرحلة الحجازية» (٢/٣١١). ومحمد عبدالجواد القاياتي، في «نفحة البشام في رحلة الشام» (١١١).

(٢) صاحب الرحلة الشهيرة «الحقيقة والمجاز». وهي رحلة حُشِيَت بطوام من الشركيات والخرافات الصوفيّة، وهو فوق ذلك على عقيدة ابن عربي الذي أدمن مطالعة كتبه. اتُّهِمَ النابلسي أنَّه يترك الصلوات الخمس، قاله محمد خليل المرادي لمَّا ترجم له في «سلك الدرر» (٣/٣٦ ـ ٤٤). ولكمال الدين محمد الغزّي رسالة في ترجمته سمَّاها «الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبدالغني النابلسي» منشورة في «مجلة التراث العربي» سنة ١٩٨٣م.

(٣) انظر عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز» (٦) (١٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥٣).

(٥) انظر: محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (١٢١).

بدمشق[١]، ومقام زين العابدين وبلال الحبشي[٢] وخديجة ورقية وأم كلثوم وغيرهم في مقبرة باب الصغير في دمشق[٣]، ومقام أبي الدرداء في قلعة دمشق[٤]، ومقام حجر بن عدي في مسجد الأقصاب بدمشق[٥]. ومقام شريح بن حسنة وخولة وأبيّ وضرار بن الأزور[٦] في باب توماء وباب شرقي بدمشق[٧]، وأصحاب الكهف بصالحية دمشق[٨].

وإذ تحوّلت إلى جبل لبنان وفلسطين ستجد فيها مقام الإمام الأوزاعي في بيروت[٩]، ومقام يوشع وشمعون في صور[١٠]، وقبر مريم العذراء في جبل لبنان[١١]. وفي صفد أيضاً يقصد الناس في تلك

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٣٤).

(٢) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٦).

(٣) انظر: محمد السنوسي «الرحلة الحجازية» (٣١١/٢).

(٤) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٧) (٦٢).

(٥) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (١٥٣/٦).

(٦) راجع ما أوردناه في الفصل الثاني؛ حول زعم أهل البدع أنَّ لضرار بن الأزور قبر يزار في نجد قبل الدعوة.

(٧) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٤٣). ومحمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (١٢١).

(٨) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (١٥٤/٦).

(٩) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٨٤) (١٥٤).

(١٠) انظر: المصدر السابق (٦٥).

(١١) انظر: المصدر السابق (٧٠).

الفترات زيارة غار بيت الحزن، يقال: إنَّه الغار الذي مكث فيه يعقوب عليه السلام سنوات عديدة وابيضَّت عيناه من الحزن تحسّراً على يوسف عليه السلام[١].

وفي فلسطين أيضاً مقام الخضر وإلياس في حيفا، ومقامات شعيب والسيدة سكينة ومعاذ بن جبل ونصر الدين الطيار في طبرية، ومقامات العزير ولوط ويونس في الناصرة بفلسطين[٢].

هكذا كان تقديس القبور وبناء المقامات عليها في بلاد الشام على العموم، وهكذا جَرَّهُم ذلك التقديس إلى رجاء المقبورين وطلب الحاجات منهم والتوجّه بالدعاء لهم من دون الله.



---

(١) انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٢/٤٠٨).

(٢) انظر: محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (٦١) (١٠٠) (١٢٤).

٢ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في العراق.

قال المؤرخ العراقي محمود الآلوسي (ت: ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)[(١)]: «والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفى، بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمهامه التي لا ينجو سالكها ولا يكاد، ومِنْ نَحوِهِ عُرِف الكفر وظهر الشرك والفساد، كما يَعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين. ومن شاهد ما يقع منهم عند مشاهد القبور هناك من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وأنواع الموبقات، عَلِمَ أنهم من أجهل الخلق وأضلّهم وأنهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإسلام»[(٢)].

إنَّ العراق مُذ رزحت أرضه تحت وطأة الاحتلال العثماني التركي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والعثمانيون الأتراك يشجعون أصحاب الطرق الصوفية هناك؛ إذ شيَّدوا لهم التكايا وعيَّنوا شيوخها ورصدوا الأوقاف التي تصرف على إدامة التكية والنفقة

(١) محمود شكري الآلوسي: مؤرخ وعالم بالإدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. وُلِدَ في بغداد وفيها توفِّيَ. انظر: خير الدين الزرّكلي «الأعلام» (١٧٢/٧ ـ ١٧٧).

(٢) محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٨٠) بتصرف يسير.

على من فيها، فشطَّت الطرق الصوفية وعظم شأنها في البلد، واشتط الناس على اختلاف طبقاتهم لحضور حلقات ذكرهم البدعية التي تعقد كل يوم[(١)].

ومعلوم أنَّه لما سقطت بغداد تحت هيمنة الأتراك العثمانيين، ووصل إليها في سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م السلطان العثماني سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، فدخلها بعسكره محتلاً لها، لم يكن يشغل هذا السلطان العثماني أمر أكثر من انشغاله في البحث عن موقع قبر أبي حنيفة النعمان في بغداد وإعادة بناء ضريحه، فلما عُيِّنَ له مكانه بنى عليه قبة فخمة لا يستطيع الإنسان وصفها، حتى أصبحت مزاراً عظيماً على مدى العصور[(٢)]، ثم بنى للمزار سور لحراسته وعمّر في أطراف المزار قلعة، وعيَّنَ للقلعة جنداً لحراستها يبلغون مئة وخمسين ووضع فيها معدَّات حربية كافية ومدافع.

ثمَّ زار قبة موسى الكاظم ومحمد الجواد وقبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن بعدها زار بإجلالٍ كبير ضريح عبدالقادر الجيلاني الذي هو من أشهر الأضرحة ببغداد، حتى أصبح الناس في العراق مفتونين بقبر الجيلاني[(٣)].

---

(١) انظر مقدمة سعيد الديوه جي لكتاب «ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء» لأحمد الخياط الموصلي (١١).

(٢) انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٢/٧٩٠).

(٣) انظر: السيد محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٨). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٤/٣٠ ـ ٣٥). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (١/٢٥).

فأضحوا يعتقدون في الجيلاني القدرة على فكّ الأسير إذا دعاه وهو في أيدي الكفار، وغدوا مستيقنين بقدرته على إنقاذ من أشفى على الغرق في البحار، حتى أمسوا ينادونه من مكانٍ بعيد[١].

ثم الْتَفَتَ السلطان العثماني القانوني إلى العتبات المقدَّسة لدى الشيعة في الفرات الأوسط، فزارها وحسَّنَ مدينة كربلاء والنجف وأعاد ما تهدَّم من مبانيها وبنى حولها الحدائق والبساتين وأجرى عليها المياه، حتى أحيا فيها ما يجذب الزوار إليها[٢].

أما مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد صُيِّرَ هناك وثناً يُعْبَد من دون الله خالق الخلق، فيتوجهون إليه بخالص الدعاء ويصلُّونَ له في قبته المذهَّبَة التي زخرفوها على قبره، وهؤلاء يستشعرون في صدورهم من الهيبة والإجلال لعليٍّ رضي الله عنه ما لا يستشعرون معشاره بين يدي الله، فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله لا يخشونه ولا يراقبونه سراً ولا جهراً، ولكنهم لا يحلفون بعليٍّ كذبا أبداً، ويقدِّسون مشهده فلا ينتهكونه، ويزعمون أنَّ عنده مفاتح الغيب، ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة[٣].

ومثل ذلك يُفعل عند مشهد الحسين والكاظم، فشبَّ عليه

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩).

(٢) انظر: يوسف الملواني «تحفة الأحباب» (١١٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٣٦/٤ ـ ٣٧). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (٢٥/١).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٦/١ ـ ١٨٧). وجواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٨٥/١ ـ ٣٨٦).

الأطفال وشاب عليه الرجال منهم حتى لا يكاد يسمع بين هؤلاء ذكرٌ لله، وإنما ديدنهم ذكر عليّ والحسين وبقية الآل[١].

وقريبٌ من ذلك ما يُفعَل في جميع قرى الشط[٢] والمجرَّة[٣] وما توسط فيها من قباب ومشاهد؛ لا سِيَّمَا قبر الحسن البصري والزبير رضي الله عنه في مدينة الزبير[٤]، فترى الناس يقصدون هذه القبور فيصرفون لها العبادة والدعاء والاستغاثة، وليس لهذا منكِرٌ ولا جاحد[٥].

وإذا سِرتَ بالبحثِ شطر الموصل، ستجد خارج سورها من جهة القبلة مرقد عندهم يسمونه مرقد نبي الله شيث، يقول عنه ياسين العمري (ت: بعد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[٦]: **أنَّ هذا القبر ظهر سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م على يد الوالي الوزير مصطفى باشا النيشانجي زاده،**

---

(١) انظر: عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٥).

(٢) شَطُّ العرب: الذي يتصل بالخليج العربي مكوناً التقاءً لنهري دجلة والفرات. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ الجغرافي» (١٢١/١ ـ ١٢٣).

(٣) المجرَّة: كائنة في قضاء (العمارة) في العراق. انظر: ج. لوريمر في «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٤١٩/٤ ـ ١٤٢٠).

(٤) الزبير: مدينة على بعد أميال جنوب (البصرة). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٥٩٣/٧ ـ ٢٥٩٤).

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٧/١ ـ ١٨٨).

(٦) هو ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العُمري. مؤرِّخ وأديب وشاعر من أهل (الموصل). كان يجمع تآليفه من مطالعاته المختلفة ويقدِّمها إلى الأمراء والعلماء والموسرين ويفوز بجوائزهم. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٢٩/٨).

رآه من واردٍ جاءه في المنام ودلَّهُ على موضعه، وأمر أن يُعمّره أحد التجار، فبنى عليه قبة وعمل له صندوقاً وستاراً.

ويعلّق ياسين العمري قائلاً: «وهو الآن [أي في وقته] الدعاء عنده مستجاب والزائر له مجبور»(١).

وفي الموصل شرقي دجلة على تلٍّ عالٍ في قرية نينوى مرقد يزعمون أنه للنبي يونس بن متّى عليه السلام. وعنه يقول ياسين العمري: «وقبره هناك يزار وتتنزل عليه الأنوار، وهذا هو المشهور بالآثار، وله من الأوقاف ستّ قرى وغير ذلك من الحمّام والمصبغة والأراضي، وعدد خدّامه الذين يأخذون مقابل خدمة جامعه الشريف نحو خمسين»(٢).

وفي وسط الموصل قبر يزعمون أنه قبر نبي الله جرجيس، يذكر العمري: أنّه ظَهَرَ سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م؛ لما احتلَّ الموصل تيمور لنك (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)(٣)، **بعدما غدر بأهلها، فقيل إنَّ هذا النبي ظهر**

---

(١) **ياسين العمري** «منية الأدباء» (٩٠).

(٢) **المصدر السابق** (٩٣).

(٣) **تيمور كوركان** (تمرلنك) بن تَرْغاي بن أَبْغاي. وُلِدَ بقرية (خواجة إيلغار) من أعمال (كيش) في أوزبكستان اليوم. كان أوّل أمره قاطع طريق (حرامي) يسطو على أغنام الناس، فضربه راعي أغنام يوماً فأصابت الضربة فخذه فأصابه العَرَج من يومها، ولذلك سُمِّيَ (لَنْك) وهي في لغتهم الأعرج. تطوّر حاله حتى تقرَّب من ذوي الملك والسلطان باستئجار نفسه لديهم ليقتل ويسطو بالأجرة نيابةً عنهم، ثم خانهم وقتل بعضهم حتى ترقّى في الملك، فملك أراضٍ كثيرة وممالك كبيرة وشنَّ حروباً قُتِلَ فيها الأبرياء بلا ذنب. انظر ترجمته عند: تقي الدين المقريزي «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» (١/٥٠١ - ٥٥٩).

عليه بالمنام وأمره بإخراج قبره فأخرجه وعمَّرَه، ولما تسلّطت الدولة العثمانية وحكم سلاطينها الموصل أوقفوا على هذا المرقد قرية تلكيف وأهلها نصارى[(١)].

وفيها أيضاً مرقد نبي الله نوح، بحسب زعم أهل ذاك الوقت، وهو كائنٌ في محراب الجامع النوري المعروف بالجامع الكبير، وهو يزار ويَتَبَرّك به أهل البدع[(٢)].

وفي الموصل أيضاً مقام الخضر، ويقع في الجانب الأيمن من الجامع النوري بالموصل، والناس ذاك الوقت تقصده للزيارة والتبرّك من جميع الأماكن[(٣)].

وفيها أيضاً مرقد علي الأصغر بن محمد بن الحنفية قرب الجامع الكبير، يقول عنه العمري: «**يقصده أصحاب الرمد، وهو مجرّب النفع**»[(٤)].

وفي الموصل أيضاً أضرحة السبعة الحدَّادين، لهم قبور متصلة بعضها ببعض، قريباً من باب سنجار خارج السور، يقول أحمد الخياط الموصلي (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[(٥)]: «يزورهم المسلمون

---

(١) انظر: ياسين العمري «منية الأدباء» (٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢٥).

(٣) انظر: ياسين العمري «منية الأدباء» (٩٩). وأحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (٤٩ ـ ٥٠).

(٤) ياسين العمري «منية الأدباء» (١٠٣).

(٥) هو أحمد بن محمد طه الموصلي الشهير بابن الخيَّاط. واعظ عراقي من أهل=

كثيرا ويرون بركتهم، وقد جُرِّبَ كثيراً أنَّ من زارهم وتوسَّل إلى الله تعالى بهم في قضاء حاجته؛ قُضِيَت سريعاً»(١).

وعندهم كذلك قبر الحلاج (ت: ٣٠٩هـ/٩٢١م)(٢) الذي يزورونه ويتمسّحون به ويتبركون فيه(٣)، وغيرها من قبور الأولياء لا عدد لهم ولاحصر.



= (الموصل)، وله اهتمام بتاريخ بلده. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١/٢٤٧).

(١) أحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (١١٢).

(٢) هو أبو عبدالله الحسين بن منصور بن محمَّى الفارسيّ الحَلَّاج، وكان مُحمَّى مجوسياً. سافر الحلّاج إلى الهند وتعلّم السحر، واشتبه على الناس السِّحرُ بالكرامات، فضلَّ به خلقٌ كثير، وقد جال في (خراسان) ما وراء النهر والهند وزرع في كلّ ناحية زندقةً، ثمَّ سكن (بغداد) سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م وقبلها، واشترى أملاكاً وبنى داراً، وأخذ يدعو الناس إلى أُمورٍ، فقامت عليه الكبار. وكان ظاهره التنسُّك؛ فإذا علم أنَّ أهل بلد يَرَوْن الاعتزال صار معتزلياً، أو يرون التشيُّع تشيَّع، أو يرون التَّسَنُّن تَسَنَّن. وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب، وينتقل بين البلدان ويدَّعي الربوبية، ويرى أنَّه الإله الذي يجب أن يُعبد ويُسجَد له، ويقول: إلهٌ في السماء وإلهٌ في الأرض. انظر ترجمته عند: شمس الدين الذهبي «العِبَر» (١/٤٥٤ ـ ٤٥٨).

(٣) انظر: أحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (١١٦ ـ ١٢٠).

٣ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في مصر

ـ غلوّ أهل مصر بضريح السيِّد البدوي:

«أما بلاد مصر وصعيدها وفَيُّومها وأعماله فقد جمعت آنذاك من الأمور الشركية والعبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية ما لا يتسع له كتاب ولا يدنو له خطاب، سِيَّما [في طنطا[1]] عند مشهد أحمد البدوي [ت: ٦٧٥هـ/١٢٧٦م][2] وأمثاله من المُعتَقَدين المعبودين»[3].

---

(١) طنطا: هي رأس (مديرية الغربية) في مصر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٣/١٢٨ ـ ١٣٠).

(٢) أحمد البدوي: أصله من بني برّي قبيلة من عرب الشام، ثم سكن والده المغرب، فولد البدوي بفاس سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م. وعُرف بالبدوي للزومه اللثام، ولم يتزوَّج قطّ. ثم رحل إلى مصر فتلقَّاه الظاهر بيبرس بعسكره، وأكرمه وعظَّمَه. واستوطن (طندتا/ طنطا). انظر ترجمته لدى: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٢/٣٨٦ ـ ٣٩٠). وعبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى» (١/٣٠٩ ـ ٣١٧).

(٣) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٣).

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م) أنَّ البدويّ هذا: «**قد صحَّ عنه أنَّه لا يصلّي، ويبول في المسجد ولا يتطهّر**»[١].

ومحمد حامد الفقي ذكر: «**أنّه كان جاسوساً ملثَّماً لدولة الملثمين، وكان داهيةً في المكر والخديعة**»[٢].

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن عن قبر البدوي ومقامه في طنطا[٣]: «**إنَّ أهل مصر افتتنوا به وبأمثاله من الأموات، فاعتقدوا فيه أنَّه يفكّ الأسير إذا دعاه وهو في أيدي الكفار وينجي من أشفى على الغرق في البحار ويطفئ الحريق إذا اضطَّرَمَت فيه النار، وينادونه من مكانٍ بعيد، وهم لا يعتقدون أنَّ حيّاً من الفضلاء فيهم يسمع ويبصر ويعتقدون أنَّ البدوي يسمعُ من ينادونه من فرسخٍ فأقل، فصار هذا الميت المدفون في قعر الأرض الذي تقطّعت أوصاله أنَّه يسمع مناديه من البحور ومن هو على مسافة شهور؛ لاعتقادهم أنَّه يعلم الغيب ويضرّ وينفع ويقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله**»[٤].

أمَّا ما يحدث في المولد الذي يقيمه المتصوِّفة للسيِّد البدوي في

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩).

(٢) من تعليقات محمد حامد الفقي على «فتح المجيد» لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٥٨).

(٣) الشيخ عبدالرحمٰن عاش في مصر أيام ترحيله على يد الترك، فشهادته عن معاينة للواقع. وسيأتي البحث عن حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ وبعض أهالي الدرعية إلى مصر على يد إبراهيم باشا في ملحق الفصل العاشر.

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩) باختصارٍ يسير.

طنطا، فشيءٌ يفوق الوصف، فهذا علي باشا مبارك (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٣م)[١] يقول: «**وفي طنطا سوقٌ جامعٌ يُعرف بمولد السيِّد البدوي، يجتمع فيه خلق كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله من جميع بلاد القطر [المصري]، وليس اجتماعهم لمحض التجارة، بل لها وللتبرّك بولي الله تعالى سيدي أحمد البدوي المتوفّي بها**»[٢].

وقال محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) عن قبر البدوي وما يُفعل عنده في الموالد وغيرها، ما نصُّه: «**وقبر البدوي أكبر الأصنام في الديار المصرية؛ مثل هُبَل الأكبر واللات في الجاهلية، يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر وتُقَدَّم له النذور، ويَجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وزروعهم بل وأولادهم؛ فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويضعه في الصندوق قائلاً: هذا نصيبك يا بدوي. ويُقام له كل عام ثلاثة موالد يَشدّ الرِّحال إليها الناس من أقصى القطر المصري، ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر**»[٣].

وذكر الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: أنّ الناس «**كانوا يفعلون في مولد البدوي من عظائم الشرك والفساد ما يطول تعداده؛ اعتقاداً منهم بأنّه يتحمّل عن الزناة واللوطية في مولده ذنوبهم، بمعنى**

---

(١) علي باشا مبارك: وزير مصري من المؤرخين. انظر ترجمته عند: جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق» (٤٤/٢ ـ ٥٢).

(٢) علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٨/١٣).

(٣) من تعليقات محمد حامد الفقي على «فتح المجيد» لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٥٨ ـ ١٥٩).

أنَّه يكفّرها عنهم، وقد كان بعضهم يسجد على باب حضرته»[(١)].

وقد رأى الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م)[(٢)]، **في أيام رحلته إلى مصر لطلب العلم، مجتمعاً هائلاً أعظم من اجتماع المسلمين عشية عرفة عند جبل الرحمة، فسأل عنه، فقيل: هذا مولد البدوي. ورأى سوقاً طويلاً للبغايا اللائي قد أوقفن فروجهنَّ في ذلك اليوم للسيد البدوي، ويأتي الفسَّاق فيقعون عليهنَّ متصدِّقات بذلك له في هذا المجتمع**[(٣)].

ولعلَّ هذا الأمر استمر فيما بعد حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/منتصف القرن العشرين الميلادي كما شهد بذلك الشيخ سليمان بن سحمان حين قال: **«وقد آل الأمر إلى فعل أنواع المنكرات من بذلِ الفروج ثلاثة أيامٍ من كلِّ سنة في مولد أحمد البدوي ومشهده الذي في طنطا، وقدٍ حدَّثني بذلك شِفاهاً مِنْ شاهدَ ذلك؛ يخرجن الغواني جاعلين ذلك في صحائفه لِيَنالُوا بركته»**[(٤)].

المقصود؛ أنَّه كان يحصل عند مشهد البدوي من ذلك الفجور الشيء الكثير، كما يحصل عنده أمورٌ أخرى غير ذلك، وهو ما ذكره الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) هو الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. عالم فقيه سافر إلى الهند ومصر وغيرها لطلب العلم فبرع في ذلك. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٧٣٤ ـ ١٧٣٧).

(٣) انظر: إبراهيم آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان» (١/٢٣).

(٤) من رسالة الشيخ سليمان بن سحمان ضمن «الدرر السنيَّة» (٨/٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) عمّا شاهده بمصر[١]: «أنَّ رجلاً [في مصر] سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أرَ أكثر منه إلا في جبل عرفات، إلا أني لم أَرَهُم سجدوا لله سجدة قطّ، ولا صَلّوا مدة ثلاثة أيام. فقال السائل: قد تحمّلها الشيخ. وقال بعض الأفاضل: وباب الشيخ مصراعاه ما بين بُصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقّومه الزائر المعتقد وساكن البلد»[٢].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن أيضاً: «كلّ هذا رأيناه وسمعناه عنهم، وقد حدَّث الشيخ مصطفى البولاقي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[٣] أنَّ بعض رؤساء الجامع الأزهر عادَهُ لما اشتكى

---

(١) لأنَّ الشيخ عبداللطيف كان من ضمّن أهلَ (الدرعية) الذين رحَّلهم الأتراك العثمانيين عنها إلى مصر. وسيأتي الكتاب على حادثة الترحيل بالتفصيل في ملحق الفصل العاشر.

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣ ـ ٥٤).

(٣) مصطفى البولاقي: هو مصطفى بن رمضان بن عبدالكريم بن سليمان بن رجب بن عبدالعظيم بن عميرة البُرلسيّ البولاقيّ (أبو يحيى) الأزهري، (ت: ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م). فقيه مالكيٌّ مصري، أصله من (البرلس) من (غربية مصر)، كان خطيباً في (المشهد الحسيني) بـ(القاهرة). وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن أبيات شعر ردّ فيها على البولاقي، أوردها سليمان بن سحمان في كتابه «كشف غياهب الظلام» (٣٣٣). وانظر ترجمة البولاقي عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٩/٩٣ ـ ٩٥). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة ١٢٤).

* ومصطفى البولاقي شيخ لعبداللطيف بن عبدالرحمٰن وقد درس عليه الأخير يوم كان في مصر منفياً وأخذ منه بعض العلم. انظر: أبو الفيض عبدالستار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (١٠٣٨).

عينيه، وقال له: هلّا ذهبتَ إلى مولد الشيخ أحمد البدوي؛ فقد حُكِيَ أنَّ إنساناً شكا إليه ذهاب بصره، فسمع قائلاً يقول من الضريح: أعطوا عين كذا وكذا»[١].

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن أيضاً: أنَّه حدَّثه في مصر رجلٌ يقال له «الشيخ خليل الرشيدي[٢]؛ بالجامع الأزهر، أنَّ بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يُدَقّ وَتَد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي!!. قال فقلت له: هذا لا يكون إلا لله أو كلاماً نحو هذا. فقال: حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا»[٣].

لذلك كان غالب العامة هناك يرون أن البدوي يتصرّف بالكون، فهذا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ يوم كان مُرَحَّلاً إلى القاهرة يقول: «قد شافهنا جاهلٌ بمصر يقول: الذي يتصرَّف في الكون سبعة: البدوي والإمام الشافعي والشيخ الدسوقي[٤]، حتى

---

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٠ ـ ٥١).

(٢) خليل الرشيدي: مفتي الأحكام للفقه الحنفي، والذي كان يُدرِّس الفقه الحنفي للتلاميذ الذين يُعَدُّونَ للعمل كقضاة في الأقاليم، كان يدرسهم في «مدرسة الألسن» كتاب «الدرّ المحتار»، ويدرّس في الأزهر كتاب «ملتقى الأبحر». انظر ترجمته عند: أبو الفيض عبدالستَّار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (٨٦٩). وأحمد عزَّت عبدالكريم «تاريخ التعليم في مصر» (٣٣٧/١).

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣).

(٤) هو السيِّد إبراهيم الدسوقي، المولود سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م في مصر بقرية (دسوق)، تولَّى وظيفة شيخ الإسلام في عهد الظاهر بيبرس البندقداري. توفِّيَ سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م. انظر ترجمته عند: عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى» (٢٨٠/١ ـ ٣٠٩). وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٣٠٦/٢ ـ ٣٠٩).

أكمل السبعة من الأموات»[١].

ولم يكن ذلك فقط هو حال غالب العامَّة هناك في اعتقاد أنَّ البدوي يتصرّف في الكون، بل حتى غالب علمائهم يعتقدون ذلك، فقد ذُكِر في أحد تواريخ نجد عن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: «أنّه في حال لبثِهِ بمصر وَجَدَ فيها عالماً مُتَفَنِّناً، إذا أخذ يُعبِّر عن المسائل الأصولية والفرعيَة فكأنَّه البحر الذي لا ساحل له، فأُعجِبَ به الشيخ عبدالرحمٰن، وأبدى من إعجابه بذلك العالِم لرجلٍ من أهل الدين يثق به هناك، فأجابه ذلك الرجل بقوله: لا تَغتَرَّ بكلامه فإنَّه مُشرِك، وسأُطلِعُكَ على شِركِهِ إن شِئتَ.

فجَمَعَ بينهما وسأله كمسترشدٍ قائلاً: يا أستاذ؛ كم الذين يتصرّفون في الكون؟. فتكلَّمَ ذلك العالم المشار إليه بالتعظيم بأنْ قال: يا بُنيَّ، هُمْ سبعة؛ الله والبدوي والرفاعي[٢] والدسوقي وأبو العلاء[٣] وعبدالقادر الجيلاني، وسابعاً أسماه لهم، فأمَّا البدوي فلا يدخل مصر ذرَّة ولا يخرج منها ذرَّة إلَّا بإذنه.

فالتفتَ صاحب الشيخ عبدالرحمٰن إليه قائلاً له: احمدوا الله يا

---

(١) من تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على جوابٍ للشيخ عبدالله أبا بطين حول أبيات البردة، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١/١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) هو علي أبي الشباك حفيد أحمد الرفاعي ابن صالح أحمد محيي الدين بن العباس. انظر ترجمته عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١/٢٢٨). وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/٣٠٦).

(٣) هو حسين أبي عليّ المكنّى بأبى العُلا. انظر ترجمته عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١/٢٢٧). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (١/٢٧٦ ـ ٢٨٠).

أهل نجد على ما مَنَّ به عليكم من معرفة التوحيد»[١].

وعليه؛ فغالب العامة والعلماء هناك «قد جاوزوا [بهؤلاء المقبورين] ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى فيهم من تدبير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة ما لم ينقل مثله عن أحد من الفراعنة والنماردة»[٢]، **لدرجة أن من قَتَل أو ارتكب جريمة وجناية فاعتصم بضريح ولي فإنه لا يُمسّ ويُسامح تقديساً وحُرمة للولي صاحب الضريح.**

وهذا ما جرى للأمير خليل بيك القازدغلي (ت: ١١٧٣هـ/١٧٦٠م)[٣]، **حين طُورد من بعض الأمراء الأتراك في مصر،** فالتجأ القازدغلي إلى ضريح أحمد البدوي، فلم يَقتله الأمراء الأتراك إكراماً وتقديساً لصاحب الضريح[٤].

وانتشرت في مصر قصيدة للأديب عثمان بن محمد بن حسين الشمسي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)[٥] **في مدح البدوي، وهي مملوءة**

---

(١) إبراهيم آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان» (١/٢٢ ـ ٢٣).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٣).

(٣) الأمير خليل بيك القازدغلي: أصله من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي. تقلد الإمارة الصنجقية بعد موت سيده، وتقلد الدفتردارية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٥٠٣).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٥٠٣)، (٢١١).

(٥) عثمان بن محمد الشمسي: أديب مصري. له ترجمة عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٢٤).

بالشرك والانحراف العقدي الخطير، يقول في بعض أبياتها:

إليك إليك قد زاد احتياجي ... ومن ناداك يا بدوي فناجي
أنَخْتُ ظُعُون أسقامي وكربي ... لبابٍ كم له في الناس راجي
فيا بدوي يا قصدي وسُؤْلي ... ويا حامي الحمى يومَ العَجاجِ
دخيلٌ في حِماكَ وأنت غَوْثٌ ... وحاشى أن يخيب من يناجي
فأنقذه وسَلِّكْهُ طريقاً ... إلى التقوى بِعِزٍّ وابتهاجِ[١].

هذا وقد زاد من الغلوّ بالبدوي لدى غالب العامة ومدعي العلم هناك؛ أنهم يرون الأمراء والسلاطين الأتراك وأهل النفوذ يتسابقون في خدمة ضريح البدوي وبذل الأموال لخدمة ضريحه، ومن ذلك ما قام به الأمير علي بيك الكبير (١١٨٧هـ/١٧٧٣م)[٢] أنشأ عمارة عظيمة؛ وهي المسجد الجامع والقبة على مقام أحمد البدوي، وأنشأ المكاتب والميضأة الكبيرة والجنفيات العظيمة النافذة من الجهتين، وأنشأ هناك كثير من الحوانيت للتجار، وأوقف على الضريح أوقافاً كثيرة، ورتّب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين وجعل لهم خبزاً وجرايات وشوربة في كل يوم[٣].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٢٥)

(٢) علي بيك الكبير: أحد أمراء المماليك/ البكوات الأتراك التابعين للدولة العثمانية الذين تولوا حكمها. كان له الهيمنة على أراضي مصر كلها وأجزاء من البلاد الشامية. تناوش مع السلطات والعساكر العثمانية واستقلّ بمصر مدة. مات متأثراً بجراحه بعد معاطنة له مع مملوك عنده، فحُمِلَ ودُفِنَ في (القرافة الصغرى) بجوار الإمام الشافعي. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٥٩٦ ـ ٥٩٩).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٢٥)

ـ أضرحة آل البيت في القاهرة.

في القاهرة يوجد المشهد المقام عند القبة التي وضعت على ضريح الحسين رضي الله عنه؛ الذي أنشأه الفاطميون الشيعة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م على يد الصالح طلائع بن رزيك زمن الفائز بنصر الله الفاطمي الشيعي، وقد توالى على الاعتناء به الأكابر والأمراء في كل عصر بعمارته وزخرفته وإعلاء شأنه، وأوقفوا عليه الأوقاف الكبيرة[١]، ويصنع عند ضريح الحسين هذا من أشكال الشرك والفجور أنواعٌ منوّعة[٢].

وقد رُوِيَ «أنّ بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحجّ، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة، فاستقبلوا القبر وأحرموا، ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبةٌ في سيدنا الحسين!»[٣].

وفي القاهرة أيضاً مشهد السيدة نفيسة[٤]، وعليه بناءٌ عظيم،

---

(١) انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيَّة الظاهرة في خطط المُعِزِّيَّة القاهرة» (٩٣). وتقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٢/٤٠٥ ـ ٤٠٨). وعلي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات» (١٢٥ ـ ١٤٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٩٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٧٧).

(٢) انظر: رسالة لسليمان بن سحمان ضمن «الدرر السنية» (٨/٤٦٦).

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣).

(٤) مشهد السيدة نفيسة: كائن في جامع مشهور أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، وبداخله ضريحها. ومشهدها يُعرف في (درب=

ولها حضرتان في يوم الأحد والاثنين[١].

ويفعلون مثل ذلك وأكثر عند مشهد قبر السيدة زينب[٢] الذي بُنيت عليه قبة عظيمة يتمسّح بها الناس ويتبركون وَيَتَجَيَّرون[٣]، ويُعمل لها مولد من ٢٥ جمادى الثانية لغاية ١٧ رجب، ولها حضرتان يوم الأحد والأربعاء[٤].

وفي القاهرة أيضاً مشهد السيدة سكينة[٥] الذي بُنِيَ عليه جامع شهير هناك، وكان الأمراء والسلاطين يتنافسون على خدمته وتجديده[٦]، والناس هناك تقصده للزيارة والتبرك والدعاء، وتعمل به

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٨/١).

(٢) قبر السيدة زينب: داخل الجامع الشهير بالزينبي تجاه (قناطر السباع)، جدَّده الأمير علي باشا الوزير المتولي سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، ثم في سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م جدّده ووسعه الأمير عبدالرحمٰن كتخدا. انظر: علي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب» (٤٠). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٦/٣).

(٣) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٢١٥). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٦/٣).

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٨/١).

(٥) مشهد السيدة سكينة: أنشأه الأمير المأمون البطائحي وزير الآمر بالله الفاطمي الشيعي. وهو كائنٌ في (شارع الخليفة) في الطريق المؤدي إلى (القرافة الصغرى). انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيّة» (٩٥). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨/٢).

(٦) جدَّدَه الأمير عبدالرحمٰن كتخدا سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، ثم أجرى عليه الخديوي عباس باشا عمارة ضخمة. انظر: علي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب» (١١٥ ـ ١١٦). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٦٠/٢).

حضرة صوفية كل ليلة خميس ومولد كل عام ابتداءً من ٦ جمادى الأولى لغاية ١٣ منه[١].

- ضريح الإمام الشافعي.

وفي القاهرة أيضاً مشهد الإمام الشافعي الذي كان قبره كسائر القبور، **وبقي ساحة حتى جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي فبنى له تربة ومدرسة بجوار القبر على طرائق الصوفية**، ثمَّ تعاقب الملوك والسلاطين من بعده على تزيينه وتقديسه حتى زاد الاعتقاد فيه[٢].

وكانوا يرون أنَّه لا ينبغي لمن يدخل مصر أن يهمل زيارة قبر الإمام الشافعي، لأنَّهم يعتقدون فيه أنَّه صاحب التصريف التام بمصر؛ لذا تجد على قبره بناءً عظيماً ومسجداً وخانقاهاً وقوماً من المتصوفة يسكنون هناك، وقَيِّم المشهد لا يفارقه ليلاً ونهارا[٣]، وله أوقاف كثيرة، والأمراء الأتراك وذوي النفوذ من البكوات العثمانية يبذلون المال في تجديده وتزيينه[٤].

ويتخذ المتصوفة عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه أناس كثيرون يضيق بهم المسجد وأفنيته؛ ما بين فقراء وأمراء ورجال ونساء

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٧/١) (٦٠/٢).

(٢) انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٨٥١/٤) (٩١١ - ٩١٢). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (١٠٦/١ - ١٠٨).

(٣) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢٦١/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٩٩/١ - ٦٠٠).

يبيتون طول الليل عنده[١]. ويُعمل مولدٌ للشافعي عند قبره كلّ عام في غرَّة رجب لغاية التاسع منه، ويُعمل له حضرة كل يوم جمعة وليلة السبت[٢].

ضريح ابن الفارض والعفيفي البرهاني.

وفي القاهرة أيضاً قبر عمر بن الفارض، ويسمونه لسان المحبين، بُنِيَ على قبره بناء ومسجد، وهم يزورونه ويتبركون به ويتمسحون[٣]، ويَقْصده بالزيارة الخاص والعام، ويُصَلِّي جمع غفير من المتصوفة صلاة الجمعة في مسجده، وبعد الفراغ من صلاة الجمعة يجتمع الناس أكثر مما كان هناك، ثم يَقرَؤُون القرآن ويَدعُون بالأدعية البَدعِيَّة والذِّكْر المُحدث والتَّسبيحات التي لا أصل لها، ثمّ ينضمّ الناس بعضهم إلى بعض، فيقوم المنشدون واحداً بعد واحد ينشدون كلام ابن الفارض، ويبكون ويخشعون وينجون (من النجوى) ويتواجدون (من الوَجْدِ) وتدهم الأحوال لكل من يكون هناك؛ حتى أنَّ بعض المنشدين والمستمعين ربما صرخ ونزع ثيابه وخرج يدوس الناس هائماً على رأسه. ويقال أنَّ هذا المحضر في كل جمعة يكون كذلك[٤]. ويُعمل لابن الفارض مولدٌ من كل عام في ٢٠ شعبان لغاية ٢٣ منه[٥].

---

(١) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (١٩٢).

(٢) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٩/١).

(٣) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢٦٢/١).

(٤) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (١٩٧).

(٥) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٩/١).

وفي منطقة قصر الشوك[١] ضريح القطب الصوفي عبدالوهاب بن عبدالسلام العفيفي البرهاني[٢]، وُضِعَت عليه سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م قُبَّة معقودة، وعُمِلت له مقصورةٌ ومقامٌ من داخلها، وصُيِّرَ قبره مزاراً عظيماً يُقْصَد بالزيارة، يختلط به الرجال والنساء، ثم أُنْشِئ بجانبه قصرٌ عالٍ وسورٌ له رحبة متسعة دَثَروا بها قبوراً كثيرة، ثم ابْتُدِعَ له موسمٌ وعيدٌ في كل سنة يُدعَى إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية، وتُنْصَب عنده خيامٌ كثيرةٌ وصواوين[٣] ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصّهم وعَوامِّهم وفلّاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والراقصات والبغايا والقرَّادين والحواة؛ فَيَمْلَؤُونَ الصحراء والبستان، فيطؤون القبور ويوقدون النيران، ويصبّون عليها القاذورات ويبولون ويتغوّطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارا، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، وينصبون لهم خياماً أيضا، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل ويعتقدون أنَّ ذلك قُرْبَة وعبادة[٤].

---

(١) قصر الشوك: والعامَّة تسمي (قصر الشوك) باسم (قصر الشوق)، قال ذلك المقريزي في «الخطط والآثار» (٣٤٣/٢). ولا زالت العامَّة إلى يوم الناس هذا تسمّيه (قصر الشوق)، حتَّى أنَّ (الأديب نجيب محفوظ) عَنْوَنَ روايته الشهيرة باسم «قصر الشوق» لا «الشوك». و(قصر الشوك) هي اليوم حارة في (القاهرة القديمة) بالقرب من المشهد الحسيني. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٧/٢ ـ ١٨) (٧٥).

(٢) انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥).

(٣) صواوين: مفردها «صيوان»؛ وهي خيمة كبيرة من القماش. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (٦٢).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥).

ـ مشهد المرسي أبو العباس بالإسكندرية:

أما الإسكندرية؛ ففيها ضريح أبي العباس المرسي (ت: ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[1]، ويقصده بالزيارة جموع غفيرة من أهل الإسكندرية ومن بلدان كثيرة غيرها. ولأهل الإسكندرية اعتقاد بالمرسي كبير إلى اليوم[2].

وكان الناس يقدسون ضريحه غاية التقديس ويرون أنه من المتصرفين بالكون وأنّ له قدرة في التأثير والتدبير، وكانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه يحمي الإسكندرية ممن أراد العدوان عليها من البحر، وأنه يحرسها من كلّ سوء[3].

وكان الرحالة عبدالله العياشي قد واظب مدة إقامته بالإسكندرية سبعة أيام على زيارة قبر المرسي أبو العباس[4].

ولما حلّ الوباء في البحيرة[5] والإسكندرية، أنشد العياشي أبياتاً

---

(١) أبو العباس أحمد بن عمر المرسي: فقيه متصوّف من أهل (الإسكندرية)، أصله من (مرسية) في الأندلس. انظر ترجمته عند: يوسف بن تغري بردي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٣٧١/٧).

(٢) انظر: يوسف بن تغري بردي في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٣٧١/٧). وخير الدين الزركلي في «الأعلام» (١٨٦/١).

(٣) انظر: يوسف بن تغري بردي، المصدر السابق (٣٧١/٧).

(٤) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٤٧٦/٢).

(٥) البحيرة: محافظة ساحلية في الجزء الشمالي من مصر وعاصمتها (دمنهور). انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٢٠/٢ ـ ٢٣).

أُرسِلَت إلى خادم ضريح المرسي أبو العباس مع أحد أبناء الإسكندرية ليقرأها أمام قبر المرسي أبو العباس وهي من جملة قصيدة يتوسل فيها به من دون الله؛ أن يُذهِبَ عنهم كلّ بؤس ويكفيهم شرّ الوباء، يقول العياشي في بعض أبياتها:

ملاذي إذا ضاقت لكربتها نفسي ... وغوثي أبو العباس سيدنا المرسي

محبته ذخري لكل مُلمة ... وأمني في خوفي وفي وحشتي أنسي

عساه بفضلٍ منه يجذبني إلى ... هُداه ويحميني من الرجز والرجس

هنيئاً لمن قد زار قبرك سيدي ... وكان لأرض القبر بالوجه ذا لمس

فإني لستُ عن حماك بخارجٍ ... وإن كنتُ في أقصى المغارب ذا نحس[1].

وهذا المرسي أبي العباس هو الذي كان يقول: «لو كُشِفَ عن حقيقة الولي لَعُبِدَ»[2]، معلناً بصريح العبارة: **أنَّ للولي بعض الصفات الإلهية التي توجب على مريديه ومعتقديه تقديسه. فتأمَّل.**

- تقديس الأحياء من مشايخ الطرق الصوفية في مصر:

لم يقتصر أهل مصر على تقديس الأموات فقط، بل قدَّسوا حتى الأحياء الذين يصفونهم بالأولياء؛ ذلك أنَّ مصر إبَّان العصر العثماني تكدَّسَت فيها فرق المتصوفة وطوائف الفقراء الدراويش، واكتظَّت شوارعها بمواكبهم والبيوت بولائمهم والمساجد والزوايا باجتماعاتهم وانتشر شيوخهم وأتباعهم في الريف والحضر وتغلغل نفوذهم في المدن وشاع في الأقاليم والقرى، وامتدَّ سلطانهم إلى مختلف طبقات

(١) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/٢٣ ـ ٢١٤).

(٢) نقله عنه الصوفي المصري عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى» (٣٧٨).

الشعب وأقام في صدورها عرشه، وتسرَّب إلى قصور الحكام العثمانيين في مصر فَعَبَثَ بالقوانين واستَهانَ بالرأي العام فتَخَطَّى أبسط مبادئ العرف واستَعلَى على الدين فاستباح الخروج على قواعده وتعاليمه، فأضحى أولئك المتصوفة فوق قواعد الدين ومقتضيات العرف وقوانين الدولة.

لقد كان الناس في شتى الطبقات يحيطونهم بالعطف والتأييد، فصار يَخِفّ إلى زواياهم مئات المريدين وألوف الأتباع، وفاضت عليهم خزائن الأغنياء والأثرياء وسعى إليهم عطف الحكام والأمراء الأتراك العثمانيين، ولازمهم النصر في أكثر المعارك التي أثار عثيرها في وجوههم العلماء والفقهاء، وتوفَّر لهم عند المريدين سلطان لم يتوفر لحاكم تحبه عشيرته وتطيعه جنوده، أو لعالم يجله تلاميذه وطلابه؛ وما كان - في عرف أولئك المتصوفة - الجندي الذي يتمرد على قائده ساعة المحنة بأشد خيانة وأعظم جرماً من المريد الذي يسيء الظن بشيخه أو يتردد في امتثال أمر تلقَّاه عنه، ولو يقضي بطلاق زوجه وفراق أولاده أو يمنعه عن أداء أمر من أوامر الدين من فروض وواجبات وحتَّمه من شعائر وعبادات[1].

ومن صور ذلك أن المتصوِّف آنذاك إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله عديدهم وسدُّوا طريقه وانهالوا على يديه وقدميه لثماً وتقبيلا، وممن كان خروجه إلى الشارع يثير هذا الضجيج السيد محمد بن علي البكري (ت: ٩٩٣هـ/١٥٨٥م)[2]، **مصريٌّ صوفيّ، غلا فيه الناس هناك حتى قالوا:**

---

(١) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١٠٨ - ١٠٩).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري. من=

«لولا أنَّ باب النبوة سُدَّ لاستدلَّيْنا بما نسمعه منه على نبوته»(١).

كان البكريُّ إذا قام من مجلس جلس فيه للتدريس بالجامع الأزهر أو غيره؛ تقدَّم الناس لتقبيل يده والتبرك بدعائه والتَّيَمُّن بالقرب من موضعه، وكان الازدحام يقع بينهم حتى ليسقط بعضهم تحت أقدام الناس، وكان يحيط به جماعة من الجند الأتراك العثمانيين وغيرهم يحلّقون على حضرته بأيديهم خوفاً عليه من أذى الازدحام، وربما أخذ أحدهم بيده الشريفة وهي ممدودة لتقبيل الناس لطول زمن مَدِّها لهم؛ إذ كان يَمُدّها لهم بعد دَرْسِهِ نحواً من ساعة، ثم يسير إلى جهة دابَّتِهِ والنَّاس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها(٢).

وكان الناس في مصر آنذاك يعتقدون في البكري أنَّه من المتصرفين بالكون وأنَّ له تأثيراً وتدبيراً في الحوادث؛ ومن ذلك ما ذكروه عنه: أنَّه لما نقص نهر النيل في بعض السنين قال لعبده الحبشي مندل: انزل يا مندل قل للبحر: يقول لك الشيخ أبو الحسن البكريّ: زِد، أو نحو هذه العبارة. فقال العبد كما أمره، فما مضت

= كبار متصوِّفَة مصر. شاعر. وحيثما أطلق في كتب التواريخ أو المناقب أو الطبقات اسم القطب البكري أو البكري الكبير أو سيدي محمد البكري فهو المعنيّ. وهو صاحب الحزب المعروف بـ«حزب الفتح» الشهير بـ«حزب البكري». انظر ترجمته عند: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (٥٣٤ ـ ٥٥٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/٦٠ ـ ٦١).

(١) نقله عنهم: عبدالقادر العيدروس في «النور السافر» (٥٣٥). وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (١٠/٦٣٢).

(٢) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (٥٣٦).

ساعة يسيرة إلا وقد ظهرت فيه زيادة كثيرة[(١)]. هكذا يتداولون تلك الخرافات على أنها كرامات له.

وهذا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ يوم كان مُرَحَّلاً إلى مصر، قال: «أهل الغلوّ والشرك ليس عندهم إلا المنامات والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض، كما قال لي بعض علماء مصر: إنَّ شيخاً مشى بأصحابه على البحر فقال: لا تذكروا غيري. وفيهم رجلٌ ذَكَرَ الله فسقط في البحر، فأخذ الشيخ بيده وقال: ألم أقل لكم لا تذكروا غيري؟»[(٢)].

ولهذا كان جمهرة من الناس في مصر تخاف سلطان مشايخ الطرق الصوفية، وتخشى إنْ أساءت إليهم أن ينالها أذاهم ويصيبها تصريفهم، فكفَّت عن سوء الظن بهم واستنكار أفعالهم، وذلك وحده كفيل بتخليص أرباب الطرق من قيود العُرف وتحرير شهواتهم من عقائد الدين، ومن أشهر أولئك: الشيخ السادات (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)[(٣)] **الذي جدَّ في تحصيل الأسباب الدنيوية وما يتوصّل به إلى كثرة الإيراد بحسن تداخل وجميل طريقة، وكان يراسل**

---

(١) انظر: المصدر السابق (٥٥٠).

(٢) من تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على جوابٍ للشيخ عبدالله أبا بطين عن أسئلة حول أبيات البردة، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١/١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) هو شمس الدين محمد أبو الأنوار المعروف بابن العارفين. من السادات الوفائية بمصر. سيّء السمعة من جوانب الاستيلاء على أموال الغير والتملق لذوي السلطان باستغلاله لنسبه وطرقيته الصوفية. وكان له المواقف المخزية لمصانعة الفرنسيين يوم احتلوا مصر بحملتهم الشهيرة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار» (٤/٢٩٣ ـ ٣٠٩).

ويشاحح على أدنى شيء ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر، وحصل أن أَحْدَقَ به الطلاب والمشايخ وأرباب الطرق والعامة والدهماء، فأكثروا التردداد عليه وعلى موائده وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعاً في صِلاتِهِ وجوائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء الأتراك العثمانية والأكابر، وزاد هو وجهاً ووجاهة بمجالستهم، فازداد كِبْراً وتيهاً، وبلغ به أنَّه لا يقوم لأكثرهم إذا دَخَلَ عليه، ومنهم من يدخل عليه بغاية الأدب فيضمّ ثيابه ويقول عند مشاهدته: «يا مولاي يا واحد» ، فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين؛ حَبَا على ركبتيه ومدّ يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه، وأما الأدْوَن فلا يقبل إلا طرف ثوبه، وكذلك أتباعه وخدمه وخواصه.

وأفنى غالب عمره في تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجواري والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتأنُّق في المآكل والمشارب والملابس، وتعاظم في نفسه وتعالى على أبناء جنسه.

وكان له أطيان وأفدنة احتازها وشغَّل فيها الفلاحون، وكان يفرض على هؤلاء المساكين الزيادات ويحبسهم عليها شهوراً ويضربهم بالكرابيج؛ فصار كبيت الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس، وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضوه في شيء بل يوافقوه، ولا يتكلمون معه إلا بميزان وملاحظة الأركان، ويتأدبون معه في ردّ الجواب، وغير ذلك من المبالغات.

وحصل مرة أنَّه حضر صلاة الجمعة في الجامع الأزهر فأنشأ خطيب الجامع حسين المنزلاوي خطبة أطراه فيها وغلا فيه إلى حد تجاوز العقل، حتى أنَّ عبدالرحمٰن بن حسن الجبرتي

(ت:١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)[١] سمع أحدهم يقول بعد الصلاة: «لم يبق على الخطيب إلا أن يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا الشيخ السادات»[٢].

وسرى تقديس أهل مصر لأولئك المشايخ الصوفية إلى من يفدون إلى مصر من خارجها، ومن ذلك أنَّه أشيعت عند المغاربة عن الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)[٣] **في مصر، أنَّه إذا وفَدَ أحد هؤلاء المغاربة إلى مصر حاجّاً ولم يَصِلْهُ بشيء، لا يعتبر حجّه كاملاً!. وكانوا أيام الحج محتشدين ببابه منذ الصباح حتى المساء، وكان بعضهم يحمل إليه استفتاء من علماء بلده وأعيانه، فإن ظفر بقطعة ورق ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة، ورأى أن حجَّهُ على هذه الهيئة هو حجٌّ كاملٌ مقبول، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وأحاطه باللوم أهل بلاده**

---

(١) هو مُؤَرِّخُ مصرَ ومُدَوِّنُ وقائعها وسِيَر رجالها في عصرِهِ، ومفتي الحنفية وقت محمد علي باشا. ذهب بصره لكثير بكائه على ولدٍ لَهُ قُتِل، ولم يَطل عَماه؛ فقد عاجلته الوفاة مخنوقاً. انظر ترجمته عند: الأب لويس شيخو اليسوعي «تاريخ الآداب العربية» (٢٠ ـ ٢١). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/٣٠٤).

(٢) انظر عبدالرحمٰن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار» (٤/٢٩٦ ـ ٢٩٧) (٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٣) هو محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، الملقَّب بـ(مرتضى الزبيدي). عالمٌ باللغة والحديث والرجال والأنساب. من كبار المصنّفين. أصله من (واسط) في العراق، ومولده في الهند في (بلجرام)، ومنشأه في (زبيد) باليمن، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر. وهو صاحب «تاج العروس في شرح القاموس» و«شرح الإحياء للغزالي». توفي بطاعون مصر سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٠٣ ـ ٣٢١).

ودامت حسرته إلى يوم ميعاده![١].

وتقديس أولئك المتصوفة لم يكن مقصوراً على عوام الناس وأشياخ البلد والدين، بل إنَّه ليمتد إلى الأمراء والسلاطين والنواب الأتراك وذوي النفوذ والمكانة، مثل أمراء الدولة العثمانية ونوابها في مصر؛ فهذا الأمير يوسف بن أصبع اعتقد شيخاً من مشايخ المتصوفة في الريف المصري وصار يقبّل يده ورجله ويعمل له مولداً كل قليل ويدعو الناس إلى مولده ويَتَشَوَّش ممن يتخلَّف عن الحضور[٢].

ومما يدلّك على مدى نفوذهم وسلطانهم الروحي عند ذوي النفوذ والسلطة في مصر آنذاك؛ أنَّ الضرائب الفادحة التي فرضها العثمانيون الأتراك على المصريين، بالرغم من قساوتهم في تحصيلها، إلا أنَّ حكَّام الترك كانوا يعفون مشايخ الطرق الصوفية في أكثر الأحايين من أخذ الضرائب.

شهد على ذلك شاهد عيان؛ وهو عبدالوهاب الشعراني (ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م)[٣] حيث قال: **إنَّ من نعم الله عليه حماية جميع أوقاف زاويته من ظلم الحكام في مصر والريف، فلا يعارضه ولا يعتدي عليه أحد قَطّ رغم أنه لا يحمل مرسوماً من السلطان لحمايته**[٤].

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٩/٢).

(٢) انظر: عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن» (٣١٩).

(٣) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (نسبة إلى محمد بن الحنفية). وهو من كبار المتصوفة بمصر. انظر ترجمته عند: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٣٩٢/٣ ـ ٣٩٦).

(٤) انظر: عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن» (٧٠٥ ـ ٧٠٩). وتوفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١١٦ ـ ١١٧).

بل إن الكثير من جنود السلطان العثماني بمصر كانوا يرسلون لعبدالوهاب الشعراني في رمضان أصناف من أطباق الكنافة المبخرة المنثور عليها السكر والفستق، إكراماً لمكانته الصوفية لديهم(١).

ومن صور نفوذ المتصوِّفة عند الحكام الأتراك العثمانيين بمصر، أن الشيخ البكري الكبير كان ملحوظ العناية عندهم، فكانوا يهادونه ويكاتبونه، وللسلطان العثماني سليمان القانوني مزيد عناية به، حتى أنه أطلق المرتبات الخاصة له ولذريته من بعده(٢).

وهذا الصوفيّ إبراهيم الكلشي العَجَميّ (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م)(٣) **الذي دخل مصر زمن الاحتلال العثماني، كان الجنود الأتراك العثمانيون يتهافتون عليه لعظيم اعتقادهم فيه، حتَّى أنَّهم يقتتلون على شرب الماء الذي بقيَ من غسيله في الحمام**(٤).

وهذا الصوفي المصري شاهين الدمرداش (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م)(٥) **كان نواب مصر العثمانيون وأمراؤها الأتراك**

---

(١) انظر: عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن» (٢٤٧).

(٢) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبان العصر العثماني» (١١٨ ـ ١١٩).

(٣) إبراهيم الكلشي العجمي الصوفي، نزيل مصر، كان في (تبريز) عند متصوفتها الأعاجم يأخذ منهم طريقتهم الصوفية، ثمَّ دخل مصر مع الاحتلال العثماني التركي، فحصلت له شهرة. انظر: ترجمته عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٣٣٣).

(٤) انظر: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٣/٣١٤ ـ ٣١٥).

(٥) هو شاهين بن عبدالله الجركسي من متصوِّفَة مصر، ذهب لأخذ طريقة متصوفة (تبريز) العَجَم، ثمَّ عاد إلى مصر زمن الاحتلال العثماني فعلت مكانته في مصر. انظر ترجمته عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٤٣٣ ـ ٤٣٤).

شَدِيدِي الاعتقاد بولايتِهِ، ويتدافعون على تقبيلِ يدِهِ فلا يلتفت إليهم ولا يَعبأ بهم»[١].

وكان الصوفيّ محمد المرزناتي (ت: ١٠١٤هـ/١٦٠٥م)[٢] قد اشتهر بالتعويذات، فراج حاله عند الأتراك العثمانيين في مصر بسبب اعتقاد المتقدمين منهم بذلك، ونال بسبب ذلك وظائف ومعاليم كثيرة[٣].

والغريب أن يحدث ذلك في وقتٍ كان الضنك والضيم يتمشى في مصر طولاً وعرضاً إبان الحكم التركي العثماني، ومع ذلك تستجيب الدولة العثمانية لمطالب مشايخ الصوفية الطرقية في إعفاء القرى التي بحوزتهم من دفع الضرائب وطلب الأموال لتعمير الزوايا الطرقية والإنفاق على مجاوريها وإغداق الأموال على أشياخها وخصّهم بالوظائف والمعاليم[٤].

ولا بأس من التنبيه على أنَّ المصادر التي أمدَّتنا بتلك الأخبار عن هؤلاء الطرقِيَّة قد كَتَبَ أكثرها كُتَّاب يؤمنون بولايتهم وكراماتهم، فإنَّ الذين أمدّونا بأخبار تلك الحوادث يذكرونها في معرض تمجيدهم لأولئك المتصوِّفة وإعلان الإعجاب بهم، فلم يُمْلِها عليهم حقد ولا

---

(١) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١٦٤).

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد، ينتهي نسبه إلى إبراهيم بن أدهم. انظر ترجمته عند: محمد أمين المحبي «خلاصة الأثر» (١٥٩/٤).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبان العصر العثماني» (١١٨ ـ ١١٩).

حسد ولا غير ذلك مما يجور على الحق ويغير معالمه(١).

ـ بدعة محمل كسوة الكعبة وما يصاحبها من الشركيات والخرافات:

ومن مظاهر الابتداع في الدين بمصر آنذاك، ما أحدثه أهل البدع فيما يسمّى «المحمل»؛ وهو الذي يحمل الكسوة التي تخاط وتجهّز في مصر لتُرسَل إلى الكعبة المعظَّمة.

ويشهد بذلك شاهد عيان أنَّه: «حين يبلغ النصف من شوال، يخرج المحمل الخروج الأول؛ وذلك يوم يؤتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصنعة، فيجيء بالجمل الذي يحمل المحمل، وعليه المحمل؛ وهو قبة من خشب رائقة الصنعة بخرطٍ متقن وشبابيك ملوَّنة بأنواع الأصباغ، وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوّص بالذهب، ورقبة الجمل ورأسه وأعضائه محلّاة بجواهر منظَّمة أبلغ نظم، وعليه رسن محلّى بمثل ذلك، والجمل في غاية ما يكون من السُّمْنِ وعِظَم الجُثَّة وحُسن الخِلْقَة، مُخضَّبٌ جِلْدَه كلّهُ بالحنَّاء، يقوده رجل، وعن يمينه وشماله آخر، ويتبعه جملٌ آخر على مثل صفته، ثمَّ يُؤتى بالكسوة المشرَّفة ملفوفة قِطَعاً قِطعا، يحملها رجال على رؤوسهم،

---

(١) راجع إن شئتَ كتابات من يؤمن بذلك ويتحمس له من المتصوفة الذين أرَّخوا لتلك الحقب والفترات، أمثال: عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى». ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية». وابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب». وعبدالقادر العيدروس «النور السافر». والسيد محمد الشلّي «السناء الباهر». ومحمد أمين المحبي «خلاصة الأثر». ومحمد خليل المرادي «سلك الدرر».

والناس يتمسَّحون بها ويتبركون، ثمّ يُمَرّ بكل ذلك بين يدي الباشا والأمراء، ويقومون لها إذا مرَّت بهم تعظيماً، ثمّ يذهب بها حَمَلَتُها ويمرّون بها وسط السوق، والناس يتمسَّحون بها، حتى يبلغوها إلى المشهد الحسيني؛ لتُنشَرُ في صحن المسجد وتُخاط هناك»(١).

«وإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة؛ وهذا اليومَ هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة، ويجتمع له الناس من أطراف البلد، ويؤتى بكسوة البيت من موضع خياطتها، وتُجعل في المحال التي تُحمل فيها، ويجتمع الأمراء والجند جميعاً على الهيئة المتقدمة في الخروج الأول، إلا أنَّ هذا أتمّ احتفالاً وأكثر جمعا، ثمَّ يمرّ بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلي الشوارع، وتتعطّل غالب الأسواق في ذلك اليوم الذي هو عندهم من أعظم أيام السنة»(٢).

ويمشي في موكب المحمل رسوم الجنود وصبيان القصور وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف ومن له عمامة خضراء، فيكبِّرون ويهللون بأعدادٍ غفيرة، ويتجمَّع أرباب الطرق الصوفية الذين يمشون على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخِباطِهم وخِرَقِهم وخَوَرِهم وصياحهم(٣).

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/٢٦١ ـ ٢٦٢) باختصار.

(٢) المصدر السابق (١/٢٦٤ ـ ٢٦٥) باختصار.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٢).

الحاصل؛ أنَّ المزارات كثيرة ومظاهر البدع وأشكالهاغزيرة لا تحصى في مصر في تلك الفترات، ومشاهد القبور التي تعبد من دون الله هناك لا حصر لها، والموالد التي تقع فيها الخلاعات ممن يقوم بها من متصوفة لا يمكن عدّها في ذاك الزمن في تلك البقاع، وتقديس الأموات والأحياء عندهم أشكالها كثيرة لا يمكن احتواؤها، والمظاهر البدعية والطرائق الشركية منتشرة انتشاراً كبيراً لا يمكن تفصيلها عندهم في تلك الفترة التي يعتني البحث بدراستها[١].



(١) لم أتطرّق إلى الشرك في بلاد المغرب العربي وبلاد السودان لأنَّها خارج محيط جزيرة العرب، ولم يكن لها أثر وتواصل قوي بجزيرة العرب كالذي للعراق والشام ومصر.



الفصل الرابع

الدعوة من حريملاء إلى ميثاق الدرعية/ وإصرار آل سعود على نصرة الشيخ رغم ما أحاط بالدرعية من مخاطر.





مقدمة مهمّة

لقد رأيتَ ما مرَّ معكَ موثَّقاً في الفصول السابقات؛ كيف هيمنت مظاهر الانحراف العقدي على جزيرة العرب كُلّها ومحيطها كُلّه، وكيف انتشرت الخرافة والجهالة بين أفرادهم وجموعهم ومجتمعاتهم، حتّى بلغت بلدانهم من التضعضع أعظم مبلغ ومن التَّدنِّي أعمق دَرَكَة، فارْبَدَّ جَوُّها وطَبَقَت الظُّلْمَة كلّ صَقْع من أصْقاعِها ورَجَاً من أرجائِها؛ فأصبح الدين مَغْشِيَّاً بغاشية سوداء، وأضحت الوحدانية التي علَّمها صاحب الرسالة الناس ملبَّسَةً بسَجفٍ من الخرافاتِ وقشورِ الصوفية، وغَدَت المساجد خلوّاً من أرباب الصلوات، وأمسى عديد الأدعياء الجُهَلاء وطوائف الفقراء الصوفية والدراويش المساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسِّبْحات، يوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويزيِّنون لهم تقديس القبور ودعاء دفنائها[(١)].

فالذي مَرَّ مسنداً موثَّقاً في الفصول السابقة؛ إنَّما هو «**قطرة سردناها ليُعلَم ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة، وإلَّا فإنَّ جميع سكان البسيطة ـ إلا من أنقذ الله ـ قد مسَّهُم المرض المُضْني وعَمَّهم الداء العضال، وإن تفاوتوا في الإيغال والإغراق في هذه**

---

(١) انظر: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠).

الضلالة؛ فكلٌّ - إلا ما شاء الله - قد أخذ بحظِّهِ وشارك في أصل المعنى؛ من تعليق أمرهم بسكان القبور في جملة أمرهم، أما تفاصيلها فغير مقدورة»[١].

«فصنع المقابرية - الذي مرَّ لك منه ما تفاحش نُكرهُ - هو الذي سلكه الوثنيون حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، وتبعوا آثارهم فيه حرفاً بحرف وخطوة بخطوة، ودخلوا الجحْرَة التي دخلوها وولجوا الأبواب التي ولجوها»[٢].

لكن، وبالرغم من قتامة الصور التي مرَّت عليك آنفاً، ورغم بؤس الحالة التي قرأتها سابقاً؛ فإنَّ التاريخ يعلِّمنا بأنَّ الانحرافات والخرافات والجهالات مهما طغت بشكلٍ من أشكالها ومهما حاولت بصورة من صورها أن تزحزح مفهوم الإسلام الحقيقي عن مكانه، فإنَّ الله يُقيِّض لهذه الأمة من يُجَدِّد لها أمر دينها؛ حتى ينقشع سحاب الانحراف وتتقشَّع غيوم الخرافة وتَتَبَدَّد ستائر الجهالة، فيظهر وجه الإسلام مشرقاً ويعمل به من أُريدَ له خيراً بفقهٍ وفهمٍ سليمٍ، فمن يرد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدين[٣].

لقد علَّمنا التاريخ؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى يَمُنُّ على عباده أن يُوجِد في كل زمان فترة «أئمة هدى يدعون الناس إلى الصراط المستقيم ويرشدونهم إلى الطريق القويم، يبصِّرون بكتاب الله أهل العمى ويصبرون منهم على الأذى، وينفون عن كتاب الله وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم انتحال

---

(١) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٨٢).

(٢) المصدر السابق (٢١٥ - ٢١٦).

(٣) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنّة» (١٤٠).

المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين، ويشرحون لهم حقيقة الدين ويكشفون لهم الشُّبَه بواضحات البراهين.

وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين والدعاة المصلحين الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي؛ فلقد شرح الله صدره لمعرفة حقيقة الإسلام وما دعا إليه سيد ولد عدنان ﷺ من الهدى ودين الحق، في عصرٍ استحكمت فيه غربة الإسلام وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات وعبادة الأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار، وقلَّ فيه من يصدع بالحق ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بَعَثَ الله به الرسل وأَنزَل به الكتب، ويحذّرهم من أنواع الشرك المنافية لدين الإسلام»[١].

فبفضل الله الذي أَظْهَرَ هذا الإمام، وفضل الله الذي هَيَّأَ قيام الدولة السعودية الأولى التي انتصرت لدعوته؛ محى الله شعار الشرك ومشاهده، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوتهم منهاج الشريعة والسنن[٢].

فإذا تمهَّد هذا؛ فسآتي على ذكر حياة هذا الإمام المجدِّد وكيف بدأت دعوته إلى الله، وكيف آزرته تلك الأسرة المباركة وانتصرت له وآوته وساندت دعوته، رغم ما تعرَّضت له بلدتهم الدرعية من العداء الذي أعلنته بلدات أقوى من بلدتهم، ورغم تواطؤ المناوئين ومحاصرتهم الدرعية، ورغم تخاذل من تخاذل عن معاونة آل سعود

---

(١) من مقدمة الشيخ عبدالعزيز بن باز لكتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية» لأحمد آل أبو طامي (ص: ٧) باختصار.

(٢) انظر: سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد» (١٤).

وتنكّر من تنكّر لفضلهم، ورغم انتهاض القوى الكبيرة لحربهم من جهاتٍ ثلاث.

فعلى الرغم من كلّ تلك المخاطر التي أحدقت بالدرعية من كلّ جهة، فإنَّ آل سعود لم يتركوا الشيخ الذي لجأ إليهم، بل أصرُّوا على إيوائه وتواصوا على حمايته وتتابعوا على مناصرة دعوته، فأكرمهم الله بعلوّ الذكر والحكم القوي.

بالضبط كما في وصف الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يوم ذكر تلك الأخطار المدلهمة التي أحاطت بالدرعية يوم انتصر آل سعود للشيخ، إذ قال الإمام عبدالعزيز بالنصِّ: «**وأنا أصف لك شيئاً من الحال؛ فإنَّ مبتدأ الأمر: رجل**[1] **حادقينه الناس ومعادينه، واليوم دولته ما تقصر عن ألف مبندق**[2] **وعشرة آلاف فارس، وكلّ من تبين على هذا الحقّ بعداوة؛ كسره الله وأزال دولته وأرى فيه العجائب**»[3].

والقصد من وضع هذه التقدمة التاريخية؛ هو الاعتبار بما جرى لأهل هذه الدولة المباركة وتلك الدعوة السلفية من النصر والتأييد والظهور على قلة أسبابهم وكثرة عدوهم وقوته، حتَّى بلغ مُلْك هذه الدولة حدود البلاد السورية وتهامة الجنوب وبعض البقاع العمانية، وصارت الكِلْمَة الأولى لأهل هذا البلد وأهل هذه الدعوة، وصار كلّ من تحت أيديهم في أمن وأمان. ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار مع ما

---

(١) يقصد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) يعني: حاملٌ للبندقية.

(٣) من رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن: «الدرر السنية» (٢٨٣/١).

وقع بمن حاربهم من الخراب والدمار، واستيلاء أهل التوحيد على ما كان لهم من العقار والديار[١].

وبعد. إليك أيُّها القارئ ترجمة هذا الإمام المجدِّد، ملحقٌ بها تاريخ دعوته، وتاريخ تلك الدولة السعودية الأولى العظيمة، منذ نشأتها حتى سقوطها علي يد الأتراك العثمانيين، ببحثٍ مفصلٌ بفصول سبعة قادمة، والله المستعان.



(١) انظر: سليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٢٧ ـ ٢٨).



موجز حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

في هذه الأيام المظلمة والأحوال السيئة التي أوردنا لك شيءٌ من حوادثها في الفصول السابقة؛ فَتَحَ محمد بن عبد الوهاب[١] عينيه؛ سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م، في بلدة العيينة، عند أسرة بادية الثراء وبيت معروف بالعلم؛ فكان جده سليمان بن على بن محمد (ت: ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)[٢] **من أشهر علماء عصره وكان مرجعا لهم، وله كتاب مشهور في المناسك، والحنابلة في الغالب يعتمدون على هذا الكتاب في باب المناسك**[٣].

---

(١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريِّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شدَّاد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي أسود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال الشيخ عبدالله البسَّام في «علماء نجد» (١/١٢٥): «إلى هنا يقف ثقات الرواة، وهذا النسب إلى عقبه منقول بالتواتر من خطوط علماء الوهبة المعتبرين المُجْمَع على علمهم وثقتهم واطلَّاعهم».

(٢) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٤١٣ ـ ٤١٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢٠٨). وعبدالرحمن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٦).

كما كان عمه إبراهيم بن سليمان (ت: ١١٤١هـ/١٧٢٩م) عالما جليلا أيضا[١]، وابنه عبد الرحمٰن (ت: ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) كان فقيها وأديبا[٢].

ووالد الشيخ وهو عبد الوهاب بن سليمان (ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)[٣] **كان ذا باع طويل في الفقه، وبقي قاضيا مدة طويلة في العيينة** ثم حريملاء، وسليمان بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م)[٤] **أخو الشيخ محمد كان عالماً كذلك مشهور معروف.**

* نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

كان محمد بن عبد الوهاب منذ نعومة أظفاره بارزا في الذكاء ومتفوقا في قوة الحفظ، حادَّ الفهم سريع الإدراك، فما كاد الشيخ عبد الوهاب يرى ولده محمد يحسن الكلام حتى أخذ في إقرائه القرآن الكريم وتعليمه القراءة والكتابة، فرأى الوالد من ولده ما أدهشه من سرعة حفظه وَتوقُّدِ ذِهْنِهِ وحِدَّةِ ذكائِهِ.

أَتَمَّ حفظ القرآن قبلَ بلوغه السنة العاشرة، وجلس في مجلس والده يتلقى علوم التفسير والفقه والحديث، فبزَّ تلاميذ والده الذين كانوا أكبر منه سِنًّاً وأَسْبَقَ منه إلى الطلب، وكان فوق ما يتلقى على

---

(١) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٣١ - ٣٣).

(٢) انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٤٧).

(٣) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٤) انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٢/٣٥٠ - ٣٥٧).

والده من الدروس يقرأ وحده فيما كانت تصل إليه يده من كتب العلم والدين؛ حيث كان يُكثر من النظر في كتب الإمامين: ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم، وقد أفاد منها، بل تأثَّر بها كثيراً[١].

ثمَّ إن الله جعل له نهمة في مطالعة كتب التفسير والحديث، كما جعل له من قوة ذكائه وحدَّة ذهنه عوناً كبيراً على تدبر القرآن الكريم حين كان يقرؤه مجرداً عن التفسير ويتلوه للذكر والموعظة[٢].

ومن شدة إعجاب والده عبد الوهاب بذكاء هذا الولد الطامح ومواهبه، قال: إنه استفاد من ذكاء ابنه البارع وسعة اطلاعه أيام تدريسه، حتى أنَّه كان يقدمه للإمامة مع صِغَرِهِ[٣].

زَوَّجَهُ أبوه وهو صغير السن، ثم أدى الشاب محمد بن عبدالوهاب فريضة الحج وأقام شهرين في المدينة النبوية، رجع بعدها إلى العيينة واشتغل في طلب العلم من والده، ونسخ المذكرات والكتب العلمية حتى إنه كان يكتب عشرين صفحة في جلسة واحدة[٤].

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢٠٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣). وجواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٣٧٥).

(٢) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣).

(٣) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٣٧٥).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢٠٩). وسليمان بن سحمان «الأسنَّة الحداد» (١٥).

* بدء طلب الشيخ للعلم، وتأثُّره بما حلّ بالعالم الإسلامي من انحرافات عقدية.

كانت القدرة الإلهية قد وهبت الشاب محمد بن عبد الوهاب قلبا مرهف الحس شديد التأثر، وكان يتألم أشد الألم لما يرى حوله من بؤس حال القرى والمدن النجدية، وحال العلماء السَّيِّئ فضلا عن العوام، فلاحظ الشاب محمد بن عبد الوهاب أنَّ عاصفة هوجاء عَصَفَت بشدةٍ على عقيدة الإسلام لتُغيِّر معالمه وتنقل الأشياء من أماكنها وترمي بها حيث وقعت، فتغيَّرَت بسبب ذلك مفاهيم كثيرة، فالتبس الأمر على الناس في أبوابٍ كثيرة ومسائل عديدة وحَدَثَت في الإسلام بدعٌ ليست من الإسلام في شيء[(١)].

فرأى الشيخ أنَّهُ لا بدَّ من إعداد العُدَّة للقيام بالتجديد وإعادة الأمور إلى وضعها الصحيح على ما كانت عليه قبل العاصفة، ورأى فيما رأى أنَّه لا بُدَّ من الازدياد في العلم والمعرفة وسعة الاطلاع والاتصال بالعالم المعاصر ومعرفة الأوضاع العامة للعالم الإسلامي، فقرَّرَ الخروج في رحلةٍ علميةٍ طويلةٍ قد تشمل بعض البلدان العربية[(٢)].

كان الشاب قد تشرف بحج بيت الله الحرام، كما مرَّ قبلاً، وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه؛ فحينما بلغ الشاب الطامح العشرين من عمره خرج يجول ويصول في الفيافي طلبا لنيل العلم، فتوجه إلى الحجاز[(٣)].

---

(١) راجع ما ذُكِرَ في الفصول الثلاثة السابقة.

(٢) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٠). ومسعود الندوي «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم» (٣٩ ـ ٤٠).

هكذا بدأ الشيخ محمد رحلته بداية مباركة موفَّقة؛ حيث بدأ بالمسجدين الشريفين المباركين، فقد خرج حاجًّا للمرة الثانية إلى مكة، فحجَّ البيت[١] وأدى نسكه وقضى تفثه وأشبع روحه من مناسك الحج ومشاعره، ثم انقلب يشبع نفسه من العلم، فجلس إلى علماء الحرم المكي وسمع لحديثهم في العلوم الدينية، والظاهر أنه لم يرقه ما يقولون ولم يجد من نفسه إقبالاً على دروسهم وعلومهم، فخرج من مكة مبادراً شطر طيبة مدينة الرسول ﷺ، فَيَمَّمَ مسجدها؛ أوّل مسجد أسس على التقوى، وصلَّى فيه ثم سَلَّمَ بَعْدُ على المصطفى سيد الخلق ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢].

ثمَّ أخذ يتَّصل بعلماء المدينة النبوية آنذاك ليطلب العلم على أيديهم؛ وكان أحد هؤلاء العلماء الذين طلب الشابُّ العلم على أيديهم: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف (ت: ١١٤٠هـ/١٧٢٨م)[٣] **وهو في الأصل من أهل المَجْمَعَة وكان قد سكن في جوار الرسول ﷺ، فلازمه الشاب الداعية فتفقَّهَ على يده، فرأى الشيخ ابن سيف في الشاب محمد بن عبدالوهاب النُّبْل والذكاء النَّادر، فتفرَّس فيه الخير وأحبَّهُ واعتنى به كثيراً وبذل جهده في تعليمه.**

لقد أدرك ابن سيف أنَّ الطالب الشَّابَّ يَتَأَلَّم مِمَّا يرى من

---

(١) Records of the Hajj, vol,2. P,731.

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦) (٥٣ ـ ٥٤). وسليمان بن سحمان «الضياء الشارق» (٦). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٠).

(٣) انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤/٦ ـ ١٠).

الأمور الجاهلية المنتشرة هنا وهناك؛ من الغُلوِّ في الصالحين وعبادتهم وما كان عليه أهل نجد آنذاك من عقائدَ باطلة وعادات جاهلية، فازداد الشيخ ابن سيف حبًّا له وتقديرا، إذ ربط بينهما أقوى رابط وهو العقيدة السليمة(١).

أخذ الشاب محمد كثيراً من العلم عن الشيخ عبدالله واستفاد من مصاحبته فوائد عظيمة؛ فقد أجازه الشيخ عبدالله في صحيح البخاري ومسند الشافعي والسنن الأربعة وغيرها من كُتُب الحديث(٢).

ثم وصل الشيخ عبدالله بن سيف حبل الشاب محمد بن عبد الوهاب بحبل المحدث المحقق الشيخ محمد حياة السندي (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥١م)(٣) **وعَرَّفَهُ بِهِ وبما هو عليه من عقيدة صافية وبما تجيش به نفسه من مَقْتِ الأعمال الشركية الشائعة في كل مكان، وأنَّه إنَّما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم وسعياً إلى الاستزادة من السلاح الديني القوي الذي يعينه على ما هو مصمم عليه من تنقية العقيدة مِمَّا عَلقَ بها من البدع والانحرافات الخطيرة(٤).**

---

(١) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٥) (١٨٦). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٠ ـ ٢١٢). ورسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٢/٢٢٠).

(٣) انظر ترجمته عند: محمد خليل المرادي «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» (٤/٧٩ ـ ٨٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦) (١٨٦). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٤ ـ ٤٥).

رأى الشيخ السندي في الشاب محمد بن عبدالوهاب قوة ذكاء ومضاء عزيمة وعُلوّ نفس، فأعطاه من وقته وعنايته الحظ الأوفر، وَرَسَمَ له طريق العلم الصحيح وعَلَّمَه كيف يسير في طريق الدعوة إلى الله إذا هو استقل وحده بالجهاد، فنفع الله تعالى الشيخ محمد ابن عبدالوهاب بهذا أعظم النفع في مستقبل حياته[١].

خرج الشيخ من المدينة[٢] مولياً وجهه شطر نجد ليعلن الحرب الشعواء على تلك الآلهة الباطلة والعادات الضالة وعلى مُروِّجيها والقائمين بشأنها؛ لعله يُؤتى من عند الله النصر العزيز، لكنَّه أحسَّ في نفسه بعض الحاجة إلى ما عند علماء الشام ـ مِمَّا لعلَّه لم يظفر به في المدينة النبوية ـ فتوجه يريدها عن طريق البصرة[٣].

فلما وصل البصرة أخذ يستقصي أخبار مَنْ فيها من أهل العلم، حتى دُلَّ على من عُرِف فيها بذلك، فجلس إليهم وأخذ عنهم حاجته؛ وفي مقدمتهم الشيخ محمد المجموعي[٤]، وقد استفاد من هذا الشيخ كثيراً من فروع اللغة العربية والحديث، ثم ما لبث أن رأى في البصرة

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٦ ـ ٤٧).

(٢) اقتصرت (طلباً للإيجاز) على ذكر اثنين من أشياخه في المدينة، وإلا فإنَّ بعض المصادر تذكر أن له أشياخاً آخرين.

(٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٥٢). وسليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٥).

(٤) لم أقف على تاريخ وفاته. وتجد إلماحة شديدة الإيجاز عنه لدى: عبدالله البسام «علماء نجد» (١٣٢/١).

وسمع مثلما رأى وسمع في غيرها من البلدان من البدع والخرافات[١]، فأخذ ينكر ذلك وينهى عنه أشد النهي ويغلظ القول على فاعليه ومعتقديه.

قال الشيخ: «كان ناس من مشركي البصرة يأتون إليَّ بشبهات يلقونها عليَّ، فأقولُ وهم قعود: لا تصلح العبادة إلا لله. فيبهت كل منهمُ ولا ينطق فوه»[٢].

أدرك الشيخ المجموعي أن محمد بن عبدالوهاب ليس طالباً عادياً، بل يتهيَّأ لأمرٍ عظيم؛ يتهيَّأ للقيام بالدعوة الإسلامية الشاملة والإصلاح العام: إصلاح العقيدة وإصلاح الأحكام؛ ليكون الإسلام هو الحاكم وحده بدل العادات والتقاليد والقوانين الأخرى، فاستحسن المجموعي منه ذلك وأعانه عليه وأيَّده وزاد في حماسه[٣].

فأخذ الداعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب يَجِدُّ في طلب العلم والتَّحصيل، إلى جانب اجتهاده في الإصلاح ما استطاع، فشَرَعَ يكتب الرسائل في الدعوة وينشرها بين الناس ويباحثهم ويُفَصِّل لهم ويُبَيِّن، فصار دائم الحركة مصلحاً ما استطاع إصلاحه، خصوصاً وقت وجوده

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٢). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٣). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٨ ـ ٤٩).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦).

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٩). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٣).

بالبصرة أواخر أيام التحصيل[١].

على إثر ذلك بدأ الناس يتكلمون عن الشاب محمد بن عبدالوهاب، فذاع أَمْره وشاع إنكاره لما يفعله الناس عند القبور من تَمَسُّحٍ وطوافٍ بها ونذرٍ لها وما يقولونه من دعائها والتوسلِ بها والالتجاء إليها، فَخَشِيَ سَدنَة هذه المقابر والمُتَأَكِّلُونَ بها ومن لَفَّ لَفَّهم من المنتسبين إلى العلم ظاهراً، على ما يربحون من مال وما ينالون من جاه عند العامة والدَّهماء في ظِلِّ هذه القبور، وخافوا أن يَظْهَرَ للناس جهلهم وضلالهم فتنهار من القلوب مكانتهم، فانتهضوا للكيد بالشيخ وشوَّهوا ما ينادي به وأنكروا ما يدعو إليه، ثمَّ حرَّضوا عليه الرؤساء الجاهلين وأغروا به السفهاء المقلِّدين، فاجتمع عليه هؤلاء وهؤلاء، ونالوه بأشد الأذى، وما زالوا به حتى أخرجوه من البصرة، فأخذ طريقه إلى الزبير سيراً على الأقدام، ولم يكن معه في ذلك الطريق رفيق ولا زاد ولا ماء، فناله من الظمأ ما أشرف معه على الهلاك لولا أن أدركه الله تعالى وأغاثه برجل يقال له: أبو حمدان من أهل الزبير، فأخذه من هيبة الشيخ والشفقة عليه ما حمله على التطوع لخدمته، وكان معه ماء فسقاه ونزل له عن حماره فأركبه حتى وصل إلى بلدة الزبير[٢].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١ ـ ٣٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٥٥). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٩ ـ ٥٠). ولمنير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩٠/١): نقدٌ لسرد حادثة خروج الشيخ من البصرة على تلك الهيئة، والعجلاني يردُّها بحسب منطقية سير بحثه في حياة الشيخ.

وأراد الشيخ أن يذهب إلى الشام أيضا، لكن قِلَّة الزاد حالت دون هَمِّه هذا فرجع إلى حريملاء بطريق الأحساء[١]، وكان في الأمر خيرة.

نزل الشيخ محمد في الأحساء ضيفاً على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت: ١١٨١هـ/١٧٦٧م)[٢]، **وكان شيخاً شافعيَّ المذهبِ ذا شهرة في الفقه، لكنه لم يكن في قوة العلم كالشيخ المجموعي أو الشيخ حياة السندي، فلم يرُقْ عند الشيخ ـ فيما يغلب على الظن ـ الإقامة عنده كثيراً فخرج من الإحساء وولّى وجهه شطر حريملاء**[٣].

ومن المرجح أن رجوع الشيخ محمد إلى حريملاء بعد عودته من أسفاره خارج نجد كان بين سنتي ١١٤٤ ـ ١١٤٩هـ/١٧٣١ ـ ١٧٣٦م[٤])، وكان والده الشيخ عبدالوهاب انتقل إليها في سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م من العيينة[٥].

* بدء الدعوة في حريملاء.

بعد الرحلة العلمية الموفَّقة التي استفاد منها الشيخ محمد بن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٨ ـ ٩).

(٢) انظر ترجمته عند: عثمان بن سند في «سبائك العسجد» (٤٤ ـ ٥٢) (٩٤).

(٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٤). وجواب عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٣٧٧).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٧٠ ـ ٧١).

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٧).

عبدالوهاب فوائد جَمَّة، عاد إلى بلده بعد أن ازداد العلمَ والمعرفة وبعد أن دَرَس أحوال المسلمين في عدة بلدان، وأدرك حاجة المسلمين الماسَّة إلى الإصلاح العامِّ من جديد، والتصحيح الجذري القويّ لعقيدتهم نحو ربِّهم ومعبودهم، وتصحيح موقفهم من سنَّةِ نبيهم الذي بُعِثَ لهدايتهم والذي يُسألونَ عنه في قبورهم، وموقفهم من كتاب رَبِّهِم الذي هجروه(١).

كما أدرك الشيخ أثناء جولته في تلك البلدان التي زارها، وَمِمَّا شاهده في وطنه نَجْد، أنَّ الأمة بحاجة إلى ما يقضي على تلك الفوضى التي تعيشها، فلا بد لها أن تنتهي لتتبدَّل بها حياةٌ إسلاميةٌ صحيحةٌ وشاملةٌ لجميع نواحي الحياة.

وانطلاقاً من هذا الإدراك؛ صمَّمَ الشيخ على القيام بالدعوة الإصلاحية العامة مستعيناً بالله وحده في بلده حريملاء، فأنكر على العوام تعلُّقهم بغير الله وصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله؛ مثل: النذر والذبح والخوف والرجاء؛ ممَّا هو منتشر في البلد آنذاك(٢).

كان إنكار مثل هذه الأشياء جديداً وغريباً هناك، لذلك قوبلت الدعوة في أوَّل أمرها بالإنكار والردِّ والجدال، وانقسم الناس حولها إلى فريقين: مؤيد ومعارض؛ كان المؤيدون أقل من المعارضين بكثير، لكنهم كانوا متحمّسين للسير مع الداعية في طريق الإصلاح

---

(١) انظر: محمد أمان الجامي، «مجموع رسائل الجامي» (١٤٥).

(٢) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن السويدي العراقي، ضمن «الدرر السنيَّة» (٧٩/١). وحسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١ ـ ٢١٣). ومحمد أمان الجامي، «مجموع رسائل الجامي» (١٤٥).

مهما كانت النتائج[١].

وممن اختلف مع الشيخ محمد في تلك الفترة أبوه عبدالوهاب، في أوّل الأمر، فقد سمع من ابنه علماً جديداً وكلاما لا عهد له بمثله، فخشي على ولده أن يُوصَمَ عند العامة بالكفر وأن يُرمى من الدَّهْماءِ بالمروقِ من الدين، ولعلَّه نصح حينئذٍ لابنه أن يعدل عن ذلك الطريق وأن يسلك ما سلك سواد الناس وجمهور الشيوخ والآباء.

لَمْ يَقبل الشيخ نصح والده، بل رده عليه مُبَيِّناً له أن النصيحة الخالصة هي أن يقوم معه بإعلان كلمة التوحيد خالصة، وأن يعملا معاً على غسلها مِمَّا علق بها من أدران الشرك وغباوة الخرافات؛ ليعرف الناس حقيقتها وتَذُوق قلوبهم حلاوتها فيعبدوا ربهم وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥][٢].

والحقُّ أنَّ موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب «كان دقيقاً وحرجاً، يحتاج إلى شجاعةٍ ماضيةٍ وإلى إيمانٍ لا يبالي صاحبه بالأذى في سبيل إرضاء الله وإرضاء الحق الذي اقتنع به وسبيل إنقاذ البشرية المُعَذَّبة، كما يحتاج إلى عُدَّةٍ كاملةٍ من قوةِ اللسان وإصابة البرهان ليواجه ما يُجابَه به من شُبُهاتٍ واعتراضاتٍ لا بُدَّ منها، ثمَّ إلى مؤازرٍ قويٍّ يحمي ظهرَهُ ويدافع عن دعوته»[٣].

فثَبَّتَ الله الشيخ محمد على الحقِّ رغم كل تلك العقبات

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٤).

(٢) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٠ ـ ٥١).

(٣) عبدالله القصيمي في كتابه «الثورة الوهابية» (٢٦).

والصعوبات التي واجهت الدعوة في بداياتها وحاولت إيقافها سواء من الداخل: كما كان من أسرته قبل أن يتبيَّنوا الحقَّ، أو من الخارج: كما كان من أصحاب الأهواء، ولكنَّ الله سلَّمَ ولم تقف الدعوة منذ بدأت لحظةً واحدةً، بل من حَسَنٍ إلى أحسن في نشاطها وآثارها[١] كما سيُبَيَّن لاحقاً.

وبعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م[٢]، جلس الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حلقة أبيه وحلَّ من نفوس أهل البلد ما كان يَحِلّ أبوه، وارتفع مكانه عندهم، فانتهزها فرصة هيأها الله تعالى بأن يأخذ سبيل تصحيح العقيدة وتنقية الدين مِمَّا علق بهما من أدران الشرك والانحرافات.

فاندلعت المنازعات وشبَّت الخصومات الكلامية بين الشيخ محمد وبين أهل العلم في حُريَملاء، فأصبحت كالزّنْدِ يَقْدح عليها شرر الدعوة، وأضحت كالريح ينفخ في ضرامها ويمتد نورها قليلاً قليلاً.

وهكذا؛ كلما كانت الدعوة عنيفة في حِكْمَةٍ وأغرت خصومها بمناهضتها بالمجادلات ومنابذتها بالمنازعات حتى تكون شغل الناس في مجالسهم وحديثهم في نواديهم، كان ذلك أعوَن على انتشارها وأجدى عليها بكثرة الأنصار المقتنعين بها والأتباع المؤيدين لها، فإنَّ ذلك يلفت الأنظار التي كانت محرومة من نور هذه الآيات ويفتح القلوب المغلقة فتفهمها.

---

(١) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٦).

(٢) هذا هو تحديد تاريخ وفاته عند: محمدالفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٧).

وهذا ما كان في حريملاء؛ فإن الشيخ لم يلبث أن ذُكِرَ اسمه والتفَّ حوله أنصارٌ يقولون بقوله وآزره أتباعٌ يؤيدون دعوته ويذهبون في التوحيد مذهبه[١].

* تصنيف الشيخ «كتاب التوحيد»:

صَنَّفَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو في حريملاء «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»[٢]، **وشهد الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بأنَّ «كتاب التوحيد» للشيخ محمد «قد حُرِّرَ وأُمِرَّ عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشايخ الشاميون، فإنَّ منهم من أدرك كلامه، وكلُّهم قد أقرُّوه وحرَّروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعدة لهم في قيام ما تَضَمَّنَه من إقامة الدين وإخلاصه لربِّ العالمين، وإلا هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم، لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وقالوه؛ لأنَّ ذلك يحتاز إلى سيفٍ قائمٍ وإمامٍ عادلٍ وذلك متعذِّر الآن إلا بتوفيق الله وإيجاده»**[٣].

كما «قُرِئ هذا الكتاب وسمعه كثير ممن لدى الشيخ محمد من طالب ومستفيد، وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والأنجاد، وفاز بصحبته واستفاد من جرَّد القَصْدَ وسَلِمَ من الأسرِ

---

(١) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥١ ـ ٥٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٥). وسليمان بن سحمان «الضياء الشارق» (٧).

(٣) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٩) باختصار.

والبغي والفساد، وكَثُرَ مُحبُّوه وجُنْدَه، وصار معه عُصابة من فحول الرجال وأهل السَّمْت الحسن والكمال يسلكون معه الطريق»[١]، حتى بدأ بعض أنصار الدعوة يَفِدون إليها، وبدأ عدد من الأمراء يُصْغون لما تنادي به؛ وممن قَبِلَ الدعوة حينذاك أمير العُيَيْنَة عثمان بن مُعمَّر[٢].

* رحيل الشيخ إلى العُيَيْنَة.

كان رؤساء أهل حريملاء قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة؛ وهم رؤساؤها، كُلٌّ منهما يدَّعي القول فيه وليس للآخر على الثاني قول، ولا للبلد رئيس يَزَعُ الجميع، وكان في البلد عبيد لإحدى القبيلتين كثُرَ تعدِّيهم[٣]، وفيهم ظلم ظاهر وقسوة شنيعة لا حدّ لها.

فلما اشتد جانب الشيخ بمن اتبعه وقَوِيَ ظهره بمن ناصر دعوته القويمة من أهل حريملاء، فكَّر أن يَقطع على هؤلاء العبيد طريق الفساد وأن يَكُفَّ من شَرِّهم، فأخذ يَتأتَّى لذلك ويُعْمِل الحيلة على تنفيذه، لكن السادة والعبيد أحسوا بما يريد الشيخ بهم مِنْ رَدِّهم إلى طريق العقل - وهم أعداؤه - وإرجاعهم إلى الإنسانية - وهم خصومها[٤] -، «فهَمَّ العبيد أن يَفْتِكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سِرّاً، فلمَّا تَسَوَّروا عليه الجدار عَلِمَ بهم أُناس فصاحوا عليهم فهربوا، فانتقل

---

(١) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٧٧).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٨).

(٤) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٢).

الشيخ بعدها إلى بلد العُيَيْنة، ورئيسها يومئذٍ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقَّاه بالقبول وأكرمه»[١]. **على هذه الهيئة جاءت رواية المؤرخ عثمان بن بشر في تاريخه.**

ومن المرجح صحة القصة التي رواها ابن بشر عن محاولة الاعتداء على الشيخ محمد في حريملاء من قِبَلِ أُناس عَزَمَ الشيخ على تأديبهم لمزاولتهم أعمالاً قبيحة[٢]، لكن من المرجَّح أيضا أنَّ تلك المحاولة لم تكن السبب الجوهري في انتقاله من البلدة المذكورة إلى العُيَيْنَة، بل كان جوهر السبب لذلك الانتقال هو قبول عثمان بن معمَّر للدعوة؛ وهو ما اكتفى بذكره المؤرخ حسين بن غنَّام في تاريخه[٣]، وهو الذي أحبَّ الشيخ واعتقد بدعوته وأعلن ذلك على مَلَأٍ من رجاله المقرَّبين، ولعلَّه هو الذي دعا الشيخ إلى القدوم عليه بعد أن بَلَغَهُ شدة ما يلاقيه من أهل حريملاء[٤].

ومن الأسباب الأخرى لانتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة، أنَّ الأخيرة كانت أقوى من حريملاء التي كانت منقسمة حينذاك إلى فئتين لا تعترف إحداهما بزعامة الثانية على البلدة[٥]، ثمَّ إنَّ العُيَيْنَة مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته الأولى[٦]؛ وفي ذلك ما فيه من مَيْلِهِ

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٨).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٢).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٥).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/٢١١).

(٥) راجع ما أوردناه في الفصل الأول حول الصراع الداخلي داخل كثير من بلدات نجد.

(٦) Records of the Hajj, vol,2. P,731.

النفسي إليها، فكان انتقاله إلى هذه البلدة سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م، وحين وصل إليها رَحَّب به أميرها عثمان ترحيباً كبيرا وأكرمه غاية الإكرام[١].

ثم تزوَّجَ الشيخ من عمَّة الأمير عثمان؛ الجوهرة بنت عبد الله بن معمَّر التي كانت لها مكانة رفيعة في الحياة العامة قبل دعوة الشيخ[٢].

هكذا اجتمع الجوّ المناسب مع ما للشيخ من سمعة طيبة وتأهيل جيد، فأصبحت فرص النجاح لدعوته كبيرة جدا، وازداد عدد المنضمِّين إلى الدعوة من أهل العُيَيْنَة وما حولها بسرعة.

وفيما بعد عَرَضَ الشيخ على عثمان بن معمَّر دعوته وقرَّرَ له التوحيد وحاوله على نصرته، قال له: «إنِّي أرجو إنْ أنْتَ قُمْتَ بِنصرِ لا إله إلا الله؛ أَنْ يُظْهِرك الله وتملك نَجْداً وأعرابها»، فناصره ابن معمَّر وأمر الناس باتباع ما يدعو إليه وعدم مشاققته، مع إظهار توقير الشيخ في البلدة، فانتشرت جرَّاء ذلك الدعوة الإصلاحية في بلدان العارض المعروفة[٣].

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٥/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٢/١).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٥/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١ ـ ٣٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٣/١).

وحدث ذات مساء أنْ سَمِعَ الشيخ من شُبَّاكِ داره رجلاً يستغيث بزيد ويدعوه ليعيد إليه بعيراً أضاعه، فصاح الشيخ محمد: أُدْعُ الله إله زيد يا رجل. فتسامع الناس بهذه الحادثة وكلام الشيخ فيها، فراحوا يتجادلون فيه، وانقسمت البلدة على نفسها في أمرِهِ، فكَثُرَ اللغَط حوله[1].

لقد كان في العُيَيْنَة وما حولها كثير من القباب والمشاهد المبنية على قبور يزعمون أنَّها للصحابة والأولياء، كما كان فيها أشجاراً يُعَظِّمونها ويَتَبَرَّكون بها؛ كقُبَّةِ زيد بن الخطَّاب في الجُبَيْلَة وكشجرة قريوة وأبي دُجانة والذيب[2]. وذلك ما دعا الشيخ محمد إلى الخروج مع ابن معمر وكثير من جماعاتهم إلى تلك الأماكن بالمعاول فقطعوا الأشجار وهدموا القبور وعَدَّلوها على السُّنَّة؛ وَقَطَعَ الشيخ محمد بيده شجرة الذيب مع بعض أصحابه، وقطع شجرة قريوة ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود[3] وأحمد بن سويلم[4] وجماعة سواهم، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده[5].

وقد قال الشيخ لعثمان بن معمَّر: دعنا نهدم هذه القبة التي

---

(١) ذكر هذه الحادثة منير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/ ٢١٢).

(٢) راجع في الفصل الثاني ما أوردناه حول تقديس أهل نجد لتلك القباب المذكورة وتلك الأشجار.

(٣) ثنيان ومشاري بن سعود؛ هما أخوة الأمير محمد بن سعود حاكم بلدة الدرعية.

(٤) من أهل الدرعية.

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٩).

وُضِعَتْ على الباطل وَضَلَّ بها الناس عن الهدى، فقال ابن معمر: دونكها فاهدمها، فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فساعده عثمان بنحو ستمائة رجل، فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوهم، فلما رآهم عثمان عَلِمَ ما همُّوا به فتأهَّبَ لحربهم وأمر جموعه أن تَتَعزَّل للحرب، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخَلَّوْا بينهم وبينها.

ويُذكَر أنَّ عثمان لما أتاها قال للشيخ: نحن لا نتعرضها، فقال الشيخ: أعطوني الفأس، فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها، ثم رجعوا فانتظر تلك الليلة الجهال والسفهاء ما يحدث للشيخ بسبب هدمها، فأصبح في أحسن حال[١].

يقول الشاعر أحمد بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) عن حوادث قطع الشجر والقبَّة المذكورة:

وأحيا بدرس العلم دارس رسمها كما قد أمات الشرك بالقولِ واليَدِ[٢].

وما من شك في أنَّ مباشرة الشيخ لهدم قبة زيد بن الخطَّاب دون أن يناله ضرر كانت من عوامل إقناع بعض الجُهَّال بأن تلك الأمور التي كان يحاربها لا تنفع ولا تضرّ، وما من شك أيضاً في أنَّ تلك الإجراءات التي قام بها زادت من شهرته في المناطق المختلفة، وكانت أعماله هذه بمثابة إعلان بدء دعوته عملياً ودخولها إلى مرحلة جديدة مهمة[٣].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩).

(٢) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٧٣).

على تلك الهيئة التي مرَّ عليك بيانها؛ لم يَبْقَ بعدها وَثَنٌ في العيينة، فعَلَت كِلْمة الحق في تلك البلد وأُحْيِيَتْ سُنَّةُ رسول الله ﷺ بين أهلها، ثمَّ أَمَرَ الشيخ محمد بإحياء الصلوات مع الجماعة، وعُيِّنَت عقوبات للمتخلفين، وأَرْسِلَ الدعاة إلى البلدان النجدية القريبة من العيينة لنشر الدعوة[١].

وما إنْ ظَهَرَ الحقُّ؛ حتَّى سارت بخبره الرُّكْبان، فأنكرته قلوب الذين قالوا مثلما قال الأولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، فأخذوا في رَدِّ دعوة الشيخ والإنكار عليه وأتوا بأعظم الأسباب، وضَجُّوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب، فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلِّبونهم على الشيخ ودعوته، فناصرهم في ذلك أهل الباطل والضلال من علماء تلك البلاد، وصنَّفوا المصنَّفات في تجهيل الشيخ وتبديعه وتضليله، وزعموا أنَّه جارٍ على تغيير الشرع والسُّنَّة، وأغروا به الخاصة والعامة؛ خصوصاً السلاطين والحُكَّام[٢]، وادَّعوا أنْ ليس للشيخ وأصحابه عهد ولا ذِمام؛ لرفضه سنَّة الرسول ﷺ وتغييره أحكام الدين ـ زعموا ـ، وخوَّفوا الحكام والولاة منه وزعموا أنه يملأ قلوب الجُهَّال والطُّغام بكلامه ويُغويهم بطريقته فيخرجون على حُكَّامهم وولاتهم ويعلنون العصيان، فحكموا بكفره واستحلال دمه وماله[٣].

---

(١) انظر: حسين بن غَنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١). وسليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد» (١٤). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنية» (٣١٨/١٦). وعبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٤).

(٢) سيأتي تخصيص فصل كامل عمَّن عارض الشيخ بالقلم واستقوى بالخارج ليحارب الدعوة والدولة بالسلاح.

(٣) انظر: حسين بن بن غَنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١ ـ ٢١٧).

* حادثة خروج الشيخ من العيينة إلى الدرعية.

بالرغم من كل ما سلف، لم يزل الشيخ رحمه الله مقيماً في العُيَيْنة يُعلّم الناس دينهم ويزيل ما قدر عليه من البدع ويقيم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها، حتى جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والرَّدَى؛ وهي أنَّ امرأة جاءت إلى العيينة وأقرَّت على نفسها بالزنا، وتكرَّرَ ذلك منها أربعاً، فأعرض الشيخ عنها، ثم عادت على الإقرار مِراراً، فسأل الشيخ عن عقلها فأُخْبِرَ بِصحَّتِهِ وتمامِهِ، فأمهلها أيَّاماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل قائمة على إقرارها بذاك، فقال لها: لعلَّكِ مغصوبة، فأقرَّت أربع مرات في أيام متتاليات، واعترفت بما يوجب الرجم، فأمر الشيخ رحمه الله الوالي برجمها لكونها مُحْصَنَة، بأن تُشَدّ عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع، فخرج الوالي عثمان بن مُعَمَّر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أوّل من رجمها عثمان نفسه، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسّلوها وأن تُكَفَّن ويُصلَّى عليها[1].

ومما يلفت النظر في تلك الحادثة؛ أنَّ مجيء المرأة إلى الشيخ وتكرار اعترافها طَوْعاً ـ مع احتمال معرفتها بما قد ينجم عن ذلك من عقوبة ـ من الأمور الدالَّة على عمق أثر الدعوة في نفوس المجتمع الجديد؛ فالمُتَوَقَّع دائماً أن يقع انحراف بين أفراد من المجتمعات، لكن أن يصل الندم بمن انحرف إلى هذا المستوى وتلك المرحلة، عندها يكون الأمر لافتاً للنظر[2].

---

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٦٩/٢). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩/١).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٤).

سار خبر هذا الحادث العظيم في الوديان والبوادي سير البرق، وكَثُرَ القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفاً وفَزَعاً وانخلعت ألبابهم رَهَباً وجَزَعا، وارتجفت له نفوس كانت راتعة في الآثام والشرور أن يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بهذه المرأة الزانية إذا نالتهم يد الشيخ محمد ووقعوا تحت طائلة سلطانه، ثمَّ تطاول أدعياء العلم بألسنتهم على الشيخ ينكرون ما فعل، مع أنه لم يَعْدُ الحكم المشروع بالسُّنَّةِ والإجماع، وفي المقابل فرح بذلك المؤمنون الذين يعلمون أن الرحمة والبركة والخير تَنْزِلان من عند الله تعالى عند إقامة الحدود، ويَتَنَزَّل الغضب وتُرفَع البركة والخير ويَعُمّ الفساد إذا عُطِّلت الحدود وتُركَت النفوس المجرمة سائمة تَرتَع حيث شاءت وتأتي من المُنْكَرِ والفُحشِ ما أرادت[١].

بَلَّغَ الوُشاة والنَّمَّامُونَ ذلك إلى سليمان بن محمد بن غرير آل حميد (ت: ١١٦٦هـ/١٧٥٢م)، أمير الأحساء والقطيف، وَحَرَّضُوهُ على معاداة الشيخ[٢]، وكان سليمان آل حميد، بحسب ما تذكره المصادر المعاصرة لتلك الفترة، فيه بعض صفات الانحراف في المزاج[٣]، ومن المؤرخين المعاصرين له مَنْ يصفه بأكثر مِنْ ذلك[٤]، فكان من المتوقع تماما مِمَّن كان هذا حاله أن يغضب ويثور على حادثة

---

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٦٩/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٥).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦ - ٤٧). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٧٨).

(٣) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (٢٥٩ - ٢٦٠).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٠/٢).

الرجم، خصوصاً حين قال له القائلون: إنَّ هذا الرجل ابن عبد الوهاب يريد أن يسلب عنك حريتك، وكان الكلام مؤثرا فوقع في قلبه[١].

فأرسل سليمان آل حميد بكتابٍ إلى عثمان بن معمَّر، يتَهَدَّدُهُ فيه ليقتل الشيخ أو يُخرجَهُ من بلده، فإن لم يفعل قَطَعَ خَراجه الذي يأتيه من الأحساء[٢] وربما يضطَّر إلى استباحة جميع أمواله التي لديه هناك كما ذَكَرَ ابن غنَّام[٣]. وبعض المؤرخين يذكر بأنَّ خراج ابن معمَّر كان خراجاً كثيراً جداً[٤]، قيل إنَّه ألف ومئتين قطعة ذهبية وما يتبعها من كسوة وطعام[٥].

الحاصل؛ لمَّا وصل كتاب صاحب الأحساء إلى عثمان بن معمَّر استعظم الأخير الأمر من المخلوق وذُهِلَ عن أمر الخالق المعبود، فأرسل إلى الشيخ وكَرَّرَ له ذلك، فوعظه الشيخ بأنَّ هذا دين الله ورسوله ﷺ ولا بُدَّ لمن يقوم به من الامتحان، ثم يكون التمكين والسلطان والغلبة والظهور لأولياء الرحمٰن كما ورد في القرآن، فاستحيا عثمان وأعرض عنه، ثمَّ أعاد عليه جلساء السوء بالتخويف والإرجاف مِن صاحب الأحساء، فأرسل ابن معمَّر إلى الشيخ ثانياً

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٧٠).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وراجع ما أوردناه في الفصل الأول حول خراج ابن معمَّر الذي يأتيه من الأحساء.

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/ ٦٧٠).

(٤) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٧٨ ـ ٧٩).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٤٠).

وقال: إنَّ سليمان آل حميد أمرنا بقتلك ولا نقدر على إغضابه ولا مخالفة أمره؛ فلا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم إيذاؤك في بلدنا مع علمك وقرابتك، فشأنك ونفسك، وخلِّ لنا بلادنا.

فأمر فارس عنده وخيَّالة معه وقال لهم: اركبوا مع هذا الرجل إلى ما يريد. فأمر بإجلائه ولم يكن له إلى قتله من سبيل(١).

وقد حذف ابن بشر في مبيّضة كتابه ما سبق أن ذكره في مسوَّدته من أنَّ عثمان بن معمَّر وجَّهَ أمره إلى قائد رجاله بقتل الشيخ. وقد جاء هذا الحذف نتيجة تَبَيُّن ابن بشر عدم صحة تلك الرواية(٢). وإذا كان ابن بشر نفسه قد حذف الرواية المذكورة فإنَّه يتضح أن خروج الشيخ من العُيَيْنَة ووصوله إلى الدرعية قد حدثا بشكلٍ طبيعي(٣).

وكان الشيخ قد فَكَّرَ: أَيُّ البلاد تجد فيها الدعوة مأمناً ومنبتاً طيباً، فوقع طائر فكره على الدرعية؛ لأنه كان له بها تلاميذ ومحبون، فقال الشيخ لهم: أريد الدرعية. فقالوا له: سر إليها. فخرج من العيينة راحلاً للدرعية في سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م وهذا هو الصحيح(٤)، وقيل في سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م وهو خطأ(٥).

---

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنية» (١٦/٣١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠ ـ ٤١).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٨٤).

(٤) انظر: حسين بن غَنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (١٩٤).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣١). وإبراهيم بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان» (٧٧).

* الدعوة تدخل الدرعية:

خرج الشيخ محمد بأسرته من العُيَيْنَة، تصاحبه فرقة من حرس الأمير عثمان بن معمَّر لحمايته[(١)]، وحينما وصل إلى الدرعية نزل ضيفاً عند آل سويلم[(٢)] الذين كانوا من مشاهير البلدة ومن المتحمّسين للدعوة، وما إنْ بَلَغَ الأمير محمد بن سعود خبر دخول الشيخ إلى الدرعية حتَّى هبَّ الأمير من فَوْرِهِ مسرعاً إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت ابن سويلم فسلَّمَ عليه وبادره بالقبول وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ورحَّبَ به غاية الترحيب وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به أولاده ونساءه، ووعده بالحماية والتأييد[(٣)]، وجَدَّت أسرة آل سعود في نصرة الشيخ، على قلَّتِهِم وكثرة عدوّهم ذاك الوقت[(٤)].

* مناقشة ما أورده ابن بشر عن خروج الشيخ من العيينة ووصوله للدرعية ولقائه بحاكمها:

انفرد ابن بشر برواية مختلفة عمَّا سبق ذكره قبيل قليل، إذ يقول: «فلما دخل [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] على ابن سويلم

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠).

(٢) آل سويلم: من العرينات، من بني تميم من الرِّبَاب بن عبد مناة بن أد بن طابخة، والعرينات يُنسبون إلى قبيلة سبيع لأنَّهم دخلوا معهم بالحلف. انظر: حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٧١). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٨٠).

(٤) انظر: الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في رسالته لأهل الأحساء، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١/٤٠٨).

ضاقت عليه داره خوفاً على نفسه من محمد بن سعود، فوعظه الشيخ وسكَّنَ جأشه وقال: سيجعل الله لنا ولكم فرجاً ومخرجا. فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خُفْيَة، فقرَّر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، فأتوا زوجته وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله فيها محبة الشيخ، فلمَّا دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خَصَّكَ الله به، فقَبِلَ قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشارا عليه بمساعدته ونصرته، فقذف الله في قلب [الأمير] محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه، فأراد أن يرسل إليه، فقالا له: لو تسير إليه برجلك وتُظهر تعظيمه وتوقيره ليَسلَم من أذى الناس ويعلمون أنه عندك مُكْرَم، فسار إليه محمد بن سعود ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحَّبَ به»[(١)].

وينتقد أحد كتّاب التاريخ قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير، كما قصَّها ابن بشر، بأنَّها «لوحة فنية معبِّرَة تستحق البقاء والخلود، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب لروعتها وبراعتها، على أنَّ هذه القصة في براعتها وحسنها تنسج هالة أسطورية حول اسم الشيخ، ليس الشيخ محتاجاً إليها؛ لأنَّه صنع مجداً يغنيه عن الأساطير والروايات الموضوعة، وأول ما يُؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العُيَيْنَة في فصل الصيف وفي غاية الحر وماشياً على قدميه، ثم أَصْحَبَهُ بفارس همَّ بقتله مراراً تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر،

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١ ـ ٤٢).

ولكن الله عَزَّوَجَلَّ ألقى في قلب الفارس الرعب وصرف عن الشيخ كَيدَهُ. وأخيراً يُدْخِل ابن بشر الشيخَ في مدينة الدرعية على حين غفلة من أميرها ويُنزِلَهُ في دار رجل من أنصاره امتلأ قلبه رعباً من قدومه عليه؛ لما يخشاه من غضب الأمير، ولولا وساطة زوجة الأمير لما صَلُحت الأحوال ولما استطاع أن يُقرِّر للأمير التوحيد ويجعله من أشدِّ أنصاره.

كلُّ ذلك مبالغٌ فيه، إن لم نَقل أنَّه غير صحيح. وفي اعتقادنا أنَّ الشيخ لم يخرج من العيينة إلا بعد أن دعته الدرعية إليها، ولم تكن الدرعية غريبة عن دعوة الشيخ؛ فقد كان الشيخ قبل التجائه إلى الدرعية على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره؛ كالأميرين ثنيان ومشاري إخوة الأمير محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز أيضا[(١)]، وأولاد سويلم وغيرهم. فهل كان الأمير محمد بن سعود يجهل كل ذلك؟. ولو أنه كان، كما زعموا، عدوّاً للشيخ ودعوته، فهل كان يترك ولده عبدالعزيز يراسل الشيخ!»[(٢)].

ويقول عبدالله العثيمين: «عثرتُ على أوراق بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون يذكر فيها **أنَّ الشيخ محمداً انتقل إلى الدرعية بدعوةٍ من الأمير محمد بن سعود**»[(٣)].

---

(١) يذكر ابن غنَّام في تاريخه (٥٢٦/١): أن الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان يكاتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب أيام كان الشيخ في العيينة، وأن سبب تأليف الشيخ محمد لتفسير سورة الفاتحة بطلبٍ من الأمير عبدالعزيز حين كتب للشيخ، وهو إذ ذاك في بلد العيينة.

(٢) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩٠/١ ـ ٩١).

(٣) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٨٥/١).

إلا أنَّ أحد الباحثين يرى أن ما يقال حول اختلاف ابن بشر عن ابن غنَّام في تفصيلات ما حدث للشيخ محمد حين وصوله للدرعية حتى اتفاقه مع أميرها محمد بن سعود: بأنه ليس اختلافاً ينقض بعضه بعضاً، ولكن غايته أن ابن بشر انفرد بذكر أمور فيها زيادة بيان عن خبر ابن غنَّام[١].

* المبايعة بين الإمامين:

قال الأمير محمد بن سعود للشيخ في هذا اللقاء: أبشر يا شيخ محمد ببلاد خير من بلادك، يقصد العُيَيْنَة، وأبشر بالعز والمَنَعَة. فقال له الشيخ: وأنا أُبَشِّرُكَ بالعز والتمكين والنصر المبين؛ فهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسَّك بها وعمل بها وانتصر لها ملَكَ بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفُرْقَة والاختلاف والقتال لبعضهم البعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريَّتك من بعدك.

فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك وتقرَّرَ عنده؛ طلب من الشيخ المبايعة على ذلك، فبايعه على ذلك، وأنَّ الدم بالدم والهدم بالهدم، وعلى أنَّ الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله. إلا أن محمد بن سعود شَرَطَ في مبايعته للشيخ أن لا يتعرَّضَهُ فيما يأخذه من أهل الدرعية؛ مثل الذي كان يأخذه رؤساء البلدان من رعاياهم، فأجابه الشيخ على ذلك رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة أكثر من ذلك فيتركه رغبة فيما

---

(١) انظر: صالح العبود «عقيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (٢/١٦٣ ـ ١٦٤).

عند الله عزّ وجلّ[١]، فكان الأمر كذلك، ووسَّعَ الله عليهم في أسرع ما يكون.

إِنَّ مبايعة الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبدالوهاب على ذلك لدليل على عظيم عقله وبُعدِ همَّته وطموحه وتوفيق الله له، وتستطيع أن تدرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة العقيدة السلفية النقيَة بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة وما بلغه من الحجة على يد الشيخ[٢].

قال ابن غنَّام واصفاً الأمير محمد بن سعود قبل دعوة الشيخ بما نصّه: «وكان الأمير محمد بن سعود [قبل الدعوة] بحسن السيرة معروفاً وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً مشهوراً بذلك»[٣].

فكان من صدقه ووفائه: استجابته وعدم استنكافه عن قبول

---

(١) هذا مما تفرَّدَ به عثمان ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد» (٤٢/١). وعبدالله العثيمين في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (ص: ٥٥) يعلّق على قول ابن بشر هذا قائلاً: «وإذا كان ما أضافه ابن بشر صحيحاً؛ وهو قوله نقلاً عن ابن سعود: «لا يتعرَّض له فيما أخذه من أهل الدرعية». فالواضح أنَّ الشيخ قارن بين المصلحة العامة للدعوة في اعتمادها على حماية الأمير محمد ووقوفه معها، وبين مسألة جزئية كان واثقاً من حلّها بسهولة في المستقبل القريب. فكان أن أجاب بما أجاب به».

(٢) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (١٧٩/٢).

(٣) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٧١/٢). وابن غنَّام يقصد بوفاء الإمام محمد بن سعود يوم ضمن زيد بن مرخان وقتل عمَّه مقرن بن محمد (فهَّاد) يوم أراد الأخير الغدر بزيد. راجع تفاصيل تلك الحادثة في هامش في الفصل الأول من هذه الدراسة التي بين يديك عند البحث في مدينة الدرعية خلال مبحث «دويلات المدن النجدية».

الحق لمَّا جاءَه، وإن كان قد جاءَهُ من مستَضعَف. ثم إنَّه أدرك شيئا بعيدا، فاشترط على الشيخ إنْ نصرهم الله أن لا يرتحل عنهم إلى غيرهم؛ لأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وأَنَّهُ حين لقي الشيخ ورآه؛ عرف ببديهته الصدق في وجهه وَتَحَقَّقَ في قوله وحاله حلية أولياء الله، وكل عاقل يرغب في أولياء الله وفي قربهم، وفعلا وقع ما كان يَتَوَجَّسه محمد بن سعود من مجيء ابن معمر نادما يطلب عودة الشيخ إليه[1]، كما سيمرّ معنا في الصفحات القادمة.

* الموقف الشجاع من محمد بن سعود تجاه الشيخ ودعوته:

ومن عجيب ما تراه في هذه الحادثة «**أنَّ محمد بن سعود لما وفَّقَهُ الله لقبول هذه الدعوة ابتداءً، بعد تخلّف الأسباب وعدم الناصر؛ شمَّرَ في نصرة الشيخ ودعوته ولم يبالِ بمن خالفه من قريب أو بعيد، حتى أنَّ بَعض أُناسٍ مِمَّن له قرابة به عذَلَهُ عن هذا المقام الذي شَمَّرَ إليه، فلم يلتفت إلى عَذْلِ عاذل ولا لومِ لائمٍ ولا رأي مرتاب، بل جَدَّ في نصرة هذه الدعوة**»[2].

مع العلم أنَّ الدرعية وقتذاك لم تكن بتلك القوَّة التي تستطيع من خلالها مقارعة البلدات النجدية المحيطة بها، وهو ما يقرره مؤرخ معاصر لتلك الأحداث، فيقول ـ بما معناه ـ: إنَّ أهل الدرعية أناس أقلّ قوة من القوى المحيطة بها في قرى نجد وبلداتها ومدنها، ومع

---

(١) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (٢/١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٤٠ ـ ٤١) باختصار وتصرّف يسير.

هذا قاموا بنصرة الشيخ والانتصار لدعوته السلفية[١].

وتكفي الدلالة على شجاعة الأمير محمد بن سعود وثبات جأشه وشهامته وقوَّة إيمانه؛ «**إيواؤه للشيخ وقيامه بنصرته، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار وتأليب الملوك والأمراء وعامَّة الناس عليه، ولولا أنه هو الأوحد فرد زمانه لما نجح في توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوب سود ونظراء أقوياء وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب، فلهو القائد الباسل والأوحد الحلاحل، فما قام بنصرة هذا الشيخ والأخذ بساعده إلا عن اعتقاد راسخ وإيمان قوي**»[٢].

خصوصاً حين ندرك أنَّ الدرعية التي يحكمها محمد بن سعود «في هذا الجزء من وادي حنيفة، قبلُ، لا يقوم حكمه على عقيدة دينية ولا عصبيةٍ قومية تضمن له قوَّة النفوذ ومؤهِّل الاتساع والانتشار؛ فقومه ـ وإن كانوا أشدَّاء شجعانا ـ إلا أنَّ قِلَّتهم لا تمكنهم من بسطِ نفوذٍ أكبر ولا انتشار حكم أقوى.

وإذن؛ **فهو حينما احتضن هذه الدعوة السلفية، مع حُسنِ نيَّتِه وابتغائه وجه الله ثمَّ ما خاطبه به الشيخ من قولٍ لا تنقصه الإيجابية ولا يعوزه المنطق، كان يُدرك ما أقدم عليه ويعني ما رَشَّح نفسه إليه، فمن أول وهلةٍ عَوَت عليه الذئاب وَوَرِمَت الأنوف وتنكَّر الأصدقاء، فكانت الإرهاصات الشريرة كافيةً لتقف الدرعية حيالها موقف التفكير، وأنْ تَهزّها هذه المتغيرات لتغير موقفها، ولكنَّ قوة الإيمان في حاكم**

---

(١) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٧).

(٢) كلمة لعبد الرحمٰن بن قاسم في «الدرر السنية» (٢٩/١٢) من جمعه وتنسيقه.

الدرعية من ناحية وأسلوب الداعية الإيجابيّ من ناحيةٍ ثانية وبطولة الأنصار أهل الدرعية من ناحيةٍ ثالثة؛ كلّ ذلك جعل العقيدة والإيمان يقفان على قاعدةٍ صُلْبَةٍ لا تزعزعها الأحداث ولا تهزُّها الأعاصير»(١).

من هنا نعلم لماذا توقّف المؤرخ العراقي عباس العزّاوي (١٣٩١هـ/١٩٧١م) في كتابه «عشائر العراق» لينبّه قارئ كتابه على تلك اللفتة التاريخية المهمة، وهي حال نجد قبيل دعوة الشيخ؛ ذلك الشيخ الذي وصل الدرعية عند حاكم لم يكن هو الأقوى في نجد، ثمَّ ينبِّهك المؤرّخ العزاوي إلى انقلاب الحال بُعيْدَ ذلكم الميثاق المبارك بين الشيخ وابن سعود، فأرْخِ سمعك لوصف العزّاوي الذي قال فيه: «كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها كما أنَّ كلّ عشيرة منفصلة عن غيرها، ومن ثَمَّ نرى الفوضى ضاربة أطنابها؛ الأمن مفقود، والسلب والنهب من أعظم وسائل ارتزاق الآهلين ومدار عيشتهم، **حتَّى قيَّض الله لنجد دعوةّ قوية وفاضل حريص على التمسك بالشرع، هو محمد بن عبدالوهاب،** ومناصرة من حاكم قرية ضعيفةٍ وبلدةٍ مستكينة، **ومن جرَّاء هذه المناصرة وتلك الدعوة التي ذاعت في الأطراف وانتشرت انتشاراً هائلاً حتى قبضت على السلطة، فتوسَّع النطاق ونجحت الدعوة، فتكوَّنت قوةٌ هائلةٌ لم تلبث أنْ سيطرت على أنحاء عديدة»**(٢).

لذلك ذكر أحد المؤرّخين عن مساندة الأمير محمد بن سعود للشيخ ودعوته، قائلاً: «بَزَغَ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤١٨).

(٢) عباس العزّاوي «عشائر العراق» (١/٢٨٤ ـ ٢٨٥) باختصار.

بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أسكنه الله جنَّة المآب، فنوَّر الظلام وجلّى القتام وبيَّنَ سبل السلام إلى بلوغ المرام، وأجاب دعوته ولبّاه وأوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود، على قلّة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن»(١).

لقد أدركَ الأمير محمد بن سعود(٢) بصفاء بصيرته وسلامة تفكيره أنه لا مطمع للشيخ في الإمارة ولا في الرئاسة ولا في أي علو في الأرض ولا فساد من دعوته، بل إلى صلاح الدين والدنيا معاً؛ إلى عقيدة السلف الصالح، وتيقن من خلال ما سمعه من الشيخ ورآه أن نصيحته صادقة وعرضه صحيح، وأن القيام بنصر دين الله ورسوله ﷺ سبب للنصر والعز والتمكين وحصول الملك، وزاد يقين الأمير رسوخا ما بَيَّنَهُ الشيخ له من أنَّ الله سَيُمَكِّن من يقوم بنصر لا إله إلا الله ويعزه ويورثه الملك، وأنَّ الأمة بحاجة إلى إقامة الدين وإصلاح ما أفسد الناس، وَأَنَّ هذا واجب عليه، فَقَبِلَ محمد بن سعود وأصبح هو المؤسس لدولة آل سعود، وهو الذي سنَّ سنَّة حسنة لبنيه بمناصرة دين الله وإكرام علماء السنة(٣).

المقصود؛ أنَّ هذا اللقاء العظيم بين الإمام المجدد الشيخ

---

(١) إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي في كتابه «رسالة في تاريخ عسير» (٣٤ - ٥٤).

(٢) لم يكن وقتها يسمَّى إماماً، وللشيخ عبدالله أبا بطين (ت: ١٢٨٢هـ) تحقيق في مسألة أول من تلقَّب من آل سعود بلقب الإمام، وذكر أنَّ محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز في حياتهما لم يلقَّبا بالإمام، بل إنهم لقِّبوا بذلك بعد وفاتهما. انظر: جواب الشيخ عبدالله أبا بطين على سؤال حول شروط الإمام، ضمن «الدرر السنية» (٩/٩).

(٣) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (١٧٨/٢).

محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، يُعدّ وبحق: نقطة تحوّل عظيم في تاريخ الدعوة وتاريخ الدولة السعودية وفي تاريخ الجزيرة العربية كلها، وكانت مبدأً وأساساً قوياً للإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي الذي شمل الحاضرة والبادية، وجعل من القبائل المتنافرة قلوبها المنتشرة في قلب الجزيرة والتي ران على عقول أفرادها جهل السنين الحالكة، جعل من هذه القبائل أمة واحدة في المبادئ والعقائد والآراء، مرفوعة الرأس بعامل العزة التي وصف الله المؤمنين بها، ولم يعد أحدهم يخضع ـ كما كان سابقاً ـ لشجر أو حجر أو لمخلوق كائناً من كان، بل صار خضوعهم وخوفهم لله وتعلقهم ورجاءهم بالله واعتقادهم وتوكلهم على الله، كما كان هذا اللقاء التاريخي المبارك: الصفحة الأولى من تاريخ اجتماع السياسة والدين وسيرهما في ركابٍ واحد لنشر الإسلام والأُخُوَّة الإسلامية بين أهل الجزيرة خاصة والمسلمين عامة[1].

* ميثاق الدرعية وشيوع ذكره:

خرج ذلك الجمع المبارك من دار ابن سويلم في الدرعية عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م: الأمير محمد بن سعود وعلى يمينه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وثنيان ومشاري شقيقا محمد، وولده عبدالعزيز، لا ريب أن الكل كانوا معاً: رجال الحاشية والنبلاء، جميعهم خرجوا من دار ابن سويلم ليدخلوا دار الأمير محمد بن سعود حيث يُعْقَد ميثاق الله الذي تعاهدوا عليه؛ وهو نُصْرَة دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وإقامة الشرائع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر: أحمد علي «آل سعود» (٢٢).

ويتضح من نص الميثاق أنه كان اتفاقاً شفوياً، ولو أنه جاء مكتوباً لأصبح وثيقة تاريخية، وكان للباحثين في عدم تدوين ذلك الاتفاق وجهة نظر معقولة؛ فقد رأى البعض أنَّ عدم كتابة الاتفاق ترجع إلى عدة عوامل منها: أن الكثير من العهود والمواثيق الجماعية في العهود الإسلامية وغيرها جاءت غير مكتوبة. وهذا الاتفاق قام على أساس ديني، فإنْ جاء مكتوباً أو شفوياً فالأمر سِيَان؛ لأنه عهد وميثاق، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ⑧﴾ [المؤمنون: ٨]. وسواء كان هذا الاتفاق شفوياً أو مكتوباً؛ فإنَّ الاتفاق هو ثمرة اللقاء، فكان لقاء الخير والبر والفضيلة، لقاء الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل ومحاربة الخرافات والتأليه وطلب النفع ودفع الضر ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، لقاء بناء الدولة وبسط النفوذ وتحرير الأرض وخلود الدعوة والدعاة، لقاء العلم والإيمان والمصحف، والسيف يؤيده، والحجة ترد الكبرياء والزيغ(١).



(١) انظر: عبدالفتاح أبو علية «محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢١ ـ ٢٢).

الفصل الخامس:

انتصارات الدعوة في نجد والأحساء بعد تكالب المعارضين عليها.





انتشار خبر انتصار ابن سعود لدعوة التوحيد

ما أسرع ما انتشر خبر بيعة الأمير محمد بن سعود على نصرة التوحيد حتَّى عَلِمَ بذلك أنصار الشيخ وأحبابه في العيينة وحريملاء وغيرها، وقد كانوا قبل هذه البيعة يستخفون حذراً من أرباب البدع وشوكتهم القائمة وسلطانهم النافذ، فما كاد أمر هذه البيعة يصل إلى مسامعهم حتى هرعوا إلى الدرعية ووفدوا من كل البلاد والنواحي زرافات ووحدانا يلتئمون براية ابن سعود وسيفه، ويكرعون من علم الشيخ ويزدادون من هداية الله ورحمته[١].

ثمَّ تقاطر على الدرعية العلماء من كل حدبٍ وصوب، فعَمرت حلقات الدروس على الشيخ محمد وعلى أبنائه وكِبار تلاميذه، وَوَفَدَ إليهم طلاب العلم والمعرفة من الجزيرة العربية وخارجها، وصاروا يجدون فيها العلم وكفاية المؤونة، فراجت في الدرعية سوق العلم وكَثُرَ أهله وتسابقوا في تحصيله، حتى نَجَمَت حركة علمية كبيرة لا

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٥ ـ ٦٦).

عهد للبلاد النجدية بها من قبل[(١)].

فلمَّا أصبحت الدرعية على هذه الهيئة العظيمة؛ ندم ابن مُعَمَّر على ما ضَيَّعَ من فرصة هذا الشيخ، فبادر في وفد من صحبه مُستَسمِحاً الشيخ من زَلَّتِهِ السابقة، معترفاً له بما اجترح يوم أخرجه من العيينة، راجياً منه أن يعود إليها من جديد، مُعطِياً له العهد والميثاق أن ينصره وينصر دعوته بما يملك من نفس وولد ومال.

فقال الشيخ له: ليس هذا إليَّ؛ إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أذن ذهبت معك، وإن أبى إلا أن أقيم عنده أقمت، **ولا أستبدل برجلٍ تلقاني بالقبول والمعاهدة على نصرة التوحيد رجلاً أخرجني من بلده.**

فَهَرَعَ عثمان إلى الأمير محمد بن سعود يستعطِفَهُ بإلحاح أنْ يأذن برجوع الشيخ معه إلى العيينة، فأبى عليه ابن سعود كل الإباء، وكيف يرضى ذلك وقد أخذ على الشيخ العهد أن المحيا محياهم والممات مماتهم؟ فرجع ابن مُعَمَّر إلى العيينة كما جاء منها[(٢)].

* الدرعية في ظلال الدعوة السلفية الإصلاحية:

اتخذ الشيخ الدار التي كان يسكنها في الدرعية مدرسة للراغبين

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (١٦/١). ومي العيسى «الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى» (١١١ ـ ١١٢) (١٢٤).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٦).

في العلم[١]، وأخذ يأمر الناس بالذهاب إلى المسجد للصلاة جماعة، ثم أخذ الشيخ يعلِّم تلاميذه الصلاة والتوحيد، فلما ملأت «لا إلٰه إلا الله» أرجاء الدرعية؛ عَمَّها الخير، فتحرك بالعطاء أغنياؤها، وعاش بالزكاة فقراؤها، واستشعر الغني واجبه وسارع في إطعام الفقير؛ فعمَّ العدل مجتمع الدرعية[٢].

لقد كانت دروس الشيخ علنية، يحضرها الأمير محمد بن سعود وأولاده كل يوم مرتين صباحاً ومساء، ويدرسون على يده علم التوحيد[٣]، ويحضر دروس الشيخ أيضاً المزارع والفقير دون تمييز، فقد كانوا جميعاً في مسيس الحاجة إلى الاطمئنان الروحي بعد أنْ كانوا سادرين في حَمْأَةِ اليأس الذي غرق فيه العرب طوال سِنِيّ الجهل والإهمال؛ ذلك اليأس والجهل والإهمال الذي بيَّنَّا ملامحه في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب.

وما إنْ مَضَت مُدَّة غير طويلة على استقرار الشيخ في وطنه الجديد إلا وقد تعلَّمَ السكان أصول دينهم التي تجب عليهم معرفتها، وكان من وسائل الشيخ للوصول إلى ذلك تأليف «**رسالة الأصول الثلاثة**» وتعليمها للناس[٤].

---

(١) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبدالوهاب السلفية» (٤٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤ ـ ٤٥)، (١٨٤). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٦).

(٣) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (٨١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٥) و(١٨٣). وعبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٥٦).

من هنا دخل العمل مرحلة جديدة: دعوة جادَّة آمِنة؛ إذ شَرَعَ الشيخ يدعو ويُصلِح ويُعلِّم ويُصَحِّح، والمؤازر (ابن سعود) يتابع سير الدعوة ويحمي ظهرها بسيفه، حتى ظَهَرَت الدعوة واسْتَعلَنَ أمر الشيخ، فأقبل الناس على العلم والعبادة في جوٍّ هادئٍ وآمِنٍ.

فأخذ الشيخ بجانب ذلك التعليم والتدريب الجاد يؤلِّف كتباً ورسائل، أكثرها في توحيد العبادة الذي يرى الشيخ أنَّ حاجة الناس إليه أمَسُّ من حاجتهم إلى أي علم آخر، وهو الواقع(١).

* انطلاق الدعوة إلى البلدان المجاورة للدرعية.

بدأ الشيخ محمد يكاتب العلماء ويراسل رؤساء البلدان ويبعث إلى القبائل في نجد ليَلْتَئِموا بالدولة الجديدة التي قامت على أساس العقيد السلفية، فمنهم من عاند وسَخِرَ من الدعوة ومن الدولة وركِبَ رأسه، ومنهم من أطاع فصار من أنصار الدعوة والدولة، وهم الكثيرون؛ ذلك أن الجهود المبذولة في هذا الشأن قد لَقِحَت؛ فأثمرت انضمام أمراء بعض البلدان إليها طائعين مختارين: كأمراء العُيَيْنَة وحريملاء ومنفوحة وكانوا كلّهم في ظلِّ لواء تلك الدولة وهذه الدعوة.

فحدث في عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م أن بايع عثمان بن مُعَمَّر الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الانضمام إلى الدعوة والدولة الفَتِيَّة،

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٢ ـ ١٨٥). وسليمان بن سحمان «الأسنة الحداد» (٤). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٥٠ ـ ١٥١).

وبذلك تكون العيينة أولى بلاد نجد التي تستظِلُّ بلواء الدعوة في الدرعية.

وفي هذه السنة أيضا وَفَدَ أهل حريملاء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوه على مناصرة الدعوة، وبذا تعتبر حريملاء ثاني بلدة تدخل تحت لواء الدولة السعودية بعد العُيَيْنة، واشترك أهلها في الدفاع عن الدعوة، وكان لهم فيها بلاء حسن. وكان ممن استجاب أيضاً لدعوة التوحيد أهالي بلدة منفوحة[1].



(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٢/٢) (٦٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٥/١) (٤٨) (٥٠). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٨٩/١).



بداية المعارضة لدعوة الشيخ في نجد

أولاً: المعارضة بالقلم والدعايات الكاذبة:

شاعت رسائل الشيخ في بقاع كثيرة من نجد والأحساء والعراق وغيرها، فذاع خبرها وكثر أنصارها في بلدان نجد والأحساء وجنوب نجد ووجدت أتباعاً لها في البصرة وغيرها من بلدان العراق، غير أن مبادئ الدعوة لم تُرْضِ بعضاً من مشايخ نجد وكبار قادتها، فَنَبَذَ فريقٌ منهم ما يدعو إليه الشيخ؛ لأَنَّهُم خَشُوا تأثير دعوته على نفوس الناس واندفاعهم في تأييدها؛ لأنَّ ذلك أمرٌ يزعزع زعامتهم ويذهب بنفوذهم ويَحدّ من سلطانهم(١)، خاصَّةً أنَّ إمارات نجد في تلك الفترات تعتبر في عصر دويلات المدن النجدية المتناحرة، ودعوة الشيخ تدعو إلى ترك ذلكم التناحر وتنادي بالاجتماع تحت راية إمام واحدٍ يردع ما كانوا فيه.

عند ذلك نَهَدَت لمناهضة الدعوة واضطهادها القوى الثلاث:

١ ـ قوة الدولة والحكام.

٢ ـ قوة أنصارها مِمَّن يحملون رسوم العلم.

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٤).

٣ ـ قوة العوام[١].

ـ غبار المعارضة يثور ضدَّ الشيخ وضدَّ ابن سعود الذي آواه:

نجم عمَّا ذكرته لكَ آنفاً أَنْ كَثُرَ أعداء الشيخ ومنازعوه وفشى البُهْت بينهم فيما قالوه وشاع المَيْن فيما نقلوه، فنسبوا للشيخ وابن سعود أنواع المفتريات، فكبُرَت الفتنة وعَظُمَت النازلة، فأجلبت المعارضة على أهل الدعوة في الدرعية بخيلِ الشيطان ورجله.

وهذا تبيانه:

يقول الشيخ في رسالته إلى علماء مكة: «جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم؛ وسببه: هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلمَّا كَبُرَ هذا على العامة؛ لظنِّهم أنَّه تنقُّص للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعائهم وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلمَّا أظهرنا هذه المسألة، مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور، كَبُرَ على العامة جداً وعاضدهم بعض من يدَّعي العلم لأسبابٍ ما تخفى على مثلكم؛ أعظمها اتِّباع هوى العوام... فأشاعوا عنَّا أننا نسبُّ الصالحين، وأنَّا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنَّا أشياء يستحي العاقل من ذكرها»[٢].

ورغم ثوران تلك العجاجات؛ لم يتزحزح ابن سعود عن موقفه الذي اتخذه في مناصرة الشيخ والانتصار لدعوته؛ رغم سواد الخطوب

---

(١) انظر: مقدمة السيد محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١١) لمحمد بشير السهسواني.

(٢) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (١/٥٦ ـ ٥٧).

التي استبَانَت، ورغم النظراء الأقوياء الذين ترادفوا على تطويق بلده الدرعية مِنْ كُلِّ طرف.

وهو الأمر الذي وصفه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ حين قال: «فتلقَّاه شيخ البلد محمد بن سعود رحمه الله هو وأولاده وقرابته وأعيان بلده، فقابلوا دعوته بالقبول وجَدّوا في نصرته على ضعفهم وقلَّتهم وكثرة عدوّهم»[(١)]، «ولم يبالِ [محمد بن سعود] بمن خالفه من قريبٍ أو بعيد، حتى أنَّ بعض أناس ممن له قرابة به عذَلَهُ عن هذا المقام الذي شَمَّرَ إليه، فلم يلتفت إلى عَذْلِ عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب، بل جَدَّ في نصرة هذه الدعوة»[(٢)].

يقول الشاعر أحمد بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) عن ذلك من بعض أبياتٍ له:

فوازره عبدالعزيز ورهطه[(٣)] ... على قلَّةٍ منهم وعيشٍ مُنكَّدِ
فما خاف في الرحمٰن لومَةَ لائمِ ... ولم يُثنِهِ صولاتُ باغٍ ومُعتَدِ
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه ... فما وَهَنوا للحربِ أو لِلتَّهَدُّدِ
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم ... ونادِ بِهِ في كلّ نادٍ ومشهد[(٤)].

---

(١) من رسالة الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن إلى أهل الأحساء، ضمن: «الدرر السنيَّة» (٤٠٨/١١).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٤٠/١٢ ـ ٤١).

(٣) قال عبدالعزيز، والأصل أنَّ المؤازرة بدأت من محمد بن سعود، لكنَّه ما دام قال: (ورهطه)، فإنَّه ينسحب على سائر أئمَّةِ الدولة وقتها.

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

وهذا توثيق لترادف الأعداء على تطويق الدرعية يوم انتصر ابن سعود للشيخ؛ يقول المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) : إنَّ الشيخ ظهر إلى الدرعية مع كثرة مناوئيه ومعارضيه، «**فآوَاهُ من جُعِلَ عِزّ الإسلام على يديه وجاد بنفسه وما لديه ولم يَخشَ لوم اللائمين ولا كيد الأعداء المحاربين؛ محمد بن سعود وبنوه ومن ساعدهم على ذلك وذووه، فشمَّرَ في نصرة الإسلام بالجهاد وبذل الجِدَّ والجُهد والاجتهاد، فقام في عداوته الأكابر والأصاغر وجرُّوا عليه المدافع والقنابر**[1]**، فلم يَثنِ عزمَه ما فعل المبطلون**، وجاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون»[2].

وهذه حقيقةٌ تاريخية؛ فمحمد بن سعود وقومه: «وإن كانوا أشدَّاء شجعانا إلا أنَّ قِلَّتهم لا تمكنهم من بسطِ نفوذٍ أكبر ولا انتشار حكم أقوى، و[محمد بن سعود] حينما احتضن هذه الدعوة السلفية، مع حُسنِ نيَّتِهِ وابتغائه وجه الله، **كان يُدرك ما أقدم عليه ويعني ما رَشَّح نفسه له، فمن أول وهلةٍ عَوَت عليه الذئاب وَوَرِمَت الأنوف وتنكَّر الأصدقاء**؛ فالعيينة وحريملاء والدِّلَم والرياض وحَرْمَه وحتى منفوحة، كانت هذه البلدان أول من تنكَّر له وقلب له ظهر المِجَنِّ وحاربوه وأمعنوا في حربه حتى ظهر الحقّ وزهق الباطل.

ولكنَّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ، ولم تَمُت الفتنة بموتِ

---

(١) القنابر: جمع «قنبرة»، وهي ما يقذفه المدفع بواسطة البارود، واللفظ متداول في تلك الفترات، يقابله اليوم لفظ «قنبلة». وقد كتب الفلكي الرياضي الأزهري محمد بن حسين العطّار (ت: ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) كتاباً سمَّاه «الرمي بالقنبرة والطوب». انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/١٠٤). أيضاً: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٥٤).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧).

هؤلاء الأَدنَيْن، بل بدأ يَشُبّ أوارها وتَتَوقَّد نارُها مِنْ قِبَلِ أعداءَ أقوياءَ وخصومَ أشدَّاء؛ بدأ الحجاز بمن فيه يزرع كيده ويُظهر عداءه ويَبُثّه خارج البلاد وداخلها[١]، وبدأت الأحساء ومن حَولَها تضرب نفس الوتر وتَغزِل غزلها الدقيق[٢]، وعن طريق هاتين انتشر التضليل وبلغت الدعاية مبلغها ولَقحت ثمار الشرّ وطعمت جذوره وتهيَّأت النفوس لقبوله.

فكانت الإرهاصات الشريرة كافيةً لتقف الدرعية حيالها موقف التفكير، وأنْ تَهزّها هذه المتغيرات لتغير موقفها، ولكنَّ قوة الإيمان في حكم الدرعية من ناحية وأسلوب الداعية الإيجابيّ من ناحيةٍ ثانية وبطولة الأنصار أهل الدرعية من ناحيةٍ ثالثة؛ كلّ ذلك جعل العقيدة والإيمان يقفان على قاعدةٍ صُلْبَةٍ لا تزعزعها الأحداث ولا تهزُّها الأعاصير، إنَّهم يقابلون ذلك كلّه بمدلول هذه الآية: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت، الآية: ١ ـ ٣]»[٣].

والحقّ أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مُنذ ظهورها في حريملاء إلى ارتحالها للعيينة ثمَّ استقرارها في الدرعية، وأعداؤها يحيكون لها الدسائس ويغزلون لها المؤامرات سراً وعلناً في نجد وغيرها، ويبثُّون الدعاية السيّئة في العامَّة والخاصة ضدَّ الدعوة وأنصارها آل سعود.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في هذا الفصل.

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤١٨).

والعلَّة في ذلك أنَّ «**كلّ ما جاء على خلاف معتقدهم هذا نبذوه وعادوه وأبغضوا القائم به وحاربوه بكلِّ ما عندهم من قوة**، ولو قد تبيَّنَ لهم الحق وقامت عليهم الحُجَّة، فهم مغلوبون على عقولهم لا يقدرون على فكِّها من الأغلال والقيود»[(١)]؛ «**لأنهم لا يعرفون غير ما نشؤوا عليه واعتادوه، سيَّما إذا ساعد العادة الاغترار بمن ينتسب إلى العلم والدين**»[(٢)].

ولم يكن الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م) مبالِغاً حين وصف تلك الحال قائلاً: «فإنَّه ابْتُلِيَ بعض من استحوذ عليه الشيطان بعداوة شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى ومسبَّتِهِ وتحذيرِ الناس عنه وعن مصنَّفاته، **لأجل ما قام بقلوبهم من الغلوِّ في أهل القبور وما نشؤوا عليه من البدع التي امتلأت بها الصدور**»[(٣)].

وهو عين الأمر الذي صوَّره المؤرخ حسين بن غنَّام الذي عايش تلك الأحداث، فقال: «وكان من أعظم الأسباب التي دعتهم إلى هذا الارتكاب: [هو] إعلان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى بما هو الحق والصواب والواجب المحتَّم على من بلغ مناطِ الثواب والعقاب، وهو التمسك والاعتصام بالسنّة والكتاب والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، فَلَمَّا أَسْفَرَ كلامه نور هذا الفجر المنير الذي يهتدي به من أراد إلى الله

---

(١) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (١٦ ـ ١٧).

(٢) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (١١/٥٤٣ ـ ٥٤٤).

(٣) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١/٥١٥).

المسير؛ صارت قلوبهم من ذلك فَرَقاً أعظم مَطيراً، وَسَعوا إلى عَذبِ ذلك النَّمير بالسعي إلى صافي سلساله بالتكدير»(١)، «وقالوا مثلما قال الأولون ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: الآية ٥]، فأخذوا في ردّ دعوة الشيخ وإنكارها وأتوا بأعظم الأسباب، وزجُّوا في لُجَّة الضلال والارتياب، وضجُّوا على كلمة الحقِّ بالتكذيب، وأثاروا عجاجات الافتراء عليه؛ فقالوا: إنَّ الشيخ ساحر ومفترٍ أو كذَّاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وأصحابه»(٢).

وهذه حقيقة تاريخية أثبتها الشيخ محمد بن عبدالوهاب من قبل؛ حين قال: «**فلمَّا أظهرت تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، سبُّوني غاية المسبَّة وزعموا أنِّي أُكَفِّر أهل الإسلام وأَستَحِلّ أموالهم**»(٣).

وهذا صِنْو ما شهد به الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود حين قال: «**بيَّنَ الله لنا التوحيد في آخر هذا الزمان على يدي ابن عبدالوهاب وقمنا معه، وقام علينا الناس بالعدوان والإنكار لَمَّا خالف دين الآباء والأجداد**»(٤)؛ وهذا «**هو سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيَّانا، لمَّا أخلصنا العبادة لله وحده ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها من البدع المضلَّة والمنكرات المغويَّة؛ فلأجل ذلك رمونا بالعظائم وحاربونا، ونقلونا عند السلاطين والحكام، وأجلبوا علينا بخيل**

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢٢٨/١) باختصار لبعض عباراته.

(٢) المصدر السابق (٢١٦/١) بتصرفٍ يسير.

(٣) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١٤/١٠).

(٤) من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١ - ٢٨٠).

الشيطان ورَجِلَه»[١].

وقَد وَثَّقَ الشيخ سليمان بن سحمان تلك الحقيقة التاريخية فقال:

فلم يخش في الرحمٰن لومة لائم ... ولا صدَّه كيدٌ من القوم قد طَمى
وكل امرئ أبدى العداوة جاهداً ... وبالكفر والتجهيل والبهت قد رمى
فأظهره المولى على كل من بغى ... عليه وعاداه فما نالا مغنما[٢].

وما أحسن وصف الإمام محمد بن علي الشوكاني لحال المعارضين لدعوة الشيخ، حين قال عنها:

ولـمَّا دعا لله في الخلق صارخاً ... صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً ... إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي ... أتانا بها طه النبي خير قائل[٣].

- رؤوس المعارضة النجدية:

لـمَّا كان لكل معارضة رأس، فإنَّ واقع تلك الفترة يخبرنا بأنَّ «أَشَرَّ الناس والعلماء إنكاراً على الشيخ وأعظمهم تشنيعاً وسعياً بالشرِّ إليه؛ هو: سليمان بن سحيم (ت: ١١٨١هـ/١٧٦٦م) وأبوه محمد[٤]،

---

(١) المصدر السابق (١/٢٦٢).

(٢) المصدر نفسه «١٦/٣٣٦».

(٣) «الدرر السنية» (١٦/٣٤٤).

(٤) يقول عبدالله البسام: أنَّ (أبو سليمان بن سحيم) وهو: محمد بن أحمد بن سحيم؛ له ردٌّ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبذا ينضمّ محمد بن سحيم (أبو سليمان بن سحيم) إلى من عارض دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢/٣٨٢).

من مطاوعة الرياض، ومثلهم المويس[(١)] من أهل منيخ[(٢)] وغيرهم كثير في نجد آنذاك. أما في الأحساء فقد برزت معارضة الدعوة من قِبَلِ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت: ١١٨١هـ/١٧٦٧م)[(٣)] ومحمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق (ت: ١١٦٤هـ/١٧٥١م)[(٤)]، **فصار كلٌّ من هؤلاء معانداً مجادلاً مشاقق، وحذَّروا منه جميع الأنام وأخرجوه من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام؛ خصوصاً السلاطين والحكام، وقطعوا لهم أنَّه رافض شريعة محمَّد عليه الصلاة والسلام وأنَّه مغيِّر لمنار السنة والأحكام وأنَّه ليس له منها تمسُّك والتزام وليس له ولا لأصحابه عهدٌ ولا ذِمَام، ولم يكن له قصد ولا مَرام إلا تنفير الخواص والعوام بما يبديه لهم من ذلك الكلام، فيقومون بمشاقة الحكام والولاة ويكونون عليهم عتاة، فهذا غايته ومناه ومنتهى مراده وأقصاه»**[(٥)].

هكذا كان أعداء الدعوة يشوِّهونها بتلك الأكاذيب والافتراءات. ولنبدأ بتعداد المشهورين منهم.

---

(١) هو عبدالله المويس، وقد مرت ترجمته في الفصل الثاني.

(٢) مُنِيخ: هي (المجمعة) وما حولها من واديها. كان هذا الاسم يُطلق عليها قديماً، ولا تُعرف إلَّا به، أمَّا الآن فقد أصبح هذا الاسم (مُنِيخ) أثريَّاً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٧٢) (٢/٤٠٢).

(٣) مرَّت ترجمته في الفصل الرابع.

(٤) من علماء الأحساء، وهو من أعداء دعوة الشيخ. انظر ترجمته عند: محمد بن عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٩٢٧ ـ ٩٢٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٠٩/٣). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٣٨/٦ ـ ٤٣).

(٥) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٨/١ ـ ٢١٩) بتصرفٍ يسير.

١ ـ سليمان بن سحيم وأكاذيبه على دعوة الشيخ.

معلومٌ من ترجمة سليمان بن سحيم أنَّه كان إماماً لقصر أمير الرياض دهام بن دوَّاس؛ الذي كان هو الآخر بدوره معادياً لدعوة الشيخ محمد، **فاجتمعت عداوة أمير الرياض (ابن دواس) ومطوّع الرياض (ابن سحيم) ضد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، حتى أصبح سليمان بن سحيم واحداً من أشدّ المعارضين النجديين لدعوة الشيخ محمد السلفية وأكثرهم نشاطاً ضدّ انتشارها وتوسعها[١].

وقد كتب الشيخ لابن سحيم كتاباً لطيفاً فيه اللين والتقدير، إلا أن سليمان بن سحيم أظهر العداوة والبغضاء للشيخ ودعوته، فزوَّرَ ابن سحيم للناس برسائله أشياء لم تقع من الشيخ وليس لها أصل، فاحتدم الجدال بينه وبين الشيخ محمد[٢].

وأخذ يشيع إشاعات مِلْؤُها التحريض والتحريش في نجد وغيرها بأنَّ الشيخ مبتدعٌ ضال جاهل، كما أشاع بأنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهَدَمَ قبورهم وبعثرها، وأشاع أيضاً أنَّ الشيخ يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمّي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شرّ الجنّ، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام[٣].

يقول ابن غنَّام عن ابن سحيم: أنَّه «يفتري الكذب الظاهر على

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨٢/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٨١/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٤٤/١ ـ ٣٤٥).

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ؛ عداوةً منه لدين الله ورسوله وحَنَقاً وحسداً لهذا الشيخ وأتباعه أنْ خصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة»[١].

ـ دحض أكاذيب ابن سحيم:

ردَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب على أكاذيب ابن سحيم ونسفها نسفاً ونقض رسالته حرفاً حرفا؛ وقبل أن يسوق ردَّه على سليمان بن سحيم، بيَّن الشيخ محمد في رسالته إلى عالم بلد المجمعة الشيخ عبدالله بن سحيم (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م)[٢] بأنَّ سليمان بن سحيم قد أيَّدَ دعوة الشيخ محمد في بدايتها، ولكنَّ سليمان خشيَ أن يرميه العامة بالجهل أو يرمونه بكتم العلم؛ لأنَّه لم يُبيِّن لهم الشرك ومناقضة أفعالهم للتوحيد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣].

وهذا نصّ بيان الشيخ محمد بن عبدالوهاب لحقيقة تلك الأمور، حيث قال: «فإنَّ الذي راسلكم عدو الله [سليمان] ابن سحيم، وقد بيَّنتُ ذلك له فأقرَّ به[٤]، وعندنا كتب بيده في رسائل متعددة أنَّ هذا هو الحقّ، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب: أعظمها البغي أن يُنزّل الله من فضله على من يشاء من عباده، **وذلك أنَّ العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحقُّ، فلأيِّ شيءٍ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله؟. فتعذَّروا: أنكم ما**

---

(١) المصدر السابق (٣٨٨/١).

(٢) عبدالله بن أحمد بن سحيم: يقول عنه البسام: بأنه أخف عشيرته معاداة للدعوة السلفية. انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨/٤ ـ ٤٠).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٨/١).

(٤) كان هذا من ابن سحيم في أول الأمر، ولكنه سينكص على عقبيه فيما بعد.

سألتمونا!!. قالوا: وإن لم نسألكم!، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟!. وظنّوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأنَّ فيه شرفاً لغيره»[١].

ثم قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب مبيِّناً حال ابن سحيم: «واعتبر لنفسك؛ حيث كتبت لي فيما مضى أنَّ هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن ما نقدر على تغيير، وتكلَّمتَ بكلام حسن، فلمَّا غربلك الله بولد المويس[٢] ولبَّسَ عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد ويزعم أنَّه بدعة وأنَّه خرج من خراسان»[٣].

ـ نقض شبهة ابن سحيم الأولى:

فيما يخصّ تهمة سليمان بن سحيم بأن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد عَمَدَ إلى قبور الصحابة التي في الجبيلة وهدمها وبعثرها، فإنَّ الشيخ محمد ردَّ على بهتان ابن سحيم وبيَّنَ الحق في ذاك الهدم، فقال منبِّهاً له: «أنَّه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً؛ فإنَّها شعائر الشرك والكفر وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة البتَّة. وهكذا حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور التي اتُّخِذَت أوثاناً تُعبَدُ من دون الله والأحجار التي تُقْصَد للتبرُّك والنَّذرِ

---

(١) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٨/١).

(٢) هو عبدالله المويس.

(٣) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٥١/١).

والتقبيل؛ لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركاً عندها وبها»(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لكن العجب من قولك: أنا هادمٌ قبورَ الصحابة، وعبارة **الإقناع**(٢) **في الجنائز: يجب هدمُ القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَت على معصية الرسول [انتهت عبارة الإقناع]**»(٣).

وفي كلام ابن غنَّام مزيد تفصيل، حيث يقول: «**الذي حدث من الشيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ **وأتباعه أنَّه هَدَمَ البناء الذي على القبور والمسجد المجعولَ في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنَّه قبر زيد بن الخطَّاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وذلك كذبٌ ظاهر؛ فإنَّ قبر زيد بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لا يُعرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله** ﷺ **قُتِلُوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي [وادي حنيفة]، ولا يُعرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة، ويجتمع عنده جمعٌ كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبنيَّ على المقبرة، اتِّباعاً لما أمر الله به رسوله** ﷺ **مِن تسوية القبور والنهي الغليظ الشديد في بناء مساجد**

---

(١) المصدر السابق (٣٥٩/١).

(٢) يقصد كتاب «الإقناع لطالب الانتفاع» لشرف الدين الحجاوي. وهو كتابٌ في فقه الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٦١/١). وعبارة الإقناع موجودة في: «الإقناع لطالب الانتفاع» (٣٦٨/١) لشرف الدين الحجاوي.

عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مَلَكَة من المعرفة والعلم»(١).

وقد بحث المؤرخ البلداني عبدالله بن خميس (ت: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) تحديد مكان قبر زيد بن الخطاب، وأثبت أنَّه لا تصحُّ نسبة هذا القبر إلى زيد بن الخطاب(٢).

ـ نقض شبهة ابن سحيم الثانية:

اتَّهَم ابن سحيم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتكفير من يذبح للجنِّ، وأنَّه يقول إنَّ الذبيحة المذبوحة للجنِّ لحمها حرام.

وهذا الأمر لم ينفِهِ الشيخ عن نفسه، بل هو يُوَكِّدَه لأنَّه الحق، وَوَكَّدَه عنه تلميذه الشيخ حسين بن غنَّام، فقال: «**ومن العجب أنَّ ذلك** [الذبح للجنِّ] **يُفعل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك** ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة للجنِّ ولا تُسَمُّوا عليها؛ وقصده بذلك أنَّ الجنَّ يزيلون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة.

فلمَّا أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلَّغَ كلامَ الله ﷻ وكلامَ رسوله ﷺ وكلامَ أهل العلم: أنَّ ذلك كفر ورِدَّة؛ يُنكر ذلك عليه من يَزعم أنَّه من العلماء، فهل يشكّ أحد من العلماء أنَّ ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟، نعوذ بالله من الخذلان.

وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النيَّة وقصده بذلك أن

---

(١) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٣٦٢/١ ـ ٣٦٣).

(٢) أوردنا بحث المؤرخ عبدالله بن خميس في الفصل الثاني.

يبرئ الله مريضه، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلاً عن أن يجعله كفراً وردة. ولكن هذا الخبيث يفتري الكذب الظاهر على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ عداوة منه لدين الله ورسوله، وحَنَقاً وحسداً لهذا الشيخ وأتباعه، أن خصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة، ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]»(١).

٢ - عبدالله المويس:

معارضٌ آخرَ للدعوة فعل ذات فعل ابن سحيم بالتشنيع؛ وهو عبدالله المويس (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) قاضي بلدة حَرمَة.

وينبغي التنبيه على أمرٍ مهم في ترجمة المويس، سَيَسْتَبِين معه دافع الحسد الذي دفعه لمعارضة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية؛ وهو: أنَّ عبدالله المويس كان قد طلب العلم على يد مشايخ نجد ثم ارتحل إلى دمشق للأخذ من علمائها، فأخذ عنهم ثمَّ عاد إلى وطنه ليجلس للإفتاء والتدريس، فصادف رجوعه قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنشر دعوته السلفية، فهاجمه المويس وأخذ يردّ على الشيخ محمد وأتباعه، فصار من أكبر المعاندين لهم.

ثمَّ صار المويس يتهم - في إحدى رسائله إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بأنَّ الشيخ ينقض التوحيد بتكفيره للمسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بلا برهان على طريقة الخوارج. واتهم المويس الشيخ محمد وأتباعه أنَّهم يقنتون في صلاتهم ليدعوا على المسلمين.

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٨٨/١).

والحقُّ أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه مبرؤون من القنوت في الصلاة وغيرها إلّا على من يرونَ أنَّه أتى من الأعمال ما يُعتبر خروجاً من الملَّة المحمدية، فهم بعد أنْ يُوَضِّحوا له ويدعونه بالتي هي أحسن، فإنْ قَبِلَ فهو منهم، وإنْ أبى وأصرَّ بعد إبلاغه والإعذار إليه فإنَّهم يستعينون بالله تعالى عليه بدعائه وبالجهاد المشروع[(١)].

وقد ردَّ الشيخ على مثل تلك الأكاذيب فقال: «**وأمَّا القول أنَّا نُكفِّر بالعموم!، فذلك من بهتان الذين يصدُّونَ به عن هذا الدين، ونقول:** ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]»[(٢)].

وفي أوّل الدعوة كتب الشيخ محمد رسالة إلى المويس وكتب إلى ابن إسماعيل وابن عبيد[(٣)]، وكانت كتابته لهم بلطفٍ ولين، فشرح لهم دعوته وأيَّدها بالنصوص، إلّا أنَّهم لم يستجيبوا له، مما أثار الجدال بينهم بعد ذلك، فأرسل المويس ومن معه رسائل لأهل نجد يتهمون الشيخ محمد بما هو بريء منه وطعنوا في دعوته طعناً كاذبا؛ وفي تلك الرسائل أعطى أولئك الأعداء أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة، فقالوا عنها: **دين أهل العارض**[(٤)]، وقالوا: **إنَّه مذهب خامس**[(٥)]، **كما ادعوا أنه بدعة**

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٥).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى إسماعيل الجراعي، تجدها ضمن «الدرر السَنيَّة» (١/١٠٠).

(٣) ابن إسماعيل وابن عبيد من أعداء الدعوة السلفية في نجد.

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٩٥) (٤٠٩) (٤٤٢).

(٥) انظر: رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (١١/٥٤٣ ـ ٥٤٤).

خرج أول ما خرج من خراسان[١].

وبعد صبر من الشيخ على المويس استنفد جهده في دعوته ورجاء رجوعه إلى الحقّ، عامله الشيخ محمد بالمثل؛ بأن حذَّرَ الناس من المويس وبيَّنَ لهم أعماله، وأنَّ كلّ فائدته التي حصل عليها من ذهابه إلى الشام: أنْ جاء بِحِمْلِ كتبٍ بطريقٍ غير مشروعة، إذ قال الشيخ محمد: «فيا عجباً من رجلٍ يدّعي العلم، وجاي من الشام بِحِمْلِ كتب، فلمَّا تكلَّمَ إذ أنَّه لا يعرف الإسلام من الكفر»[٢].

وقد يكون لكلام الشيخ محمد تأييد من التاريخ أيّدَه الله به، **فمسألة استيلاء المويس على تلك الكتب من الشام ربما هي التي ذكرها العلامة الشيخ عبدالقادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) في** كتابه «منادمة الأطلال» حينما أرَخَ للمدرسة العمرية في مقرّ الحنابلة بصالحية دمشق، فقال: «**وقد كان بها خزانة كتب لا نظير لها، فلعِبَت بها أيدي المختلسين، إلى أنْ أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جَمَل من الكتب وفرَّ بها**»[٣].

الحاصل؛ أنَّ المويس قام بإرسال كتاب إلى أهل الوشم يستعديهم فيه على الشيخ ودعوته، ويهوّن فيه على أهل الوشم أمر البدع المنتشرة، ويستهزئ في هذا الكتاب بالتوحيد ويزعم أنه بدعة وأنه خرج من خراسان، ثم كرر المويس إرسال المكاتيب المشابهة

---

(١) انظر: رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٥١).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٢٧).

(٣) عبدالقادر بن بدران «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» (٢٤٤).

إلى أهل سدير والقصيم[(١)].

إلى جانب ذلك؛ كان المويس يقاوم ما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يدعو له من لزوم صلاة الجماعة؛ فكان المويس يثبّط الناس عنها ويخفّف من شأنها، فَنَبَّهَ الشيخ أحمد المانع (ت: ١١٨٦هـ/١٧٧٢م)[(٢)] على خطورة تثبيط المويس للناس من لزوم صلاة الجماعة، حيث قال ابن مانع: «**بلغني أنَّ المويس ثبَّط جماعتكم عن المحافظة على صلاة الجماعة وهوَّنَ أمرها، فيا عجباً**؛ هل كان المويس أعلم من رسول الله ﷺ وأصحابه؟ فإنَّ رسول الله ﷺ لم يُرخِّص لسامع النداء في التخلّف عن صلاة الجماعة من غير عذر، فلا يصرفنَّكم عبدالله المويس وغيره عن صلاة الجماعة بقوله: هم خوارج؛ يعني أهل العارض، وما نقمَ عليهم إلا أنهم يعلِّمون الناس دينهم الذي أعظمه شهادة ألّا إله إلّا الله ويبينون لهم أنواع الشرك، ويأمرون بالمحافظة على الصلاة مع الجماعة ويأمرون بالزكاة، وينهون عن المنكرات التي أكبرها الشرك بالله، وينهون عن الفواحش ويقيمون الحدّ، وينهون عن الظلم، حتى أنَّ الضعيف يأخذ الحقَّ ممن هو أقوى منه، وقد كان الناس قبل هذا الأمر بعكس ذلك، ولم يوجد أحد يعيب ذلك، فلمَّا بيَّنَ [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] لهم أمر الدين واشتغلوا بالعلم وتعليمه وبإقامة أمر الله وحضّ الناس عليه، قام

---

(١) انظر: رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب عند: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (٤٢٤/١).

(٢) الشيخ أحمد بن مانع الوهيبي التميمي، ممن ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. توفّي بالدرعية في شهر رمضان ١١٨٦هـ. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٥٠٤/١ ـ ٥٠٧).

الموسى وأمثاله **يصيحون ويقولون: أهل شقراء وأهل العارض مرتدون، وأهل العارض خوارج، فإذا قيل له:** أهل العارض وأهل شقراء يطلبون منك الدليل على ما قلت إن كنتَ صادقاً فَرُدَّ عليهم من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ ولو في مسألةٍ واحدة حتى يُقبَل كلامك»[(١)].

٣ ـ سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد:

كان له دورٌ كبير في الوقوف ضدّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ حرّضَ أهل حريملاء على الثورة ومحاربة التوحيد عام ١١٦٥هـ/١٧٥١م، فتواطؤوا على قتل أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان الشيخ محمد قد أحسَّ أنَّ من وراء تلك الأمور أخيه سليمان بن عبدالوهاب، فناصحه، إلا أنَّ سليمان استمرَّ في معارضة الدعوة وترصد إضعافها، حتى أنّه ألف كتاباً يفتري فيه على أخيه الشيخ محمد وينتقّص دعوته السلفية، سمّاه «**فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبدالوهاب**»[(٢)].

يقول ابن غنّام: «وفيها [سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م] وقعت من أهل حريملاء الردَّة والافتنان، واجتمع على ذلك كلّ إنسان من أهل الفساد والعصيان، وَتَمالَؤُوا على قتل من عندهم من أهل التوحيد والإيمان. . . فاستنشق الشيخ [محمد] من أخيه سليمان أنَّه لأسباب الردَّة معوان، وأنَّه يُلقي إلى الرُّؤسا وخاصة من الجُلسا شُبهاً كثيرة،

---

(١) من رسالة الشيخ أحمد بن مانع إلى بعض أهالي نجد، موجودة عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥٠٤/١ ـ ٥٠٦).

(٢) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٠).

وإنَّما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغِيرَة، فلأجل إلقائه عليهم الشُّبَه وترويجه بما خفي معنىً واشتبه، كاتبه الشيخ وناصحه، بل أنَّبَهُ وكافحه وحذَّرَه شؤم العاقبة... فلم تُجدِهِ النصائح والإنذار، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجَّة الاستبصار... بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار»[١].

وفي عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م كتب سليمان بن عبدالوهاب إلى أهل العيينة كتاباً فيه كثير من الشبه المزخرفة والأقاويل المحرَّفة وأحاديث أوهى من نسيج العنكبوت، فَقُرِئَ في محافل العيينة وبيوتها، وألقى في قلوب أهل البلد شُبَهاً مضرّة، غيَّرَت قلوب من لم يعرف مصادر الكلام بالإتقان.

ولم يَزَل سليمان بن عبدالوهاب على حالته يرسل الشُّبَه في الكتب إلى أهل العيينة مع من خرج ودخل ويبذل في ذلك الجِدَّ في العمل[٢].

الحاصل؛ أنَّه بعد فتح أهل الدعوة لحريملاء عنوةً عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، هرب سليمان بن عبدالوهاب ماشياً إلى أن وصل سدير سالماً، ثم استقرَّ في الزلفي التي كانت مكاناً لاجتماع المعارضين للدولة والدعوة[٣].

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٩١/٢ ـ ٦٩٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٩٥/٢ ـ ٦٩٦).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٣٦/٢ ـ ٧٣٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٧١/١ ـ ٧٢).

٤ ـ معارضون آخرون في نجد:

ظهر في نجد غير ابن سحيم والمويس وسليمان بن عبدالوهاب معارضون جَدّوا واجتهدوا في مناوأة الشيخ ودعوته ومناهضة دولة آل سعود في الدرعية أوَّل نشأتها ونصرتها لدعوة الشيخ؛ ومن هؤلاء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن رزين بن عدوان (ت: ١١٧٩هـ/١٧٦٥م)[١] من أهل أثيثية[٢]، وعنه قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام: «وقد رأيت له رسالة تقع في نحو ثماني كراسات من القطع الصغير خطيَّة، رد بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى دعوته، **وقد أقذع في هذا الردّ، وتهجَّمَ على الشيخ ورجال الدعوة**، وعندي صورة منه»[٣].

ومن المعارضين أيضاً **عبدالمحسن بن علي بن شارخ** (ت: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م)[٤] الذي كان من أهل الوشم ثمَّ رحل إلى الزبير،

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن رزين بن عدوان الرزني الحنظلي نسباً الأثيثيّ النجدي بلداً. من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٥٤٠/٢ ـ ٥٤٤). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٤٠٦/٣ ـ ٤٠٩).

(٢) أثيثية أو أثيفية: من قرى (الوشم)، تقع بين (ثرمداء) و(القرائن)، وهي اليوم كائنة في (إمارة الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٧/١ ـ ٥٨).

(٣) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٠٨/٣).

(٤) عبدالمحسن بن علي بن شارخ، من أهل (أشيقر) في (الوشم). كان من طلاب ابن فيروز ومن أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. رحل من نجد إلى (الزبير) ومات في وباء الطاعون الذي اجتاحها سنة ١١٨٧هـ. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب لوابلة» (٦٦٨/٢ ـ ٦٧٠).

قال محمد بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)[١]: **«له تأليفٌ ردَّ به على طاغيةِ العارِض»**[٢].

وفي هذا نلمح العصبية الظاهرية ضدّ الشيخ من عنوان الردّ، وقد أظهر الله الحقّ وانتشرت دعوة الشيخ ونفع الله بها أُمَماً جيلاً بعد جيل، ولعبدالرحمٰن العثيمين تعليق جميل على عنوان هذا الردّ قال فيه: **«هكذا تُبتلى الأشراف بالأطراف، ويعالجون غَيْظ قلوبهم بمثل هذا الضِّبَاحُ، وهو أبداً حيلة العاجزين المفلسين»**[٣].

كما ظهر من المعارضين الشيخ سيف بن أحمد العتيقي النجدي (ت: ١١٨٩هـ/١٧٧٥م)[٤] الذي جمع غالب الافتراءات التي كتبها أعداء الدعوة والدولة، وجعلها في كتابٍ واحد. ويُنقَل عن محمد بن فيروز (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م) أنَّه قال معجباً بصنيع العتيقي ما نصّه: **«جَمَعَ غالب ما رُدَّ به على طاغية العارض فبلَغَ سفراً ضخماً»**[٥]. على أنَّ العتيقي ذهب هو وما جمعه أدراج الرياح وقامت الدعوة الإصلاحية سنيَّة سلفية على سُوقِها، وهكذا يُحقّ الله الحقّ ويُبطل

---

(١) محمد بن عبدالله بن علي بن حميد: من أعداء الدعوة الحاقدين عليها. كتب ردّاً عليه وبياناً لحاله الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن رسالةً سمّاها «المحجَّة في الردِّ على اللجَّة»، واللجَّة لقبٌ لمحمَّد بن حميد؛ لُقِّبَ به لكثرة كلامه ولَغَطِهِ. انظر ترجمته عند: عبدالله البسّام «علماء نجد» (١٨٩/٦ ـ ٢٠٤).

(٢) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٦٧٠/٢).

(٣) من حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على كتاب «السحب الوابلة» (٦٦٩/٢ ـ ٦٧٠) لمحمد بن حميد.

(٤) مرّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٥) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٤١٨/٢).

الباطل[(١)].

وقد علَّق الشيخ صالح آل عثيمين (ت: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)[(٢)] على كلمة ابن فيروز التي قال فيها «**ردّ به على طاغية العارض**»، فقال آل عثيمين: «وقوله: ما ردّ به على طاغية العارض. أراد بذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجدِّد القرن الثاني عشر، وقد عُلِمَ ما جرى بين الشيخ وأتباعه وابن فيروز وأتباعه، فلا يُلْتَفَت إلى هذه التشنيعات التي منشؤها الحسد والتعصّب، وقد تمَّ ولله الحمد للشيخ وأتباعه ما قاموا به وبذلوا فيه مُهَجَهُم من الدعوة إلى الله ورسوله، حتى بلغت دعوتهم مشارق الأرض ومغاربها، **فلا تأتي بلداً إلَّا وتجدُ هذه الدعوة قائمة وأنصارها كثيرون، بخلاف خصومه [الذين] انقرضوا وانقرض ذكرهم**»[(٣)].

* استقواء المعارضة النجدية بالخارج:

لـمَّا فشل ابن سُحيم والمويس في سَوْقِ أكاذيبهم على الدولة السعودية والدعوة السلفية وداعيها، اتخذ أولئك الأعداء سبيلاً آخر في معارضتهم، وهو سبيل التحريش والتحريض واختراع التهاويل وإشاعتها في الحجاز واليمن والأحساء والعراق؛ ليخوّفوا بها من لم يعرف الدولة

---

(١) انظر: حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على: «السحب الوابلة» (٤١٨/٢) لمحمد بن حميد.

(٢) صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن عثيمين، وهو ليس من آل عثيمين الموجودين في (عنيزة) و(شقراء). وُلِدَ الشيخ في (بريدة) سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ثمَّ سافر (مكة) وتوفي بها. انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٨٨/٢ ـ ٤٩٤).

(٣) صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٢٢/٣).

والدعوة مِمَّن كانوا خارج نجد، «وأفتوا السلاطين والحكّام: بأنَّ القائم بدعوة التوحيد؛ خارجيّ ليس له في الحقّ تثبّت ولا قرار، وأنَّه من أقبح الضلّال والفسّاق والكفّار وأشرّ الخوارج الفجّار، ولقد عرفوا أنَّ الذي جاء به الحقّ، ولكنهم لذلك يكتمون، فصنَّفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح الأقوال وأرهفوا أسِنَّة المقال والكلّ خاض في الإفك ونال»[١].

ـ الاستقواء بالعراق:

وشاهد ذلك؛ أنَّ ابن سحيم أرسل رسالة إلى العلماء في العراق والأحساء والحجاز وغيرها؛ تحريشاً منه وتحريضاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية.

وهذا بعض ما ورد في تحريض ابن سحيم الذي قال فيه: «من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم... فالذي يحيط به علمكم؛ **أنَّه قد خرج في قُطرنا رجلٌ مبتدع جاهلٌ مضلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل**[٢]**، جَرَت منه أمور فضيحة وأحوال شنيعة؛ منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع، وشيءٌ لم يتعدّ أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين؛ ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردّوا على بدعه وضلالاته وجهله وهفواته.**

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٦ ـ ٢١٨).

(٢) هو يسألهم عن الشيخ ثمَّ يسابقهم في الحكم عليه بتلك الأوصاف الغريبة!. فهو إنَّما يبحث عن التأييد وليس الحق. فتأمَّل.

فمن بدعه وضلالاته: أنَّه عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه وهَدَمَ قبورهم وبعثرها[(١)]، ومنها: أنَّه أحرق [كتاب] **دلائل الخيرات**[(٢)]؛ **لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا، وأحرق أيضاً [كتاب] روض الرياحين**[(٣)]، **وقال: هذا روض الشياطين، ومنها أنَّه صحَّ عنه أنَّه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب، ومنها أنَّه ثبت أنَّه يقول: الناس من ستمئة سنة ليسوا على شيء**[(٤)] ... ومنها: أنَّه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي.

---

(١) تمت مناقشة تلك الشبهة حين الحديث عن معارضة ابن سحيم لدعوة الشيخ، فلا حاجة لإعادة ما سقناه من قبل.

(٢) كتاب «دلائل الخيرات» لمحمد بن سليمان بن داوود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي (ت: ٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، وهو فقيه صوفي من أهل (سوس) المُرَّاكِشِيَّة. ابتدع في كتابه صلوات على النبي ﷺ مُحدَثَة لا أصل لها. وله أتباعٌ يسمّون الجزولية من الشاذلية. مات مسموماً في مكانٍ يقال له (آفغال). انظر ترجمته عند: أحمد ابن القاضي المكناسي «جذوة الاقتباس» (٣١٩). وخير الدين الدين الزرِّكلي «الأعلام» (١٥١/٦).

(٣) هو كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» للصوفي اليمني عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، من شافعية اليمن (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)، وهو كتابٌ محشوٌّ بالخرافات. وهو صاحب التاريخ المعروف «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان». انظر ترجمته عند: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» (٢٤٧/٢ ـ ٢٤٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧٢/٤).

(٤) لم تقتصر تلك التهمة على الإمام المجدد فقط، بل وجَّهها الأعداء لآل سعود أيضاً، كما سيأتي بيانه.

فبيِّنوا رحمكم الله ذلك للعوام المساكين الذي لبَّسَ عليهم وأبطَلَ عليهم الاعتقاد الصحيح، **فإن رأيتم أنَّ ذلك صواب فبيِّنوه لنا ونرجع إلى قوله**[١]، **وإن رأيتموه خطأً فاردعوه وازجروه وبيِّنوا للناس خطأه، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قُطرِنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، لأنَّ ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل**»[٢].

فظهر تبعاً لتحريض ابن سحيم أن كتب **أحمد القباني** (كان حيّاً سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م)[٣] مجلداً ضخماً سمَّاه «**فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبدالوهاب**» يزيد على مئتين ورقة، وهذا الكتاب جواب على رسالة ابن سحيم التي بعثها إلى علماء الأمصار تحريضاً على الشيخ وتشويهاً لدعوته السلفية، ويظهر من هذا الكتاب شدّة إلحاح ابن سحيم على أولئك العلماء ليردّوا على الإمام المجدد ودعوته، حيث أنَّه تكرر منه الطلب مرة ثانية، كما يذكره القباني، فكتب القباني هذا المجلد[٤].

---

(١) يكذب، هو لا يبتغي الرجوع إلى الحق لو أظهروه له، إنَّما غرضه تأييدهم له فيما افتراه على الشيخ، بدليل: أنَّه قدَّم وصفه للشيخ بأنَّه ضال مبتدع، ثم قال لهم اصطادوه كما تصطاد أحرار الصقور صغار بغاث الطيور. هذا ما يريده بالضبط.

(٢) من رسالة ابن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (١/٣٤٤ ـ ٣٤٧).

(٣) هو أحمد بن علي البصري الشهير بالقبَّاني، كتب ردَّه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحشاه بالأباطيل، وصار كتابه مرجعاً لأغلب المهاجمين لدعوة الشيخ، بالرغم من زيف ما كتبه القباني. انظر ترجمة القبَّاني عند: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العقيدة الإسلامية» (٣٧٠) (٤١٠ ـ ٤١٢) (٤٢٨).

(٤) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٤) (٩٥).

وقد كشف الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن تهاويل وأكاذيب ابن سحيم التي اخترعها فنقضها ونسفها نسفاً؛ ومن ذلك افتراؤه على الشيخ بأنَّه أحرق كتابي «**دلائل الخيرات**» و «**روض الرياحين**»، فبيَّن الشيخ ما حدث على الحقيقة قائلاً: «**أما دلائل الخيرات فله سبب؛ وذلك أنِّي أشرتُ على مَنْ قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألّا يصير في قلبه أَجَلّ من كتاب الله، ويظنّ أنَّ القراءة فيه أجلّ من القرآن**»[١].

أقول: وهذا صحيح؛ **فقد لقي ذلك الكتاب رواجاً عظيماً في مجتمعات المسلمين في ذلك العصر، حتى صار بمكانة قريبة من القرآن العظيم عند بعضهم؛ إذ كان يوضع جنباً إلى جنب مع المصاحف الشريفة في المساجد والجوامع**[٢]، **بل كان بعضهم يحبس الأوقاف على من يتلون القرآن ومن يَقْرَؤُونَ كتاب دلائل الخيرات؛ حيث حَبَسَ سلطان المغرب السلطان محمد بن عبدالله (ت: ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م)**[٣] **خراج غابةٍ من الزيتون أَوْقَفَ نصفها للحرمين الشريفين والنصف الآخر تُصرَف للطلبة الذين يقرأون في بلاد المغرب**

---

(١) من رسالة الشيخ إلى ابن السويدي عالمٌ من أهل العراق، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤١٣/١).

(٢) انظر: علي بن بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» (٤٢٤/١).

(٣) هو المَوْلَى محمد (المتوكل على الله) بن عبدالله بن إسماعيل بن الشريف الحسني، المالكي مذهباً الحنبلي اعتقاداً، من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب. وهو أوّل من اتخذ (مُرَّاكِشْ) عاصمة له. انظر أخباره عند: أحمد الناصري السلَّاوي «الاستقصا» (٣/٨ ـ ٦٥). وترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٤١/٦ ـ ٢٤٢).

الأقصى كتاب دلائل الخيرات[١].

وكان بعض من يحملون رسوم العلم آنذاك **يحرصون على ختم كتاب «دلائل الخيرات» بين العشائين كلّ يوم**؛ مثلما حصل لبنداود (ابن داوود) ابن العربي الشرقي[٢] من أهل المغرب الأقصى[٣].

وكان الوزير أحمد بن المبارك (ت: ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م)[٤] وزير سلطان المغرب من المواظبين على قراءة «دلائل الخيرات» حضراً وسفراً، ويحمله معه في جيبه ولا يفارقه، وكلَّما وجد فسحة من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسَّرَ مِنْه[٥].

وكان الموسرون وأصحاب الثروة والمكانة يسارعون إلى نشر «دلائل الخيرات»، ويحبسون الأوقاف لأجله، ويمنحون الجوائز لمن حفظه وقرأه؛ مثلما فعل أحمد بن القائد المُرَّاكِشي (ت: ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)[٦]؛ حيث نشر «دلائل الخيرات» في جميع أقاليم

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن ابن زيدان السجلماسي «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» (١/٢٠٩).

(٢) متصوّف مغربي على الطريقة الناصرية. ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م. انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (١/١٩٣ ـ ١٩٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١٩٣).

(٤) انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (٢/٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٥) المصدر السابق (٢/٤٠٣).

(٦) هو أحمد بن القائد عمر بن أبي ستَّة المُرَّاكِشي، من أهل مُرَّاكِش، توفِّيَ في (فاس). انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (٢/٤١٨ ـ ٤١٩).

المملكة، **«وكان له طائفةٌ من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ (الدلائل)، ثمَّ يجمع عدداً ثمَّ يسفره ويجلّده، وحيثما جاءت الأركاب من الآفاق يعطيهم عدداً من النسخ مجاناً، ثمَّ زاد أنْ جَعَلَ للعميان الملازمين مقام أبي العباس السبتي خراجاً على حفظه، فلم يلبثوا أن حفظوه عن ظهر قلب، ثمَّ عَمَدَ إلى أنْفَسِ بساتينه فحبَّسه على من يقرأ [الدلائل] تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنوَّرة»**[(١)].

هذا فيما يخصُّ الغلو بكتاب «دلائل الخيرات» وأنَّه غدا لدى معظم الناس آنذاك قريباً من مكانة القرآن عندهم، وهو ما يؤكِّد حجَّة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التحذير من هذا الكتاب.

أمَّا أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب أمر بإحراق «دلائل الخيرات» لأجل ما فيه من الصلاة على النبي، فهذا زورٌ وبهتان، فإنَّ الشيخ محمد قال نصَّاً عن تلك الأكذوبة: **«أمَّا إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأيِّ لفظٍ كان، فهذا من البهتان»**[(٢)].

أمَّا بالنسبة لتشنيع ابن سحيم على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّه أحرق كتاب «روض الرياحين» وأنَّه سمَّاه «روض الشياطين». فهذا أيضاً من الكذب والزور المبين، **وكل ما في الأمر أنَّ الشيخ أنكر، كما أنكر غيره من علماء المسلمين، مِمَّا ورد في الكتابين من ترَّهات الصوفية وشطحاتهم الرديَّة المخالفة للسنَّة المحمديَّة التي تَمُجُّها الطباع التي سلمت من العصبيَّة وتنفر عنها الأسماع السليمة من الباطل**[(٣)].

---

(١) المصدر السابق (٢/٤١٩).

(٢) من رسالة الشيخ إلى ابن السويدي عالمٌ من أهل العراق، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤١٣).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٧٤).

أما مسألة اتهام ابن سحيم للشيخ بأنَّه قال: لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على أخذ ميزابه وأبدله بميزاب خشب، فهي فرية سيأتيك نقض الشيخ لها، ولكنَّ الملفت في الأمر تواطؤ أعداء التوحيد على تردادها، فهذا أحمد القباني قد ردَّد فرية ابن سحيم هذه في كتابه «فصل الخطاب» وقال: «فظهر لك أنَّ قول هذا المخذول لو أقدر على هدم حجرة الرسول هدمتها، قولُ من لم يتبع سبيل المؤمنين في تعظيم حرمات سيد المرسلين، بل إنَّما ذلك قول من اتبع واقتدى بإبليس اللعين، ومن تنقيص مقام حبيب ربّ العالمين»[(١)].

مع العلم أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنكر ودحض هذا الافتراء، ودلَّلَ على أنَّ هذا كلُّه داخل في البهتان الذي أتى به أعداء الدعوة؛ «**فكيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ كقولهم أنَّه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها**»[(٢)].

أما موضع اتهام ابن سحيم للشيخ محمد بن عبدالوهاب من أنَّه يقول: الناس من ستمئة سنة ليسوا على شيء. فهذا بيَنه الشيخ في قوله: «**أمَّا ما ذكر الأعداء عني أنِّي أكفِّر بالظنِّ والموالاة أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتانٌ عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله ﷺ**»[(٣)].

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٩٦).

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٤٩/١) (٤١٣).

(٣) من رسالة الشيخ محمد إلى محمد بن عيد، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٣٩/١).

ويقول الشيخ أيضاً عن الذين رموه بذلك: «وأجلبوا علينا بخَيلِ الشيطان ورَجِلِه؛ منها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه، منها: أنّي أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة»[(١)]، «فأنا أكفّر من عرف دين الرسول ﷺ، ثم بعدما عرفه سبّه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك»[(٢)].

وقد كان الأعداء قد وجّهوا لآل سعود نفس التهمة، وردَّ عليها ونقضها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في رسالته لأهل الروم وبلاد العجم، قائلاً: «إنّه يأتيكم أعداءٌ لنا يكذبون علينا عندكم ويرموننا عندكم بالعظائم، حتى يقولوا: إنّهم يسبُّونَ النبي ﷺ ويكفِّرونَ الناس بالعموم، وإنّا نقول: إنَّ الناس من نحو ستمئة سنة ليسوا على شيء وإنّهم كفّار، وإنَّ من لم يهاجر إلينا فهو كافر، وأضعاف ذلك من الزور الذي يعلم العاقل أنّه من الظلم والعدوان والبهتان. ونحن لا نكفِّر إلا من عرف التوحيد وسبّه وسمّاه دين الخوارج، وعرف الشرك وأحبّه وأحبَّ أهله ودعا إليه وحضَّ الناس عليه بعدما قامت عليه الحُجَّة»[(٣)].

ثم يجيء قول ابن سحيم بأنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب قَطَع

---

(١) من رسالة الشيخ محمد إلى السويدي، موجودة عند: حسين بن غنّام «تاريخ ابن غنّام» (١/٤١٣).

(٢) من الرسالة السابقة، في نفس المصدر (١/٤١٤).

(٣) من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٢٦٣ ـ ٢٦٤) باختصار.

بتكفير ابن الفارض وابن عربي[١]، وهو أمرٌ بيَّنه الشيخ صراحةً حين تكلم عن أحد من تتلمذ على يد الصوفيّ عبدالغني النابلسي النقشبندي (ت: ١١٤٣هـ/١٧٣١م)[٢]، فقال الشيخ محمد: «ولا يخفاك أنِّي عثرت على أوراق عند ابن عزَّاز[٣] فيها إجازات له من عند مشايخه،

---

(١) حول بيان كفر ابن عربي، راجع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية التي عنوانها «الردّ الأقوم على ما في فصوص الحكم» ضمن «جامع الفتاوى» (٣٦٤/٢) حيث قال: «ما تضمَّنَه كتاب الفصوص [لابن عربي] وما شاكله من الكلام فإنَّه كفرٌ باطناً وظاهراً، وباطنه أقبحُ مِن ظاهره، وهذا يُسمَّى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد». وقال في (٢٤١/٢ ـ ٢٤٢): «وجِماع أمر صاحب الفصوص وذَويه: هَدمُ أصول الإيمان الثلاثة». يقول الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣ ـ ٤٩): «حكى العلامة ابن دقيق العيد ـ شيخنا ـ أنَّه سمع الشيخ عزَّ الدين ابن عبدالسلام يقول عن ابن عربي: شيخُ سوءٍ كذَّابٌ، يقولُ بِقِدَم العالم ولا يُحرِّمُ فَرْجاً». وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني في «الفتح الربانِي من فتاوى الإمام الشوكاني» (ص١٠٠٣): «وأما ابنُ الفارض وابنُ عربي. . . وأتباعهم؛ فاعلم أنَّها قد جمعتهم خصلةٌ كفرية هي: القول بوحدة الوجود مع ما تفرَّق فيهم من خصال الخذلان والبلايا البالغة إلى حدٍّ ليس فوقه أشنع منه؛ كتحليل ابن عربي لجميع الفروج».

(٢) انظر انحرافه ووقوعه في الشرك الأكبر في ترجمته التي أوردناها في الفصل الثالث.

(٣) لا أدري من هو ابن عزَّاز الذي عناه الشيخ. وهو ـ بالكاد ـ لا يعني (سيف بن محمد بن عَزَّاز) خاله؛ خال الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي توفي سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م. وراجع تلميحات (غير جازمة) أتى بها الشيخ حمد الجاسر حول شخصية ابن عزَّاز، ظنَّه الجاسر أنَّه خال الشيخ، وهو خطأ. انظرها في: بحث للجاسر بعنوان «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» نشرها في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٦٨).

وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له عبدالغني ويثنون عليه في أوراقهم ويسمّونه العارف بالله، **وهذا اشتُهِرَ عنه أنَّه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنَّه أكفر من فرعون**، حتى قال ابن المُقْرِئ الشافعي [ت: ٨٣٧هـ/١٤٣٤م][١]: مَنْ شَكَّ في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر»[٢].

وذكر الشيخ في رسالة له أنَّ «ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى»[٣].

وهذا أحد علماء نجد من معاصري الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو الشيخ عبدالله بن عيسى[٤]، فإنَّه أيَّدَ رَدّ الشيخ محمد على ابن سحيم في تكفيره لابن الفارض وابن عربي، فقال ابن عيسى: **«أمَّا الاتحادي ابن عربي صاحب (الفصوص)[٥] المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحقِّ معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد**

---

(١) هو شرف الدين إسماعيل اليماني الشافعي المعروف بابن المقرئ؛ قال عنه السخاوي في «الضوء اللامع» (ص٢٩٤): «ما رأيت باليمن أذكى منه». انظر ترجمته عند: ابن حجر العسقلاني «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٥٢١). وعند: شمس االدين السخاوي «الضوء اللامع» (٢٩٢ ـ ٢٩٥).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٠/٢٥). وكلمة ابن المُقرِئ هذه تجدها عند: الملا علي القاري في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود» (٦٤).

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٠٥).

(٤) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٥) مرَّ في الفصل الثالث التعريف بكتاب «فصوص الحكم» لابن عربي.

المرسلين؛ فابن عربي وابن الفارض ينتحلان نِحَلاً تُكفِّرُهما، وقد كفَّرَهم كثيرٌ من العلماء العاملين، فهؤلاء يقولون كلاماً أخشى المَقتَ من الله في ذكرِهِ، فضلاً عمَّن انتحله، فإن لم يَتُب إلى الله من انتحل مذهبهما؛ وَجَبَ هَجْرُهُ وعَزْلُهُ عن الولاية إن كان ذا ولاية، من إمامة أو غيرها، فإنَّ صَلاتَه غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره»[١].

أما عبدالله المويس فإنَّه ركب هو وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز[٢]، تأييداً منهم وتحسيناً لما هم عليه من البدع عند تلك القبة، وفي ذات الوقت يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه من عبادة القبور وتقديسها، ويستثيرونهم ضد الشيخ وضد دعوته السلفية، قائلين لهم: **قد ظهر من ينكر قبَبَكُم وما أنتم عليه، وقد أحلَّ دماءكم وأموالكم.** وحال عودتهم من العراق استحضروا معهم كتاب أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني، الذي ذكرناه قبيل قليل، الذي نقل فيه ما توهمه من إجماعٍ على تحسين قبَّة الكواز[٣].

وقد روّجوا كتاب القباني لأنَّه يتهم فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه متنبِّي اليمامة، ويقول ساخراً من الشيخ وما دعا إليه من التوحيد: «**هل أخذته من بقايا صُحف مسيلمة الكذَّاب عندكم في نواحي اليمامة**». ويتهكّم القباني على الشيخ فيقول: «أتَرى أنَّ كلّ هؤلاء العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ضلّوا وأضلّوا من نحو ستمئة

---

(١) من رسالة ابن عيسى، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٢) قبَّة الكواز: ذكر عبدالله البسَّام في «علماء نجد» (٥/١٤٤): أنَّها محلَّة في (البصرة) في العراق.

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٢٤ ـ ٤٢٥) (٣٤٠).

سنة إلى أن بعث الله متنبّي العيينة داعياً إلى دين الإسلام»[١].

وكان ابن إسماعيل عنده كتاب القباني، وهو يشيعه عند أهل سدير ويجادل به جماعة الشيخ في ثرمداء، وكان ولد محمد بن سليمان راعي أثيفية/أثيثية يقرأه في بعض بلدات نجد ويجادل من خلاله أتباع الشيخ. وكتاب القباني مشهور عند المويس وأتباعه، ومشهور عند ابن سحيم وابن عبيد، من مطاوعة ثرمداء، يحتجون به على الشيخ ودعوته، ويدعون الناس إلى قراءته، ويقولون: انظروا، هذا كلام العلماء[٢]؛ قصدهم «بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هؤلاء أن يرتقوا إلى ذلك بأسباب ويستدعوا من كل معاند مكابر جواب»[٣].

ـ الاستقواء باليمن:

ثمَّ ظهر عدوٌّ جديد للشيخ ودعوته يستقوي بمن كان خارج نجد من أهل العلم، وهو مِربِد بن أحمد بن عمر الوهيبي التميمي (ت: ١١٧١هـ/١٧٥٨م)[٤]، الذي بلغ من عداوته وتضليله أن ذهب من حريملاء إلى صنعاء في اليمن، فصار يشوّه سمعة الشيخ محمد بن

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٨٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٤٣ ـ ٣٤٤).

(٤) مربد الوهيبي التميمي: من بلد (حريملاء)، وهو قاضيها. وهو من أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦١١). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٦/٤١٦ ـ ٤٢٠).

عبدالوهاب ودعوته وأتباعها، لأنَّ مربد قد دبَّ الحسد في قلبه لما رأى الأمير الصنعاني مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قصيدة له، فذهب إليه وظلَّ عنده مدة ثمانية أشهر قاصداً تشويه الدعوة وداعيها، فأخذ يرمي الشيخ وأتباعه بأنهم يكفرون أهل الإيمان ويقتلونهم وينهبونهم[(١)].

«**وكلّ هذا كذب وزور وعدوان؛ فـ[الشيخ] لم يكفّر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إلا عبّاد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم مِمَّن أشرك بالله وجعل له أنداداً بعد إقامة الحُجَّة ووضوح المحجَّة**»[(٢)]، كما «**أنَّ الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى لم يقاتل إلا على أصل الإسلام والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنَّه قاتل على غير ذلك فقد كذب وافترى**»[(٣)]، والشيخ أيضاً «**قاتل من قاتلهم على ترك الشرك وإزالة المنكرات وعلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[(٤)]، غير أنَّ مربد الوهيبي كان يسعى لإلصاق البشاعات والشناعات الكاذبة بالدعوة وداعيها وأتباعها، ولكنَّ الله خيَّبَ مسعاه ولم يتحصّل على مراده[(٥)].

ولـمَّا عاد مربد الوهيبي التميمي إلى حريملاء سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م والتي كانت قد تفيَّأت ظلال حكم آل سعود، أخذ

---

(١) انظر: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني» (٨١).

(٢) سليمان بن سحمان «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» (٨٦).

(٣) المصدر السابق (١١١).

(٤) من جواب الشيخ عبدالله أبا بطين، ضمن «الدرر السنية» (٩/٩).

(٥) انظر: سليمان بن سحمان «تبرئة الشيخين الإمامين» (٨٣).

مربد يُحرِّض أميرها على الدرعية ويغريه بنزع يد الطاعة التي أعطاها لابن سعود(١).

وإلى جانب مربد الوهيبي، كان صالح بن محمد الصائغ النجدي (ت: ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)(٢) مِمَّن ضاق ذرعاً بقصيدة الإمام الصعاني التي امتدَحَ بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٣)، فكتب الصائغ يردُّ على الصنعاني يوم امتدح الشيخ محمد بقصيدته المشهورة، فصاغ الصائغ قصيدة على بحرها ورويّها، ومطلع ردّه:

سلامٌ من الرحمٰن أحلى من الشهدِ — وأطيبُ عَرْفاً مِنْ شذى المسكِ والوَرْدِ
إلى معشر الإخوان أهل محبّتي — وأهل ودادي نِعم ذلك من ودِّ
وبعدُ، فقد جاءت إلينا رسالةٌ — بها قول زور خارج من لدُن زَيْدي(٤).

- الاستقواء بالحجاز:

إضافةً لمن سبقوا، جدَّ أعداء الدعوة مثل عبدالله المويس وابن ربيعة وابن إسماعيل(٥)، الذين ركبوا إلى أهل قبة أبي طالب في

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٢٠).

(٢) المولود في (عنيزة) والتي بها نشأ وطلب العلم. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٤٣٠ ـ ٤٣٢). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسّام «علماء نجد» (٢/٥٤٠ ـ ٥٤٣).

(٣) سنورد بعض أبيات قصيدة الصنعاني في الفصل السادس.

(٤) اكتفى محمد بن حميد بذكر البيت الأول في كتابه «السحب الوابلة» (٢/٤٣١). وأورد عبدالله البسّام الأبيات الثلاثة بتمامها في كتابه «علماء نجد» (٢/٥٤٣).

(٥) ابن ربيعة وابن إسماعيل من أعداء الشيخ ودعوته.

مكة[١] وأخذوا يشنِّعون على دعوة الشيخ عندهم، ويقولون لهم: قد خرج من ينكر قُبَبَكُم وما أنتم عليه[٢]. فقام محمد بن سليمان الكردي (ت: ١١٩٤هـ/١٧٨٠م)[٣] وكتب أسئلة وأجوبة ضد الدعوة السلفية، حيث تضمَّنت مخالفةً ومعارضةً لما قرَّرَهُ وأكّده أئمة الدعوة السلفية قديماً وحديثا[٤].

ـ الاستقواء بالأحساء:

في أثناء تلك الحوادث المارّ ذكرها، شاعت في نجد رسالة ابن عفالق الأحسائي التي كتبها فيما يظنُّه ردّاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وسمَّاها «**تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين**»؛ تهكّم فيها على دعوة الشيخ، فأخذ المويس وابن إسماعيل يروّجون رسالة ابن عفالق عند أهل نجد[٥]. وكان ابن عفالق يصيح في تلك الرسالة ويقول: «**فيا أهل الإسلام أين عقولكم؟ أين آراؤكم؟ أين دينكم؟ يستفزّكم هذا الآدمي الجاهل**»[٦].

وكان ابن عفالق يخاطب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخطاب

---

(١) انظر ما ورد في الفصل الأول عن (قبة أبي طالب).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (١/٣٤٠).

(٣) نزيل (المدينة النبوية) وأصله من (دمشق). انظر ترجمته عند: محمد خليل المرادي «سلك الدرر» (٤/١٣١ ـ ١٣٢).

(٤) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف، المرجع السابق (٤٣).

(٥) رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تجدها عند: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (١/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٦) محمد بن عفالق «تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين» (٢٠).

تهكّميّ سَيِّئ، حيث قال فيه: «من محمد بن عبدالرحمٰن [ابن عفالق] إلى محمد بن عبدالوهاب... وبعد: فقد وقفتُ على القواعد التي بنيت عليها مذهبك(١) ووصلت إليَّ بخطّ يدك، فوجدتك قد ارتقيتَ فيها مرتقىً صعباً وَعراً حَزناً؛ شتمت به الأئمة وسبَبْتَ أعلام الأمة وهدمتَ قواعد الملَّة وثَلَبْتَ به جميع الأمة المحمدية، حتى ارتقيتَ إلى الجَزمِ بزيغ أصحاب رسول الله ﷺ والإئمة الأربعة»(٢).

أقول: إطلاقاً، لن تجد في رسائل وكتب الشيخ وأتباعه منذ ذلك الوقت إلى يوم الناس هذا شيئاً مما افتراه ابن عفالق وغيره، وهذا الميدان أمام من يردّد ويكرّر تلك المزاعم وتلك الافتراءات، لكنَّه الهوى إذا تمكَّنَ من النفوس، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

المقصود؛ أنَّ ابن عفالق الأحسائي جَدَّ واجتهد في إرسال الرسائل إلى أهل نجد يحذرهم برسائل محشوة بالأباطيل والافتراءات على الشيخ، فقد افترى ابن عفالق أنَّ الشيخ يدَّعي النبوة؛ إذ كذب في رسالته تلك التي ردَّ فيها على عثمان بن مُعَمَّر يوم آوى الشيخ في العيينة، فقال: «**كما ادَّعى نزيله مسيلمة بلسان مقاله، وابن عبدالوهاب بلسان حاله**»(٣). ويقول في ذات الرسالة: «**والله لقد ادَّعى النبوة بلسان حاله لا بلسان مقاله، بل زاد على دعوى النبوة وأقمتموه مقام الرسول**

---

(١) لم تكن دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب مذهباً جديداً، بل هي دعوةٌ سلفية مذهبها مذهب الإمام أحمد. وانظر الردّ موثَّقاً على تلك الأحبولة في الفصل الثامن.

(٢) محمد بن عفالق «تهكّم المقلدين في مدعي تجديد الدين» (٢).

(٣) يقصد ادَّعاء النبوة، وهذا من بهتان ابن عفالق.

وأخذتم بأوامره ونواهيه»[١].

من هنا يظهر سبب حرص أعداء الدعوة على تَبَنِّي ترويج رسائل وكتب ابن عفالق وأمثاله ممن يسبون الشيخ ودعوته، لأنَّ ذلك وافق ما في نفوسهم من الغلّ والحنق على دعوة الشيخ السلفية.

أما محمد بن فيروز (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م)[٢] وهو الذي عادى دعوة الشيخ وحارب أتباعها بما يخطّه من الرسائل والقصائد والأجوبة، حتى صار من ألدّ خصومها في الأحساء، وقد كان يحذِّر تلاميذه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويحذِّرهم من أهل العارض عموماً، إذ قال لأحد تلاميذه يوماً:

احْذَرْ تُصَبْ بِعَارِضٍ مِنْ مَحْقِ أَهْلِ الْعَارِضِ[٣].

وقد بلغ من كيد محمد بن فيروز لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودولة آل سعود أنّه **كاتب السلطان العثماني يستنجده ويحرّضه على قتال أهل نجد** من أتباع الدولة والدعوة[٤]، الذين وصفهم ابن فيروز بالبغاة الخوارج[٥]. وبلغ من كيده أيضاً أنّه ألَّف

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٨١ ـ ٨٢).

(٢) هو من أهل الأحساء ثمَّ هاجر إلى العراق. وقد مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٣) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١٢٨/١).

(٤) مع العلم أنَّ نجد لا تتبع الدولة العثمانية بأيِ حالٍ من أحوال تلك الفترة. راجع ما قرَّرناه في الفصل الأول.

(٥) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٩٧٣/٣).

كتاباً في الردّ على الشيخ ودعوته سمَّاه «الرسالة المرضيَّة في الردّ على الوهابية»[١].

وقد هجا ابن غنَّام محمدَ بن فيروز في قصيدةٍ عصماء هذه بعض أبياتها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا	عروس هوىً ممقوتة زارت الشطَّا[٢]
تخطَّت فأخطت في المساعي مرامها	ومُرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها	وسارت فبارت والإله لها قَطا
ويسعى بتحريض وتهييج فتنة	تصير إذا شبَّت لحاء العدا شمطا
وربّك بالمرصاد ممَّن يريد أن	يؤسس ركن الشرك من بعد أن حُطا
فلا عجبٌ من يعْش عن ذكر ربّه	يُقَيِّض له الشيطان ينشطه نشطا
لقد خاب مسعى من غدا طول عمره	يصد عن التوحيد من دان أو شطا
أيوصف بالطاغوت من جدَّد الهدى	وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
وأعلن بالإسلام والدعوة التي	لها كشط المختار رأس العِدا كشطا
وقام بأمر الحق في جاهلية	وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
وأطلع مولاه نجوم سعوده	بآل سعود حين صاروا له سبطا[٣].

الحاصل من ذلك؛ أنَّ ابن فيروز بلغ في الإسفاف وشناعة

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/٩٧٤).

(٢) يقصد (شطّ العرب) المعروف في العراق؛ لأنَّ ابن فيروز رحل من الأحساء إلى العراق واستقرَّ فيه.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٥٣ ـ ٩٥٤).

السباب وبذاءة اللسان إلى الدرجة التي أوصلته لكتابة تقريض لرسالة تلميذه عبدالله بن داوود الزبيري (ت: ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)[١] والتي سمَّاها «الصواعق والرعود في الردّ على ابن سعود»[٢].

وقد طار محمد بن عبدالله بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) بهذا الكتاب فقال: «وصنَّف [عبدالله بن داوود] تصانيف مِنها «**الصواعق والرعود في الردِّ على ابن سعود**» في مجلدٍّ حافلٍ أجاد فيه»[٣]. وما وصفه ابن حُميد بذلك إلَّا لأنَّه موافقٌ لهواه في معاداة الدعوة وأنصارها[٤].

أمَّا ابن فيروز؛ فإنَّه ما قرَّضَ هذا الكتاب إلَّا لأنَّه يشفي غليله بما افتراه ابن داوود على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث افترى عليه بأنَّه «**يُضمِرُ دعوى النبوَّة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلَّا تنفر عنه الناس**... وأنَّ ابن عبدالوهاب مولعاً بمطالعة أخبار من ادَّعى النبوَّة كاذباً كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم، وأنَّ أباه عبدالوهاب كان رجلاً صالحاً

---

(١) عبدالله بن داوود: من أهل (حرمة) من بلدان (سدير)، ثم تحوّلت به الأحوال فنزل (البصرة) بأهله وماله، ثم استقرّ في (الزبير). انظر ترجمته عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٧٩ ـ ٨١). ومحمد عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٦١٩ ـ ٦٢٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٤/١١٤ ـ ١١٥).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/ ٦٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٢٠).

(٤) انظر: حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة») ٢/ ٦٢٠) لمحمد بن حميد.

وأنَّهُ تفرَّس في ولده الشقاوة من حين صباه، وكان يبغضه بغضاً شديداً ويقول: سيظهر منه فساد عظيم»[(١)]. إلى غير ذلك من الافتراءات التي تدلّ على أن ابن فيروز يصدِّقها ويدّعيها بغضاً وحسداً وحنقاً على الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أمَّا «ابن داوود هذا؛ فهو ممَّن شرب من مشايخه عداوة الدعوة السلفية وزعيمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لذا فإنَّه من أشدّ الجادين في مجابهتها ومعارضتها، وقد صنَّف في الردّ على الدعوة والدولة كتابه المذكور، إلا أنَّ الله تعالى أبقى هذه الدعوة الطيبة في نموٍّ وتقدّم وتوسُّعٍ في المشارق والمغارب، وذهبت رعود ابن داوود وبروقه خلباً»[(٢)].



(١) بِنَصِّهِ عن: علوي بن أحمد الحداد «مصباح الأنام» (٢) الذي نقل عبارة ابن داوود.

(٢) عبدالله البسام «علماء نجد» (١١٤/٤) باختصار.

ثانياً: انتقال المعارضة من المناوأة بالقلم إلى المناوأة بالسلاح:

لمَّا رأت المعارضة أنها قاصرة عن قمع دعوة الشيخ بالقلم وإثارة الافتراء والبهتان عليها؛ التجأت إلى تأييد من بيده القدرة على حربها بالسلاح ومقاومتها بالقوة؛ فها هو أمير الرياض دهام بن دواس؛ وهو من الذين كتب إليهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب يناشده اتِّباع الدين الحنيف، إلا أنه أبى واستكبر.

وقد مرَّ التنبيه سابقاً أنَّ سليمان بن محمد سحيم عدو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ كان إماماً لقصر حكم أمير الرياض دهام بن دواس، فعداوة ابن دواس للدعوة ـ التي ستأتيك أخبار حروبها ومصادماتها مع أهل الدعوة ـ كان النافخ في ضرامها والمؤجّج لنيرانها هو ابن سحيم مفتي الرياض وخطيبها وإمامها.

فابن دواس لم يكتف بمعارضة الدعوة بالردّ عليها ومعارضتها بالقلم من خلال مفتيه ابن سحيم، بل عمل ابن دواس على اضطهاد من ناصر الدعوة الإصلاحية في بلاده، فكان يُهَدِّدُهُم في أرواحهم وأملاكهم؛ ومن ذلك أن أهل منفوحة كانوا ممن استجاب لدعوة التوحيد، فبلغ ذلك دَهام بن دواس أمير الرياض، فغضب واعتدى على أهلها[1] محاولاً بذلك فتنتهم عن دينهم وإرجاعهم عن صراط الله المستقيم، فبلغ ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، فغضب لذلك الشيخ وجند الله في الدرعية، وقام الأمير

---

(١) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٧).

محمد بن سعود لفوره ومعه إخوانه وجنده وتوجهوا إلى دهام سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، وكانت بينهم موقعة انتصر فيها أهل الدعوة السلفية، وجرح دهام وقتلت فرسه.

كانت هذه شرارة إيقاد نار العداوة والبغضاء وتسعيرها في قلب دهام للتوحيد وأنصاره، وفاتحة الجهاد في سبيل الله؛ الذي لم يكن في كل أدواره إلا دَفْعاً لعدوانٍ انقدح من قِبَلِ أعداء التوحيد، ورداً لكيد من أراد الكيد بأهل الدعوة السلفية[١].

لما رأى جيش التوحيد ما آتاه الله من النصر، قوي بأسه واشتد ساعده، ورغَّبَ ذلك النصر الكثير من أهالي البلاد المجاورة في الانضواء تحت راية التوحيد، فقامت رؤوس الفتنة في حريملاء والعيينة والجبيلة وما جاورها من وادي حنيفة، وكانت بينهم وبين جيش التوحيد مواقع عقد فيها لواء الظفر والنصر على رأس الموحدين. وكان كلما أعطى الله النصر لأتباع الدعوة والدولة كلما كثر أنصارهم؛ فيغتاظ أعداؤهم وتنكأ صدورهم وقلوبهم؛ فيؤلبون من ناحية أخرى، فيذهب إليها الموحدون، فيخرجون من معمعتها ظافرين منصورين[٢].

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٢/٦٧٥ ـ ٦٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣١ ـ ١٣٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٩ ـ ٥٢). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٧ ـ ٦٨).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٢/٦٨٦) (٦٨٩ ـ ٦٩٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٠) (٦٢) (٦٥). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٨).

* بيان نقض شبهة أنَّ آل سعود وأهل الدعوة هم من بَدَؤُوا الناس القتال:

ما كان الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب ليعلنا الحرب ضد أحد لو استمرت الدعوة تسير في دربها، حتى ولو ببطءٍ شديد، وما كانا ليعلنا الحرب أيضا لو أنَّ من اقتنعوا بالدعوة وناصروها كانوا آمنين في دينهم لا يلحق بهم مكروه؛ لأنَّ هؤلاء كانوا يتبعون الدعوة دون إكراه، إلَّا أنَّهم لم يكونوا في مأمنٍ من شرور الرؤساء المتشاكسين والزعماء المتنافرين الذين لم يرتضوا الانضواء تحت لواء الدولة التي جاءت لإنهاء مظاهر التشاكس والتنافر الضارب أطنابه في نجد، ولم يستجب أولئك المتشاكسون المتنافرون لدعوة الشيخ السلفية، بل عالنوا من اتبَّعها بالحرب والمضايقة.

كل ذلك كان دافعاً لأن تقوم الدرعية بصَدِّ من أعلن الحرب واعتدى عليهم وصّدِّ من ألحقوا الأضرار بأنصار دعوتها السلفية؛ ولو **راجعت تاريخ حسين بن غنَّام، وهو تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب والمهتم بذكر حوادث دعوته وحروبه، لوجدت أَنَّ أهل الدرعية لم يَبْدَؤُوا بالحرب على أعدائهم، بل ترى الأعداء هم من بادَؤوهم الحرب، فتردّ الدرعية عليهم، فيعطيها الله نصراً مؤزّرا**[1].

وهو الأمر الذي شهد به الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) حين قال: «**ومن وَقَفَ على سيرته**[2] **وما ذكره المؤرّخون في بدء دعوته - مثل الشيخ حسين بن**

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٢/٦٧٥). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٨).

(٢) يقصد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

غنَّام الأحسائي في تاريخه - عَرَفَ أنَّ الشيخ لم يبدأ أحداً بالقتال، بل أعداؤهم الذين ابتدأه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيِّئةِ بمثلها»[١].

ولا عبرة بما تفرَّدَ به ابن بشر في تاريخه: من أنَّ الدرعية هي من بدأت الحرب[٢]؛ هذا كله تدحضه حوادث تلك الفترة ولا يسعفه الدليل التاريخي، حتى أن الإمامَ المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب دحض تلك الشبهة، وبيَّنَ أنَّ الأعداء هم من بَدَؤُوا بمقاتلة أتباع آل سعود وأهل الدعوة، وأنَّ أهل الدرعية ما قاتلوا إلَّا حماية للنفس والعِرض والمال من اعتداء المعتدين عليهم؛ فقال: «**إنَّ العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال، بل هم الذين بدأونا بالتكفير والقتال**»[٣].

وقد بيَّن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنَّ سبب مقاتلة الناس لآل سعود هو نصرتهم لدعوة الشيخ السلفية يوم دعا إلى حماية جناب التوحيد ممَّا أحدثه الناس من المُحدثات المناقضة لتوحيد الله، حيث يقول: «**فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل الأمر بهم إلى أن كفَّرونا وقاتلونا واستحلّوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم**»[٤].

---

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «منهاج التأسيس» (٢٧ - ٢٨).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٦/١).

(٣) قاله الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة، نقلاً عن: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنام» (٥٣٢/١).

(٤) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب لأهل المغرب، ضمن «الدرر السنيَّة» (٨٧/١).

وقال الشيخ في رسالةٍ له جاءت ردّاً على استفسار أحد علماء العراق عمَّا يثيره أعداء الدولة والدعوة من أنّ آل سعود وأتباعهم السلفيين هم من بادؤوهم القتال، فأجابه الشيخ قائلاً: «**أما القتال؛ فلم نقاتل أحداً إلا دون النفس والحُرْمَة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مثلها، وكذلك من سبَّ دين الرسول ﷺ بعدما عرف**»[1].

وهو ذات ما أوضحه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في رسالةٍ له لأحد السائلين عن سبب مقاتلتهم التي حصلت مع أعدائهم، فأجابه رحمه الله قائلاً: لمَّا «**بيَّن الله لنا التوحيد في آخر هذا الزمان على يدِ ابن عبدالوهاب وقمنا معه؛ قام الناس علينا بالعدوان والإنكار لمَّا خالف دين الآباء والأجداد، وقال الناس مثلما قال الذين من قبلهم** ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]. فالأصل الذي اختلفنا فيه: التوحيد والشرك»[2].

وقد نبَّهَ الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ على أنَّ أعداء آل سعود هم من بادؤوهم بالحرب والعدوان، فذكر رحمه الله: أنَّ «حقيقة ما دعا إليه [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] هي دعوة الرسل من أوَّلِهم إلى آخرهم، فأعانه على هذه الدعوة والقيام بها وتَحَمُّل عداوة القريب والبعيد، وآواه ونَصَرَهُ الإمام محمد بن سعود وأولاده وإخوانه، فعاضدوه رحمهم الله، فثبَّتهم الله وقوَّى عزمهم، **وبَادَأَهُم مَنْ بَادَأَهُم**

---

(١) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، ضمن «الدرر السنيَّة» (٧٣/١ - ٧٤).

(٢) من رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٩/١ - ٢٨٠) باختصار وتصرف يسير.

بالعداوة والقتال وألَّبوا عليهم، فما ثَنَى عزمَهُم ولا تضعضعوا، فأظهرهم الله وخَذَل جميع من ناوأهم»[١].

وهو عين ما بَيَّنَهُ الشيخ سليمان بن سحمان حين قال: «إنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في حال دعوته إلى دين الله ورسوله لم يقاتل الناس ابتداءً، بل مكث بُرهَة من الزمان يدعو الناس إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فلمَّا تبيَّن بهذا واشتُهِرَ أمره بالدعوة، استنكف أعداء الله من ذلك واستكبروا عن قبول دعوته، فآذوه وعادوه واخرجوه من بلدة العيينة، ثمَّ هاجر إلى الدرعية فآووه وواسوه وقاموا بنصرته والجهاد معه لمَّا أنكر عليه أهل نجد وغيرهم من الطوائف ما دعاهم إليه، **فشمَّروا له عن ساق العداوة وبدأوا بالقتال؛ يريدون أن يُطفِئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلَّا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون، فحينئذٍ قاتلهم مدافعةً لهم لمَّا بغوا عليه وظلموه»**[٢].

وانظر في تاريخ ابن غنَّام في حوادث القتال التي تناولها هناك، وعند محمد بن عمر الفاخري النجدي (ت: ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)[٣] لَمَّا

---

(١) من جواب للشيخ محمد بن عبداللطيف على أسئلةٍ من حضرموت، ضمن «الدرر السنية» (٤٥٠/١٠).

(٢) سليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٣٠ ـ ٣١).

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن محمد بن فاخر، الوهبي التميمي، ولد سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م في (التويم) من بلدان (سدير)، وانتقل إلى (الدرعية) بعد سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م ودرس على أولاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبقي هناك حتى حصلت الكارثة العظمى بهجوم العثمانيين على الدرعية وسقوطها على أيديهم، فاضطَّره جور الأتراك أن يرحل من الدرعية=

تناول ابتداء القتال في تاريخه، **فإنَّك ملاقٍ فيهما ما يدحض الوهم الذي وقع فيه ابن بشر رحمه الله تعالى وغَفَرَ له.**

* تنبيه على من لم يُحسن فهم الحروب التي خاضتها الدولة السعودية الأولى وأهل الدعوة:

ها هنا تنبيهٌ على قدرٍ كبير من الأهمية، خصوصاً لمن يكتفي بقراءة ما خَطَّهُ المتأخرون من كتبة التاريخ والباحثون المعاصرون؛ فالأمر ليس كما يزعمه بعض هؤلاء «في عصرنا هذا جرياً مع المستشرقين في زعمهم أنَّ الحروب الإسلامية كان يدفعها جوع المسلمين ومشكلات دنيوية، فزعم أولئك الباحثون: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يخطط لدعوته مراحل، وأنه أمر بالجهاد لتنتقل دعوته إلى مرحلة جديدة؛ ينال فيها بالقوة ما عجز عنه بطريقة الإقناع والإغراء، وأن الأمير محمد بن سعود كان مستعدا للقتال من أجل الدعوة؛ خاصة أنها وسيلة من وسائل توسيع نفوذه وإمكان تحقيق كثير من النجاح العسكري في بداية الأمر دون تدخل خارجي، وأنَّ إمكانيات الدرعية الاقتصادية محدودة، وكان على قادتها أن يجدوا حلًّا لمشكلة ازدياد الوافدين إليها من أنصارهم الفقراء، وأنَّ هؤلاء الوافدين مؤهلون لأنْ يلعبوا دورا كبيرا في تأسيس جيش قوي[1].

= قبل هدمها وذهب إلى (الأحساء). ثم عاد إلى (حَرْمَة) وتوفِّيَ فيها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمن البسام «علماء نجد» (٢٤٦/٥ ـ ٢٤٨). (وستأتي تفاصيل حرب الأتراك على الدرعية في الفصل العاشر).

(١) تجد مثل هذا الطرح في بعض كتابات أساتذة التاريخ المعاصرين ممن كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى.

فكل هذه الالتواءات والتعليلات مكشوفة، يراد منها أن الشيخ وابن سعود وأتباعهم إنما قاتلوا للظفر والنفوذ وحل المشكلة الاقتصادية؛ وهذا غير صحيح.

أَمَّا أَنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أمر بالجهاد، فنعم؛ أَمَرَ به حين رأى أن وقت الجهاد قد حان؛ تعبُّداً لله تعالى وجهادا في سبيله بكل أنواع الجهاد وأحواله التي تحدث لهم بُحول الله وتدبيره.

والشيخ يرصد حاله وأحوال من معه وما يجري لها من تغيُّرات، ويَستَلْهِم من شريعة الله أحكام تلك الأحوال المتغيِّرة فيقوم بتنفيذها؛ تعبداً لله وقياماً بالواجب الذي فَقِهَهُ من دين الله تعالى، وكذلك من كان معه على شيء من فقه الإسلام.

والتحدث عن مقاصد الشيخ ومقاصد أمثاله وأعوانه على ضوء قياسها بمقاصد أهل السياسة الدنيوية والخطط الماكرة في سبيل الدنيا، يعتبر ظلماً وتعديًّاً عليه وقصوراً عن مستوى حسن الظن بالمسلم، ولكن الواجب إذا تحدثنا عن مقاصد الشيخ ونواياه، أن نتحدث عنها على ضوء ما يظهره ويدعو إليه، أما السرائر وما لا نعلمه فنكله إلى الله تعالى مع وجوب حسن الظن فيمن يظهر منه الخير والرشد والصلاح.

وكذلك محمد بن سعود؛ لا نظن بِأَنَّه قام بنصرة الإسلام لأنه وسيلة لتوسيع نفوذه أو استقلاله عن سيادة الأتراك، كما يقوله صاحب كتاب «الفكر السامي»[1]؛ فإنه إنما قام بنصرته لأنه دين الله

---

(١) انظر: محمد الحجوي الثعالبي «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (١٩٧/٤ - ١٩٨).

ورسوله ﷺ بالدرجة الأولى؛ كما قال ذلك عند لقائه بالشيخ رحمه الله.

وما كانت ظروف الدرعية من ناحية الاقتصاد هي الدافع للقتال؛ فإن أولئك القوم تركوا تنمية اقتصادهم مختارين ليقوموا بتنمية دينهم وعلمهم به، فكيف ينحرفون لحل مشكلاتهم الاقتصادية بالقتال وسفك الدماء ليأخذوا أموال الناس ويستولوا على أملاك الغير بطريقة جاهلية؟!. ألا يمكن حل مشكلتهم الاقتصادية بالتجارة ومزاولة أسباب المعيشة ولو في خارج البلدة لو كانوا إنما أرادوا حل المشكلة الاقتصادية؟!. لكنهم بالجهاد أرادوا إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، وما جاءهم من الغنائم من غير أن يُقصد؛ قبلوه، وتعاملوا به على ما يرضي الله تعالى.

وليس صحيحا ما يزعمه مؤلف كتاب «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» من أن ابن سعود توصل بنشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمنيته؛ وهي الاستقلال والتملص من سيادة الأتراك[١]. والواقع أن ابن سعود ونجدا كلها لم تكن تحت سيادة الأتراك[٢]، وابن سعود كان مستقلا، ليس لأحد عليه ولاية من الأمراء والسلاطين، حتى أنَّ العداء كان قائما بينه وبين سليمان بن محمد زعيم بني خالد ورئيس الأحساء»[٣].

وللشيخ أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري[٤] تعليق علمي عميق

---

(١) نفسه.

(٢) كما بُيِّنَ في الفصل الأول من هذا الكتاب الذي بين يديك.

(٣) صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (٢/١٧٤ ـ ١٧٧).

(٤) الشيخ محمد بن عمر بن عبدالرحمٰن العقيل؛ النسَّابة والمؤرِّخ المعروف في=

في دحض أكذوبة أنَّ محمد بن سعود ما ناصر الدعوة إلا لهدف توسيع نفوذه. وبيّن الظاهري أنَّ هذه أحبولة روّجها أعداء الدعوة قديماً وحديثاً، وانطلت على من لم يقرأ (بتعمُّقٍ) تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية ورسائل أئمتها[١].

* استئناف البحث حول ردّ الدرعية على المعتدين عليها:

في سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م ظهر خصم جديد لأهل الدعوة والدولة السعودية، وهو زعيم ثرمداء الذي كان من ضمن المجتمعين تلك السنة في العيينة هو وزعيم الرياض دهام بن دواس وثالثهم مضيفهم أمير العيينة؛ ذلك الاجتماع الذي عقدوه لإقناع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالحضور إلى العيينة من أجل التفاهم معه على شروط انضمامهم إلى الدعوة السلفية، إلا أنَّ الشيخ رفض مغادرة الدرعية وصرف النظر عن حضور اجتماعهم؛ لِشَكِّه وتَوَجُّسِهِ بِنِيَّاتِ المجتمعين؛ من هنا دخلت ثرمداء وزعيمها في حالة صراع مع الدرعية التي شنَّت في العام الذي يليه هجوماً ناجحاً على ثرمداء[٢].

وفي سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م برز تحالف معارض لأهل الدعوة في الدرعية يتشكل من أهالي ثرمداء ومرات وأثيفية/أثيثية، وحدثت

= (الرياض)، وهو من أهل (شقراء) في (الوشم) حيث وُلِدَ فيها. جاء بسيرته الذاتية عن نفسه في كتابيه: «شيءٌ من التباريح» و«تباريح التباريح».

(١) انظر: تعليقات أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري على «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (ص٥١) لجان ريمون.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٨٠ - ٦٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٥٥).

مصادمات بينهما[١].

وفي العام التالي تحولت ضرما إلى معقل لمعارضة أهل الدعوة في الدرعية، إلا أن الحال انقلب لصالح أهل الدعوة[٢].

وفي ١١٦٥هـ/١٧٥٢م تَشَكَّلَ تحالف معارض لأهل الدعوة؛ يتكون من أهالي سدير ومنيخ والزلفي والوشم بالإضافة لإحدى القبائل، هدفهم مهاجمة (بلدة رغبة) الموالية لأهل الدعوة في الدرعية[٣].

وفي نفس السنة تمرّدت حريملاء على الدعوة[٤] وانضمَّت للمعارضة على إثر تغير الزعامة في حريملاء؛ وكان من أكبر أسباب تمرد حريملاء بالذات ما قام به قاضيها سليمان بن عبدالوهاب، أخو الشيخ محمد، من نشاط عدائي ضد الدعوة ودولتها[٥]. ثم تمردت بلدة منفوحة بعد ذلك بسنة[٦].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٨٨ ـ ٦٨٩). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٠ ـ ٥١).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٨٩). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٩).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٩٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

(٤) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٠).

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٩١ ـ ٦٩٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٥ ـ ٦٦).

(٦) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٩٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٥ ـ ٦٦).

ومعلوم في تلك الفترة أنَّ دهام بن دوَّاس أمير الرياض كان لا يزال من أشد خصوم الدرعية؛ إذ حدث بينها وبينه سبع عشرة موقعة. ومع أَنَّ زمام المبادرة في أكثر هذه المواقع كان في يد أهل الدرعية، إلا أَنَّ ابن دوَّاس استطاع في أحيان قليلة أن يبدأ بالهجوم وينقل ميدان المعركة إلى أراضي أهل التوحيد في الدرعية وما انضوى تحتها من البلدات، وحينما أدرك دهام ضعف موقفه ونجاح دولة الدرعية في القضاء على مشكلاتها الداخلية سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م، اضطرَّ إلى مهادنتها ودفع غرامة مالية إليها، لكن تلك الهدنة لم تستمر أكثر من سنة واحدة، عاد بعدها دهام إلى نشاطه العسكري ضد أهل الدعوة[(١)].

وفي ذات سنة ١١٦٧ ـ ١١٦٨هـ/١٧٥٤ ـ ١٧٥٥م يتشكل تحالف معارض لأهل الدعوة؛ يتكون من: الرياض ومنفوحة وثرمداء وبعض أهالي الوشم وسدير وثادق إضافة إلى المعارضين المنفيين من حريملاء، الذين تجمَّعوا في الزلفي التي كانت معقل تجمع أعداء دعوة الشيخ والمعارضين للدرعية[(٢)].

* ازدياد قوة الدولة السعودية الأولى، وبدء تساقط رؤوس المعارضة:

من الملاحظ أنه في المراحل الأولى للسنوات المبكرة لتوحيد

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٩٤ ـ ٦٩٥) (٧٣٧). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٧ ـ ٦٨) (٧٢). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٥).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٣٦ ـ ٧٣٧) (٧٣٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٧٢).

نجد تحت لواء الدولة ودعوتها؛ كانت بعض البلدان النجدية تنضمّ إلى الدولة الجديدة بطريقة سلمية: مثل ضرما وشقراء سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م[١]، ولكنها شهدت أيضا حدوث مشكلات داخلية متعددة؛ بسبب البلدات المتقلبة في ولائها الذي كان ناجماً عن التغيير المستمر في زعامتها.

على أنَّ قيادة الدرعية كانت كثيراً ما تتغلب على المشكلات الداخلية بإعادة البلدان المتمردة إلى دائرة طاعتها، الأمر الذي زاد من هيبتها في نظر الآخرين[٢]؛ ففي سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م فتح أهل الدعوة حريملاء عنوةً[٣]، ومع ضَمِّ السعوديين حريملاء في تلك السنة هرب سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد وهو من معارضيه ومناوئيه، ففرَّ من حريملاء ماشياً إلى أن وصل سدير سالماً، ثم استقرَّ في الزلفي التي كانت معقل تجمع أعداء دعوة الشيخ والمعارضين للدولة السعودية. كما بُيِّنَ سابقاً.

وفي سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م انضوت القويعية[٤] في ظلّ لواء

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٣٦ ـ ٧٣٧). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٠).

(٢) انظر: D. G. Hogarth, Arabia, p.101-102. وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٧).

(٣) انظر: محمد بن يوسف «تاريخ ابن يوسف» (١٤١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٢).

(٤) القويعية: قاعدة (إقليم العِرض) وهو (عِرض بني حنيفة/ وادي حنيفة)، و(القويعية) كانت تسمى (عِرض شمام)، وهي اليوم بلدةٌ ذات إمارة من إمارات (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤) (٩١) (٣٥٠).

الدولة السعودية، ووَفَدَ أهلها على أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوهم على السمع والطاعة[١].

وفي السنة التي تليها ١١٧٠هـ/١٧٥٦م استأمن أهل ثادق من الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ووفدوا معه إلى الدرعية وأعطوا أباه الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب السمع والطاعة[٢].

وفي سنة ١١٧١/١٧٥٧م حصلت بعض الأمور المزعزعة في حريملاء، حيث نزع أميرها يد الطاعة التي أعطاها لأمير الدرعية والشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي حرَّضه على ذلك وعزَّزه هو الشيخ مِربِد بن أحمد الوهيبي التميمي[٣]، الذي أوردنا أخباره سابقاً في هذا الفصل، فمربِد هو الذي ذهب إلى صنعاء اليمن ليحرّش الأمير الصنعاني كي يرجع عن مدحه للشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، فلما عاد تلك السنة، توجَّه إلى حريملاء لأنَّه قاضيها، وعمِلَ عمَلَه مع أمير حريملاء ضد الدرعية، فلمَّا تمكَّن أهل الدرعية من ضبط حريملاء واستتبت لهم الأمور فيها تماماً، هرب مربد الوهيبي من

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٤٠/٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٤).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٤٤/٢ ـ ٧٤٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٧٦/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٢٠/١).

(٤) ذكرنا ذلك قبل صفحات في هذا الفصل.

حريملاء إلى بلد رغبة، وهناك أمسكه أميرها الموالي للدرعية وقتله في تلك السنة[١].

وكان للشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان (ت: ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م)[٢] دورٌ كبير في ضبط حريملاء وثبات طاعتها لآل سعود، فقد كان ابن عيدان قاضي حريملاء من جهة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وحاصل الأمر أنَّ الأمير مبارك بن عدوان[٣] قَدِمَ حريملاء سنة ١١٧١هـ/١٧٥٨م معادياً للدولة والدعوة متنكّراً لهما، فقام الشيخ ابن عيدان وحثَّ أهل حريملاء على مقاومته، فقاوموه وأغلقوا الحصن حتى فوَّتوا على ابن عدوان الاستيلاء على البلد[٤].

المقصود؛ أنَّ قيادة الدرعية وقفت في تلك المرحلة التأسيسية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٧٩ ـ ٨٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٦/٤٢٠). أما حسين بن غنَّام في تاريخه (٢/٧٥٠ ـ ٧٥١): فإنه أشار أنَّ ابن سعود أمر بقتل الخونة والمحرّضين دون أن يسمِّي أحداً منهم.

(٢) هو الشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان المشرفي الوهيبي ثمَّ التميمي. عيَّنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضياً على (أشيقر) ثم على (حريملاء) وفيها توفِّيَ. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٥١ ـ ٥٢).

(٣) هو مبارك بن عدوان بن مبارك. كان قد أُخرِجَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م من (حريملاء) مع أبيه في الحوادث التي أثارها في (حريملاء) الشيخ سليمان أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثمَّ عاد ابن عدوان أميراً عليها حتَّى عُزِلَ منها سنة ١١٧١هـ/ ١٨٥٨م. وانظر أخبار ابن عدوان عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٥ ـ ٦٦) (٧٠) (٧٣) (٧٧) (٧٩ ـ ٨٢).

(٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٥١ ـ ٥٢).

المهمة في مواجهة قوى محلية مفككة بصفة عامة، خاصَّةً وأنَّ نشاطها كان بمنأى عن أي تدخل خارجي على الأقل في تلك المرحلة المبكرة.

* محاولات التدخل الأحسائي ضدَّ الدرعية:

مما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام، أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لقيت معارضة قوية من قِبَلِ بعض أهل العلم في الأحساء؛ أمثال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، الذي كان قد عارض الدعوة السلفية في الدرعية، وأخذ يؤيد المعارضة النجدية (المعارضة بالقلم) في حربها على الشيخ ودعوته، ومثله ابن عفالق وابن فيروز كما مرَّ تبيانه في الصفحات السابقة من هذا الفصل.

ففي ظلّ تحريض المعارضين للدعوة في الأحساء ونجد، انطلقت الحرب الأحسائية، على أن تلك الحرب لم تحدث إلا بعد حوالي ثلاثة عشر عاماً من بدء القتال بين الدولة الجديدة في نجد وبين خصومها؛ لأنَّ الحكم في الأحساء لم يستقر إلا بعد تلك السنوات، وما إن استقرت الأمور للزعيم الأحسائي عريعر بن دجين (ت: ١١٨٨هـ/١٧٧٤م)[1] **في الأحساء؛ حتى بدأ يستعد لمحاربة نجد محاولاً القضاء على دولتها الناشئة ودعوتها السلفية، وذلك في عام ١١٧٢هـ/١٧٥٩م**[2]**، لكن أهل الدعوة من قادة الدولة الجديدة**

(١) عريعر بن دجين، من آل حميد بني خالد زعماء الأحساء. مات سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م عند (الخابية) في القصيم، في أثناء حملةٍ شنَّها عليها فعاجله أمر الله هناك فمات. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٨).

علموا بنشاطه فأعَدُّوا للأمر عُدَّته وبنوا سورين حول الدرعية، وعزَّزوا مواقعهم الأخرى.

وحينما وصل الزعيم الأحسائي بأتباعه من أهل الأحساء إلى نجد انضمَّ إليه أهل سدير والوشم والرياض والخرج المعارضون للدرعية ودعوتها، لكن قواته التي بعثها لمساعدة المعارضين للاستيلاء على حريملاء فشلت في مهمتها، ثم عجزت قواته الرئيسية أن تقتحم بلدة الجبيلة، وبذلك اضطر إلى الانسحاب من نجد دون تحقيق أي انتصار(١).

كان لفشل الحملة العسكرية الأحسائية الأولى ضد الدولة السعودية أثر كبير في سير الأحداث في المنطقة؛ إذ أدرك الخصوم قوّة الدولة والدعوة، فأسرع بعضهم لمصالحتها ودفع غرامات مالية لها، فارتفعت معنويات قادة الدعوة وأتباعها حتى أصبح نفوذهم يمتدّ إلى أمكنة لم يكن ليصل إليها من قبل، وانضوت تحت لواء ابن سعود أكثر بلدان الوشم وسدير، ولم تمض أربع سنوات إلا وقد أصبحت لدى الدولة السعودية القدرة على مدّ نفوذها إلى الأحساء ذاتها، **ومن الواضح أن هدف هذا الامتداد لم يكن محاولة استيلاء على تلك المنطقة، إنما هو إظهار للقوة أمام حكام الأحساء ومن يَرْجُونَ مساعدة مناوئي الدرعية في نجد.**

وكان من ثمار التراجع الأحسائي أنَّ دهام بن دوَّاس ـ الذي كان لا يزال أشد خصوم الدرعية في نجد ـ جَنَحَ إلى السلم ودفع

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٥١). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٢). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٥ ـ ٩٧).

غرامة مالية كبيرة لآل سعود[١].

* حادثة حرب المكرمي للدرعية وانضمام المعارضة النجدية والأحسائية إليه:

لم يَخْلُ نشاط الدولة السعودية الناشئة لتوحيد نجد من مشكلات صعبة؛ ذلك أن نكسة حلَّت بأهل الدعوة ودولتهم سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م نتيجة تدخل غير نجدي، ومن جهة لم يكن متوقعاً تدخلها، وهي نجران؛ فقد جاء رئيس نجران المسمى عندهم بالسيد هبة الله المكرمي الإسماعيلي[٢] بجيوش جرارة لمحاربة دولة آل سعود في الدرعية، واستطاع أن يحقق انتصاراً عليهم في معركة الحاير[٣] المشهورة[٤].

ولقد بعث انتصار الرئيس المكرمي على الأمير عبدالعزيز بن

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٨/١٢). وسليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٢٤ ـ ٢٥). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٧ ـ ١٠٠).

(٢) هو الحسن بن هِبَة الله المكرمي. انظر ترجمته عند: حسن بن جمال الرِّيكي في كتابه «لمع الشهاب» (٨٩). وتعليق عبدالله العثيمين على كتاب الرِّيكي في هامش (ص٨٩). وانظر أخبار المكرمي عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٣ ـ ٩٦) (١٢٠ ـ ١٢١) (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) الحاير: المقصود هنا هو (حاير وادي حنيفة) أو (حاير سبيع)، الواقع في محناب هنالك من (وادي حنيفة)، يلتقي فيه ثلاثة أودية: (وادي حنيفة) و(وادي لحا) و(وادي البعيجا). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٦٧ ـ ٧٦٩). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٩) (٦٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٣ ـ ٩٥).

محمد[١] الأمل في نفوس المعارضين النجديين للدولة السعودية ودعوتها السلفية، فظنَّ أكثر أولئك المعارضون «بعد هذه الوقعة أنَّ هذا النجراني هو الذي يستأصل أهل الدعوة، فوفد على النجراني دهام بن دوَّاس [وقدَّمَ] له [الهدايا]، ثمَّ قَدِمَ عليه رئيس بلد الدِّلَم وأثنوا وهنَّؤوه بالنصر وقالوا له: إن أخذت هؤلاء واستأصلتهم حصل المُلْك لك وكنتَ الرئيس على الجميع، فهشَّ النجراني لقولهم»[٢].

وحاولت جموع المعارضة النجدية غزو أهل الدعوة بالزحف على عاصمتهم الدرعية، فاتصلوا بالزعيم الأحسائي يستحثونه على القدوم لاستغلال فرصة ما حلَّ بجيش الدرعية من هزيمة على يد الزعيم المكرمي، وقد نجح اتصالهم بالزعيم الأحسائي فتوجَّه إلى العارض، واستنفر الأحسائي جميع عربانه واستلحق أهل بلدان نجد من المعارضين للدعوة، فأتَته الجيوش سوى أهل شقرا وضرما والعارض، وسار بكيده وجنوده، فما وصل الزعيم الأحسائي إلى الدهناء إلّا وقد أثنى الله عزم صاحب نجران، فأخلف الميعاد ورحل بقومه[٣]، بالرغم مِمَّا بذله المعارضون من المال للنجراني ليبقى، ولكن «لم تُصغِ لهم عزيمته، ولم تكن نفسه أبيَّة عن الأطماع، ولكن لِمَا قذفه الله تعالى في قلبه من الرُعب والإفزاع والخوف والأجزاع، لم يُقِم غير ما ذكرنا في تلك البقاع، وأزاله الله تعالى عنها»[٤].

---

(١) لأنَّ الأمير عبدالعزيز وقتها كان أميراً ولم يصبح إماماً بعد؛ فأبوه محمد بن سعود لازال هو الإمام.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٥) باختصار يسير.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٥ ـ ٩٦).

(٤) ما بين الهلالين لحسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٧٠) باختصار.

وبالرغم من انسحاب المكرمي، فإنَّ الزعيم الأحسائي واصل زحفه، وانضمت إليه المعارضة النجدية واتجه الجميع لِيُطَوِّقوا الدرعية من جميع الجهات، وكانوا يعتقدون أنهم سينتصرون على أهل الدرعية بعدما أصابها في الحاير، لكن جميع تقديراتهم فشلت لما أبداه سكان الدرعية من بسالة وإقدام.

وحاصل ذلك «أنَّ عريعر [الزعيم الأحسائي] استشار أعوانه من أهل نجد [الذين عارضوا الدولة والدعوة] في المنزل الذي ينزل فيه من الدرعية لِيَسَع العربان وأهل البلدان، فاستقرَّ رأيهم أنَّه ينزل بين قَرِي قُصَيْر وقَرِي عمران[(١)]، فوَجِلَت قلوب أهل الدرعية من كيده، وتكاثرت جنود [الزعيم الأحسائي] وكثرت مدافعه وبنوده[(٢)]، فأزعجهم ذلك وبُهِرَت عقولهم، ولَجَؤُوا إلى الله في كشف هذه المَهَمَّة والفتنة المُدلَهِمَّة، فلما نزل بذلك المكان وقرَّب المدافع والآلات إلى قرب الجدران والبروج، فرماها رمياً هائلاً لم يَنقضّ مِنه لَبِنَة، فزال الرعب والخوف عن أهل الدرعية فخرجوا إليهم خارج السور.

فأقبلت جنود عريعر تريد الدخول من أعلى الباطن[(٣)]، فسابقهم

---

(١) قَرِي قُصَيْر وقَرِي عمران: من قريان (الدرعية)؛ (قُصَيْر) الذي يسمونها (قُصَيْر الروم) شمال شرق (الدرعية) و(عمران) شرقي (الدرعية) عند (الرفيعة) وفوق (الظهرة) و(سمحان). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٣ ـ ٢٨٤). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٢ ـ ٤٣).

(٢) البنود: مفردها (بند). أصلها فارسي. ومعناه: العَلَمُ الكبير. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاؤه «المعجم الوسيط» (٧١).

(٣) الباطن: هو (سدّ الباطن)، أحد السدود الثمانية لـ (وادي حنيفة)، وهو سدٌّ قريبٌ من سدّ (الدرعية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٤٩).

عبدالعزيز وأهل الدرعية وقاتلوهم أشدّ القتال وأخرجوهم منها قسراً، وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا منهم أفراساً وأقاموا أياما، كلّ يوم قتال.

فخافت قوم عريعر وداخلهم الرعب والفشل وهمّوا بالرحيل، وندموا إذ لم يحصلوا على طائل، وتلك الأعوان [من المعارضة النجدية مثل:] دهام بن دواس و[صاحب ثرمداء] يثبِّطونهم وينخونهم على المقام والسكون في ذلك المنزل، وقالوا: نحن نعرف طريق قتالهم ومجالدة أبطالهم، وذلك بعدما أتى إليهم أهل الحريق[١]، فأخذوا في أهبَّةِ القتال، فأُخْبِرَ عبدالعزيز خبرهم فاستعدَّ لقتالهم، وجَمَعَ مقاتلة أهل الدرعية.

فلمَّا أصبحوا سارت جنود عريعر إلى الجدران وقاموا يرمون بالقنبر والمدافع، وأهل الدرعية ثابتون. ونزل بعض أهل الأحساء قصدهم جدار سمحان[٢]، وأهل سدير وأهل الوشم وأتباعهم قصدوا قَرِي قُصَيْر وأحاطوا بجهة من البلد وحصل قتال بينهم شديد فرجعوا خائبين، وقُتِلَ منهم أكثر من خمسين رجل فداخلهم الفشل والرعب والوَجَل، وأبطل الله كيد عريعر وجنوده وأوقع الرعب فيهم والفشل فرحلوا عنها صاغرين، وكانوا قد أقاموا عليها أكثر من عشرين يوماً»[٣].

---

(١) ستنضمّ بلدة الحريق فيما بعد إلى الدولة السعودية سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٤/١).

(٢) سمحان: حيٌّ من أحياء (الدرعية)، داخل الأسوار شمالي (الدرعية). واليوم يتوسّطه مركز التنمية هناك. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٦/٢).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٩٧/١ ـ ٩٨) باختصار يسير.

* تنبيهٌ على الاعتبار من الوقائع الحربية التي حصلت لأهل الدولة والدعوة وقتها:

لا بد من التنبيه على أمر جِدّ مهم من الحوادث السالفة؛ وهو الاعتبار بما فعله الله بمن عادى أهل هذه الدعوة وتلك الدولة السعودية إبان بداية دعوة الشيخ لهم؛ «**فإنَّ الذين أنكروا هذه الدعوة من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والأمصار وأجلبوا على عداوة أهل الدعوة السلفية، وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلُّف الأسباب عنهم وفقرهم، فرموهم عن قوس العداوة**؛ فمن أهل نجد كأهل الخرج والحوطة[١] والوشم وقرى سدير والقصيم وبوداي نجد وملك الأحساء ومن تبعه من حاضر وباد، وكلهم تجمَّعوا لحرب دولة آل سعود وأهل الدعوة السلفية مراراً عديدة مع عريعر وأولاده؛ منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء، وقد أشار لذلك المؤرخ حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله:

وجاؤوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها[٢].

فنزلوا البلاد، واجتمع من اجتمع من أهل نجد، حتى من يَدَّعِي أَنَّه من العلماء، **ولما قيل لِرَجُلٍ منهم: كيف أشكل عليكم عريعر**

---

(١) الحوطة: هي هنا (حوطة بني تميم). وتسمى (حوطة الجنوب) تمييزاً لها عن (حوطة سدير). تقع في ملتقى (وادي نعام) و(وادي بريك). وهي اليوم بلدةٌ فيها إمارة يتبعها عدد من القرى، من إمارات منطقة (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٥٤). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٤٩٣).

(٢) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٧٦).

وفساده وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه؟، فقال: لو أن الذي حاربكم إبليس لَكُنَّا معه.

المقصود: أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال وحمى الله تلك القرية، فلم يشربوا من آبارها»[١].

هذا الفشل الذي أوقعه الله بحملة الزعيم الأحسائي ومن معه أمام أسوار الدرعية، أَدَّى إلى رفع معنويات أهل الدعوة التي كانت قد اهتزَّت نوعاً ما إثر معركة الحائر. ولم يجد رأس المعارضة النجدية دهام بن دوَّاس بُدّاً من طلب الهدنة من قادة الدولة السعودية الأولى، فأجيب طلبه، لكن الهدنة لم تستمر أكثر من تسعة شهور[٢].

* تولي الإمام عبدالعزيز بن محمد الحكم بعد وفاة أبيه/وانضمام البلدات النجدية للدرعية:

في نهاية ربيع الأول من عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م توفي الأمير محمد بن سعود[٣]، والحقيقة أنَّ وفاته لم تُغيِّر من الموقف الحربي كثيراً؛ لأنَّ ابنه الأمير عبدالعزيز بن محمد كان في أواخر أيام أبيه هو المسؤول الأول عن كافة العمليات التي تقوم بها الجيوش السعودية

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٧/١٢ - ١٨) بتصرفٍ يسير.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٧٨/٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٠). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٢/١).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٧٩/٢).

داخل نجد وخارجها[١].

وعليه؛ تولَّى الإمام عبدالعزيز حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة أبيه الإمام محمد بن سعود؛ وعبدالعزيز بن محمد كان تلميذاً للشيخ محمد، «فكان إماماً للمسلمين وحامي ثغور الموحدين، فبايعه الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ [محمد بن عبدالوهاب] رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه وملأ قلوب الأعداء هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار»[٢].

ففي سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م بايع أهل أشيقر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة، ثم تتابع المبايعون من قرى وبلدات الوشم ولم يَبْقَ منهم أحد حتى أهل مرات. ثمَّ بايع أهل سدير، ومثلهم رئيس بلدة جلاجل وأمير ثرمداء[٣].

ثم بايع أهل المجمعة سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة، وبايعه كذلك أغلب أهل القصيم[٤].

---

(١) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية والدولة العثمانية» (١١٥).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٨٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٠٣ ـ ١٠٤).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٨٧ ـ ٧٨٨). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٧٩ ـ ٨٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٣).

وفي السنة التالية بايع أهل حاير سبيع على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة[١].

* (رَجْفَة دهام بن دوَّاس)... الرياض تتفيَّأ ظلال حكم آل سعود:

سار أهل الدعوة سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م إلى الرياض بقيادة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فلما بلغوا عِرقة[٢] وافقوا دواس ولد دهام بن دوَّاس فقتلوه بعد معركة دارت بينهم في صفاة الظهرة[٣]، كما قُتِل أخوه سعدون ولد دهام بن دوَّاس[٤]، فلم يكن لعدو الدعوة دهام بن دوَّاس عين قريرة بعد مقتل ولديه سعدون ودواس، وداخله الفشل بعد ذلك[٥].

ومن ذلك أنَّ عبدالعزيز سار في سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م إلى

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٢٨٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٥).

(٢) عِرقَة: قرية من قرى (اليمامة)، تقع في منتصف (وادي حنيفة)، بين (الرياض) جنوباً و(الدرعية) شمالاً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٤٤-١٩١).

(٣) صفاة الظهرة: بين (عِرقَة) و(الفوَّارة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٤). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢١٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٥).

الرياض بجيوشه من أهل الدعوة ونازل أهل الرياض أياماً عديدة وضيَّق عليهم الحصار، واستولى أهل الدعوة على بعض بروج الرياض وهدموا أكثرها، وحصل بينهم قتال، وبعد هذه الوقعة دخل قلب دهام الرعب والخجل وداخله الخوف والوجل، فلم يستقر له عين، وقام يحاول الانهزام، وجَمَعَ رؤساء بلده وأخبرهم حقيقة مقصده وأنه مُلِئ خوفاً ورعباً، فصاحوا عليه أجمعون قائلون: خذ منَّا العهد والميثاق. فقال لهم: دعوني فليست هذه البلد لي وطن ولا أجد لي بها أَنَساً ولا سَكَناً.

فلمَّا وصلت جيوش أهل الدعوة إلى الرياض بقيادة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عارضه البشير بأنَّ دهام بن دوَّاس فرَّ هارباً من الرياض، فلما جَدَّ الإمام عبدالعزيز بالمسير إلى الرياض، فإذا دهام قد ألقى الله في قلبه الرعب، إذ خرج منها في النهار هو وأهله وعياله وأعوانه، وفرَّ معه جمعٌ من أهل الرياض، هربوا على وجوههم إلى البر وقصدوا بلد الخرج، وهلك منهم خلق كثير عطشاً وجوعاً، تركوا الرياض خاوية على عروشها؛ الطعام واللحم في القدور والسواني في المناحي والأبواب لم تُغلَق. فلمَّا دخل الإمام عبدالعزيز الرياض نادى فيها بالأمان وأرسل إلى أهلها الذين هربوا بأنْ يرجعوا إليها، فرجع كثير منهم وسكنوها[١].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٩٤/٢ - ٧٩٧). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٩) (٧٦ - ٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٥). وعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٥/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١١٦/١) (١١٩ - ١٢٠).

من هنا صارت تلك الواقعة يُضرب بها المثل في نجد وفي غيرها، فيقول أهل نجد في أمثالهم: «**رَجْفَة دَهام بن دوَّاس**» كنايةً عن هذه الحادثة وما يقع من مثيلاتها[١].

ومِمَّن هرب من الرياض؛ سليمان بن سحيم عدوّ دعوة الشيخ محمد ورأس الحربة في معارضتها، هرب ابن سحيم من الرياض حتى من قبل أن تضمها الدرعية إلى أملاكها، هرب من يوم بدأت إرهاصات تنامي قوة الدرعية وبروزها للعيان، وبدا له أنَّ الرياض سائرة لا محالة للانضواء تحت راية آل سعود، فلم يبق لابن سحيم قرار بالبقاء فيها وقد وصلتها الدعوة السلفية التي حاربها أشدّ المحاربة، فسافر إلى الزبير ولم يعد إلى الرياض إطلاقاً حتى توفي في الزبير[٢].

وبذلك انتهت مقاومة ذلك الخصم - دهام بن دواس - التي استمرت قرابة ثمانية وعشرين عاماً[٣]، تخلَّلَتْها فترات هدنة قصيرة جداً كان يلجأ إليها في حالات ضعفه الشديد[٤].

كان استيلاء عبدالعزيز بن محمد على الرياض ذا أهمية كبيرة في تاريخ الدولة السعودية الأولى، وقد عبَّر ابن غَنَّام عن هذه الأهمية بتسميته «فتحاً» ، وإفراد قصيدة من قصائده في ٣٢ بيتاً لتخليد ذلك

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العبودي «الأمثال العاميَّة في نجد» (٥٧٨/٢).

(٢) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨٢/٢).

(٣) والمؤرِّخ النجدي محمد الفاخري في تاريخه «تاريخ الفاخري» (ص: ١٤٥)؛ يقدّرها بسبعة وعشرين سنة.

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٣/١).

الفتح في تاريخه[١].

على أنَّ من أهم نتائج ضمّ الرياض أنَّ دولة آل سعود تخلَّصت من أقوى خصم نجدي لها، وأضافت قوة بلده إلى قوتها، كما أصبح في إمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة، خاصة جنوبي نجد، دون أن تخشى ضرب مؤخرة قواتها أو قطع مواصلاتها[٢].

وقد أدرك أهل الدعوة في الدرعية غاية الإدراك أبعاد ما توصلوا إليه من نصر، فعزموا على نشر الدعوة في مساحة تشمل منطقة نجد كلها، فامتدَّت الدعوة لتضم أهل حَرمَه، وكانت حَرمَه من البلدان التي وقفت مواقف صلبة وعنيدة أيام كانت الدرعية تعمل على توحيد بلدان نجد وضمّها تحت راية واحدة وعقيدة واحدة[٣].

ثم انضمَّت بلدة الحريق التي بايعت الدعوة وإمامها عبدالعزيز بن محمد في ذات السنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م[٤].

* حرب المكرمي الثانية ضد آل سعود وما تلاها من نتائج:

لم يكن المعارضون للدرعية بأقل إدراكاً لأبعاد ذلك النصر الذي تحقَّق لابن سعود؛ فلقد رأى المعارضون فيه نذير خطر عليهم، فتحركوا بكل ما يستطيعون لمواجهة تيار الدعوة السلفية الذي أوشك

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٩٩/٢ ـ ٨٠٠).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٤/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٩/١).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٠٤/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٣/١ ـ ١٢٤). وستنزع بلدة الحريق يد الطاعة، ولكنها ستعود إلى دائرة أهل الدعوة سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م.

أن يكتسحهم(١).

من هنا رأت تلك المعارضة النجدية ممثلة بزعيم الدِّلَم بأنَّ أنسب من يعينهم على حرب أهل الدرعية هو رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي الذي كان صدى انتصاره على قوات الدرعية في الحائر سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م لا يزال عالقاً في الأذهان؛ وعليه قاموا يستحثون المكرمي على المجيء إلى نَجْد ويبذلون له الأموال الطائلة ليأتي ويحارب أهل الدعوة السلفية في الدرعية(٢).

فأقبل في ١١٨٩هـ/١٧٧٥م أهل نجران بقيادة المكرمي وجمع من قبائل البادية ومعهم أهل الوادي وغيرهم، وسار معهم أهل الخرج ومن حولهم، واجتمعت جموع تضيق بها القفار، وأعانوا المكرمي الذي أخرجوه بكثير من الأموال وتباروا في تكريمه بالهدايا الكثيرة، ومثلهم أرسل الزعيم الأحسائي بطين بن عريعر(٣) من الأموال الكثيرة وأحمال الطعام إلى الزعيم النجراني، قيل إنَّه أرسل للمكرمي ستة آلاف دينار وثلاثمئة بعير من القمح والأرز والتمر(٤).

فأقبل الزعيم المكرمي بجنوده ونزل الحاير وتقاتل مع أهلها

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٤/١).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٠٠/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٠/١) (١٢٥).

(٣) بطين بن عريعر بن دجين، من آل حميد بني خالد زعماء الأحساء. تولَّى بعد موت أبيه في (الخابية) بالقصيم سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. اغتاله أخويه سعدون ودجين خنقاً وسط البيت. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٢/١) (١٢٥).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٥٥/٢).

وقطع عليهم نخيلهم، ثم تلاحقت باقي جنوده عليه فسار بها إلى ضرما التي تحصَّن بها جنود الدولة السعودية بقيادة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فوصلهم المكرمي بجنوده فتقاتلوا قتالاً عنيفا، وقتل أهل الدعوة من جنود المكرمي قتلاً ذريعا، وكان القتال يدور بين النخيل والأشجار، فهرب جنود المكرمي ومن معه من المعارضين النجديين، وارتحلوا راجعين إلى أوطانهم، فندم أعداء الدعوة على ما بذلوا من الأموال العظيمة لمَّا انهزمت أعوانهم تلك الهزيمة[١].

* انضمام البلدات النجدية إلى الدولة السعودية الأولى:

بعد هذه المقاتلة التي ذكرناها مع المكرمي؛ بايع أهل القصيم سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م الإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة[٢]، وجاء أمير الدِّلم إلى الدرعية فجأة دون إشعار ولا مفاوضة فبايع على السمع والطاعة وانضمَّ للدولة السعودية[٣].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٠٥ - ٨٠٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٢٥ - ١٢٦).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٠٩ - ٨١٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٢٧). وستنزع بعض بلدان القصيم يد الطاعة عن الإمام عبدالعزيز في سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، ولكنها ستعود مرة أخرى للطاعة سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م كلها مع بلدة عنيزة.

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨١١). لكنَّ زعيم الدِّلم سيعود ويظاهر الدرعية بالعداوة فيما بعد، ولكنَّ الدِّلم ستعود إلى دائرة أهل الدعوة سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م.

ثم في سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م أعطى أهل نتيفة[١] البيعة للإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة، ومثلهم أهل اليمامة[٢] بايعوا وانضموا تحت لواء الدولة السعودية[٣].

وفي ١١٩٣هـ/١٧٧٩م انضمّت حَرْمَة تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤]. وفي ١١٩٦هـ/١٧٨٢م بايع أهل روضة سدير أيضا[٥].

وفي سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م انضمَّ أهل الأفلاج إلى أهل التوحيد في الدرعية، وكذا انضمّ وادي الدواسر[٦] إلى الدرعية وبايعوا الإمام

---

(١) نتيفة: بلدة في (الدِّلم)، في إقليم الخرج. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٤/١).

(٢) اليمامة المقصودة هنا: هي البلدة الكائنة في إقليم (الخرج). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧٤/٢ ـ ٤٧٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨١٢/٢ ـ ٨١٣). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٨٥ ـ ١٨٦).

(٤) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (١٠٩). وستنقض (حَرْمَة) عهدها مع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، ثمَّ تعود إلى الطاعة في ذات السنة بعد أن يحاصرها ابنه سعود وتستسلم له.

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨١٢/٢ ـ ٨١٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥١/١ ـ ١٥٢).

(٦) وادي الدواسر: ليس وادياً بالمعنى المعروف تشقّه السيول ويأخذ صفة (وادي حنيفة)؛ ولكنَّه كان هكذا قديماً فتراكمت الرمال على مدافعه وزحفت على مجاريه، فظلَّ يحمل اسم (الوادي) باعتبار ما كان. وأصل هذا الوادي كان ينحدر من (جبال السروات) ومن عدة روافد كبيرة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٤٧/١ ـ ٤٤٨).

عبدالعزيز على السمع والطاعة راغبين في التوحيد وطالبين منهج الأمن، وقام أمراء ذلك الوادي بالدعوة السلفية والتوحيد أتمّ القيام وصاروا ردماً في الوادي لا يُرام وهدى الله بهم أناساً كثيرا.

وفي ذات السنة أيضاً ١١٩٩هـ/١٧٨٣م انضوت الدِّلَم تحت حكم آل سعود[١] بعد أن نزعت يد الطاعة.

وفي سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٧م وَفَدَ على الدرعية الأمير هادي بن قرملة[٢] وبايع الإمام عبدالعزيز. وفي ذات السنة انضمَّ أهل جبل شمّر[٣] إلى الدعوة وبايعوا الإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة[٤].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٥٢ ـ ٨٥٥) (٨٦٦ ـ ٨٦٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٥) (١٦٣).

(٢) هادي بن قرملة: شيخ وشاعر وفارس. من الجحادر من قحطان. من قادة الدولة السعودية الأولى. سيُقتَل في معركة الصفراء التي بين جيش السعوديين وجيش طوسون باشا. انظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٥) (١٠٣٠) (١٠٣٤ ـ ١٠٣٥) (١٠٣٧). ولطف الله جَحَّاف «درر الحُور العِين بسيرة الإمام منصور بن علي وأعلام دولته الميامين» (٣٨٦ ـ ٣٨٧) (٤٠٠). وعثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (١/٢١١) (٢١٣ ـ ٢١٤) (٢٣٩) (٢٤٢) (٢٥٩).

(٣) جبل شمَّر: يُطلق على الجزء الجبلي من أرض قبيلة شمَّر شمال وسط جزيرة العرب؛ أي الإقليم الذي تُشَكِّل تلال (أجا) و(سلمى) معالمه الرئيسية. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦/٢٢٣٦).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٠).

وفي سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م أمر الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود ابن الإمام عبدالعزيز، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبدالعزيز، فبايعوه جميعهم[(١)].

* الأحساء تتفيأ ظلال حكم الدولة السعودية الأولى:

في سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م تمكن القائد السعودي الشيخ سليمان بن عفيصان (ت: ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م)[(٢)] من توجيه ضربة استباقيةٍ لميناء العقير[(٣)]؛ ذلك أنَّ بعضاً من أهل الأحساء من المناوئين للدولة السعودية ودعوتها السلفية، جهَّزوا للغارة على البلدان الموالية لابن سعود، فناوخهم الشيخ ابن عفيصان بمن معه من السعوديين وأفشل ما جهَّزوا وغلبهم وغنم منهم[(٤)].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٧٥/٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٦٢/١).

(٢) الشيخ سليمان بن عفيصان: أمير (الدلم) في (الخرج)، أحد قادة جيوش الدولة السعودية الأولى، كان ذا جرأة وشجاعة، وكان كثيراً ما يستعمله عبدالعزيز في السرايا. انظر أخباره: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٢/١ ـ ١٥٣) (١٥٦) (١٦١ ـ ١٦٢) (١٦٦) (١٧٩) (٢٠٤). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٣).

(٣) العقير: على ساحل الأحساء. يبعد حوالي ٦٤ ميلاً جنوب شرق (القطيف). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٨٢١/٥ ـ ١٨٢٢).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٧٧/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٦٣/١).

ولمَّا جاءت سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م كانت الهجمات على الدولة السعودية تأتي من قِبَلِ الأحساء بمعاونةٍ من العراق العثماني وبعض عربان العراق وعشائره التي ما فتئت تشنّ الغارات على الدولة السعودية[١]، عند ذلك رأى سعود بن عبدالعزيز بن محمد أن يسير بجنوده من الحاضر والبادي ناحية الأحساء، فنازل أهل المبرَّز[٢] ووقع بينه وبين أهلها رميٌ بالبنادق، ثمَّ رحل من المبرَّز ونازل أهل قرية الفضول[٣] شرقي الأحساء فأخذها[٤].

هكذا كانت الهجمات السعودية على الأحساء ردّ فعلٍ للتحرشات التي تنطلق من هناك على دولة آل سعود[٥].

---

(١) سيأتي في الفصل السابع مزيد تفصيل عن غارات العراق العثماني على الدولة السعودية الأولى.

(٢) المبرز: مدينة في (الأحساء)، تبعد عن (الهفوف) مسافة ميلين من جهة الشمال. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/القسم الجغرافي» (١٥٧٥/٤).

(٣) الفضول: قرية تقع شرقي الهفوف. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٣١١/٣).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٨١/٢ ـ ٨٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٦٨/١).

(٥) وبالرغم من تلك الحقائق يأتي المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم فيصوّر بأنَّ الهجمات السعودية على الأحساء كانت لمجرّد الطمع، حيث يقول: «كانت الأحساء مطمع أنظار سكَّان نجد إذا ما حلَّ ببلادهم الجدب» هكذا!. انظر بحثه المُعَنْوَن بـ«موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» (ص٩٤) منشور في «المجلة التاريخية المصرية» المجلد ١٠، السنة ١٩٧٠م. وإلى مثل ذلك ألمَحَ المؤرّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن في كتابه «الدولة السعودية الأولى» (٨٧).

وعندما جاءت سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م بايع عربان الأحساء الأمير سعود ابن الإمام عبدالعزيز على السمع والطاعة بعد أن انتصر عليهم في موقعة غريميل[(١)] في الأحساء، ولم يؤاخذهم الأمير سعود على ما سلف منهم من العدوان على أهل التوحيد، بل عاملهم بالسيرة الحسنة وأكرمهم رغبةً منه أن يتفيَّؤوا ظلال التوحيد والسنَّة وترك ما يضادها، ثم أمر على زيد بن عريعر[(٢)] الذي كان جالياً عنده في الدرعية بأن يذهب للأحساء بعد أن انضمَّت للدولة السعودية وأن يقيم فيها التوحيد والسنَّة[(٣)].

وفي سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م أزال أهل التوحيد جميع ما في القطيف[(٤)] من الأوثان والمتعبدات الشركية، ثمَّ ضمَّ أهل التوحيد بعد

---

(١) غُرَيْمِيل: تصغير غرمول. جبل صغير واقع شمال (الأحساء) في الطرف الشمالي لما يسمَّى (نعلة شدقم) يفصل بينه وبينها (برق أبا الدلاسيس). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٢٦٠ ـ ١٢٦١).

(٢) هو زيد بن عريعر بن دجين، كان جالياً في الدرعية، ثمَّ سنَّمه ابن سعود ولاية الأحساء نيابةً عنه سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، ثم تقلَّبَ في مواقفه ضدَّ الدولة. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٠) (١٧٩ ـ ٢٠٠) (٢٠٣ ـ ٢٠٦).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٣ ـ ٨٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٠). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣٣).

(٤) القطيف: واحةٌ تقع في الجهة الشمالية الشرقية من (الأحساء). أما مدينة (القطيف) فتقع في الوسطِ من تلك الواحة، على خليجٍ يشمل أيضاً (جزيرة تاروت). انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين» (٧٢ ـ ٧٣).

ذلك عُنَكْ[١] والعَوامية[٢] والقُدَيْح[٣] كلها من بلدان الأحساء[٤].

وبالرغم من تلك الحقائق التي يصدّقها واقع تلك الفترة، يقول المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم: إنَّ فترة حكم آل سعود للأحساء «**تميَّزَت بطابع شديد من الإرهاب والقسوة**»[٥]، ولم يورد زكريا دليلاً واحداً على قوله.

ولا غرابة في وصف زكريا؛ فإنَّه يرى في الدولة السعودية «**خطراً وهابيّاً**»[٦] هكذا!، ويرى في ردّها للتحرشات والاعتداءات

---

(١) عنَك: بضم العين، ولكنَّ العامة تفتحها. تقع على الشاطئ جنوب مدينة (القطيف) بنحو خمسة عشر كلم، وشرق بلدة (سيهات) بنحو خمسة كلم. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٨٥٧)، (٥/١٨٨٠). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١١٩٥).

(٢) العوامية: قرية تقع على مقربة من مدينة (القطيف)، بينها وبين (صَفوا). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٢٠٣).

(٣) القُدَيح: من قرى (القطيف)، جنوب مدينة (القطيف)، يحدها من الشرق البحر ومن الشمال حدود (العوامية) ومن الجنوب حدود (البِحاري). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٤/١٣٩٥).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٨). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣٣).

(٥) انظر بحثه المُعَنْوَن بـ«موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» (ص٩٤)، سبق ذكره.

(٦) المرجع السابق (ص٩٤).

عليها من الأحساء بأنَّه: «**توسّع سعودي**»(١) هكذا!.

في حين يرى زكريا في احتلال محمد علي باشا للأحساء عملٌ يسعى إلى وحدة العرب؛ حيث قال عن ذلك: «**كانت** [أعمال محمد علي باشا] **تهدف في تقديرنا تحقيق الوحدة بين إمارات الخليج العربي**»(٢)!.

* وفاة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر بعض الثناء عليه:

في ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م؛ توفي الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، «مقرّر دلائل البراهين ومحيي معالم الدين بعد دروسها ومُظهر آيات البراهين بعد أفول أقمارها وشموسها»(٣)، «المتفنن في فهم القرآن والاستنباط، المتفرد في نشر أعلام التوحيد، القائم فيها لله تعالى بالتجريد، المؤيَّد فيها بالإعانة من الحميد المجيد، المسدَّد فيما يُبدي من الدقائق ويعيد، المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالمٍ ضالٍّ مريد، الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صيته وانتشر، قامع أهل الشرك والضُّلَّال ورادع ذوي الزيغ والضَّلَال، مُعزّ أهل الدين والإخلاص والجُمَع ومُذلّ ذوي الإلحاد والأهواء والبدع، من أصبح مُحيًّا الدين به وأضحى منيراً وظلام الضلال منقشعاً مستطيرا، وأصبحت به السمحاء

---

(١) وباسم هذا التوسّع وضع عنوان بحثه باسم: «التوسُّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» !!!.

(٢) المرجع السابق (ص١٠٠).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٠).

مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمةً على نهجها في البادية والبلاد»[١].

«كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الذكر لله، قلَّ ما يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وكان إذا جلس الناس ينتظرونه، فإنَّهم يَعلَمون إقبالَه إليهم حين يسمعون لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير»[٢]. **فكانت** «حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام، لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام، ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام، والتأني في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك ويُحكِمَهُ أتمَّ إحكام»[٣].

«كان عطاؤه عطاء من وثق بالله عن الفقر، بحيث أنَّه يهب الزكاة والغنيمة في مكان واحد، ولا يقوم ومعه منها شيء، ويتحمَّل الدَّيْنَ الكثير لأضيافه وسائليه والوافدين عليه»[٤]، **فكان** «سمحاً جواداً كريماً لا يُلفى عنده المال مقيماً، وكان لا يردّ السؤال؛ إما أثاب عاجلاً أو بعد حال، فيرجع سائله بنجح الآمال»[٥].

وهذا حسن بن جمال الرِّيكي، بالرغم من عداوته البيِّنة للشيخ ودعوته، إلا أنه شهد بالحق وقال فيه: «فالمراد أنَّه ليس بطَلاب

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠١/٢) باختصار.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٠/١ ـ ١٨١) بتصرّفٍ يسير.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠١/٢ ـ ٩٠٢).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨١/١).

(٥) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠٢/٢).

لجمع المال الكثير وإلا لما عَدَلَ عن سبيله، لِمَا بيَّنا ورُوينا من بعض أهل نجد يقول: كان محمد بن عبدالوهاب يُقري الضيف، ولم يُعهد أنه يوماً تَغدَّى أو تعشَّى في داخل بيته عند عياله إلا نادراً، وإنَّما كان يأخذ سفرته وخوانه يضعها في صهيوة[١] له خارج بيته، وهذا من عادة أهل نجد يبنون صهوات خارج بيوتهم يسمّونها مضايف، وكان من عادته أنَّه إذا أضافه أحد ثم أراد الذهاب، متَّعه بشيءٍ قدراً متيسّراً، هذا لا يفعله غيره من أهل تلك البلاد. وقيل: إنَّه يوقّر حقّ الجار على نفسه، ولم يُسمع له شتمٌ لأحد»[٢].

وكان للشيخ «مجالس عديدة في التدريس، كلّ يوم وكل وقت في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها، وانتفع الناس بعلمه... فنصر السنَّة وعظُمَت به من الله المنَّة، بعد أن كان الإسلام غريبا، فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد إلا اسمه، فانتشر في الآفاق وكل أمر أخذ منه حظّه وقِسمَه، وبعث العمَّال لقبض الزكوات وخرص الثمار من البادي والحاضر بعد أن كانوا قبل ذلك يُسَمَّونَ عند الناس مُكَّاساً وعشارا»[٣].

«واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وأذكارها، فتعلَّمَ ذلك الصغير والكبير والقارئ والأمّيّ بعد أن كان لا يعرفه إلا الخصائص.

---

(١) الخوان: ما يؤكل عليه. أمَّا الصهيوة فهي: مصغَّرة صهوة، ومعناها: مقصورة.انظر: تعليق عبدالله العثيمين على «لمع الشهاب» (ص: ٦٥).

(٢) حسن الرّيكي «لمع الشهاب» (٦٥).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨١/١ ـ ١٨٢).

وانتفع بعلمه أهل الآفاق؛ لأنهم كانوا يسألون عمَّا يأمر به [الشيخ محمد وعمَّا] ينهى عنه، فيقال لهم: يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك. ويقال لهم: إنَّ أهل نجد يمقتونكم بالإشراك مع الله في عبادته. . فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه، وهَدَمَ المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيَت على القبور وغيرها من جميع المواضع المضاهية لأوثان المشركين في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعُمان[(١)] والأحساء ونجد وغير ذلك من البلاد، حتى لا تجد فيمن شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر، فضلاً عن غيره، حاشا الرياء الذي قال فيه النبي ﷺ (إنه أخفى في هذه الأمة من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل) .

وأمر الشيخ جميع البلدان وأهل النواحي يسألون الناس في كل مسجد كلّ يوم بعد صلاة الصبح أو بين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول؛ وهي معرفة الله ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول ما دعا إليه وهي لا إلٰه إلا الله، ومعرفة معناها، والبعث بعد الموت، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله سبحانه.

فمحاسن وفضائل [الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفضله على أهل نجد وغيرها من بلدان جزيرة العرب] أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. . ولكن هذه قطرة من فضائله على وجه

---

(١) سيأتي بيانه في الفصل السادس.

الاختصار، وكفى بفضله شرفاً ما حصل بسببه من إزالة البدع واجتماع المسلمين وإقامة الجماعات والجُمَع وتجديد الدين بعد دروسه وقلع أصل الشرك بعد غروسه.

فعمرت نجد بعد خرابها وصَلَحَت بعد فسادها واجتمعت بعد افتراقها وحُقِنَت الدماء بعد إهراقها، ونال الفخر والفضل والملك من نصره وآواه [من آل سعود]، وملك حتى الحرمين الشريفين واليمن وأقصى عمان وما دون وما وراه[١]، وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان تكون له الغلبة على من عاداه.

ولقد أحسن القائل:

وجَرَّت به نجد ذيول افتخارِها ... وحُقَّ لها بالألمعيّ ترفّع[٢].

وكان [الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب] رَحِمَهُ اللَّهُ كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

بأيّ لسان أشكر الله إنَّه ... لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة ... عليّ بالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادي يوم كشف السرائر»[٣].

«والواقف على مصنَّفاته وتقريراته يعرف أنَّه سبَّاقُ غايات

---

(١) سيأتي بيانه في الفصل السادس.

(٢) من مرثية حسين بن غنام في الشيخ الإمام بعد وفاته. انظرها في «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠٣/٢).

(٣) عن: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٢/١ ـ ١٨٤).

وصاحب آيات لا يشقّ غباره ولا تُدرَك في البحث والإفادة آثاره»[١].

«وقد تتبّع العلماء مصنَّفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل زمانه وغيرهم، فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يُعاب، وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنَّة والجماعة، وأما في الفروع والأحكام فهو حنبليّ المذهب، لا يوجد له قولٌ مخالف لما ذَهَبَ إليه الأئمة الأربعة، بل ولا خرج عن أقوال أئمة مذهبه»[٢].

«وقد عُرِفَ واشتُهِرَ واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنَّفاته المسموعة والمقروءة عليه وما ثَبُتَ بِخَطِّهِ وعُرِفَ واشتُهِرَ مِنْ أمرِهِ ودعوتِهِ وما عليه الفضلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنَّه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمَّة الدين أهلُ الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحَّت بها الأخبار النبوية وتلقَّاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها ويؤمنون بها ويمرُّونها كما جاءت، من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل»[٣].

«وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المناقب والمآثر ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر، ومِمَّا اختصَّهُ الله به من الكرامة: تسلُّط أعداء الدين

(١) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٢٨/١).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن على أسئلة من جهة الساحل الشرقي، ضمن «الدرر السنيَّة» (٤٤٦/١).

(٣) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥١٦/١).

وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبَّتِهِ والتعرُّضِ لبهتِهِ وغِيبَتِهِ»[١].

«فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فلقد أجاد وأفاد، ووضَّحَ معتقد السلف الصالح بعد أن باد، وأرخى عنان يراعه فأبدى وأعاد، حتى قلع الشرك من نجد بعد أن شاد، وأطَّدَ الإسلام فاستضاء به الحاضر والباد»[٢].



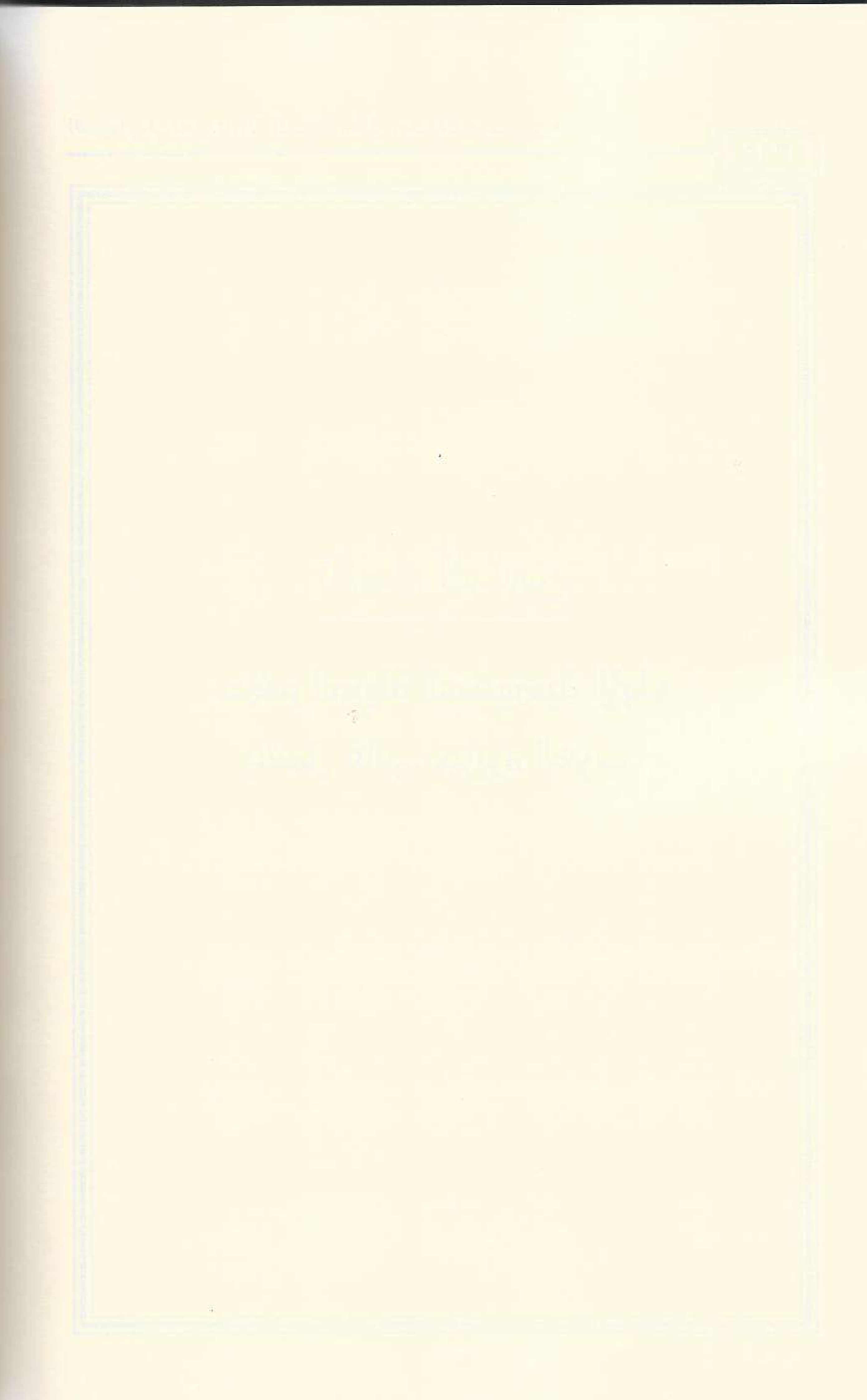
(١) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٢٨/١).

(٢) عبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنيَّة» (١٥٨/١).



الفصل السادس:

حكم الدولة السعودية الأولى يشمل غالب جزيرة العرب.





أولاً: الدولة السعودية الأولى تحكم الأحساء كاملا

كانت الأحساء قد انضمَّت للدعوة وقائدها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود كما بُيِّنَ في الفصل السابق، على أنَّ تَمَرُّداتٍ وقعت من بعض أهاليها وحاولوا نزع يد الطاعة عن الدولة السعودية، فسار الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وقصد ناحية الأحساء سنة ١٢٠٧هـ/١٨٩٣م، فنزل عند ماء عين نجم، وخرج أهلها ليعلنوا طاعتهم للدولة السعودية، فدخل السعوديون الأحساء، وهدموا جميع ما فيه من القباب والمشاهد على القبور والمواضع الشركية فلم يتركوا لها أثراً(١).

وأقام الأمير سعود بن عبدالعزيز فيها قريباً من شهر، ورتَّبَ أئمة المساجد وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجُمَع والجماعات ونادى بإبطال جميع ما خالف الشرع ورتَّب الدروس، وجعل فيهم علماء من قومه يعلمونهم التوحيد ويذاكرونهم ويعلمونهم أصول الإسلام .وفي سنة ١٢٠٨هـ/١٨٩٤م انضبطت الأمور قريباً من التمام

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٠٩).

في الأحساء على يد آل سعود(١).

ولقد شهد **محمد بن علي الشوكاني** بطيب سيرة حكم آل سعود في الأحساء يوم انضمَّت لدولتهم فقال: «فقد سمعنا أنَّه(٢) قد استولى على بلاد الحسا والقطيف، **ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام**، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلا مجرَّد التكلّم بلفظ الشهادتين على ما في لفظها من عوَج»(٣).

من المهم القول: **بأن محمد بن فيروز أحد رؤوس المعارضة لدعوة الشيخ في الأحساء، والذي كان يحرض الدولة العثمانية وسلطانها على أهل نجد**(٤)، **لما أوشكت الجيوش السعودية أن**

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩١٥ - ٩٢١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٠٢ - ٢٠٣).

(٢) يقصد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦) باختصار وتصرّفٍ يسير. بينما يرى المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم في نشر التوحيد ومحاربة البدع نوعٌ من أنواع التعصّب، حيث يقول: «اندفع السعوديون بشكلٍ تعصّبيٍّ بالغ بهدف نشر الدعوة الوهابية في سواحل الخليج العربي». انظر بحثه «موقف الكويت من التوسّع السعودي» (ص٩٦). وهذه مشكلة من يقرأ التاريخ من دونما ضابطٍ من العقيدة السليمة. علاوةً على ذلك؛ فإنَّ الذي حرَّكَ السعوديين إلى الأحساء إنَّما هو رد للاعتداءات والتحريضات الآتية من هناك.

(٤) راجع في الفصل السابق مبحث المعارضة النجدية واستقوائها بعلماء الأحساء وسلطتها.

تستولي على الأحساء في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، رحل ابن فيروز عنها إلى الزبارة[١] ثمَّ البصرة[٢]، وهناك استُقبِلَ استقبالاً حافلاً من الأعيان والعامة الكارهين للدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ.

قال بعض المؤرخين: إنَّ محمد بن فيروز لم ينتقل من الأحساء إلى العراق إلا بعد أن استولى آل سعود على الأحساء، وأنَّ الإمام عبدالعزيز بن محمد كتب إلى أميره في الأحساء براك بن عبدالمحسن ابن سرداح الخالدي أن يأمر محمد بن فيروز بالرحيل[٣]، ورحل معه تلاميذه ومريدوه، ومنهم صالح بن سيف العتيقي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤] رحل إلى بلد الزبير[٥]، ومن هناك بدأ ابن فيروز وتلاميذه من جديد حملاتهم وتحريضاتهم على أهل الدولة السعودية[٦]، فنَظَمَ ابن غنَّام قصيدة عصماء يهجو بها ابن فيروز[٧].

---

(١) الزبارة: شمال شبه جزيرة قطر. كانت مقرّ آل خليفة قبل انتقالهم إلى البحرين. انظر: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (١٩ - ٢٠). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٨٠٦ - ٨٠٧).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/١٢٧ - ١٢٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٠٦).

(٤) أوردنا موقفه المناوئ للدعوة والدولة في الفصل الثاني.

(٥) انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٢/٤٧٥).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣١٨). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٨١١).

(٧) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٥٢ - ٩٥٦). وقد أوردنا بعض أبياتها في الفصل السابق.

ورغم وصول النفوذ السعودي إلى هذه الدرجة في إقليم الأحساء فإنَّ أهالي شرق الأحساء حصل منهم الامتناع، ويذكر مؤرِّخٌ معاصر لتلك الحوادث أنَّ شرق الأحساء لم يُطِع، وهذا الشرق بلداناً كثيرة يبلغ عددها أربعين قرية، ورئيسهم لم يُطِع ابن سعود وأظهر العداوة، فسار سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى بلاد شرق الأحساء وجعل يحاربهم ستة أشهر[١].

وذكر ابن بشر في تاريخه: بأنَّ الذي أوكله آل سعود في الأحساء تمالأ مع أولئك المتمرّدين، لأنَّه طَمع في أن يحكم مستقلاً عن نفوذ الدرعية التي يتلقى الأوامر منها، وحاول المُتَمَرِّدون دخول المبرَّز ففشلوا؛ إذ قام أمير السياسب[٢] بإبلاغ خبر هذا التمرّد للدرعية، فأسرع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بإرسال القائد إبراهيم بن عفيصان (ت: ١٢٢٩هـ/١٨١٤م)[٣] بقوةٍ استطلاعية أمام جيش ابنه سعود بن عبدالعزيز، فقاتلهم ابن عفيصان وأنزل بهم

---

(١) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٢٩ ـ ١٣٠).

(٢) السياسب: قيل إنَّهم من بني خالد، وفي تعليق عبدالرحمٰن آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١٨٧/٢) قال: إنهم بطن من بني عقيل بن عامر سكنوها أول الزمان. وتوجد محلّة في المبرَّز تحمل اسمهم. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٥٧٧/٤). وحمد الجاسر «المعجم الجغراف للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٥٦٤/٤).

(٣) إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: جعله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود أميراً على ناحية الخرج، وجعله الإمام سعود الكبير أميراً على (الأحساء) ثمَّ على (عنيزة). توفي سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٨/١) (١٣٠) (٢٠٩) (٢١١) (٢١٥) (٢٥٤) (٢٧٨) (٢٨١) (٣٢٠) (٣٦٢) (٣٦٥). وعبدالرحمٰن الحصين «إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية» (٥٢) رسالة ماجستير غير منشورة.

الهزيمة، ثم استطاع أن يُتِمَّ ضمّ القطيف وتاروت[١] إلى الدولة السعودية الأولى في سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م[٢]، ومن بعد ذلك عمَّر هناك الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قصر صاهود[٣] وأقام به أناساً لأجل الحراسة[٤].

وعليه؛ كان انضمام الأحساء إلى الدولة السعودية الأولى فاتحة الطريق لعلاقاتها مع إمارة الكويت، وفاتحة الطريق لجيوشها أن تصل إلى المناطق المتاخمة لهذا الإقليم، مثل قطر وإمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان ثم جهات عسير وجازان ونجران والحجاز.



---

(١) تاروت: جزيرة في خليج القطيف. انظر: ج. لوريمر، «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/ ٢٤٤٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) قصر صاهود: في بلدة «المبرَّز» لا يزال قائماً. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/ ٩٦٢).

(٤) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٣).



ثانياً: امتداد الدعوة السلفية وجيوش الدولة السعودية الأولى إلى قطر

كانت الدولة السعودية قد وصلت في تقدّماتها العسكرية المبكرة إلى قطر منذ العام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م حينما أغار القائد السعودي الشيخ سليمان بن عفيصان عليها واستعرض القوة السعودية هناك ثمَّ عاد[١]، وهي إشارة إلى ما بلغته تلك الدولة من قوة عسكرية وقدرة على الوصول إلى تلك البقاع.

وبعد أن أتمَّت الدولة السعودية الأولى وجيوشها ضمّ الأحساء وأصبحت تشرف على مياه الخليج العربي من خلال ميناء العقير وبقية موانئ الأحساء، بدأ السعوديون يسيرون قُدُماً إلى المناطق الأخرى الواقعة على ساحله، فاتجهوا إلى قطر، فقام القائد السعودي إبراهيم بن سليمان بن عفيصان في أواخر ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م بإخضاع معظم قرى قطر، ولم تَبْقَ غير الزبارة التي لم تخضع له، وكان من المهمِّ إخضاعها لأنها أصبحت ملجأ أعداء الدعوة السلفية وموئل

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦١).

الفارين من وجه حكومتها السعودية والمتآمرين عليها[١].

وقد استولى عليها فعلاً إبراهيم بن عفيصان وأخذ قلعتها فيما بعد[٢]، **حتى أصبحت شبه جزيرة قطر «جزءاً من الأملاك السعودية على ساحل الخليج»[٣]. ويقول الشيخ حمد الجاسر (ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م): «كانت قطر كلّها تحت حكم الدولة السعودية»[٤].**



(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٠٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٠٩). وانظر أيضاً توثيقاً لذلك في: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/١١٠). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٥٧٩). وعلي الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (٧٦)، رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) قاله: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٠٦).

(٤) حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٨٠٧).



ثالثاً: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت

معلومٌ أنَّ حكَّام إمارة الكويت جاؤوا من نجد[(١)]، وبقيَّة أهل الإمارة من المنتمين إلى أصولٍ عربيةٍ أساسها منطقة نجد أيضاً - إلّا من ندر - وكثيرٌ منهم هاجر من نجد إلى الكويت لأسبابٍ من أهمها القحط[(٢)]، «لذلك فإنَّ الصلات التاريخية بين الكويتيين وبين النجديين من العمق والرسوخ بحيث لا تكاد تساويها - ناهيك عن أنْ تتفوَّق عليها - أيَّة صلات بين قطرين عربيين»[(٣)].

ولمَّا دعا الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته السلفية الإصلاحية في نجد تردَّد صداها في الأقطار المحيطة، وكان أن وقفت الأحساء والحجاز والعراق موقفاً عدائياً من دعوة الشيخ والدولة السعودية

---

(١) فصَّلتُ ذلك وَوَثَّقته في كتابي «إمارة الكويت في ظلّ التنافس الدولي» (٣٧ - ٣٨).

(٢) انظر، على سبيل المثال، هجرة من هاجر من نجد إلى الكويت بسبب القحط الذي جرى على أهل نجد سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م، عند: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٧٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٠٥/١).

(٣) عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الولى والكويت» (٨١).

الأولى التي ناصرت دعوته، فكان من الطبيعي أن يبلغ ذلك الصدى إمارة الكويت، ولكنَّ شيخها الثاني **الشيخ عبدالله بن صباح** (ت: ١٢٢٩هـ/١٨١٣م)[١] أراد أن يتبيَّن أمر هذه الدعوة، فأرسل إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب برسالةٍ ـ ربَّما يكون وقتها في حدود سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م[٢] ـ، يستفسره عن حقيقة دعوته وعَمَّا يُنسَب إليه، فأجابه الشيخ محمد برسالةٍ تحوي الجواب على استفسار ابن صباح[٣].

حصلت بعد ذلك حوادث الأحساء التي انتهت إلى امتداد الحكم السعودي للأحساء الذي أنهى عنها حكم بني خالد، ولا شكَّ أنَّ تلك الحوادث كان لها أثرها على العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت؛ حيث لجأ إلى الكويت **زيد بن عريعر** وأنصاره[٤] الذين كانوا في حالة حربٍ مع دولة آل سعود، وصار لزيد يَدٌ في حوادث التمرّد في الأحساء التي تلت سنة **١٢٠٧هـ/١٧٩٢م**، وكان ردُّ الفعل السعودي على ذلك التمرّد بغزو سعود للأحساء مطلع العام ١٢٠٨هـ/١٧٩٢م وإعادتها للحكم السعودي، كما فصَّلناه في

---

(١) هو حاكم الكويت الثاني. حصلت في وقته معركة الرقَّة بين أهل الكويت وبني كعب أهل (المحمَّرة). وفي وقته انفصل آل خليفة عن عتوب الكويت وهاجروا إلى البحرين. انظر: عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٠ ـ ١١٦).

(٢) رجَّحَ ذلك التوقيت بترجيحاتٍ قويَّة عبدالله العثيمين في كتابه «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (٨٣ ـ ٨٤).

(٣) انظر نصّ الرسالة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٥١٦ ـ ٥١٨). وانظره في «الدرر السنية» (١/٧٤ ـ ٧٨).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩١٥).

نهاية الفصل السابق وأوّل هذا الفصل الذي بين يديك.

ولا ريب أنَّ بيت الحكم السعودي يدرك انَّ قبول أمير الكويت زيد بن عريعر لاجئاً في إمارته الكويت أمراً متمشيّاً مع شِيَم العرب والتقاليد المتوارثة، إضافةً إلى الروابط الخاصَّة التي كانت تربط إمارة الكويت بزعامة بني خالد، ولكنَّ المسألة لم تقف ـ فيما يبدو ـ عند قبول أمير الكويت زيد بن عريعر لاجئاً عنده، وإنَّما تجاوزت ذلك إلى كون إمارته قد أصبحت مكاناً لمن يعمل ضدَّ الحكم السعودي في الأحساء[1].

وإذا كان من المرجَّح أن تفهم القيادة السعودية قبول أمير الكويت لجوء من يلجأ إليه وتقدِّره، فإنَّه من غير المرجَّح أن تقبل كون إمارة الكويت تصبح مقرّاً لمن يقوم بنشاطٍ ضدَّها[2].

ـ ابن عفيصان وإمارة الكويت ونقد بعض كتَّاب التاريخ:

لهذا السبب جاء الردّ السعودي على تلك الأمور؛ بِأَنَّ وجَّهت إلى الكويت بغزوٍ يقوده إبراهيم بن سليمان بن عفيصان.

هذا هو السبب، وليس كما صوَّره أحد كتَّاب التاريخ في الكويت قائلاً: **«إنَّ كَرَم ضيافة الكويتيين لبني خالد زاد من عداوة الوهابيين لهم»[3].**

(١) هناك إشارة لذلك الأمر عند: مصطفى أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٤).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (٩٧ ـ ٩٨).

(٣) هذا ما قاله حسن الإبراهيم في كتابه «الكويت دراسة سياسية» (٣٧)

فتأمَل كيف تغاضى هذا الكاتب عن نشاط التحريض ضدّ دولة آل سعود الذي قام به بنو خالد اللاجئين في الكويت، وجعل الأمر وكأنَّه مُحدَّدٌ بمسألة الإيواء وقبول اللجوء فقط!.

وقد ردَّ العثيمين على كلام الإبراهيم قائلاً: «**لم تكن هناك عداوة بين السعوديين والكويتيين قبل نشاط زيد بن عريعر اللاجئ في الكويت حتَّى يُعبَّر بكلمة: زادَ!**»[(١)].

الحاصل؛ توجَّه ابن عفيصان إلى الكويت، يرافقه بعض من أهل الخرج والعارض وسدير حتى وصل بهم ابن عفيصان بلد الكويت، ورتَّبَ جيشه ووضع كميناً ثم انطلق إلى هدفه، فهبَّ مقاتلة أهل البلد للقائه، ولمَّا بدأ الاشتباك بين الطرفين خرج كمين ابن عفيصان، فانسحب أهل الكويت إلى سور بلدتهم بعد ان فقدوا نحو ثلاثين رجلاً، وكسب ابن عفيصان ومن معه غنماً كثيرة وأسلحةً ثمينةً شهيرة وعادوا إلى بلادهم. وقد ذكر تلك الحادثة مؤرخو نجد[(٢)]، كما ذكرها مؤرخو الكويت بكلّ حيادية[(٣)]، إلَّا قلَّةٌ منهم[(٤)].

---

(١) عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٢).

(٢) مثل: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٢٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٠٩).

(٣) مثل: عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٤). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (١٢٣).

(٤) قال راشد الفرحان في كتابه «مختصر تاريخ الكويت» (٦٤) بالنصّ والحرف: «وفي سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٨م غزا إبراهيم بن عفيصان الكويت بحثالةٍ من أهل السدير والخرج والعارض، وبعد ان فشل، رجع إلى بلاده خائباً». وعلَّقَ العثيمين على كلام الفرحان قائلاً: «من الواضح ما في مقارنة الفرحان التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي من خطأ، وما وصفه لعناصر الجيش السعودي من=

وبالرغم من ذلك جاء **المؤرّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن** ليصوّر مجيء ابن عفيصان على أنّه طمع سعودي بالكويت وميناًئها![(١)]. وقريبٌ من عبدالرحيم صوَّر **المؤرّخ الكويتي راشد الفرحان** مجيء ابن عفيصان إلى الكويت بغرض احتلالها![(٢)].

وهذا كلّه غير صحيح، فإنَّ مجئ ابن عفيصان للكويت كان لإيوائها من يُحَرِّضُونَ ويَسْتَعْدُونَ دولة آل سعود؛ هذا هو السبب الواقعي، كما أنّه واضحٌ أنَّ ذلك الغزو لم يكن الهدف منه الاستيلاء على بلد الكويت؛ وإلّا لما اكتفى القائد السعودي بما قام به وعاد دون محاصرة الكويت، ومن الواضح أيضاً أنَّ إمارة الكويت لم يمتدّ نفوذها بعيداً عن أسوار بلدة الكويت، وأنَّ القبائل القريبة منهم قد دخلت بشكلٍ من الأشكال تحت النفوذ السعودي رغبةً أو رهبةً، وربما كان يحدث أحياناً بين أفرادٍ من تلك القبائل والسقاة من أهل الكويت نزاعات حول الموارد؛ تماماً كما كان يحدث بين فروع القبائل المختلفة عند موارد المياه في أيِّ جزءٍ من أجزاء الجزيرة العربية[(٣)]،

= تحاملٍ لا مبرّر له، وما في قوله عن فشل الجيش وخيبته من مخالفةٍ للواقع». انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠١).

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١١٠).

(٢) قال راشد الفرحان في كتابه «مختصر تاريخ الكويت» (٦٤): «فلمّا تبيَّنَ له فشله [يقصد ابن عفيصان] في احتلال الكويت» !!!. ومصطفى أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٥)، يصوّر الحادثة بنفس تصوير عبدالرحيم والفرحان.

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٠) (١٠٤ ـ ١٠٥).

وهذا الذي حدا بعض موظّفي الحكومة البريطانية ليكتبوا في تقاريرهم أنَّ هجمة أو غزوة سعودية قد استهدفت الكويت[١]، **ولكنَّ نزاعات هذه طبيعتها ـ التي بيَّنَّاها هنا ـ لا يصحُّ أن يُعَبَّر عنها بأنها غزوات أو هجمات موجَّهَة من الدولة السعودية الأولى إلى الكويت**[٢].

ـ القائد السعودي منَّاع أبو رجلين وإمارة الكويت:

أمَّا ما جدَّ في طبيعة العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت في سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م فإنَّه جرى بالتبعية لأحداث تلك السنة التي استطاعت فيها الدولة السعودية أن تُظِلّ الأحساء بأفياء حكمها وما أحاط بالأحساء كقطر وساحل عمان الشمالي وصولاً إلى أجزاء من سلطنة عمان[٣]، ثمَّ ما تحقَّق للدولة السعودية من قدرتها على ردّ هجمات الشريف عليها في عالية نجد ثمَّ امتداد نفوذها إلى حدود الحجاز[٤]، وعليه بدا واضحاً للعثمانيين أنَّ مسألة محاربة الدولة السعودية الأولى من جهة الأحساء وجهة الحجاز قد ظهر فشله وسقوطه، وبات لا مفرَّ أمام العثمانيين بعد سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م من إرسال جيوش عثمانية من خارج جزيرة العرب للقضاء على الدولة

---

(١) هذا ما كتبه السير هارفرد بريدجز في تقاريره لحكومته البريطانية، انظر: كتابه «موجز لتاريخ الوهابي» (٧٦ ـ ٧٧).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٥).

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي.

(٤) سيأتي تفصيل ذلك في مبحثٍ خاصٍّ في هذا الفصل.

السعودية الأولى[١].

كانت ولاية العراق العثماني هي الأنسب حينذاك لتكون منطلقاً للجيوش العثمانية المرسلة ضدَّ السعوديين، خصوصاً وأنَّ العراق كانت ملجأ لكثير من المعارضين الذين لم يرغبوا تفيُّؤ ظِلال الحكم السعودي[٢]، فكان من الممكن للوالي العثماني في العراق الاستفادة من هؤلاء المعارضين في أيَّةِ حملةٍ تُرسل من العراق إلى الأراضي السعودية، فاستفاد من تحريضهم[٣] وأرسل حملةً من عِندِهِ يقودها ثويني بن عبدالله (ت: ١٢١٢هـ/١٧٩٧م)[٤]، الذي نزل بحملته تلك

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١١٣).

(٢) حول الجالين من نجد إلى العراق عموماً والزبير على وجه التخصيص، وحملهم من هناك لواء الدعاية للحرب والتشويه ضدَّ الدولة السعودية الأولى. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١) (٤٣٩). ومحمد عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٧٢/١) (٧٤ ـ ٧٥) (١٢٧ ـ ١٢٨)، (٦١٩/٢ ـ ٦٢٠) (٦٧٠) (٩١٠) (٩٧٣/٣). وفي حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٧٠٤/٢) (٩٧٠/٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٧/٣). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١١٤/٤ ـ ١١٥)، (٢٤٣/٦) (٣٠٢). أيضاً: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٥٩٤/٧).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢١٨/١ ـ ٢١٩).

(٤) ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع من آل شبيب: الملقَّب بأبي قريحة. تولى مشيخة قبيلة المنتفق بالعراق سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م. انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود» (٢٩٥ ـ ٣٠١). ويعقوب سركيس «مباحث عراقية» (١/١ ـ ٣) وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٠٢/٢).

في أرض الكويت بموضع يقال له الجهراء[١]، وقد ذكر بعض المؤرّخين أنَّ جماعةً من الكويت انضمَّت إلى تلك الحملة، وأنَّ سفائن كويتية حملت قسماً من جيش ثويني[٢]، وقد فشلت حملة ثويني بمقتله وانسحاب جيش الحملة بعد ذلك. وقد جاء ردّ الفعل السعودي سريعاً على الباشوية العثمانية في العراق والتي بَادَأَت السعوديين بالحرب والتحرّش[٣].

ثمَّ في سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م أمر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على منَّاع أبو رجلين[٤] من قبيلة زِعْب[٥] أن يغزو بلد الكويت بجيشٍ من أهل الأحساء، فقام منَّاع بما أُمِرَ به، واتَّبَعَ في مهاجمته للكويت الطريقة التي اتَّبعها إبراهيم بن عفيصان قبل ذلك بأربع سنوات[٦].

---

(١) الجهراء: واحة تبعد عن مدينة (الكويت) حوالي ٣٣ كلم. وهي اليوم مدينة عامرة. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١١٠٧/٣). وحمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٣٥٢/١).

(٢) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧). وحسين خلف الشيخ خزعل «تاريخ الكويت السياسي» (٦٤/١). أمَّا أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٨) فيذكر مساعدةً كويتية غير مباشرة لحملة ثويني.

(٣) ستأتي تفاصيل تلك الحوادث في الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٤) أخباره قليلة، انظرها عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٠/٢ - ١٠٣١ - ١٠٣٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٩/١).

(٥) زِعب: من سُلَيْم. واحدهم زعبي. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣١٠).

(٦) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٣٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان=

- ردٌّ ونقدٌ لخطأ المؤرِّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن:

حاول أستاذ التاريخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن أن يصوّر غزو منَّاع أبو رجلين ومن قبله غزو ابن عفيصان على الكويت بأنَّهما محاولةً من قادة الدرعية للاستيلاء على بلد الكويت لما لمينائها من أهميةٍ في تموين نجد[١].

وهذا غير صحيح؛ فمن المعلوم أنَّ السعوديين ـ خاصةً بعد أن دخلت الأحساء تحت حكمهم ـ أصبحت لهم مَوَانِؤُهُم ذات الأهمية الكبيرة مثل القطيف والعقير، وأصبح في إمكانهم استيراد ما كانوا في حاجةٍ إليه من خارج جزيرة العرب عن طريق هذه الموانئ[٢].

ثمَّ إنَّ الغزو السعودي الأول للكويت حدث نتيجة إيواء الكويتيين لخصوم آل سعود، وقيام هؤلاء الخصوم بنشاطٍ معادٍ للسعوديين، بينما حدث الغزو السعودي الثاني نتيجة تعاون الكويتيين مع حملة ثويني المرسلة من العراق، ولهذا فإنَّ الغزوين كانا ردَّ فعلٍ لتعاون الكويتيين مع خصوم الدولة السعودية الأولى وتحذيراً لهم من أن يتعاونوا مجدَّداً مع أولئك الخصوم بأيِّ شكل من الأشكال، فلم يكونا محاولةً لإخضاع الكويت للحكم السعودي؛ بل لهما هدف تحذيري واضح وقد تحقَّقَ[٣].

= المجد» (٢٣٩). وعبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٥). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (١٢٣ ـ ١٢٤). وعبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١١٦).

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (ص١١٠).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى» (١٢٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (١١٩ ـ ١٢٠).

ولو كان المراد إخضاع بلد الكويت للحكم السعودي فهل من المعقول ألَّا يُرسِل السعوديين إلَّا فرقةً صغيرة بقيادة مناع أبو رجلين في سنةٍ كانوا قادرين خلالها على تكوين جيوشٍ كبيرةٍ استطاعت أن تتوغَّل في العراق والحجاز وأن تحرز انتصارات على قوَّات لا يستهان بها في كلا القُطرين؟[١].



(١) انظر: المرجع نفسه (ص١٢٠).



رابعاً: الدولة السعودية الأولى تصل إلى عمان وإمارات الساحل الشمالي

تَوَلَّت أسرة البوسعيد[(١)] الحكم في سلطنة عمان في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ آل سعود في نجد، وفي الوقت الذي وصل فيه نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى ساحل الخليج العربي وأصبح يجاور إقليم عمان مباشرةً.

ولقد كان سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٠٦ - ١٢١٩هـ/١٧٩٢ - ١٨٠٤م)[(٢)] هو حاكم **سلطنة عمان - الكائنة ضمن إقليم عمان -**، وفي عهده بدأت طلائع أهل الدعوة السلفية وبيارق الجيش السعودي تقترب من مدينة مسقط مقرّ الحاكم[(٣)]. وكانت الدولة

---

(١) أسرة البوسعيد: يرجع نسبهم إلى خلف بن أبي سعيد الهنائي، وهم من قبيلة زهران أحفاد مالك بن فهم الدوسي الزهراني الأزدي. انظر: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» (١٧٨/٢ - ١٧٩). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٠٩٢/٦).

(٢) سلطان بن أحمد البوسعيدي: تولّى الحكم بعد أن نازع أخيه سعيد بن أحمد بتأييد من علماء بلده، وجعل (مسقط) عاصمة لملكه. انظر اخباره عند: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» (٢٠٢/٢ - ٢٠٥).

(٣) انظر: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان» (٢٠٥/٢). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١١٣).

السعودية قد أرسلت إلى حكام عمان كتاب «كشف الشبهات» للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تدعوهم فيه إلى لزوم السنة والتوحيد(١).

ومن جهةٍ أخرى كان المَدُّ السعودي يتقدَّم بقيادة إبراهيم بن سليمان بن عفيصان إلى منطقة الصير/رأس الخيمة، واستطاع أن يعقد اتفاقاً معها لتكون متعاهدة مع نفوذ الدولة السعودية الأولى(٢)، فاتفق على ذلك القواسم(٣)، ومن قبل ذلك قامت قبائل نعيم(٤) الذين كانوا يقطنون البريمي(٥)، ومثلهم قبائل بني ياس(٦)، فأرسلوا إلى الإمام

---

(١) انظر: حميد بن رزيق «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (٣٨٠).

(٢) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) القواسم: أوردنا نسبهم في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) النعيم: أكبر قبائل (البريمي) وأقواها. يقال أنهم ينحدرون من الأوس والخزرج. وقبائل النعيم تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: آل بوشامس وآل بو خريبان. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.432. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٥/١٧١٥ ـ ١٧١٨). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٨٤ ـ ٨٧).

(٥) البريمي: تقع شرق جزيرة العرب، وتُعَدّ محوراً بين صحاري الجنوب الكبيرة وسواحل (الباطنة) ومناطق (الحجر) الداخلية، و(الظاهرة) وعمان الوسطى والشرقية. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٦) بنو ياس: تقيم في إمارة (أبو ظبي)، وهي قبيلة تضمّ عدداً من الجماعات تُقَدَّر بثلاث عشرة جماعة، منها: آل بو فلاح وآل بو فلاسة والرواشد والمزاريع والقبيسات والهوامل والمحاربة والرميثات والقمزان والسبايس وآل بو حمير والسودان والمرر وآل بو مهير والقنيصات والقَصَل وبني شكر وآل سلطان. وللتفصيل انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.438. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/٢٥٦٦ ـ ٢٥٧١). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٦٨ ـ ٧٦).

عبدالعزيز بن محمد بن سعود بموافقتهم للدولة السعودية ودعوتها السلفية وإعطائهم الزكاة لحكومتها[١]، ومن المعلوم أنَّ قبائل بني ياس ونعيم من القبائل السُنِّيَّة التي لم تجد في العقيدة السلفية السنيَّة شيئاً جديداً عليها[٢].

تَبِعَ ذلك تقدُّم إبراهيم بن عفيصان إلى واحة البريمي ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، والتي تُعَدّ مفتاح الطريق البرِّيّ لإمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان[٣]، وأنشأ ـ في أثناء وجوده بهذه المنطقة ـ قصر الصبارة[٤]، **الذي اتخذته القوات السعودية والقبائل المتعاهدة معها قاعدة لها هناك، ومثله القصر الذي ابتناه القائد السعودي** مطلق بن محمد المطيري[٥] **وهو قصر الخندق في** البريمي[٦].

---

(١) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمن «الدولة السعودية الأولى» (١١٤).

(٣) انظر: جون كيلي «بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م» (١/١٦١).

(٤) قصر الصبارة: واقع بين قرية (البريمي) وحيّ (الحماسة)، وهو حصن تملكه قبيلة النعيم الموالية لآل سعود. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٣٣٤ ـ ٣٣٥). وعبدالله المطوَّع «عقود الجمان» (٢٦٠ ـ ٢٦١). أيضاً: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٣٢).

(٥) مطلق بن محمد المطيري: أحد قادة الدولة السعودية الأولى، جاء إلى عمان سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وقُتِلَ في (واحة بديَّة) في المنطقة الشرقية من عمان سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م. انظر: عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجمان» (١٣٣).

(٦) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٦١ ـ ١٦٢).

ـ وصول الدولة السعودية الأولى إلى البريمي:

يقول عبدالله بن صالح المطوّع (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)[١]: «**إنَّ آل سعود لمَّا وصلوا البريمي سنة ١٢١٠هـ [١٧٩٥م] بدؤوا بنشر الدعوة السلفية بدون قتال ولا خصام ولا جدال، وأخذت الدعوة تنتشر بين القبائل؛ فيقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويدعو الناس بعضهم بعضاً إلى الخير، فانتشر العلم، وحصل الأمن، وأمِنَ الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم**»[٢].

ويؤكِّد المطوَّع قائلاً: «في سنة ١٢١٠هـ [١٧٩٥م] وجَّه الأمير سعود إبراهيم بن سليمان بن عفيصان إلى عمان، وأمره أن ينزل البريمي لأنها أقرب البلاد إلى الأحساء، ولأنَّ أهلها ينتمون إلى القبائل العدنانية ويضمُّهم الحزب الغافري.

فلمَّا وصلها وجد أهلاً ونزل سهلاً، لم يُرفع في وجهه سوط، ولم يتخلَّف عن استقباله أحد، كما أنه هو لم يتدخل بين الأمراء

---

(١) هو عبدالله بن صالح بن محمد بن صالح بن محمد آل علي، ينتمي إلى المَوَهَة من عِلْوا من قبيلة مطير. وُلِدَ في (الشارقة) عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م أصيب بمرض القلب فنُقِلَ إلى الكويت للعلاج، كما سافر إلى الهند في العام نفسه للمعالجة من أمراض الشيخوخة، وقد توفّي رحمه الله في عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م. انظر: ترجمة المطوَّع التي أتى بها محمد بن سعد الشويعر حيث زوَّدَهُ بها حمد بن خليفة أبو شهاب من أهل (دبي)، ونشرها الشويعر في بحث بعنوان: «مخطوط عقود الجمان» في «مجلَّة الدارة» العدد الثاني، السنة ١١، محرَّم ١٤٠٦هـ/ سبتمبر ١٩٨٥م، (ص: ٤٧ ـ ٤٩). وانظر أيضاً: المقدمة التي وضعها محمد سليمان الخضيري (ص١١ ـ ١٤) خلال تحقيقه لكتاب «عقود الجمان» لعبدالله المطوَّع.

(٢) عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجمان» (٧٥).

وجماعتهم، ورضي منهم بالسمع والطاعة ودفع الزكاة لآل سعود وقبول الدعوة السلفية وإزالة البدع والخرافات والرجوع إلى الكتاب والسنَّة.

وقد انتشرت الدعوة السلفية بين قبائل البدو والحضر، وأخذ الناس يدعو بعضهم بعضاً إلى ذلك، وانتصب علماء السلف يعلّمون الناس»[(١)].

- تحالف القواسم مع الدولة السعودية الأولى:

برز العرب القواسم، الذين غدوا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر قوةً بحرية لا يستهان بها وأخذوا يديرون شؤون الخليج التجارية من معاقلهم الرئيسية في رأس الخيمة وخور فكَّان[(٢)] وغيرها لفترةٍ من الزمن دون وجود منازع يُذكر، كما أخذت سفنهم تمارس حقها الشرعي في الملاحة والتجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي، فجاهدوا - في أثناء ذلك - السفن الإنجليزية التي طرأت على مياه الخليج العربي بسلسلة من الهجمات الجريئة[(٣)]، ردّاً على ما قامت به السفن البريطانية من حربٍ على الملاحة العربية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

---

(١) عبدالله بن صالح المطوّع «عقود الجمان» (١٠٤ - ١٠٥).

(٢) خور فكَّان: قرية ساحلية تَبْعُد حوالي ٢٥ ميلاً شمالاً عن (خور كَلْبا)، يحكمها القواسم حكّام (الشارقة). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٦٦٥).

(٣) انظر: عبد الوهاب عبد الرحمٰن «الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث» (٢٨).

وعندما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوب شرق جزيرة العرب رحَّبَ سلطان بن صقر زعيم القواسم[(١)] بإعلان محالفته حكومة الدرعية في نجد وموافقة عقيدتها السلفية وتبنيه الدعوة إلى التوحيد والعمل على نشره ما وراء البحار[(٢)].

وسلطان بن صقر القاسمي هذا؛ هو الذي ردَّ على سلطان مسقط السيّد سعيد يوم أراد الأخير أن يستغلّ خلاف القاسمي وآل سعود فجاء سلطان مسقط يتنقَّص دعوة الشيخ محمد بن عدالوهاب ويلمّح إلى آل سعود، فقال سلطان القاسمي له: «**إنَّ ما جرى بيني وبين آل سعود من نوعٍ ما يجري بين الوالد وولده والأخ وأخيه، فلا غرابة في ذلك، وأمَّا العقيدة السلفية فهي العقيدة الحقّ التي لا أبتغي بها بديلاً، وعليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله**»[(٣)].

الحاصل؛ أنَّ القواسم أصبحوا مُؤَازَرين من دولة قوية ـ هي الدولة السعودية الأولى ـ في ممارسة جهادهم البحري على نطاقٍ أوسع؛ ففي سنة ١٢١١هـ/١٧٩٧م هاجمت إحدى السفن التابعة لشركة

---

(١) سلطان بن صقر بن راشد القاسمي: أكبر شيوخ الأسرة القاسمية وأدهى رجال الحكم في رأس الخيمة. ساند الدولة السعودية. اشتهر بالشجاعة في التصدّي لسفن شركة الهند الشرقية البريطانية. انظر على سبيل المثال: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٢/١). وحميد بن رزيق «الفتح المبين» (٤٣٢) وما بعدها.
See also: Ch. R. Low, History of The Indian Navy, vol.1, p.315.
وعبدالله بن صالح المطوّع «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي» (٧٢).

(٢) انظر: عبدالله بن صالح المطوّع «الجواهر واللآلئ» (٨١).

(٣) المصدر السابق (٨١).

البوسعيد وقتل قيس نفسه وكثير من رجاله[١].

ويبدو أنَّ هذا النصر الذي أحرزه مطلق المطيري بمساعدة القواسم كان حافزاً على التوغَّل في الأراضي العمانية، فدخلت القوات السعودية بلدة مطرح[٢] وكادت أن تصل إلى مسقط نفسها، وعلى إِثْرِ ذلك التقدُّم السعودي أعلنت كثير من بلدان الظاهرة[٣] رغبتها في تفيُّؤ ظلال الحكم السعودي، وبالتبعية اعترفت بلدة بهلى[٤] ونزوى[٥] بالحكم السعودي[٦].

وعلى أيَّة حال؛ استطاعت جهود آل سعود أن تسفر عن انتشار

---

(١) انظر حوادث معركة خور فكان عند: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٧ ـ ٢٩٨). وعبدالله المطوَّع «عقود الجمان» (١١٨ ـ ١٢٤).

(٢) مطرح: تقع على الجانب الجنوبي الغربي من (خليج مطرح) وعلى بعد ميلين غربي مدينة (مسقط). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٥١١/٤).

(٣) بلدان الظاهرة: تقع بين (الحجر الغربية) في الشمال الشرقي و(الربع الخالي). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخيلج/ القسم الجغرافي» (٥٤٨/٢).

(٤) بهلى: مدينة تقع على بعد ٢٠ ميلاً غربي (نزوى). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٥٩/١).

(٥) نزوى: تقع على بعد ٢٠ ميلاً غرب (إزكى) و(بهلى). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٧٣٣/٥).

(٦) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٥ ـ ١٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٧/١ ـ ٣١٨). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٢٠).

دعوة التوحيد في قبائل القواسم ونعيم وبني بو علي **والعوامر الذين اشتهروا بالشجاعة وحبّ القتال[١]، وبني قتب وبني كعب[٢] والهشم[٣] وآل علي[٤] الذين قال عنهم لوريمر «وواقع الأمر إنَّهم من الوهابيين»[٥].**

وانتشرت دعوة التوحيد كذلك بين أبناء قبيلة الجنبة[٦] وبني

---

(١) العوامر: قبيلة كبيرة من عمان نزارية الأصل. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.422.. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٢) بنو كعب: قبيلة مقرّها (المهاضة) في عمان آنذاك، وهم سُنيُّون ينتمون إلى الغافرية سياسياً. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.428. و: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٣/١١٩٤). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٩٥).

(٣) الهشم: قبيلة تقيم في منطقتي (جعلان) و(الحجر الشرقية) في عمان، وقد انحدروا من نزار، وهم غافرية. موطنهم الرئيسي مدينة (كامل) في (جعلان). انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.426. و: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٩٣٣ ـ ٩٣٤).

(٤) آل علي: قبيلةٌ عربية في إمارات الساحل الشمالي (الإمارات اليوم) ومنهم من يتواجد في منطقة (شيبكوه) على الساحل الشرقي للخيج العربي في برّ فارس، وهم ينتمون إلى جماعةٍ غفارية، وهم من المسلمين السنيِّين على المذهب الحنبلي. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٨٢).

(٥) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٨٢).

(٦) الجنبة: قبيلةٌ عربية في سلطنة عمان، من أصل يمني، وهم سُنيُّون. عاصمتهم مدينة (صور) العمانية، ويملكون جزيرة (مصيرة). انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.429. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٣/١١١٥ ـ ١١١٦).

راسب، وكلّ هذه القبائل سنيَّة غافرية شملها ظلّ الحكم السعودي[١].

من بعد ذلك **أقامت الدولة السعودية العلماء في إقليم عمان يَتَوَلَّوْن القضاء ويُفْتُون الناس ويُرشِدونهم إلى التوحيد ونَبذِ الشرك**، فكان قاضي الدولة السعودية الأولى هناك هو عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا بطين (ت: ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)[٢] الذي كان يتولى تلك الأمور العظيمة[٣]، كما عَيَّنَ الإمام سعود الشيخ عثمان بن شبانة (١٢٤٢هـ/١٨٢٧م)[٤] قاضياً في عُمان وأقام في رأس الخيمة يُدرِّس

---

(١) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٥ ـ ١٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٦/١). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٢٤).

(٢) هو عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا بطين العائذي فقيه الديار النجدية في القرن الثالث عشر الهجري. وُلِدَ في (روضة سدير) سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، ثم ارتحل إلى (شقراء) واستوطنها، وتتلمذ فيها على يد الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن، ثمَّ رحل إلى (الدرعية). تولَّى القضاء في عِدَّة أقاليم زمن الدولة السعودية الأولى والثانية. برع في الردود وكشف شبه المبطلين، ومن أشهر ردوده «تأسيس التقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس». انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٦٢٦/٢ ـ ٦٣٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٠٢/٣ ـ ١٧٠٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٢٥/٤ ـ ٢٤٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٤/١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٣٢/٤).

(٤) هو عثمان بن عبدالجبار بن حمد بن شبانة الوهيبي النجدي الحنبلي. وُلِدَ في (المجمعة) من بلدان (سدير)، ثمَّ رحل إلى (الدرعية) و(الأحساء) و(الكويت) و(الزبير) لطلب العلم. تولَّى القضاء في عِدَّة أقاليم. وهو الذي أجرى الصلح بين الإمام تركي بن عبدالله آل سعود وأهل (المجمعة) يوم حاصرها. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٥٥/٢ ـ ٥٧). وصالح آل عثيمين=

ومعه ابنه أحمد[١]، **كما أرسل الإمام سعود إلى عمان سَرِيَّة لِتُعَلِّم الناس فرائض الدين وَتَطَّلِع على أحوالِهم وترعاها**[٢].

ـ تحالف إيران مع السلطان سعيد:

كان سلطان مسقط السلطان سعيد يحاول أن يعقد اتفاقاً مع الإنجليز ليعاونوه ضدَّ الدولة السعودية الأولى، ولكنَّ أي نوعٍ من المعاونة الإنجليزية لم يحدث آنذاك؛ **لأنَّ الإنجليز يرون من مصلحتهم تجنّب مواجهة السعوديين**، فاتَّجه السيّد سعيد إلى إرسال بعثةٍ نحو شيراز يرأسها أخوه سالم في أواخر ١٢٢٦هـ/أواخر ١٨١١م طالباً العون منهم ضدَّ الدولة السعودية الأولى، **ووافق الإيرانيون على أنْ يمدُّوا له يد المعاونة بسبب كراهيتهم للسعوديين السلفيين، ولاعتقاد الإيرانيين أنَّ سيطرة السعوديين على عمان كلها لن تكون إلَّا مُقَدِّمَة للسيطرة على بلادهم.**

عاد سالم في أواخر ١٢٢٦هـ/أوائل سنة ١٨١٢م ومعه قوَّةٌ قوامها ١٥٠٠ إيراني مسلَّحين بأربعة مدافع خفيفة يعمل عليها جنود من روسيا، وقد استطاعات القوات الإيرانية العمانية أن تأخذ من السعوديين نخل وحصن سمايل[٣]، لكنَّ تلك القوَّة الإيرانية العمانية

= «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧٠ ـ ١٦٧١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٧٩ ـ ٨٢).

(١) انظر: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٧).

(٣) حصن سمايل: مكانٌ هامٌّ يقع على الضفَّة اليمنى لـ (وادي سمايل) في سلطنة عمان. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦/٢١١٨).

أُبِيدَت عن آخرها داخل عمان حين حاولت الاستيلاء على قلعة إزكي[(١)]، فردَّهُم السعوديون عنها؛ ثمَّ تقدَّم السعوديون واستعادوا حصن سمايل مرَّة أخرى[(٢)].

- خلاصة القول في الحكم السعودي لهذه الأقاليم:

من خلال ما مرَّ معنا في المباحث السابقة؛ سيظهر لنا برهان تاريخي بَيِّن؛ **وهو أن الدولة السعودية الأولى في توجهها إلى الأحساء ومحيطها (مثل قطر) ثم وصولها إلى إمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان، لم يكن هدفها السلب والنهب كما يدَّعي البريطانيون والعثمانيون، بل إنَّ للدولة السعودية الأولى هدفاً سامياً ترمي إلى تحقيقه من خلال نشر ظلال حكمها النقيّ على تلك البقاع؛ وهو مكافحة الجهل ونشر العلم والدعوة السلفية وإزالة البدع والخرافات التي علقت بالدين الإسلامي الصحيح**[(٣)].



---

(١) إزكي: مدينة عمانية تقع في (وادي حلفين). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٠٨٧/٣).

(٢) انظر: حميد بن رزيق «الفتح المبين» (٤٤٣ ـ ٤٤٤) (٤٤٩ ـ ٤٥١). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٦٩٣/٢ ـ ٦٩٤) (٦٩٩).

(٣) انظر: علي الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (٢٤٦) رسالة ماجستير غير منشورة.



خامساً: الدولة السعودية الأولى في الجنوب حتَّى الحُدَيْدَة.

بعد أنْ تزايدت قوة الدولة السعودية الأولى بصورة سريعة ومتلاحقة وتفيَّأت في ظلالها معظم مناطق شرقي الجزيرة العربية، وبعد أن انضمَّت إلى تلك الدولة الفتيَّة معظم الكيانات السياسية الصغيرة التي كانت متواجدة في تلك المناطق، حصل أن ضَعُفَت البقية الباقية من تلك الكيانات التي دخلت معها الدولة السعودية الأولى في صراعٍ مرير، فأصبحت الدولة السعودية الأولى القوَّة الأبرز في جزيرة العرب.

وبناءً عليه؛ اتجهت أنظار أهل الدعوة النجدية وقادة الدرعية إلى نشر الدعوة السلفية في عسير؛ ففي عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م بدأ نشاط الدولة السعودية الأولى في تلك الجهات يوم أرسلت الدرعية جيشاً كبيراً بقيادة رُبَيِّع بن زيد الدوسري[1] **الذي أغار على فئات من**

---

(١) رُبَيِّع بن زيد الدوسري: أحد قادة الدولة السعودية الأولى، كان قد وَفَدَ مع أمراء وادي الدواسر إلى الدرعية سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وأعلنوا ولاءهم للدولة وحكامها ومناصرتهم للتوحيد والدعوة السلفية. انظر أخباره عند: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين» (٣٨٨) (٤٠٠) (٤٠٤ ـ ٤٠٥) (٤٧٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٥) (١٦٣ ـ ١٦٦) (١٧٥) (٢١٣) (٢٣٦) (٢٣٨) (٢٤٢) (٢٥١).

شهران[١]، وغَنِمَ منهم إبلاً وغنماً كثيرة[٢].

وفي العام الذي يليه سار رُبَيِّع بأتباعه إلى بيشة والجنيْنَة[٣]، وقصده نشر التوحيد فيها وبث الدعوة السلفية بين أهلها، فقدموا عليه وأعلنوا السمع والطاعة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤].

على أنَّه حدث بعد مبايعة أهل بيشة لآل سعود ردّ فعلٍ مباشر من ناحية شريف مكة **الشريف غالب بن مساعد** (ت: ١٢٣١هـ/١٨١٦م)[٥] الذي قام من فوره ليصدّ رغبة الساكنين في تلك الجهات في التَّفَيُّؤ بأفياء حكم الدولة السعودية وليحارب أيضاً تمدّد الدعوة السلفية هناك؛ فقاد الشريف جيشاً ضخماً في العام نفسه مَكَّنَهُ

---

(١) قبائل شهران: بلادهم (بيشة) شمالاً إلى أعالي أوديتها في الجنوب حيث (بلاد قحطان) في سفوح (سراة عسير) على ضفاف (وادي شهران)، وقاعدتهم (خميس مشيط). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤١٨ ـ ٤١٩).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٥/٢). ولطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٣٨٧).

(٣) الجنيْنَة: من قرى (بني سعد) بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد (عسير). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٨٨/١).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٥/٢) (١٠٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١).

(٥) الشريف غالب بن مساعد: من أمراء (مكة)، وليها بعد وفاة ابن أخيه الشريف عبدالله بن سرور. توفِّيَ منفياً في مدينة (سلانيك) من بلاد اليونان. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٣) (٣١٣ ـ ٣١٥) (٣١٨ ـ ٣٢٠) (٤٠٧) (٢٧٤/٤) (٢٨٥ ـ ٢٨٦). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٥/١ ـ ٣٦٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٢/١).

من الاستيلاء على البلدة المذكورة، على أَنَّ القوات السعودية بقيادة الأمير ربيّع بن زيد الدوسري والأمير هادي بن قرملة جاءته بكثرة هائلة وانتصرت عليه انتصاراً عظيماً في الخُرْمَة[1] سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م[2].

وقد نجم عن الانتصار السعودي على الشريف غالب في معركة الخُرْمَة أن أُجْبِرَ الشريف على مصالحة الدولة السعودية الأولى، فدبَّ الشعور عند كثير من قبائل عسير بالقوة التي تملكها دولة آل سعود، فتهيَّأت تلك القبائل للدخول في طاعة تلك الدولة واعتناق دعوتها السلفية[3].

وفي ذات العام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م تحرَّك القائد السعودي ربيع بن زيد الدوسري إلى بيشة مرةً أخرى وأدخلها في أفياء الحكم السعودي، فَعَيَّنَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود سالم بن شكبان الرّمْثَيْن (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[4] أميراً

---

(١) الخُرْمَة: بلدةٌ حجازية في وادي (تربة) بعد (الغريف)، تبعد عن (الطائف) ٢٨٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٤٣).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٩ - ١٠٣٠) (١٠٣٦ - ١٠٣٧). ومحمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٣٨) (٢٤١ - ٢٤٤).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٣٨٥ - ٣٨٧). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) سالم بن شكبان الرمثين: من قبيلة شهران، من أهل (بيشة) من قرية (الدُّحُو). انظر أخباره عند: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحُور العين» (٤٠٠).=

لها[١].

وإذا كان دخول بيشة في طاعة آل سعود خطوة مهَّدت الطريق أمامهم إلى عسير، فإنَّ اقتناع **محمد بن عامر أبي نقطة** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م)[٢] وأخيه **عبدالوهاب** (ت: ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)[٣] بالدعوة الإصلاحية السلفية النجدية وانضمامهما إلى الدولة السعودية، كان له دورٌ مهمّ في إقناع أهل مَنطقة عسير؛ سراةً وتهامة، للدخول

= عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (١٠١) (١٢٨) (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥١/١) (٢٥٩) (٢٨٥ ـ ١٨٦) (٣٦٢).

(١) محمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥١/١).

(٢) محمد بن عامر، لُقِّبَ بـ«أبي نقطة» لسحابة كانت في إحدى عينيه. كان يسكن قرية (طبب) في عسير. ينتهي نسب أبو نقطة إلى فخذ المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل عسير السراة. انظر أخباره عند: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢١ ـ ٢٣). ولطف الله جحَّاف «دُرر نحور الحُور العِين» (٣٨٨) (٤٠٠). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٨١/٦).

(٣) عبدالوهاب بن عامر المتحمي: تولَّى الإمارة بعد وفاة أخيه محمد. قُتِل عبدالوهاب سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م في معركة بيش. انظر أخباره عند: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٤ ـ ٢٥) (٢٨ ـ ٣٢) (٣٦ ـ ٣٨) (٤٠ ـ ٤٤). ولطف الله جحاف «درر نحور الحور العين» (٤٨١) (٤٨٣) (٤٨٩) (٥١٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٦٨ ـ ١٦٩) (٢٢٣) (٢٤٣) (٢٤٥) (٢٤٩) (٢٥٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٢٦ ـ ١٢٧). والحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١٠٠) (١٠٢) (١٠٥) (١١٤) (١١٦). وأحمد آل فايع «دور آل متحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير» (١٤١).

في ظلِّ الحكم السعودي[(١)].

وحاصل ذلك؛ أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ترامت أخبارها في عسير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فَخَفَّ محمد بن عامر أبو نقطة مسرعاً إلى الدرعية للأخذ من مبادئ دعوتها السلفية، ورغبةً منه في حماية الدعوة في عسير من قِبَلِ قادة الدرعية ونشرها بين سكانها، كان ذلك في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م[(٢)].

ثم جدَّ محمد بن عامر أبو نقطة واجتهد في نصح أهل عسير ليعطوا السمع والطاعة لابن سعود والدخول في الجماعة، فصال وجال على القبائل لأجل ذلك، ولم يباشر محادداً ولا تَعَدَّى أحداً، وكان يبعث الرسائل إلى سائر القبائل مُرَغِّباً لهم وواعداً بالخير، **وكان يجلس صباح كل يوم يدرّس الناس التوحيد**، كان ذلك في غضون ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م[(٣)].

كلّ هذه الحوادث وافقت الوقت الذي ظهرت فيه الدعوة السلفية

---

(١) انظر: محمد بن هادي بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٣). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٢ ـ ١٠٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٣٨).

(٢) انظر: إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «تاريخ عسير» (٧٦). وهاشم النّعمي «تاريخ عسير» (١٣٤).

(٣) انظر: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٣٨٨). وإبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «تاريخ عسير» (٧٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/١٨١). وعبدالواحد محمد راغب «البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران» (٢/٤٢ ـ ٤٣).

آنذاك وانتشرت بين سكان سفوح جبال السراة وما جاورها من تهامة كالمخلاف السليماني/جازان عن طريق الدعاة السلفيين الذين بهرتهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن أبرزهم الشريف **أحمد بن حسين الفلقي** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م)[١] من سكان صبيا، الذي كان قد اشتغل في شبابه الباكر بالبيع والشراء، وعندما سمع بمهاجرة بعض شباب تلك الجهة والبلاد المجاورة إلى الدرعية لطلب العلم بمدرسة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ سارع الفلقي في التوجه والمسير لينتظم سلك الدارسين الذين سبقوه، مثل: **عرار بن شار الشعبي** (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٢] **من قبيلة بني شعبة**[٣] **ومحمد بن عامر أبو نقطة وبعض أهل بيشة**[٤].

---

(١) مرَّت ترجمته في الفصل الثالث، في مبحث مظاهر الشرك في (جازان).

(٢) عرار بن شار الشعبي: من دعاة الدعوة في تلك المنطقة وأحد قادة الدولة السعودية الأولى هناك، وفيه رياسةٌ ظاهرة. توفي بداء الجُدري. انظر أخباره عند: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٦٠ ـ ٤٦١) (٤٨٦) (٤٨٩ ـ ٤٩٠). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠١) (١٠٩) (١١٣) (١١٦ ـ ١١٧) (١٣٦) (١٩٨). والحسن بن عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١٠٤ ـ ١٠٥). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٤ ـ ٤٤٧) (٤٥٠ ـ ٤٥٢) (٤٥٧ ـ ٤٥٨) (٤٦٠). وانظر أيضاً: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٦ ـ ١٩٧).

(٣) قبائل بنو شعبة: من قبائل جازان. تسكن قرية (الدرب) المنسوبة إليهم باسم (درب بني شعبة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٩٧ ـ ٣٩٨). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٣٨٠).

(٤) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٦١ ـ ٣٦٢) (٤٧٥ ـ ٤٧٧) (٤٨٥ ـ ٤٨٧) (٤٨٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٨٣ ـ ٨٥) في الهامش من تعليقات محمد أحمد العقيلي على الكتاب.

ـ العوامل التي مهَّدَت انضواء بلدان الجنوب وشمال اليمن في سلك الدولة السعودية الأولى:

لا بدّ من التنبيه على حقيقةٍ تاريخية في هذا الصدد قبل الولوج إلى البحث في وصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحكم الدولة السعودية الأولى إلى المخلاف السليماني/جازان؛ وهي أنَّ من بين العوامل التي شجَّعت الدعوة السلفية والنفوذ السعودي على الوصول إلى عسير ثمَّ المخلاف السليماني ثمَّ الولوج إلى شمال اليمن؛ هي **إدراك قادة الدرعية على وجود تعاطف بين بعض علماء اليمن والدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو تعاطف يصل في كثير من حالاته إلى حدِّ الإعجاب والإيمان بهذه المبادئ منذ فترة مبكِّرَة من تاريخ الدعوة[١]، وهو ذات التعاطف الذي لم يقف عند حدِّ الإعجاب بمبادئ الدعوة وحسب، بل تعدَّاه إلى الإشادة بجهود آل سعود الحربية في سبيل نشر دعوتهم السلفية، حتى أعلن هؤلاء العلماء تأييدهم لكل جهود الدرعية في هذا الميدان[٢].**

وكان أول من أبدى هذا التعاطف أحد علماء صنعاء نفسها؛ وهو الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني الذي أرسل إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب قصيدة طويلة أظهر فيها إعجابه به وأثنى عليه قيامَهُ بدعوة

---

(١) انظر: عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» (١/٢٢٧). أيضاً: عبدالله أبو داهش «حوليات سوق حباشة» (ص: ١٩) العدد ١٦، السنة ١٦.

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٦٨ ـ ١٦٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٣٩). وعبدالواحد محمد راغب «البيان» (٢/٥٠).

التوحيد وإقامة شرائع الإسلام[١] فقال: «لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبدالوهاب، ووصل إلينا بعض تلامذته وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات:

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد)[٢]
قفي واسألي على عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنَّه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى ... بتحكيم قول الله في الحل والعقد»[٣].

أما العلامة محمد بن علي الشوكاني فإنَّه يُعَدُّ من أبرز علماء اليمن نصرةً لهذه الدعوة وتأييداً لها[٤]، **فقد وصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه «الداعي إلى التوحيد، المُنكِر على المعتقدين في**

---

(١) انظر: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (٧٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٠٧). وعبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٢٣٥).

(٢) شطر بيت من قصيدة لعبدالله بن الدمينة، ضمَّنها الصنعاني في أبياته.

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني» (١٢٨ - ١٢٩).

(٤) عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٢٣٦).

الأموات»[١].

ولمَّا توفى الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان لهذا الأمر أثرٌ عميق في نفوس هؤلاء العلماء، حتى أن العلامة محمد بن علي الشوكاني رثاه بقصيدة طويلة، فقال:

مصاب به ذابت حشاشة مهجتي — وعن حمله قد كلَّ متني وكاهلي
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا — ومركز أدوار الفحول الأفاضل
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه — لقد عبت حقا وارتجلت بباطل
أفيقوا... أفيقوا... إنَّه ليس داعياً — إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي — أتانا بها طه النبي خير قائل[٢].

وبعد رثائه للشيخ، أشاد في نفس القصيدة بآل سعود وجهودهم في سبيل نشر الدعوة السلفية، فقال:

وأضعافها للمقرنين كلهم — هداة الورى من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل البأس يعرف فضلهم — جميع بني الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا في الله حق جهاده — إلى أن أقاموا بالظُّبا كل مائل
فناديهُمُ في كلِّ نادٍ مبجّل — فحقُّهُمُ التبجيل بين القبائل
لقد نصروا دين الإله وحزبه — كما دمغوا داعي الهوى بالقنابلِ
عليهم سلام الله ما ذرَّ شارقٌ — وما اهتزَّتِ الأزهارُ في صبح هاطل[٣].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٢).

(٢) انظرها في «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٤٠ ـ ٣٤٤).

(٣) المصدر السابق (١٦/٣٤٦).

إنَّ وجود مثل هذا التعاطف بين علماء اليمن والدعوة السلفية في نجد في وقتٍ لم يكن نفوذ الدرعية قد وصل بعد إلى حدود اليمن، ولم يكن الأمر قد استقام لها في نجد، **يؤكّد حقيقتين تاريخيتين** على غايةٍ من الأهمية؛ **أولاهما**: أنَّ بعض علماء اليمن ومن بينهم علماء صنعاء نفسها أصبحوا **في غَضْبَةٍ على الأحوال** السائدة في بلادهم، ولم تعد نفوسهم راضية عن انتشار الشركيات والبدع، لذا كانت نفوسهم تهفو إلى الإصلاح.

أما **الحقيقة الثانية**: فتؤكد أنَّ انتشار مبادئ الدعوة كان دائماً سابقاً لانتشار ظلال الحكم السعودي، بل إنَّ سبق مبادئ الدعوة إلى كثير من المناطق هي التي دفعت آل سعود إليها[١]؛ حمايةً للدعوة ومناوأةً لمظاهر الشرك والبدع والخرافات.

وإذا كنا بصدد دراسة امتداد دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى اليمن بشيءٍ من الدقة والعمق فيجب علينا أن نعرض أولاً بإيجاز لامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وتهامة[٢] ثمَّ المخلاف السليماني/جازان، حيث أنَّه من هذه المنطقة بدأ انطلاق الدعوة السلفية والنفوذ السعودي إلى شمال اليمن.

أقول: هناك دلائل تشير إلى وصول النفوذ السعودي لهذه المنطقة منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، عن طريق انتشار مبادئ العقيدة السلفية بين قبائل هذه

---

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧١).

(٢) تهامة: المقصود بها تهامة الجنوب، وقد تمَّ التعريف بها في الفصل الثالث.

المنطقة؛ مثل بيشة ورنيه[(١)] ووادي الدواسر جنوب الحجاز، وهي المناطق التي تتاخم منطقة عسير، وبعد أن انتشرت مبادئ الدعوة السلفية في بعض قبائل عسير وأصبحت تؤيد امتداد الدولة السعودية الأولى، وصل وفد من عسير بقيادة محمد بن عامر أبي نقطة، كما أشرنا سابقاً، إلى الدرعية وطلب من الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن يرسل معه بعض علماء الدعوة لتعليم أهل عسير التوحيد والعقيدة السلفية، فرحَّبَت الدرعية بطلب وفد قبائل عسير، واختارت بعض علمائها للذهاب مع الوفد إلى دياره[(٢)].

وترتب على وصول علماء الدرعية إلى عسير قيام معارضة من بعض أبناء قبائل المنطقة التي ناوأت انتشار مبادئ العقيدة السلفية وامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في مناطقها، إلا أنها حين دبّ التقاتل بينهم وبين من يؤيّد نفوذ آل سعود ودعوتهم السلفية كان الظفر من نصيب المؤيدين للدعوة السلفية ونفوذ الدولة السعودية، فازدادت القبائل المؤيدة للدعوة السلفية قوة كلما رأت النصر يتحقق في نواحيها، **حتى أنَّ بعض القبائل العسيرية دخلت في سلك الدولة السعودية الأولى بغير حرب**[(٣)].

ومن عسير بدت الدعوة السلفية تظهر في بعض مناطق المخلاف

---

(١) رَنْيَة: وادٍ ينحدر من (سراة خثعم) و(شمران) و(بلاد غامد) وينتهي في (عرق الدواسر). انظر: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٢/٧٤٨). وعلي السّلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (١١٣).

(٢) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٢٢٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٢٣).

السليماني/جازان، وأصبح لها دعاة فيها؛ فقد وصلت مبادئ الدعوة السلفية إلى قبائل بني شعبة في المخلاف السليماني عن طريق قبائل عسير، ولقيت نجاحاً وأثراً كبيراً في حياة سكانها؛ ومن ذلك أنّ مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية بهرت أحمد بن حسين الفلقي من أهل صبيا، وهو الذي التقى بأتباع الدعوة السلفية النجديين في موسم الحج سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م، وقيل سنة ١٢١٤هـ/١٨٠٠م، فاستهوته أخبار توفيق الله لها في قبائل عسير وبني شعبة، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل المخلاف وما يسود أرجاءه من الاضطرابات والفتن، فخفَّ مهاجراً إلى الدرعية ليتلقّى الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد[١].

وبعد وصوله إلى الدرعية وتحصيله مبادئ العقيدة السلفية اتصل بالإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في المخلاف السليماني/جازان، فاستجاب له وزوَّده بكتابٍ من عِندِهِ موجَّه إلى أهل المخلاف مُحتَوٍ على إيضاحٍ لمبادئ الدعوة وأهدافها[٢]، فاتخذ الفلقي من هذا الكتاب وثيقة يعرضها على القبائل عند وصوله أرض المخلاف[٣].

لقد أصبح الفلقي مندوباً للدولة السعودية ودعوة الشيخ، فاستقرّ

---

(١) انظر: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٥). وعبدالواحد محمد راغب «البيان» (٤٣/٢).

(٢) انظر النصّ الكامل لكتاب الإمام عبدالعزيز إلى أهل المخلاف، عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٦٨ ـ ٨٩).

(٣) انظر: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٥). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٤).

به المقام في وادي بيش[١] عند قبائل السادة الجعافرة، «وكان السادة الجعافرة أهل اعتقاد كبير في غير الله، وعندهم في بلادهم مقبور يسمَّى أبو سبعة[٢]، وكلّ أهل تلك الجهة لهم اعتقاد كبير فيه؛ يطلبون منه ما يطلب العبد من الربّ من الاستغاثة والتوكل»[٣].

فأحضر الفلقي من الدرعية مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقام بتدريسها بين أتباعه، ثمَّ انتقل إلى مهمة الوعظ والإرشاد في المنطقة حتى سَرَت مبادئ الدعوة بين كثير من القبائل، فانتشر التوحيد في كثير من قرى المنطقة، وانضوت في سلك الدعوة السلفية كثيرٌ من القرى التي كانت تابعة لأمير صبيا، ورأى سكانها أنَّه يجب عليهم التحلل من سلطة أمير صبيا منصور بن ناصر[٤]، فكان نجاح الدعوة وقوّة انتشارها في تلك البلدات والقرى سريعاً مبهراً[٥].

---

(١) وادي بيش: من أكبر أودية (تهامة)، ومآتيه من (جبال السراة). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) فصَّلنا الحديث عن «قبر أبي سبعة» في الفصل الثالث حين البحث عن حال (جازان) قبل الدعوة.

(٣) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩١ ـ ٩٥).

(٤) منصور بن ناصر: من أبرز أمراء الأسرة الخيراتية، تولى إمارة (صَبْيا) سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م بعد أن تنازل له أبيه عنها. انظر ترجمته عند: محمد أحمد العقيلي في تعليقاته على «نفح العود» (٧٧) (٩١) لعبدالرحمٰن البهكلي. وانظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١١٥) (١٣٤ ـ ١٣٥) (١٦١) (١٧١ ـ ١٧٢) (١٧٥).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٠ ـ ٩٤). والحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١١٥). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٢ ـ ٤٤٣).

ولا شكَّ أنَّ الذي ساعد على النجاح السريع الذي لقيته الدعوة السلفية بين سكان مناطق المخلاف السليماني/جازان حاضرهم وباديهم؛ هو كراهية هؤلاء السكان لأمرائهم نتيجة إرهاقهم لهم بالضرائب وللنزاع المستمر بين حكام المخلاف على السلطة، فترتب على ازدياد انتشار الدعوة أنْ أصبح سكان المخلاف يرغبون بسلطة الدرعية حتى قبل أن تصل قواتها إليهم(١).

وتطوَّر الأمر حتّى شاع أمر الدعوة عند قبائل شهران الذين كانوا في جنوب المخلاف، فرغب عرار بن شار الشعبي في اعتناقها سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، فاتصل بأمير بيشة سالم بن شكبان، وعاهده على القيام بنشر مبادئ الدعوة السلفية في قبائل بني شعبة(٢)، وهو الأمر الذي يؤيد ما ذكرناه سابقاً من أنَّ انتشار العقيدة السلفية ووصول النفوذ السعودي إلى بيشة كان له أثرٌ كبير على امتداد هذا النفوذ إلى مناطق شمال اليمن.

لقد أصبح عرار بن شار أحد دعاة الدرعية في قبائل بني شعبة في الجنوب، ولم تكن المهمة التي تكفَّلَ بها عرار سهلة أو هيِّنة، فقد وجد معارضة قوية من بعض القبائل، فاتصل بالدرعية وأوضح لهم حقيقة الموقف الذي يواجهه، فأصدرت الدرعية أوامرها إلى القائد حزام بن عامر العجمي(٣) بالتحرك إلى الجنوب على رأس

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٥ ـ ٩٦). وعبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٢٢٧).

(٢) انظر: محمد بن أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٣٨١) (٤٤٤).

(٣) حزام بن عامر العجمي: من قادة الدولة السعودية الأولى. انظر أخباره عند: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٨٦). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح=

سرية سعودية للوقوف إلى جانب عرار، فكانت سرية حزام أول قوة سعودية تصل إلى الجنوب عند حدود اليمن، وكانت تضم نحو مئة خيال من فرسان العجمان[١] ونحو خمسمئة من أهل الركاب والمطايا[٢].

وصل حزام بن عامر العجمي إلى درب بني شعبة والتقى بعرار، ونسَّق القائدان العمل فيما بينهما، وتمكنت القوة السعودية من إقناع المعارضين في الدخول في طاعة الدولة السعودية، وبذلك استقرَّ الأمر لعرار بن شار كأميرٍ سعودي في المنطقة الممتدة من بلاد موسي[٣] وأهل قناة[٤]، وبني زيد[٥] وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى

= العود» (١٠١) (١٠٧) (١١٠). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥) (٤٤٩) (٤٥٢).

(١) العجمان: القبيلة اليامية المعروفة في السعودية والكويت، وبيت إمارة القبيلة في أسرة آل حثلين.

(٢) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٠ ـ ١٠١). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥)

(٣) بلاد موسي: من قرى (بني قطبة) من (رجال ألمع)، في إمارة بلاد عسير اليوم. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٣٨/٣).

(٤) قناة: من بقاع (جبل الحشر) في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٣٤٩).

(٥) بنو زيد: من فروع قبيلة أَلْمَع، من عسير تهامة، ومنازلهم على ضفاف (وادي حسوة) في الجنوب الشرقي من (بلدة الشِّعْبَيْن)، بنحو ١٠ كلم. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٢٠).

الشقيق[١] وعِتْود[٢] في الجنوب حتى حدود اليمن[٣].

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقي من توجيه ضربة قوية لخبت السيِّد[٤] لأنها كانت تمثّل مركز المقاومة لنفوذ الدولة السعودية الأولى في المنطقة، وأزعجت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادي التابعين للشريف منصور صاحب حصن صبيا، وطلبوا منه أن يصالح حزام العجمي[٥].

في تلك الأثناء وصل الفلقي إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الانضواء في ظلّ سلطة الدرعية، وبعد مباحثات تقرَّر إرسال وفد يمثّل جهات المخلاف الثلاث: أبو عريش وضمد وصبيا، ليلتقي الوفد بحزام في معسكره في الحجرين[٦] ويفاوضه في

---

(١) الشُّقيق: بالتصغير، بلدة ساحلية في الشمال الغربي من (جازان) على بعد ١٥٠ كلم عنها. انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٣١).

(٢) عِتْود: على وزن فِعْول، وهو من الأوزان القليلة جداً. و(عِتْوُدُ) وادٍ معروف في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٨٤).

(٣) انظر: محمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٤) خَبْت السيِّد: (الخبت) هو القفر الخالي، إضافةً إلى (السيِّد) كون السادة النعميون يسكنونه. وهو واقعٌ في شمال غرب (بيش). انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٦) الحجرين: مثنّى الحجر المعروف. وهي قرية غرب قرية (الجديين) من أعمال=

الأمر، فتمكّن الوفد من الاتفاق مع حزام على أساس رغبة المخلاف السليماني في الدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى وقيام أمراء المخلاف باتباع نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية، وبعد أنْ تمَّت الأمور على ذلكم الوضع قفل حزام بن عامر العجمي راجعاً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للموقف كما رسمه[١].

وبنجاح القوات السعودية في ضمّ المخلاف السليماني لنفوذ الدرعية **أصبحت مناطق المخلاف كلها تابعة للدولة السعودية الأولى[٢]، وأضحت تلك المناطق نقطة الوثوب إلى مناطق اليمن الكائنة جنوبي المخلاف[٣].**

وبناءً عليه انضمت للدولة السعودية قبائل بني حسن[٤] وعيسى[٥] وغيرهم. كما استطاعت القوات السعودية أن تضمّ إليها، فيما بعد، اللحية وتأخذ عليها الزكاة، وضمَّت أيضاً بيت

= (صبيا). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٤٤).

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥ ـ ٤٤٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥٧).

(٤) بنو حسن: من الأشراف ذوي حسن، يسكنون (الشواق) و(الشَّاتَيْن) جنوب (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٥٧).

(٥) آل عيسى: من بني جابر من بَجالة، في أعالي (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٨٧).

الفقيه[١] وزبيد والحُدَيْدَة، والواقع أنَّ الحديدة كانت أقصى نقطة وصل إليها نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوباً، وقد بايع رئيس الحُديدة وبيت الفقيه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وانضمت بعد ذلك للدولة السعودية الأولى قبائل يام[٢] في نجران وكانت تأخذ عليهم الزكاة[٣]، وضمَّت أيضاً مناطق وقرى الدرب[٤].

وبالرغم من عدم انضمام صنعاء لحكم الدولة السعودية الأولى، إلا أنَّ متاخمة الحكم السعودي لها جعلت لقادة الدولة السعودية القدرة على إرسال الوفود إلى إمام صنعاء تدعوه للتوحيد ونبذ مظاهر الشرك، وهو الأمر الذي شهد به الشوكاني حين ذكر: بأنَّ الوفود

---

(١) بيت الفقيه: قرية شمال قرية (الدهنا) في المخلاف السليماني/ جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) بنو يام: بلاد يام في أودية (نجران) وما حوله، وفي (الجوف) الواقع جنوبه، وقد تفرَّقت منهم فروع في بلاد أخرى. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٨٩٥).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٨٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٠/١) (٣١٢) (٣٥٤).

(٤) الدرب: اسم يطلق على مدينة (جازان الأعلى) شرق قرية (حاكمة) في طرف الحرَّة الشمالي الغربي. وهناك أيضاً (درب بني شعبة) شمال (جازان) على طريق عسير. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٠ ـ ١٨١).

القادمة من الأمير سعود بن عبدالعزيز لا تزال تأتي صنعاء وإمامها بمكاتيب بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيَّدة والقباب المرتفعة، حتى وقع الهدم للقباب والقبور المشيَّدة بصنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار[1] وما يتصل بها[2].

وذكر الشوكاني أيضاً: بأنَّ «صاحب نجد [الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود] أرسل مجلدان لطيفان إلى إمام صنعاء، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبدالوهاب كلّها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنَّة»[3].

ومن المهم هنا أن نختم بشهادة أخرى للمؤرّخ العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي شهِدَ على الحكم السعودي في عسير والمخلاف السليماني وشمال اليمن فذكر: **أنَّ من دخل في حوزة حكم آل سعود في تلك البقاع أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام.**

كما ذكر الشوكاني: **بِأَنَّ أهل تلك المناطق في المخلاف وفي صعدة اليمن بعد أن تَفَيَّؤُوا ظلال الحكم السعودي، صار غالبهم يقيمون فرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا.**

ثم شهد عليهم الشوكاني: أنَّهم كانوا قبل وصول دعوة الشيخ

---

(١) ذمار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٦٤٩/١).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١).

إليهم وقبل أن يمتدّ حكم آل سعود إلى مناطقهم؛ كانوا من قبل في جاهلية جهلاء، ثم صاروا من بعد يصلّون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[١].



(١) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦).



سادساً: الحجاز في ظلِّ حكم الدولة السعودية الأولى.

مرَّ معك في الفصل الأول - من هذا الكتاب - محاولات أشراف مكة مدّ نفوذهم على بعض أقاليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ذاك النفوذ الذي أخذ يضعف تدريجياً فيما بعد نتيجة تلاشي نفوذ الدولة العثمانية التي يتبعها أشراف مكة من الناحية الرسمية، ونتيجة أيضاً لمحاولات الامتداد الأحسائي المنافس للأشراف على بعض البقاع النجدية.

وبقراءةٍ متأنِّيَة لواقع تلك الفترة، سينبِئكَ ذاك الواقع أنَّ أشراف مكة اهتموا كثيراً بأمر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ثم زادَ همُّهم واهتمامهم أكثر حين قام حكام الدرعية/حكام الدولة السعودية الأولى بمناصرة دعوة الشيخ السلفية. وإليك تبيان ذلك على وجه التفصيل.

- شريف مكة وعلماؤها يكفّرون حنابلة نجد ويحبسونهم (سنة الحبس)، ويمنعونهم من الحجِّ:

تخبرنا المصادر التاريخية الموالية لأشراف مكة أنَّ بوادر احتكاكات حدثت بين أشراف مكة وأهل الدعوة التابعين لحكومة

الدرعية؛ تلك الاحتكاكات التي بدأت مع دولة الشريف مسعود بن سعيد (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥٢م)[١]؛ لمَّا رامَ أهل نجد الحجَّ لبيت الله الحرام في زمن ذاك الشريف، وأرسلوا يستأذنون الشريف في ذلك، فَرَفَضَ طلبهم؛ لأنَّ علماء مكة **«يعتبرون الوهابيين متعصبين وخارجين عن الدين، وقد أعلن قاضي مكة مراراً وعلى الملأ أنَّ هؤلاء ليسوا مؤمنين»**[٢].

وهذا الأمر أرَّخَ له مؤرِّخو البيت الحرام فذكروا: **بأنَّ أهل الدرعية أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة، وأنهم طلبوا الإذن بالحجّ ولو بمقرّر يدفعونه كل عام، ولكنَّ الشريف منعهم؛ لأنه اعتمد على فتوى علمائه في مكة الذين أفتوا بفساد معتقد أهل نجد (الوهابية كما ينبزونهم بذلك)، وأنَّ أتباع الشيخ من أهل نجد لو دخلوا مكة سيفسدون عقائد علماء الحرمين**[٣]، **هكذا زعموا وتحجَّجوا.**

---

(١) الشريف مسعود بن سعيد بن زيد بن محسن، شريفٌ حسني، من كبار أمراء مكة، انتزع شرافة مكة من ابن أخيه محمد بن عبدالله سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، واستعادها محمد بعد ثلاثة أشهر، ثم انتزعها مسعود سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م واستمرَّ بها إلى أن توفِّيَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م. انظر ترجمته وأخباره عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٠ ـ ٢٦٨). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» (٣/٦٢٦ ـ ٦٣٢). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/٢١٨). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤ ـ ٢١٥) باختصار.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٤/١١). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤٩١) (٥٥٢).

فعلى تلك الهيئة صرَّحَ أشراف مكة وعلماؤها بمناوءة أتباع آل سعود من أهل نجد السلفيين منذ البداية، حتى أنَّ علماء مكة أطلقوا على أولئك النجديين التابعين لدولة آل سعود أوصافاً لا يقولها العاميّ الذي فيه شيءٌ من الحياء فما بالك بمن وَصَفُوا أنفسهم بالعلماء؛ فقد نبزوهم بـ«**المسخرة**» و«**الأضحوكة**» و«**الحُمُر المستنفرة فرّت من قسورة**»، ووصفوهم بـ«**الكفَّار**»، وقالوا بأنَّ أهل نجد «**لا يتديَّنون إلا بدين الزنادقة**»[(١)].

وشهد محمد بن علي الشوكاني على ذلك فقال: «**أمَّا أهل مكة فصاروا يكفِّرونه**[(٢)] **ويطلقون عليه اسم الكافر**»[(٣)].

حتى أنَّ الشريف مسعود كأنما استفظع التكفير الذي ألقاه علماء مكة على أهل نجد، فطلبَ من قاضي مكة الذي عنده بِأَنَّ يكتب حججه بكفرهم؛ حتى يكون في يده مستند شرعي ليمنعهم من الحج، فأفتى قاضيَهُ بكفرِ من يعتقد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[(٤)]، عندها أمر الشريف مسعود بسجنهم.

وفي ذلك يقول مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان أنَّ الشريف قَبَضَ

---

(١) هذه كلها بعينها الألفاظ التي رواها المؤرخ القبوري المكي أحمد زيني دحلان حين أورد وصف علماء مكة في حق حنابلة نجد، انظرها في كتابه: «خلاصة الكلام» (٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٢) يكفّرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويكفّرون الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبقية حنابلة نجد.

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

(٤) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

على «**الوهابيين الملاحدة الأنذال**، ووضعهم في السجن والأغلال، فسَجَنَ منهم جانباً وفرَ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا»(١).

وفي رواية المؤرّخ النجدي محمد بن عمر الفاخري (ت: ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م): أنَّه في سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م قام «مسعود الشريف بحبس حاجّ نجد، ومات بالحبس منهم كثير»(٢).

ويسمِّيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب «**سنة الحبس، التي صرّحوا فيها أنَّ من أقرَّ بالتوحيد كَفَر وحَلَّ ماله ودمه وقُتِلَ في الحلِّ والحرم**»(٣).

وقد بلغ بهم الأمر أن منعوا أهل نجد من الحجِّ مدَّة ستين سنة.

وهذا الأمر يشهد به أحد علماء نجد الذي أدرك من حضر تلك الفترات؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، حيث قال: «ما جرى من حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية؛ ومن ذلك أنهم [أي أشراف مكة] من أول من بدأ بالعداوة [لأهل الدعوة السلفية في نجد]؛ **فحبسوا حاجَّهم، فمات في الحبس منهم عدد كبير، ومُنِعوا من الحجّ أكثر من ستين سنة**»(٤).

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٠٠).

(٢) محمد بن عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

(٣) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٠/٧٧).

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢٠).

هكذا؛ **ستُّون سنة وأهل نجد ممنوعون من الحجّ إلى بيت الله الحرام**؛ لأنَّ علماء مكة وأميرها الشريف يرون أنَّ أتباع الدعوة من أهل نجد كفار!!!.

ودليل ذلك أنَّ مؤرّخ مكة القبوري أحمد زيني دحلان يسمّي آل سعود بـ«**أهل البغي والإلحاد**»(١)، وكان دحلان ينبز دعوة الشيخ بـ«**دين رعاة الغنم**» ويصف ما ينشره آل سعود من تعاليم تلك الدعوة المباركة بأنهم «**يعلّمون الناس ما يعلمّونه للبهائم والأنعام**»(٢) **هكذا**.

وكان دحلان لا يصف عقيدة أهل نجد ودينهم إلا بوصف «**الطين**»(٣)، وأنَّ ابن سعود «**أدخل القبائل في طينه**»(٤)، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «**بالعقيدة الزائغة**»(٥)، ودحلان ينقل روايات علماء مكة الذين أدركوا تلك الحوادث، وهو على ما هم عليه من مواقف معادية لدعوة التوحيد.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ موقف شريف مكة مسعود بن سعيد ومن جاء بعده من الأشراف كأخيه الشريف مساعد (ت: ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)(٦)، الذين منعوا أهل نجد من الحجّ لبيت الله

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٢) المصدر السابق (٣٦٢).

(٣) يقصد «الدين». انظر: المصدر السابق (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٤) يقصد «دينه». انظر: المصدر السابق (٣٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢٩٩).

(٦) الشريف مساعد بن سعيد: ولي إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مسعود سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، واستمرَّ في الولاية إلى أن عُزِلَ سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، =

الشقيق[١] وعِتْود[٢] في الجنوب حتى حدود اليمن[٣].

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقي من توجيه ضربة قوية لخبت السيِّد[٤] لأنها كانت تمثّل مركز المقاومة لنفوذ الدولة السعودية الأولى في المنطقة، وأزعجت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادي التابعين للشريف منصور صاحب حصن صبيا، وطلبوا منه أن يصالح حزام العجمي[٥].

في تلك الأثناء وصل الفلقي إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الانضواء في ظلّ سلطة الدرعية، وبعد مباحثات تقرَّر إرسال وفد يمثّل جهات المخلاف الثلاث: أبو عريش وضمد وصبيا، ليلتقي الوفد بحزام في معسكره في الحجرين[٦] ويفاوضه في

---

(١) الشُّقيق: بالتصغير، بلدة ساحلية في الشمال الغربي من (جازان) على بعد ١٥٠ كلم عنها. انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٣١).

(٢) عِتْود: على وزن فِعْول، وهو من الأوزان القليلة جداً. و(عِتْودُ) وادٍ معروف في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٨٤).

(٣) انظر: محمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٤) خَبْت السيِّد: (الخبت) هو القفر الخالي، إضافةً إلى (السيِّد) كون السادة النعميون يسكنونه. وهو واقعٌ في شمال غرب (بيش). انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٦) الحجرين: مثنّى الحجر المعروف. وهي قرية غرب قرية (الجديين) من أعمال=

الأمر، فتمكّن الوفد من الاتفاق مع حزام على أساس رغبة المخلاف السليماني في الدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى وقيام أمراء المخلاف باتباع نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية، وبعد أنْ تمَّت الأمور على ذلكم الوضع قفل حزام بن عامر العجمي راجعاً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للموقف كما رسمه[(١)].

وبنجاح القوات السعودية في ضمّ المخلاف السليماني لنفوذ الدرعية **أصبحت مناطق المخلاف كلها تابعة للدولة السعودية الأولى[(٢)]، وأضحت تلك المناطق نقطة الوثوب إلى مناطق اليمن الكائنة جنوبي المخلاف[(٣)].**

وبناءً عليه انضمت للدولة السعودية قبائل بني حسن[(٤)] وعيسى[(٥)] وغيرهم. كما استطاعت القوات السعودية أن تضمّ إليها، فيما بعد، اللحية وتأخذ عليها الزكاة، وضمَّت أيضاً بيت

= (صبيا). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٤٤).

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥ ـ ٤٤٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥٧).

(٤) بنو حسن: من الأشراف ذوي حسن، يسكنون (الشواق) و(الشَّاتَيْن) جنوب (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٥٧).

(٥) آل عيسى: من بني جابر من بَجالة، في أعالي (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٨٧).

الفقيه[(١)] وزبيد والحُدَيْدَة، والواقع أنَّ الحديدة كانت أقصى نقطة وصل إليها نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوباً، وقد بايع رئيس الحُديدة وبيت الفقيه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وانضمت بعد ذلك للدولة السعودية الأولى قبائل يام[(٢)] في نجران وكانت تأخذ عليهم الزكاة[(٣)]، وضمَّت أيضاً مناطق وقرى الدرب[(٤)].

وبالرغم من عدم انضمام صنعاء لحكم الدولة السعودية الأولى، إلا أنَّ متاخمة الحكم السعودي لها جعلت لقادة الدولة السعودية القدرة على إرسال الوفود إلى إمام صنعاء تدعوه للتوحيد ونبذ مظاهر الشرك، وهو الأمر الذي شهد به الشوكاني حين ذكر: بأنَّ الوفود

---

(١) بيت الفقيه: قرية شمال قرية (الدهنا) في المخلاف السليماني/ جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) بنو يام: بلاد يام في أودية (نجران) وما حوله، وفي (الجوف) الواقع جنوبه، وقد تفرَّقت منهم فروع في بلاد أخرى. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٨٩٥).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٨٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٠) (٣١٢) (٣٥٤).

(٤) الدرب: اسم يطلق على مدينة (جازان الأعلى) شرق قرية (حاكمة) في طرف الحرَّة الشمالي الغربي. وهناك أيضاً (درب بني شعبة) شمال (جازان) على طريق عسير. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٠ ـ ١٨١).

القادمة من الأمير سعود بن عبدالعزيز لا تزال تأتي صنعاء وإمامها بمكاتيب بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيَّدة والقباب المرتفعة، حتى وقع الهدم للقباب والقبور المشيَّدة بصنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار[(١)] وما يتصل بها[(٢)].

وذكر الشوكاني أيضاً: بأنَّ «صاحب نجد [الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود] أرسل مجلدان لطيفان إلى إمام صنعاء، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبدالوهاب كلّها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنَّة»[(٣)].

ومن المهم هنا أن نختم بشهادة أخرى للمؤرّخ العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي شهِدَ على الحكم السعودي في عسير والمخلاف السليماني وشمال اليمن فذكر: **أنَّ من دخل في حوزة حكم آل سعود في تلك البقاع أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام.**

كما ذكر الشوكاني: **بِأَنَّ أهل تلك المناطق في المخلاف وفي صعدة اليمن بعد أن تَفَيَّؤُوا ظلال الحكم السعودي، صار غالبهم يقيمون فرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا.**

ثم شهد عليهم الشوكاني: أنَّهم كانوا قبل وصول دعوة الشيخ

---

(١) ذمار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٦٤٩/١).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١).

إليهم وقبل أن يمتدّ حكم آل سعود إلى مناطقهم؛ كانوا من قبل في جاهلية جهلاء، ثم صاروا من بعد يصلّون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[1].

(١) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١).



سادساً: الحجاز في ظلِّ حكم الدولة السعودية الأولى.

مرَّ معك في الفصل الأول ـ من هذا الكتاب ـ محاولات أشراف مكة مدّ نفوذهم على بعض أقاليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ذاك النفوذ الذي أخذ يضعف تدريجياً فيما بعد نتيجة تلاشي نفوذ الدولة العثمانية التي يتبعها أشراف مكة من الناحية الرسمية، ونتيجة أيضاً لمحاولات الامتداد الأحسائي المنافس للأشراف على بعض البقاع النجدية.

وبقراءةٍ متأنِّيَة لواقع تلك الفترة، سينبِئكَ ذاك الواقع أنَّ أشراف مكة اهتموا كثيراً بأمر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ثم زادَ همُّهم واهتمامهم أكثر حين قام حكام الدرعية/حكام الدولة السعودية الأولى بمناصرة دعوة الشيخ السلفية. وإليك تبيان ذلك على وجه التفصيل.

ـ شريف مكة وعلماؤها يكفّرون حنابلة نجد ويحبسونهم (سنة الحبس)، ويمنعونهم من الحجِّ:

تخبرنا المصادر التاريخية الموالية لأشراف مكة أنَّ بوادر احتكاكات حدثت بين أشراف مكة وأهل الدعوة التابعين لحكومة

الدرعية؛ تلك الاحتكاكات التي بدأت مع دولة الشريف مسعود بن سعيد (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥٢م)[(١)]؛ لمَّا رامَ أهل نجد الحجَّ لبيت الله الحرام في زمن ذاك الشريف، وأرسلوا يستأذنون الشريف في ذلك، فَرَفَضَ طلبهم؛ لأَنَّ علماء مكة **«يعتبرون الوهابيين متعصبين وخارجين عن الدين، وقد أعلن قاضي مكة مراراً وعلى الملأ أنَّ هؤلاء ليسوا مؤمنين»**[(٢)].

وهذا الأمر أرَّخَ له مؤرِّخو البيت الحرام فذكروا: **بأنَّ أهل الدرعية أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة، وأنهم طلبوا الإذن بالحجّ ولو بمقرّر يدفعونه كل عام، ولكنَّ الشريف منعهم؛ لأنه اعتمد على فتوى علمائه في مكة الذين أفتوا بفساد معتقد أهل نجد** (الوهابية كما ينبزونهم بذلك)، **وأنَّ أتباع الشيخ من أهل نجد لو دخلوا مكة سيفسدون عقائد علماء الحرمين**[(٣)]، **هكذا زعموا وتحجَّجوا.**

---

(١) الشريف مسعود بن سعيد بن زيد بن محسن، شريفٌ حسني، من كبار أمراء مكة، انتزع شرافة مكة من ابن أخيه محمد بن عبدالله سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، واستعادها محمد بعد ثلاثة أشهر، ثم انتزعها مسعود سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م واستمرَّ بها إلى أن توفِّيَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م. انظر ترجمته وأخباره عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٠ ـ ٢٦٨). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» (٣/٦٢٦ ـ ٦٣٢). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/٢١٨). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤ ـ ٢١٥) باختصار.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٤/١١). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤٩١) (٥٥٢).

فعلى تلك الهيئة صرَّحَ أشراف مكة وعلماؤها بمناوءة أتباع آل سعود من أهل نجد السلفيين منذ البداية، حتى أنَّ علماء مكة أطلقوا على أولئك النجديين التابعين لدولة آل سعود أوصافاً لا يقولها العاميّ الذي فيه شيءٌ من الحياء فما بالك بمن وَصَفُوا أنفسهم بالعلماء؛ فقد نبزوهم بـ«**المسخرة**» و«**الأضحوكة**» و«**الحُمُر المستنفرة فرّت من قسورة**»، ووصفوهم بـ«**الكفَّار**»، وقالوا بأنَّ أهل نجد «**لا يتديَّنون إلا بدين الزنادقة**»[(١)].

وشهد محمد بن علي الشوكاني على ذلك فقال: «**أمَّا أهل مكة فصاروا يكفِّرونه**[(٢)] **ويطلقون عليه اسم الكافر**»[(٣)].

حتى أنَّ الشريف مسعود كأنما استفظع التكفير الذي ألقاه علماء مكة على أهل نجد، فطلب من قاضي مكة الذي عنده بِأَنَّ يكتب حججه بكفرهم؛ حتى يكون في يده مستند شرعي ليمنعهم من الحج، فأفتى قاضيَهُ بكفرِ من يعتقد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[(٤)]، عندها أمر الشريف مسعود بسجنهم.

وفي ذلك يقول مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان أنَّ الشريف قَبَضَ

---

(١) هذه كلها بعينها الألفاظ التي رواها المؤرخ القبوري المكي أحمد زيني دحلان حين أورد وصف علماء مكة في حق حنابلة نجد، انظرها في كتابه: «خلاصة الكلام» (٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٢) يكفّرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويكفّرون الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبقية حنابلة نجد.

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٧).

(٤) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

على «الوهابيين الملاحدة الأنذال، ووضعهم في السجن والأغلال، فسَجَنَ منهم جانباً وفرَ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا»(١).

وفي رواية المؤرّخ النجدي محمد بن عمر الفاخري (ت: ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م): أنَّه في سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م قام «مسعود الشريف بحبس حاجّ نجد، ومات بالحبس منهم كثير»(٢).

ويسمِّيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب «سنة الحبس، التي **صرّحوا فيها أنَّ من أقرَّ بالتوحيد كَفَر وحَلَّ ماله ودمه وقُتِلَ في الحلِّ والحرم**»(٣).

وقد بلغ بهم الأمر أن منعوا أهل نجد من الحجِّ مدَّة ستين سنة.

وهذا الأمر يشهد به أحد علماء نجد الذي أدرك من حضر تلك الفترات؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، حيث قال: «ما جرى من حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية؛ ومن ذلك أنهم [أي أشراف مكة] من أول من بدأ بالعداوة [لأهل الدعوة السلفية في نجد]؛ **فحبسوا حاجَّهم، فمات في الحبس منهم عدد كبير، ومُنِعوا من الحجّ أكثر من ستين سنة**»(٤).

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٠٠).

(٢) محمد بن عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

(٣) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٠/٧٧).

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢٠).

هكذا؛ **ستُّون سنة وأهل نجد ممنوعون من الحجّ إلى بيت الله الحرام**؛ لأنَّ علماء مكة وأميرها الشريف يرون أنَّ أتباع الدعوة من أهل نجد كفار!!!.

ودليل ذلك أنَّ مؤرّخ مكة القبوري أحمد زيني دحلان يسمّي آل سعود بـ«**أهل البغي والإلحاد**»[١]، وكان دحلان ينبز دعوة الشيخ بـ«**دين رعاة الغنم**» ويصف ما ينشره آل سعود من تعاليم تلك الدعوة المباركة بأنهم «**يعلّمون الناس ما يعلمّونه للبهائم والأنعام**»[٢] **هكذا**.

وكان دحلان لا يصف عقيدة أهل نجد ودينهم إلا بوصف «**الطين**»[٣]، وأنَّ ابن سعود «**أدخل القبائل في طينه**»[٤]، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «**بالعقيدة الزائغة**»[٥]، ودحلان ينقل روايات علماء مكة الذين أدركوا تلك الحوادث، وهو على ما هم عليه من مواقف معادية لدعوة التوحيد.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ موقف شريف مكة مسعود بن سعيد ومن جاء بعده من الأشراف كأخيه الشريف مساعد (ت: ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)[٦]، الذين منعوا أهل نجد من الحجّ لبيت الله

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٢) المصدر السابق (٣٦٢).

(٣) يقصد «الدين». انظر: المصدر السابق (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٤) يقصد «دينه». انظر: المصدر السابق (٣٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢٩٩).

(٦) **الشريف مساعد بن سعيد: ولي إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مسعود سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، واستمرَّ في الولاية إلى أن عُزِلَ سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م**، =

الحرام، أنَّه موقف عدائي صريح العداوة لأهل نجد بلا مرية[(١)].

- بوادر التغيير المؤقَّت بين نجد والحجاز:

يخبرنا المؤرِّخ حسين بن غنَّام أنَّ الشريف أحمد بن سعيد (ت: ١١٩٥هـ/١٧٨١م)[(٢)] لَمَّا تولَّى الحكم في مكة سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م حدث أنَّ أتباع الدعوة «كانوا في غزوٍ لهم فصادفوا رَكْباً للشريف منصور، فأُخِذَ مع الرَّكْبِ وأُتِيَ به مأسوراً، فمنَّ عليه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالإطلاق دون الفداء، فرجع بعد ذلك برخصةٍ من شريف مكة في الحجّ لأهل الدعوة النجدية، فاغتنم لذلك طائفة منهم وسارت للحجّ آمنة غير خائفة، وقضت ركن الإسلام وأدَّت المناسك على التمام في ذلك العام ورجعت بالحشيمة والإكرام»[(٣)].

= ثم عاد للولاية بعد شهر من عزله، واستمر حتى وفاته سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٨ - ٢٧٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١٢/٧).

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٥/١ - ١٢٦).

(٢) أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن، شريف حسني من أمراء مكة، وَلِيَها بعد وفاة أخيه مساعد سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وانتزعها منه الشريف عبدالله (من ذوي بركات) فقاتله الشريف أحمد واستعادها بعد انفصاله عنها شهرين و٢٧ يوماً، واستمر إلى سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، فقاتله ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد وانتزع الإمارة منه، وجرت بينهما حروب وفتن، فتغلَّب سرور وحبسه في (ينبع) ثم في (جدة) التي مات فيها. انظر: أحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٢٧٤ - ٢٨٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٣١/١).

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٨٨/٢) باختصارٍ وتصرُّفٍ يسير.

وفي سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد المذكور بهدايا، ويبدو أن الشريف كأنَّما أرد التثبّت من تلك الدعوة السلفية التي ظهرت في نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبعث في ذات السنة المذكورة إلى أهل الدرعية أنْ أَرسِلوا عالماً من علمائكم ليبيّن لأهل مكة وعلمائها حقيقة تلك الدعوة، وبالفعل أرسلت الدرعية العالم الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)[١] إلى مكة، ومعه رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الشريف فيها ملخَّص ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب متضمَّنةً أيضاً رداً ونقضاً لما يثيره أعداء الدعوة عليها وعلى أتباعها، ثمَّ تناظر الشيخ الحصيّن مع علماء مكة حول حقيقة ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم عاد الحصيِّن إلى نجد معزَّزاً مكرماً، على الرغم من أنّ سفارة الحصيّن انتهت إلى غير وفاق بين الفريقين[٢].

ولا شكَّ أنَّ استفهاماً مُهِمّاً يتوارد إلى الذهن حول السبب الذي دعى الشريف أحمد بن سعيد إلى أنْ يرسل الرسائل إلى الدرعية سنة

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله الحصيِّن الناصري الحنبلي، وُلِدَ عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م في بلدة (الوقف) من بلدان (الوشم)، فلما استقرت الدعوة السلفية في (الدرعية) هاجر إليها. له من المواقف المشرفة في مناصحة الملوك والأمراء؛ منها حين دخل إبراهيم باشا إلى نجد، فقال له إبراهيم باشا: ماذا تقول فيَّ أيها العجوز؟ فقال له الشيخ: إنَّك غاشية الله سلَّطَكَ الله علينا بسبب ذنوبنا. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧١) (٣٩٣) (٤٦٤ ـ ٤٦٨). وعبدالله البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/٤٥٤ ـ ٤٦٤).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٨٩ ـ ٧٩١). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٥٥٢).

١١٨٥هـ/١٧٧١م، طالباً التفاهم معهم؟، رغم أنَّ قوة آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد تاخَمَت حدود الحجاز أو غيره من مناطق الجزيرة العربية، فحتى تلك السنة لم تكن الدرعية قد نجحت في توحيد نجد، ولم تكن أنظار الدعوة والدولة قد اتجهت بعد إلى ما وراء حدود نجد؟.

الواقع أنَّ هذا العمل حصل من جانب الشريف أحمد بن سعيد نتيجة للصراع المرير الذي حدث في ذلك الوقت بين الأشراف أنفسهم في مكة سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م[١]، فلعل هذا الصراع بين الأشراف على إمارة مكة هو الذي دفع أحمد بن سعيد إلى التفاهم مع الدرعية، التي غَدَت رغم قوتها المحدودة حتى ذلك الوقت أقوى القوى المحلية داخل جزيرة العرب، لعلّه يجد لديها التأييد العسكري الذي يمكنه من صدِّ منافسيه من الأشراف على إمارة مكة، فلمَّا انتهت أسباب ذلكم الصراع بين الأشراف[٢]، جاءت نتائج سفارة الشيخ

---

(١) حاصل ذلكم الصراع بين الأشراف: أنَّ الشريف أحمد بن مساعد (من أشراف آل زيد) ما كاد يتولى منصب الشرافة سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، حتى قام الشريف عبدالله بن الحسين البركاتي (من أشراف آل بركات) وشدَّ رحاله إلى (مصر) ليطلب العون من حاكمها علي بِك الكبير ضدَّ الشريف أحمد بن سعيد، فقام علي بِكْ الكبير بتجريد حملةٍ عسكريةٍ بقيادة محمد أبي الذهب لتعضيد عبدالله بن الحسين البركاتي وتسليمه منصب الشرافة، وبالفعل تمَّ للشريف البركاتي ما أراده وتولى شرافة (مكة). انظر تفاصيل تلك الحوادث عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٤٩/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٦ ـ ٢٧٨).

(٢) حاصل ذلك: أنَّ الشريف أحمد بن سعيد لمَّا رأى تجريدة أبي الذهب رحلت عن (مكة) إلى مصر، قام وجمع بعض العربان الموالين له حول (مكة) واستطاع أن يستردَّ منصبه كشريفٍ على (مكة) وأميرٍ عليها. انظر تفاصيل تلك=

عبدالعزيز الحصين غير محققة للتفاهم التام بين الجانبين؛ إذ إنَّ الشريف أحمد بن سعيد لم يعد بحاجة إلى مساعدة الدرعية بعد أن استقرَّ به المقام في إمارة مكة للمرة الثانية، ولم نعثر بعد ذلك طوال فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد على أيَّةِ محاولة للتفاهم مع الدرعية، **بل إنَّ الشريف أحمد نفسه لم يسمح لأحدٍ من أهل نجد بأداء فريضة الحجّ**[(١)].

ـ شريف مكة سرور بن مساعد يستفزّ أتباع ابن سعود:

انتهت فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد بعد أن عُزِلَ عن الحكم، وجاء مكانه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد (ت: ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م)[(٢)] الذي منع أتباع ابن سعود ـ أهل الدعوة النجدية

= الحوادث عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٨). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٣/٦٥١ ـ ٦٥٣).

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٨ ـ ٢٨٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٣/٦٥٢ ـ ٦٥٣) (٤/١١). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد؛ شريفٌ حسني، من أمراء مكة، ثار على عمِّهِ (أمير مكة) أحمد بن سعيد أربع عشرة مرة، ونشبت بينهما فتن وحروب انتهت باستيلاء سرور على الإمارة سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، واستمر فيها إلى أن توفي بمكة. انظر أخباره وترجمته عند: محمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٤) (١٥١). وأحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٢٨٠ ـ ٢٩٥). وعبدالستار الهندي المكي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (١/٦٥٩ ـ ٦٦٠). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/٨١).

- من الحجّ إلى بيت الله الحرام[١]، ولم يسمح لهم إلا بعد أن أهداه أهل الدرعية وحكامها هدايا ثمينة سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م، فحجّ من أتباع ابن سعود قرابة الثلاثمئة[٢].

على أنَّ هذا السماح بالحجّ لم يستمر سوى سنة واحدة فقط على ما يبدو[٣]، بل قيل إنّ أهل نجد في عهد سرور لم يتمكن أحد منهم من أداء فريضة الحج إلا خفية[٤]، **وقيل إنَّ الشريف سرور أوصل للسعوديين أنَّه ممكن أنْ يسمح لهم بالحجِّ؛ في حال دفعوا له ما يدفعه الحجاج العجم الإيرانيون وأنْ يرسلوا مئة فرس سنوياً**، ولكنَّ أهل نجد رفضوا تلك الشروط الغريبة[٥].

- بدء المواجهات بين دولة آل سعود والشريف غالب:

ظلَّت على إثر ذلك العلاقة بين آل سعود والأشراف يسودها الركود وعدم التفاهم سنين عددا، حتى توفي الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، وخلفه في الحكم أخوه غالب[٦]، الذي ما أن استقر له الوضع حتى رأى أن يُحدِّد سياسته إزاء أهل الدعوة النجدية

---

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٥٢/٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٤٩/٢).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٧/١).

(٤) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الولى» (١٣٧).

(٥) انظر: جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٦) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١).

ودولتهم السعودية، والتي كانت تحرز انتصاراً بعد آخر في كل اتجاه[١].

ويجب أن نؤكّد هنا؛ أنَّه في هذا الوقت كانت الدولة السعودية الأولى قد نجحت في توحيد نجد، ووصلت تحركاتها العسكرية إلى شاطئ الخليج العربي، وغدت قوة السعوديين مرهوبة الجانب، وكانت مبادئ دعوتهم السلفية قد تسربت إلى الحجاز واعتنقها بعض الأعراب[٢]، لذا خشي الشريف غالب أن تصبح الدرعية خطراً يهدد بلاده[٣]، خاصةً وأنَّ أخبار نجاح آل سعود في عملياتهم الحربية في الأحساء كانت تصل إلى الحجاز تباعاً بصورةٍ تُظهِر مدى القوة التي وصلت إليها الدرعية[٤].

وبناءً عليه؛ قام الشريف غالب كما قام أسلافه من قبل طالباً من الدرعية في سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م إرسال عالم من علمائها للتباحث حول مبادئ دعوتهم السلفية، ومرة أخرى أَرْسَلَ قادة الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن الذي سبق له أن قام بنفس المهمة أيام شرافة الشريف أحمد بن سعيد، وأرسل معه الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتاباً إلى الشريف غالب شرح فيه بإيجاز مبادئ دعوته، وبيَّنَ له أنَّه

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٧/١).

(٢) انظر: الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان» (٣٧٠/٢).

(٣) انظر: سامية بشاوري «إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة» (١٢٧) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٨). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (٩٩).

وأتباعه متَّبِعون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل وليسوا مبتدعين كما يتهمهم أعداؤهم[١].

وصل مبعوث الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحصيّن إلى مكة في ذات السنة، «فأكرمه الشريف غالب وشرَّفه واجتمع معه مرَّات عديدة، وعرض عليه رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفته من الباطلِ والردى، فأذعن بذلك وأقرَّ، ثم بعد مدة أبى وتمسَّك بقديم سنته وأصرَّ، وطلب منه عبدالعزيز الحصيّن أن يُحْضِرَ علماء مكة فيقف على كلامه ويسمعه، ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور، وقالوا: إنَّ هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك، فطار لبّه وارتعش قلبه»[٢].

ومن المرجَّح أن رفض علماء مكة لدعوة الشيخ وخطابه الذي أرسله مع الشيخ عبدالعزيز الحصيّن جاء بإيحاء من الشريف نفسه، وأن طلبه من الدولة السعودية إرسال عالم إليه كان بهدف التظاهر أمام المسلمين بحسن نواياه تمهيداً لما يقوم به من أعمال عسكرية ضد السعوديين، وهذا ما قام به في السنة التالية[٣].

والمُتَحَصِّل ممَّا سبق؛ أنَّ سفارة الشيخ عبدالعزيز الحصيّن انتهت في هذه المرة أيضاً دون أن تحقق الوفاق بين الطرفين، بل إنَّ تحريض علماء مكة للشريف غالب أذكى في نفسه عداوة لأهل الدولة

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٨٦/٢ ـ ٨٩٠).

(٢) المصدر السابق (٨٨٧/٢)، بتصرُّفٍ يسير.

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٧/١).

والدعوة، فمنع الشريف أهل نجد من الحج كما فعل أسلافه، فعجَّلَ ذلك بالصدام المسلَّح بين الطرفين[(١)]؛ ذلكم الصدام الذي تأخر فيه الشريف غالب ومن قبله من الأشراف عن مهاجمة الدولة السعودية وأتباع دعوة الشيخ فيها.

ويُرجع البعض أسباب تأخر الأشراف في مكة عن أخذ زمام مبادرة حرب الدولة السعودية وأتباع دعوة الشيخ حتى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م؛ أنَّ الأشراف في بداية الأمر لم يكونوا على إدراك تامٍّ بشأن تلك الدولة الناشئة وهذه الدعوة السلفية التي تنمو ويتزايد أتباعها؛ إذ كان الأشراف يظنون أنَّ المعارضة النجدية المحلية لديها قدرة القضاء على تلك الدولة وهذه الدعوة[(٢)]، كما أنَّ الأشراف حَسِبوا أنَّهم حين يمنعون أهل الدعوة السعوديين من الحجّ فإنَّ ذلك سيقوِّي معارضيهم المحليين من الناحية المعنوية، كما كان الأشراف يعتقدون بأنَّ تلك الدولة السعودية ودعوتها السلفية مادامت ظهرت في إقليم العارض، والذي كانت بعض مظاهر النفوذ الأحسائي بارزةً فيه قبيل ظهور الدعوة والدولة، فإنَّ دولة آل سعود وإن انتصرت على معارضيها النجديين فإنَّ حكَّام الأحساء سوف يقضون عليها[(٣)].

ولمَّا رأى الشريف غالب أنَّ الدولة السعودية أصبحت تضم

---

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٨).

(٢) راجع ما بُحِثَ في الفصل الخامس عن المعارضة المحلية لدعوة الشيخ.

(٣) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٦٨ ـ ١٦٩).

نجداً كلها وأوشكت أن تستولي على الأحساء ذاتها، أدرك حينها أنَّه إن لم يتحرك عسكرياً ضد الدولة السعودية فإنَّ القبائل التابعة له في الأراضي الحجازية ستنضمّ إليها، فتهيَّأ الشريف للحرب وأخذ بأسبابها، واستمال إليه بعضاً من بداة نجد وقبائلها من الذين أعلنوا عصيانهم للدرعية، وأخذ يجمع جيوشه ليغزو أرض نجد ويصل بعض أطرافها(١).

وعن ذلك يقول صاحب تاريخ «لمع الشهاب»: «لمَّا علم الشريف غالب بهذه الحال(٢)، كتب لعبدالمحسن(٣) يرغِّبه في حرب آل سعود، وقد بذل له شيئاً من المال نقداً، وأعطاه بيده خمسين عبداً من عبيد السند والأفغان؛ لإحاطة مُلْكَ آل سعود بجميع أرض بني خالد برّاً وبحراً، وجعل اثنين من خُدَّامِهِ لأجل التوصيل، وقال: **استعن بهذا على حرب عبدالعزيز [بن محمد بن سعود] واغْزُه من تلك الأطراف التي تليكم لئلَّا تقوى شوكته فيميل عليكم ميلةً واحدة**، وهذا أنا أمشي عليه من جهة الحجاز،

---

(١) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٦٨). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٨ ـ ١٣٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٨/١).

(٢) حال القوة والهيبة التي وصلتها دولة آل سعود آنذاك وامتدادها إلى الأحساء وشرقي الجزيرة العربية.

(٣) هو عبدالمحسن بن سرداح بن عبيد الله بن براك بن غرير، رئيس بني خالد، قُتِل سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، قتله زيد بن عريعر وإخوانه. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١) (١٥٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٩/١).

فأجابَهُ عبدالمحسن لِمَا قال»[١].

من بعد تلك المراسلة والمكيدة، جهَّز الشريف أول حملة عسكرية من قِبَلِهِ ضد أهل الدولة السعودية الأولى بقيادة اخيه الشريف عبدالعزيز في سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، وقد كانت تلك الحملة مجهَّزة بجهَازٍ هائل من الحضر والأعراب ومن أهل البلدات التابعة للشريف ومن غالب القرى التي تحت ولايته[٢]، وما ترك الشريف غالب أحداً ممن يظنّ فيه الإعانة إلا أرسل إليه من فَوْرِهِ ليلحق بحملته[٣]، فأمر كل من تجهَّز للحرب من أتباعه أن يلحق بأخيه الشريف عبدالعزيز قائد تلك الحملة التي تنوي الهجوم على نجد[٤]، والتي كانت مصحوبة بالمدافع الكثيرة[٥] التي أُحضِرَت من تركيا[٦].

ـ صمود قصر بسَّام وبلدة الشعراء أمام عساكر الشريف ومدافعه:

وصلت هذه الحملة العسكرية الضخمة إلى الحصن السعودي

---

(١) حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٩) باختصارٍ يسير.

(٢) قدَّرَ ابن بشر في «عنوان المجد» (١/١٧٣): أنَّ عددهم قرابة عشرة آلاف أو يزيدون.

(٣) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٨ ـ ٨٩٠). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٥) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٣).

(٦) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد» (٨٧).

المسمَّى قصر بسَّام[١] في منطقة السِّر[٢]، ولم يكن فيه من أتباع آل سعود إلا قريب العشرين[٣] وقيل خمسة وعشرون بوارديًا[٤] وقيل ثلاثون رجلاً فقط[٥] من الذين تحصّنوا بالقصر وأحكموا إغلاق مداخله، ثمَّ أناخت جموع حملة الشريف عبدالعزيز حول قصر بسَّام فحاصروا أهله أكثر من عشرة أيام[٦]، ونصبوا عليه المدافع وضربوه ضرباً هائلاً وكادوه بأنواع القتال، ورامت عساكر الشريف التسوّر على القصر بالسلالم، واستمروا على ذلك طول مدة الحصار، إلَّا أنَّهم لم يدركوا فائدة من هجومهم على القصر، فتركوه ومن فيه بعد أن قُتِلَ من جنود الشريف عدة رجال[٧].

---

(١) قصر بسَّام: حصنٌ سعودي نسبةً إلى بسَّام جدّ أسرة آل ناهض من بني علي من قبيلة حرب. و(قصر بسَّام) يسمَّى اليوم (البرود)، وهي البلدة الكائنة في منطقة (السِّرّ)، فيما بين (الصَّفراء) و(النُّفود) غرباً من بلدة (ساجر) شرقاً شمالياً من مدينة (الدُّوادمي). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٤١/٢). وسعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٢٢٣/١ ـ ٢٢٥).

(٢) السِّر: وادٍ من أودية (عالية نجد)، يقع شرق مدينة (الدوادمي). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٦٨١/٢ ـ ٦٨٥).

(٣) هكذا قدَّر عددهم حسين بن غنَّام في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩١/٢).

(٤) هكذا قدَّرَ عددهم حسن بن جمال الرِّيكي في كتابه «لمع الشهاب» (١٧٠).

(٥) هكذا قدَّرَ عددهم عثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (١٧٤/١).

(٦) هكذا قدَّرَها حسين بن غنَّام في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩١/٢). كذا عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (١٧٤/١). في حين قدَّرها حسن الرِّيكي بشهرٍ كامل، انظرها في: «لمع الشهاب» (١٧٠) من تأليفه.

(٧) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»=

ومن عجيب ما اتفق في هذه الحادثة أنَّ بناء هذا القصر كان ضعيفاً وأهله ضعفاء، ومع ذلك صمدوا؛ «**فسقط اعتبار الشريف وهيبته ابتداءً من ذلك اليوم؛ حيث لم يتمكن من أخذ قصرٍ صغير فيه عدد قليل**»[١].

بعد فشل هجوم الشريف عبدالعزيز على السعوديين في قصر بسَّام، جاءه في رمضان ١٢٠٥هـ/١٧٩١م أخوه الشريف غالب من مكة إلى أرض السرّ، وجرَّ معه سبعة مدافع ورافقته العساكر المدججة بالسلاح، فحاصرت بلدة الشعراء[٢]، وجعلت عساكره تربط بين المدفع والمدفع بسلاسل من حديد، ثمَّ تتابعوا على ضرب جدران قصر الشعراء بنيران مدافعهم، وظلّ الشريف غالب محاصراً تلك البلدة أكثر من شهر، وكان يقسم بالله أنْ لا يفارقها حتى تدمرها عساكره ويتمّ له مقصوده من هزيمة أهلها ثم هزيمة نجد وتدميرها، إلَّا أنَّ أتباع الدعوة استبسلوا في مقاومة عساكر الشريف وصبروا صبراً كبيراً على ضرب قنابله ورمي رصاصه، عندها اضطرَّ الشريف وجنوده إلى ترك المحاصرة ثم الانسحاب إلى مكة دون أن يُحرز أيّ انتصار[٣].

= (٩٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٧).

(١) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠).

(٢) الشَّعْراء: بلدةٌ تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، غرب مدينة (الدوادمي) على بُعد ٣٥ كلم. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٢/٧٦١ ـ ٧٦٤).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. =

استيقن غالب أنَّه كلما بقي ولم يدرك مراده من تلك الحرب والمحاصرة زاد سقوطه من أعين الناس وتلاشت هيبته في أعين أتباعه وأعدائه، ثم زاد في إصراره على الرجوع إلى مكة أسبابٌ من أهمها أنَّ موسم حجّ ذاك العام (١٢٠٥هـ/١٧٩١م) قد اقترب؛ وهو الأمر الذي يتطلَّب من الشريف غالب التواجد في مكة، فعاد إليها في أواخر ذي القعدة من العام نفسه[(١)]، على أنَّ مؤرخاً عاصر تلك الحوادث رأى في السبب الحقيقي لرجوع الشريف غالب: هو عجزه عن حرب أهل الدولة السعودية[(٢)].

انصرف الشريف غالب بعدما فشل في إدراك مطلوبه من هزيمة السعوديين وبعد أن قُتِلَ كثير من جنوده في الشَّعراء، على أَنَّ الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لَمَّا بَلَغَهُ وهو في معسكره في رمحين النفود[(٣)] خبر رحيل الشريف غالب وانصرافه عن الشَّعْراء، فأمر سعود بعض قادته أن يتبعوا أثر الشريف ويغيروا عليه من خلافه، فأدركوهم وغنموا منهم غنائم كثيرة[(٤)].

= P,738. وانظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩٣/٢ ـ ٨٩٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٧). وعبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٢٠/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٥/١ ـ ١٧٦).

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٧).

(٢) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧١ ـ ١٧٢).

(٣) رمحين النفود: كثيبان بارزان من أكثبة النفود الواقع شمال مدينة (شقراء) في إقليم (الوشم). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٦٢٤/٢).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩٥/٢). ومؤلف مجهول «كيف كان =

هكذا بدا منذ الغزوة الأولى ضد الدولة السعودية أن ميزان القوى العسكرية لم يكن في صالح أشراف مكة، أضف إلى ذلك أنَّ الدولة السعودية الأولى قد اتَّسَعَت رقعتها ذاك الوقت حتَّى شملت إقليم الأحساء، فكان ذلك من الأمور التي عزَّزت هيبتها، حتى رَغِبَت فئام من القبائل التي كانت تابعة لأشراف الحجاز بالانضمام إلى الدولة السعودية القوية وقتها[١].

- استنجاد الشريف غالب بالدولة العثمانية:

لَمَّا أدرك الشريف غالب حقيقة موقفه بعث بمفتي المالكية بمكة[٢] إلى الدولة العثمانية في شعبان سنة **١٢٠٧هـ/أبريل ١٧٩١م** طالباً منها نجدته تجاه الخطر المحدق به وبدولته[٣]، وأخذ يندِّد بأهل الدولة السعودية ويتهمهم بالهرطقة وبالعمل على تقويض الإسلام.

وهذا الأمر شهد به المستشرق **جوهان لودفيغ بوركهارت J. L. Burckhart** (ت: ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[٤] حين قال: **«ولم يترك غالب**

= ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠) (١٧٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٦ ـ ١٧٧).

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٢٩).

(٢) هو السيد حسين مفتي المالكية بمكة في ذاك الوقت. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦١).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٨). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٤) جوهان بوركهارت J. L. Burckhart: مستشرق سويسري تجنَّس بالجنسية الإنجليزية، مضى إلى الحجاز متظاهراً بالإسلام وتسمَّى باسم الشيخ إبراهيم.=

- الذي كان على صلةٍ دائمةٍ بالباب العالي والذي كان يستقبل قافلة الحجاج سنوياً - أيةَ وسيلةٍ لتحريض الحكومة التركية ضدَّ أعدائه إلا واتخذها، فقد أظهرهم كفَّاراً»[١].

وشهد أحد المؤرخين بأنَّ مخابرات الشريف غالب «**انتظمت مع الدولة التركية العثمانية، ولم يُهمل أدنى طريقة يمكنه إجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين إلا وأجراها**»[٢].

ولَمَّا لَمْ تَكتَرِث الدولة العثمانية باستنجادات الشريف[٣]؛ حاول الأخير بقواته الذاتية أن يعيد إلى طاعته الفئام القليلين الذين خرجوا عن نفوذه، بَيْدَ أنَّ الدولة السعودية تصدَّت له وردَّت على هجماته بهجماتٍ أشدّ وأعنف[٤].

- استمرار الشريف غالب بإرسال حملاته ضدّ أهل الدولة السعودية:

لما أطلَّ العام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م جهَّزَ الشريف غالب حملةً كبيرةً

= وكان يكتب تقاريره لوزارة المستعمرات البريطانية ووزارة الخارجية في لندن. انظر ترجمته عند: الأب لويس شيخو «تاريخ الآداب العربية» (١٥).

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨١).

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (٩٩).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٨).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٩/١).

يقودها من قِبَلِهِ الشريف فهيد[١]، فسارت الحملة حتى وصلت إلى عالية نجد[٢]، وبغيتها الهجوم على أحد كبار قادة الدولة السعودية وهو هادي بن قرملة الذي كان معسكراً على ماء ماسَل[٣]، فتطاعن الفريقان، فانسحب ابن قرملة بعد أن جزم بعدم جدوى محاولة الانتصار على عساكر الشريف فهيد الكبيرة[٤].

أتت بعد ذلك حوادث أُخَر؛ فقد عَلِمَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بتحركات حملة عسكرية ضخمة من قِبل الشريف غالب يقودها أحد الأشراف من أقارب غالب وهو الشريف ناصر بن يحيى ومعه مدافع، فأمر الإمام عبدالعزيز القبائل التابعة له القريبة من تلك الجهة أن تقف مع هادي بن قرملة رئيس قحطان وصاحِبه القائد السعودي ربيِّع بن زيد الدوسري لصدِّ حملة الشريف، وحصل أن انتصرت القوات السعودية نصراً عظيماً على جيش الشريف في

---

(١) هو الشريف فهيد بن عبدالله بن سعيد. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٩).

(٢) عالية نجد: هي ما دفعه نفود (قنَيْفذة) ونفود (الخبرا) وصحراء (الساقية) غرباً إلى شرقيِّ (حَضَنٍ) وصحراء (رُكْبة) وحرَّة (كُشب) وماء (السَّلِيلة) و(الرَّبَدَة) و(القوز) غرباً، ويدخل فيها (هضب الدؤاسر) و(وادي الدواسر) في الجنوب، وما يقع شمال بلدة (رنية) و(الخُرْمَة) من بلاد قبيلة سبيع، أما من الناحية الشمالية فتقف عند حدود منطقة (القصيم) الإدارية. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١/١٧).

(٣) ماء ماسَل: موضعٌ في (عالية نجد) في ديار (ضَبَّة)، تُنسب إلى مأسل. والماء لا يزال معروفاً باسمه في بلاد الدواسر. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٣/١١٣٥ ـ ١١٣٨).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٢٧). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠).

الجمَّانية[١] بعد أن فرَّ قائد جيش الشريف من المعركة عائداً للحجاز[٢].

كانت معركة الجمَّانية من المعارك الفاصلة بين أشراف الحجاز والدولة السعودية الأولى؛ لأنها مهَّدت لأتباع الدعوة النجدية التوغّل في الحجاز ونشر مبادئ دعوتهم السلفية بين قبائلها، وهو الأمر الذي جعل من موقف الأشراف يتغيّر من موقعهم كمهاجمين ضدَّ الدولة السعودية، فصار الأشراف في موقع المدافعين[٣].

ـ الشريف غالب يطلب المفاوضة مع الدرعية:

كانت الحوادث التي تبعت معركة الجمَّانية من أهم الأسباب التي جعلت الشريف غالب يطلب من الإمام عبدالعزيز في سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م أن يرسل إليه عالماً نجدياً من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، زاعماً أنَّه يريد مناقشته مع علمائه بمكة ليتبيَّن

---

(١) الجمَّانية: ماءٌ قديمٌ عَذْب، يقع في جهة جبل (النير) الغربية والشمالية، وهو في وادٍ فسيح يسمى (وادي الجمانية). وهناك أيضاً هجرة (الجمانية) للأمراء من أسرة الضيط من عتيبة. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١/٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) انظر: حسين غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٢٩ ـ ٩٣٠). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢١٣ ـ ٢١٤). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠).

(٣) انظر ما قرره كل من: الأمير حيدر بن أحمد الشهابي في «الغرر الحسان» (٢/٣٧٠). ومحمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع» (١/٣٥٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٤٢). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٢٨ ـ ١٢٩).

له ولهم حقيقة ما تنادي به دعوتهم السلفية[١]، فاستجاب الإمام عبدالعزيز لطلب الشريف غالب وأرسل وفداً من لدنه برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر (ت: ١٢٢٥هـ/١٨١١م)[٢]، فقابلهم الشريف بالإقبال والإجلال والتوقير، وأحضر علماء مكة لتنعقد بينهم وبين ابن معمَّر المناظرة، تلك المناظرة التي أعجب بها الشوكاني، كما أعجب بقوة ابن معمَّر خلالها، فقال الشوكاني مادحاً للمناظرة والمناظر: «**وبلغنا أنَّه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدلّ على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين**»[٣].

وإليك وصف تلك المناظرة بين ابن معمَّر وعلماء مكة كما دوَّنها المؤرخ ابن غنَّام، حيث قال: «وتجارت الأذهان للجدال، وشرَّع علماء مكة أسنَّة المقال وراموا أسنَّة الحق بالمحال، ولم

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٧/٢).

(٢) حمد بن ناصر بن معمَّر: وُلِدَ في (العيينة) عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، انتقل بعدها إلى (الدرعية) وطلب العلم على علمائها وتصدَّر للتدريس فيها. عيَّنه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في قضاء (الدرعية)، وفي عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م عيَّنه رئيساً لقضاة (مكة)، فمكث في عمله حتى توفي في شهر ذي الحجة من عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م، فصلَّى عليه المسلمون تحت الكعبة المشرفة، وذهبوا به إلى (مقبرة البياضية)، فخرج الإمام سعود من قصره (قصر البياضية) الملاصق الآن لـ(قصر السقَّاف)، ومعه جمعٌ من المسلمين، فصلّوا عليه مرَّةً أخرى. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٦/١ ـ ٣١٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٧٣/٢ ـ ١٧٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٢١/٢ ـ ١٢٧).

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

يجلبوا من البراهين المؤيّدة للشرك والضلال سوى موضوعات الملحدة الضُلَّال التي عفت منار الحنيفية وما لها من معالم وأطلال.

فلمَّا تحقَّقوا ذلك وعلموه، وتيقَّنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه، أجمعوا رأيهم وأحكموه في المغالطة في اللفظ فأبرموه، فلم يعثروا في سرد صحيح السنَّة القامعة لهم والأنفال، فارتفع مِن بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نَقْصٍ في اللبّ والاختلال ووسوسة من الشيطان أبرزها في الخيال.

وصفة ما جرى منهم؛ أنَّهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله المنيف، وجالت خيول الأذهان لدى [الشريف] غالب، فأوَّل ما افتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه المطالب، **وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة؛ مسألة قتال الموحدين الناس** والكشف عن وجهها حجب الالتباس، فطُلِبَ من حمد [ابن معمَّر] بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعاليل، **فأتى لهم، جزاه الله تعالى الثواب الجزيل، من النصّ القاطع القامع لكل أذن واعية وسامع**، وأصَّلَ لهم من الأصول فيها ما تودي بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة اللائحة ما شفى وكفى، **فقصفت على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزَّقَ آثارهم ومنارهم بعدما هبَّ عليهم وسفا**، وأوقفهم على المنصوص فأقرّوا لتلك النصوص، وصدر منهم الإذعان بعدما حملهم الشيطان على كون تلك لم تكن في الكتب مُسَطَّرَة ولا موصولة فيها ومُقَرَّرَة، وتَفَوَّهوا بحضرة الشريف بذلك، حتى أوقفهم حمد على ما هنالك، ونقل من الكتب التي عندهم ما ضَعضَع وِجْدهم وجَلَبَ عليهم عِلَّتهم وجهْدَهم، فَوَطَفَت جِباههم من العَرَق لِمَا داخلهم من الخجل والفَرَق، فلم يكن لهم حينئذٍ بُدّ ولا حيلة حين أقرّوا حجته ودليله.

ثمَّ تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات، فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة، ما أدهش العقول والأفكار مما لا يسع المنصف له إنكار.

فَلَمَّا انقضت تلك الأيام والليالِ وتقضَّت ساعات المناظرة والجدال، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمَّر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرَّر وكَتَّب ما سجَّله عليهم وسطَّر، فجمع لديهم عجالة وعجَّل لهم في سَوْحِهِم رسالة[1] أوجزَ فيها مقاله، يُذعن بعد سماعها كُلُّ منصف عاقل»[2].

الحاصل؛ لم ينتج عن وفادة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر إلى مكة أي تقارب أو تصالح سياسيّ بين الفريقين، رغم قوَّة حجَّة ابن معمَّر وسداد رأيه ووضوح أدلّته.

ـ تبعات انتصار السعوديين في الخُرمَة:

كانت سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م من السنوات الحرجة حقّاً وحقيقةً بالنسبة للشريف غالب في مجابهته للسعوديين؛ ففي ١٧ محرم ١٢١٢هـ/يوليو ١٧٩٧م أرسل الشريف غالب من لدنه الشيخ أحمد

---

(١) وهي رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر التي سمَّاها «الفواكه العِذاب في الردِّ على من لم يحكم بالسنَّة والكتاب»، أوردها حسين بن غنَّام كاملة في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٩٧٢/٢ ـ ١٠١٦). وتجدها كاملة أيضاً ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١٠ ـ ٣٣٥).

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٨/٢ ـ ٩٧١)، باختصار.

تركي[١] إلى الدولة العثمانية يستنجدها ويطلب منها الإعانة على دفع أهل الدولة السعودية، فلم تجبه الدولة العثمانية ولم تلتفت له[٢] مرة أخرى، فأصرَّ غالب أن يقارع أهل الدولة والدعوة بذاته تارة أخرى[٣]، فجيَّشَ حملة بعساكر كثيرة ضدَّ فريق من عربان قحطان من أتباع ابن سعود وهم عند عقيلان[٤]، إلا أنَّ عساكر الشريف ما استطاعت أن تنتصر عليهم[٥].

ثم حدث في تلك السنة أن سار القائد السعودي الأمير ربيِّع بن زيد الدوسري بجنوده على بيشة والجُنَينة ورنية اللاتي أَعْلَنَّ الولاء للدولة السعودية كما فصَّلناه من قبل[٦]. فتكدَّر الشريف غالب من

---

(١) أحمد تركي: يصفه فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص: ٣٤): بأنه رجلٌ محنَّك في فنّ الإقناع. وأنَّه ذهب إلى محمد علي باشا ليقنعه بالمسير لمحاربة السعوديين، ويخبره بأنَّ الشريف غالب على أتمّ الاستعداد لمساعدة قوات الباب العالي التركي بنفسه وبكلّ ما يملك من قوةٍ وثروة. وكان لأحمد تركي هذا الدور الكبير في تشويه صورة السعوديين لدى مصر وتركيا.

(٢) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٢).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥١).

(٤) عقيلان: من موارد (العَقَّالِيَة) من الهويملات من بني عبدالله من قبيلة مطير، بمنطقة (عفيف) في عالية نجد. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢/٩٩٣). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» ١٦١١/٤).

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/١٠٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٣٨).

(٦) راجع تفصيل ذلك فيما سبق من هذا الفصل في مبحث امتداد حكم الدولة السعودية الأولى جنوباً.

انضواء رنية وبيشة والجنَيْنَة في سلك الدولة السعودية وانضمامهم لحكم الدولة السعودية، فسيَّر عساكره بقيادة الشريف فهيد إلى تلك البلدات، وكانت العساكر جمع غفير يساندها البوادي الموالية للشريف غالب، فاستطاع أن يستولي على رنية بعد أن أخذ ما فيها من الغنائم وبعد أن قطع نخيلها وخرَّبها وأحرق دورها، ثم توجَّه إلى بيشة والجُنَيْنَة فاستعادها بعد أن نكّل بها وقطع نخيل أهلها وأحرق دورهم وهدَّدهم بالقتل(١).

على أنَّ نكسة حصلت لدولة الشريف غالب حين تحقق للدولة السعودية انتصارٌ كان في صالحها تلك السنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م، فقد خرج أحد كبار رؤساء فرعي قبيلة عتيبة(٢)، وهو حمود بن ربيعان (ت: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م)(٣) عن ولائه للشريف غالب وانضمّ إلى الدولة السعودية(٤)، ثمَّ فعل رؤساء البقوم(٥) مثل فعل ابن ربيعان، فبايعوا

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/١٠٢٩ ـ ١٠٣٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٣٨). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠ ـ ٣٥٢).

(٢) عُتَيْبَة: جِذمان كبيران هما برقا والروقة. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٠٩).

(٣) حمود بن ربيعان: من الثُّبتة من الرُّوقة من عُتيبة، وهم أمراء الرُّوقة. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١/٢٦١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢٩٦). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣٠).

(٥) البقوم: منازلهم في (وادي تُربة) وما حوله من (وادي كراء) والحرَّة المعروفة باسم تلك القبيلة، وفي جبل (حَضَن) وما حوله. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١/٥٠).

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على السمع والطاعة[١].

ثمَّ أصابت الشريف غالب نكسة أخرى يوم استطاعت القوات السعودية بقيادة ربيّع بن زيد الدوسري وهادي بن قرملة هزيمة غالب في الخُرمة وهو عائدٌ من بيشة والجُنَيْنة، فقد جاءه السعوديون كالسيل المنهمر وأعدادهم كالرمال، فوقع القتال بينه وبينهم[٢]، حتى انتصروا عليه في الخُرمة سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بعد أن فرَّ الجنود المرتزقة من الأتراك وبعض المصريين والمغاربة الذين كانوا ضمن جيش الشريف؛ وغنم السعوديون غنائم كبيرة[٣].

نجم عن الانتصار السعودي على الشريف غالب في معركة الخُرْمَة أَنْ أَرسَلَ الشريف غالب إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يطلب منه الهدنة فالمصالحة، وهو الأمر الذي جعل كثير من القبائل المترددة في ولائها للدولة السعودية الأولى، والمتوجّسة من سجال الحرب بين ابن سعود والشريف؛ أَنْ تسير تلك القبائل ناحية الدخول في طاعة ابن سعود خصوصاً بعدما رأت توالي انتصارات الجيوش السعودية[٤].

---

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٩/٢ ـ ١٠٣٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٣) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد» (١٠٠)، وقد ذكر فيلبي: أنَّ المرتزقة الأتراك والمصريين والمراكشيين فرّوا من المعركة، فاستولى الوهابيون على الرواتب الكبيرة التي كانت ستوزَّع على أولئك المرتزقة صباح ذلك اليوم.

(٤) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٣٨٥ ـ ٣٨٧) (٤٠٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١). وعثمان بن بشر «عنوان=

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد شهدت هذه السنة أيضاً فشل الحملة العسكرية العراقية العثمانية على السعوديين ومقتل قائدها ثويني بن عبدالله[١]، وهو الأمر الذي زاد من هيبة الدولة السعودية الأولى.

ثمَّ زاد من تكارث الأمر على الشريف أنَّه في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م استولى نابليون بونابرت[٢] على مصر[٣]، فانتشرت شائعات بأنَّ نابليون سيحاول ـ تبعاً لذلك ـ الاستيلاء على الحجاز، فكان على الشريف غالب أن يتخذ الحيطة والحذر ويعمل على تحصين جدة[٤]، وهو الأمر الذي يفرض على الشريف التفرغ وبذل الجهد والمال.

ويبدو أن غالباً بعد كلِ تلك الظروف التي أحاطت بصراعه مع الدولة السعودية، ربما أدرك عدم قدرته على الصمود أمامها وقدَّر عجزه عن صدِّ دعوتها السلفية التي تكتسح القبائل والمدن والقرى

= المجد» (٢٣٨/١) (٢٤١ ـ ٢٤٤) (٢٥٥). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(١) سيأتي تفصيل تلك الحملة التركية العثمانية في الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٢) نابليون بونابرت: قائد وزعيم فرنسي شهير، أرَّخَ لشخصيته وحياته وحروبه: الألماني إميل لودفيغ في كتابه «نابليون» صنَّفه سنة ١٩٢٤م. والإنجليزي هربرت فشر في كتابه «نابليون» صنَّفه في العشرينيات الميلادية من القرن المنصرم.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٣).

(٤) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٦). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٥٤/٢). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣١).

والبلدات، ناهيك عن مهاجمتها، فجَنَحَ للصلح، وجرت اتصالات بينه وبين قادتها نتج عنها هدنة في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م مدتها ستة أعوام، على أن يسمح لأهل الدولة السعودية الأولى بالحج[(١)].

وعن ذلك قال مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان: «وقد ارتبط بينهم[(٢)] عهود ومواثيق على المسالمة، وأنَّ الحرب بينهم موقوف، وأنْ يحجَّ الوهابيون بيت الله الحرام، ونادى المنادي بالأمن والأمان، ومَنَعَ [الشريف] الناسَ عن التعرُّضِ لهم باليد واللسان، فأقبلوا على مكَّة من كلّ مكان، فسبحانه تعالى كلَّ يومٍ هو في شأن»[(٣)].

حصل إثْرَ ذلكم الصلح أنْ حجَّ ركبٌ من أهل نجد فيهم علي بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)[(٤)] وأخوه إبراهيم (كان موجوداً سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م)[(٥)] والشيخ حمد بن

---

(١) انظر: لطف الله جحّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٠٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٤٤) (٢٥٥). وعبدالله الغازي «إفادة الأنام» (٤/١٢).

(٢) بين ابن سعود والشريف غالب.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب: هو أكبر أبناء الإمام المجدد سنّاً، وكان الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب يكنى به فيقول «أبو علي». كان الشيخ علي ممَّن قام بالجهاد ضدّ الترك لمَّا وجّهوا حملاتهم لإسقاط الدولة السعودية الأولى. والشيخ علي كان من ضمن الذين رحَّلهم إبراهيم باشا من (نجد) إلى (مصر)، فتوفي في (القاهرة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٦) (١٦٧ - ١٦٨) (٤١٦). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٥/٢٨٤ - ٢٨٦). (وستأتي أخبار حرب إبراهيم باشا لأهل الدولة السعودية الأولى وترحيله لأسرتي آل سعود وآل الشيخ في الفصل العاشر).

(٥) ذكر ابن بشر بأنَّه درس عليه في صغره «كتاب التوحيد» سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م.=

ناصر بن معمَّر وإبراهيم بن سدحان (ت: ١٢٣٠هـ/١٨١٥م)[١] ورفقةٌ معهم من أهل شقراء وأهل الوشم وأهل القصيم وقضوا حجَّهم ورجعوا سالمين[٢].

وفي سنة ١٢١٤هـ/١٨٠٠م حجَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود حجَّته الأولى، وعن ذلك يقول أحمد زيني دحلان: «حجَّ سعود بن عبدالعزيز ومعه قوم كأمثال الرمال»[٣]. ويقول ابن بشر: بأنَّ سعوداً «أجمل معه غالب أهل نجد والجنوب والأحساء والبوادي وغيرهم، وكانت حجَّته حافلة بالشوكة وجميع الخيل والجيش والأثقال، واعتمروا وقضوا حجَّهم على أحسن الأحوال ولم ينلهم مكروه ورجعوا سالمين»[٤].

ولَمَّا دخلت سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م حجَّ سعود بن عبدالعزيز الحجَّة الثانية، واحتفلوا احتفالاً أعظم من الأولى التي قبلها، وأجمل

= وإبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب كان من الذين رحَّلهم إبراهيم باشا من (نجد) إلى (مصر)، ومات في (القاهرة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٩٠ ـ ١٩١). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/٤١٧ ـ ٤١٨). (وستأتي أخبار تلك الحرب وذاك الترحيل في الفصل العاشر).

(١) إبراهيم بن محمد سدحان: قال عنه الفاخري في تاريخه (ص: ١٧٦): بأنَّه أمير بلد (شقراء) وبلدان (الوشم). وقال عنه ابن بشر في «عنوان المجد» (١/٢٥٥) (٣٩٣): بأنه رئيس بلد (أشيقر)، والمؤرخ ابن عيسى في «تاريخ بعض الحوادث» (ص: ١٠٤) يذكر: أنَّه أمير بلد (شقراء).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٥).

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٥).

معه في الحجِّ غالب أهل نجد ومن تبعهم من البوادي وغيرهم من النساء والأطفال[١]، فحجّوا واعتمروا على أحسن حال[٢]، وبذل سعود في مكة من الصدقات والعطاء الشيء الكثير[٣].

وفي تلك السنة؛ يقول أحمد زيني دحلان: «وكان مولانا الشريف غالب قبل قدومهم[٤] للحج قد احترس وتحرَّز منهم خوفاً من وقوع غدرهم[٥]، فأمر أولاً ببناء سور الطائف ثم ببناء الأبراج التي في أطراف مكة؛ فشيَّدَ مداخل مكة بالأبراج، وطلب كثيراً من القبائل من جميع الفجاج، وترَّسَ جميع المداخل والأبراج»[٦].

ـ الشريف غالب يتخابر مع الدولة العثمانية ضدّ الدولة السعودية:

مع هذه التحسُّبات والاحترازات التي قام بها الشريف غالب مخافةً منه تجاه السعوديين، شاب العلاقات بينه وبين آل سعود مَسٌّ

(١) يقدّر البسام عددهم بعشرين ألفاً، انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٤).

(٢) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢ ـ ٣٥٣).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١ ـ ١٦٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٦).

(٤) أي قدوم السعوديين.

(٥) لم يكن ثمَّة غدر من السعوديين، ولكنَّ دحلان يُظهِر ما في صدره من الحقد فتَتَبدَّى افتراءاته المكشوفة. وسيأتي لاحقاً أنَّ الغدر جاء من أعداء ابن سعود.

(٦) أحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٥٣).

من الاضطراب في العام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م إثرَ قيام عدد من القبائل التابعة للشريف بالانضمام إلى الدولة السعودية الأولى[(١)]، والتي كان من الصعب على دولة آل سعود ردّ تلك القبائل من تبعيتها لها، فظنَّ الشريف أنَّ ثَمَّةَ مؤامرة تحيكها الدرعية ضِدَّه.

حتى أنَّ مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان ذكر بطريقته التهكمية الساخرة من أهل الدعوة والدولة السعودية، قائلاً: «لمَّا وَقَعَ منهم الغدر بإفسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في **الطين** [يقصد الدين]»[(٢)].

والحقُّ؛ أنَّه لم يكن ثمَّة غدر الْبَتَّه من قبل آل سعود وأهل الدعوة السلفية، وما وقع على وجه الحقيقة أنَّ تلك القبائل هي من تقدَّمت بِمِلءِ إرداتِها إلى آل سعود للدخول في سلك دولتهم، ومن لديه مسكَة من عقل أو شيء من الإدراك والفهم لتاريخ أئمة وملوك آل سعود يعلم أنَّه مِمَّا يتنافى مع مروءتهم ترك من طلب الانضمام إلى دولتهم، وأنَّه لا يمكنهم أن يتركوه أو يتأخروا عن مناصرته والدفاع عنه، وهو ما حصل.

فالخلاصة؛ أنَّك لن تجد ما يساعد زيني دحلان على تأكيد افترائه على دولة آل سعود الذين رماهم ـ بدافع الحقد والحسد الذي أكل قلبه ـ بالغدر ونكث شروط الصلح؛ بل إنَّ نَكْثَ الصلح جاء من الجهةِ الأخرى، وإليك الدليل:

---

(١) انظر: سير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠١). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٥).

جاء شهود العيان من الذين عاشوا تلك الفترة وعاصروها ليخبرونا بأنَّ شريف مكة غالب بن مساعد ومعه بقية من بعض أشرافها وأهلها كانوا في وقت الصلح يكيدون ويتآمرون على السعوديين، فقد ذهب بعض من أشراف مكة إلى الدولة العثمانية ليحرّضوها على حرب السعوديين، وهو ما أخبرنا به عبدالرحمٰن الجبرتي يوم قال: أنَّه في رمضان ١٢١٧هـ/ديسمبر ١٨٠٦م «**حضرت جماعةٌ من أشراف مكة وعلمائها هروباً من الوهابيين، وقصدهم السفر إلى إسلامبول [إسطنبول] يخبرون الدولة بقيام الوهابيين، ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرهم عليهم**، فذهبوا إلى بيت الباشا[١] والدفتردار[٢] وأكابر البلد، وصاروا يحكون ويشكون، وتنقَّل الناس أخبارهم وحكاياتهم»[٣].

وهذه أحد أساليب الدعاية الخارجية التي قام بها أشراف مكة وأهلها في تشويه الدولة السعودية الأولى وأتباعها، وتبعهم على هذا الأسلوب الدولة العثمانية؛ ولكن بطريقة أوسع وأتقن في التشويه والافتراء على الدولة السعودية[٤].

الحاصل؛ يأتي الجبرتي بشهادة أخرى على تواطؤ أشراف مكة

---

(١) باشا مصر وقتها هو محمد باشا، وهو سابقٌ لمحمد علي باشا الذي ستأتي أخباره. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/ ٣٧٠).

(٢) الدفتردار: هو بمثابة وزير المالية، ومقرّه (إسطنبول)، ويرتبط به دفتردار الولاية الذي هو من موظفيه الأدنى منه. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٨٣).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/ ٣٦٨).

(٤) كما سيأتي تبيانه في الفصل الثامن.

ضدَّ السعوديين، فيقول: أنَّه في شوَّال ١٢١٧هـ/فبراير ١٨٠٣م «**حضر أولاد الشريف سرور؛ هربوا من مكة خشية الوهابيين ليستنجدوا بالدولة** [العثمانية]»[(١)].

ـ انضمام عثمان المضايفي للدولة السعودية:

كان الشريف غالب ـ في أثناء تلك الحوادث ـ يحاول اللعب بأكثر من عصا، لكنَّه في النهاية ـ كما سيأتي بيانه ـ لم يخسر سوى عصاته، ففي الحين الذي كان يراسل الدولة العثمانية لتسانده ضدّ السعوديين، قام بإرسال صهره الأمير عثمان المضايفي (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)[(٢)] ومعه كبار الأشراف على هيئة وفدٍ إلى الدرعية للتفاوض مع آل سعود حول الوضع الجديد[(٣)].

فلما وصل المضايفي للدرعية وجد من القادة السعوديين ما جعله يطمئن إلى حسن نِيَّاتهم ويثق بهم[(٤)]**، وحينما عاد من الدرعية إلى**

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٠).

(٢) الأمير عثمان بن عبدالرحمن المضايفي: من ذوي عبدالرحمن الذين منهم (المضايفية) من قبيلة عدوان، كان من خاصَّة الشريف غالب بن مساعد بمنزلة وزيره. انظر: عبدالرحمن البهكلي «نفح العود» (٢٠١). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠) (٢٧٨) (٢٨٥) (٢٩١) (٣١٢) (٣٣١ ـ ٣٣٢) (٣٣٤ ـ ٣٣٥). D. G. Hogarth, Arabia, p. 102. وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٤/٢٠٨). وستأتي في الفصل التاسع أخبار المضايفي كاملة.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٥).

(٤) انظر: عبدالرحمن البهكلي «نفح العود» (٢٠١).

الحجاز اختلف مع الشريف غالب وانضمّ إلى الدولة السعودية وبايع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على السمع والطاعة[(١)]، فكان انضمام هذا الحليف القوي مكسباً عظيماً للسعوديين.

ولعلَّ ما دوَّنه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» يبين لنا سرّ محبة عثمان المضايفي لدعوة الشيخ ودولة آل سعود، إذ قال الشيخ عبدالرحمٰن: بأنَّ عثمان سمع جاسر الحسيني[(٢)] لمَّا حضر عند الشريف غالب مجاوراً، فسمع الشريف يسبّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فقال له الحسيني: «يا شريف، لك عليَّ معروف ما يوجب أن أنصح لك؛ لا تقل هذا في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، **فإنَّه قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد والظلم والضلال، فجمعهم الله تعالى به بعد التفرّق والاختلاف** وعلَّمَهم مكارم الأخلاق حتى ما ينبغي أن يقولوه في مخاطباتهم وما لا ينبغي أن يقولوه من الألفاظ المستكرهة، فاحذر أن تذكره بسوء»[(٣)].

فيبدو أنَّ المضايفي بعد أنْ سَمِعَ ذلك من الحسيني وذهب إلى الدرعية، ورأى مصداق ما قاله الحسيني، فاتَّخَذَ قراره بالانضمام للدولة السعودية ودعوتها السلفية.

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٣). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٣٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩).

(٢) مرَّ التعريف به في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣) عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٢٤).

وفي المقابل؛ ذكر المؤرّخ المكي أحمد زيني دحلان، المعروف بعدائه للسعوديين أتباع الدعوة، واصفاً حادثة انضمام المضايفي للدولة السعودية واقتناعه بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال: «إنَّ عثمان المضايفي صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبدالوهاب من **الطين**، ويُثني ويُرَغِّب في اتِّباعِهِ والدخول في **طينه**»[(١)].

المقصود؛ حصل بعد انضمام المضايفي للدولة السعودية، أنْ اتخذ المضايفي من فوره بلدة العبيلاء[(٢)] مركزاً له في رمضان ١٢١٧هـ/يناير ١٨٠٣م، وانضمت له القبائل التي كانت لا تميل إلى الشريف غالب[(٣)]، فهاجمه الشريف هناك بقواته الكبيرة، لكنَّ إمداداتٍ جاءت للمضايفي من القبائل التابعة للدولة السعودية، فزحف بها المضايفي على الطائف التابعة للشريف غالب، يعاونه في ذلك أمير بيشة سالم بن شكبان وأمير رنية مصلط بن قطنان[(٤)] والأمير ابن قرملة وأهل تربة ومنهم البقوم، فلمّا رأى الشريف غالب ـ الذي كان مرابطاً بالطائف ـ ما حصل وعاين تلك الجموع الجرارة، أُلْقِيَ في قلبِهِ

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦).

(٢) العبيلاء: قرية ومزرعة لقبيلة عدوان في أسفل (وادي ليَّة) في إمارة (الطائف) اليوم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١١٠٩). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٣٧/٢).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦).

(٤) الأمير مصلط بن قطنان: من قبيلة سبيع وأحد أشياخها. نقلاً عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٦٨)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٣١هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٦م (٢٧٧/٢).

الرُّعب فَفَرَّ هارباً منها إلى مكَّة، فتولاها السَّعوديون دون قتال[١].

أما ما قاله أحمد زيني دحلان[٢] وما اخترعه ـ هو ـ من حوادث في فتح أهل الدعوة للطائف، فما هو إلَّا من قَبيل ما تُصَوِّره له أحقاده في اختلاق حوادث لن تجد لها أصلاً في التاريخ سوى في خياله الخصب. **وكان فيلبي[٣] قد تابع افتراءات دحلان وكررها.**

ـ الاقتراب من مكَّة:

بينما كانت الحوادث تسير لصالح الدولة السعودية في نزاعها مع الشريف غالب، انضمت إليها منطقة عسير؛ التي برز فيها الزعيم عبدالوهاب بن عامر المتحمي متحمّساً للدولة السعودية الأولى[٤].

وبعد حوادث ومناوشات بين القوات السعودية وما تبقى من قوات الشريف غالب، استطاع سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن يضمّ جيش المضايفي إلى جيشه وأن يستلحق عبدالوهاب بن عامر المتحمي ليوافيه جهة القبلة/مكة، فعسكر سعود بجموعه خارج مكة بانتظار انتهاء موسم حج ١٢١٧هـ/أبريل ١٨٠٣م؛ حتى لا يُعرّض

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,748. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٨ ـ ٣٠٩). وعبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٥٨).

(٣) في كتابه «تاريخ نجد» (١٠٤).

(٤) كما مرَّ تفصيله هنا في أول هذا الفصل.

الأمير سعود أرواح الحجاج الأبرياء لأي خطر قد ينجم جَرَّاء دخوله مكة(١).

وهو ما شَهِدَ به مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان، حين قال: «وكانت كثرة الحجاج في هذا العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] هي السبب في تأخّر تلك الطائفة(٢) عن الوصول زمن الحج، ولله تعالى في كل شيءٍ حكمة»(٣).

- أمراء محامل الحجّ العثمانية وسلطان مسقط يساندون الشريف غالب:

في تلك الأثناء تحديداً؛ كان الشريف غالب قد عقد العزم على الاستعانة بأمير الحاج المصري وأمير الحاج الشامي لحرب الدولة السعودية(٤)، كما حاول استغلال وجود سلطان مسقط السلطان بن أحمد في مكة بموسم حج ١٢١٧هـ/أبريل ١٨٠٣م، ذلك السلطان الذي جاء إلى مكة خصِّيصاً لبحث سبل التعاون بينه وبين الأشراف في محاربة الدولة السعودية(٥)، وإليك ما قاله شهود العيان والمؤرخين عن ذلك:

---

(١) انظر: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٩). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٨). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٥٦١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٣٣).

(٢) يقصد السعوديين.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٤) انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٩). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣٢).

(٥) راجع ما سبق تبيانه في هذا الفصل في مبحث وصول حكم الدولة السعودية إلى إقليم عمان.

الشهادة الأولى: أَرَّخَ ابن بشر لهذا الحدث ـ وهو شاهد عيان على تلك الحوادث ـ فقال: «كانت الحواجّ الشامية والمصرية والمغربية وإمام مسكت[١] وغيرهم في مكة وهم في قوَّة هائلة العدد، فهمُّوا بالخروج على سعود والمسير إلى قتاله، ثمَّ تخاذلوا وفَسَدَ أمرهم وانصرفوا إلى أوطانهم»[٢].

أمَّا **الشهادة الثانية** فهي لمؤرّخ مكة **أحمد زيني دحلان** الموالي للأشراف والمناهض للسعوديين، حيث يقول: «في هذا العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] حجَّ إمام مَسْكَت سلطان بن سعيد[٣]، ولمَّا وصلت الحجوج[٤] كان أمير قافلة الحج الشامي عبدالله باشا العظم[٥] ومعه كثير من العساكر، وأمير قافلة الحجّ المصري ومعه كثيرٌ من العساكر، وكَثُرَت الناس بمكة واشتدَّ الزحام، ولم يُعلَم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام، وتراكَمَ الناس بعضهم على بعض حتى مُلِئَت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها، فلمَّا كان يوم التروية وَرَدَ الخبر أن سعوداً بجيوشه خيَّمَ [قريباً منهم] فحصل للناس خوفٌ ووَجَلٌ كثير، فلمَّا صَعدَ الحجاج للوقوف لم

---

(١) يقصد إمام مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي. وجرى عند المتقدّمين تسمية «مسقط» بـ«مسكت».

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٣) الصواب: سلطان بن أحمد البوسعيدي.

(٤) الحجَّاج.

(٥) عبدالله باشا العظم: والي الشام وقتها. وانظر عنه: صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني» (٩٠).

يجدوا أحداً من هذه الطائفة، فحجَّ الناس في أمنٍ وأمان»[١].

وعندنا شهادة ثالثة تفسّر ما سبق، يشهد بها **المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه Dr. C. Snouck Hurgronje** (ت: ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م)[٢] والذي كان متواجداً في مكة سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥م يوم كان دحلان لا يزال على قيد الحياة بمكة، فقال هورخرونيه: «كان ذلك في موسم الحجّ الذي ضمَّ في ذلك العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] الكثير من الحجاج المغاربة إضافةً لسلطان مسقط وكثير من الحجاج الآخرين، وقد قام الشريف غالب بآخر محاولة يائسة حين طلب من أميري المحمل الشامي والمصري تقديم المساعدة، لكنَّ الاثنين اكتفيا بتبادلٍ حَذِرٍ للرسائل مع الأمير سعود، وبذلك سحبا معهما آخر أملٍ للشريف في الحصول على المساعدة المطلوبة للقضاء على خصومه [السعوديين]»[٣].

وهذه شهادة رابعة نأتي بها من الوثائق الإنجليزية التي جمعها

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩) باختصار.

(٢) كريستيان سنوك هورخرونيه Dr. C. Snouck Hurgronje: مستشرق هولندي وُلِدَ سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م ومات سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م. دخل (مكة) سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م متسمِّياً بعبدالغفار، ومكث بها في (سوق الليل) خمسة أشهر، واضطرَّ إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحجّ لانكشاف أمره بكلماتٍ فاه بها وكيل قنصل فرنسا في (جُدَّة) في بعض المجالس. ألَّفَ كتابه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» بجزأيه أثناء إقامته في (مكة). انظر: شكيب أرسلان «عدوٌّ عاقلٌ لكنَّه شديد الخطر: سنوك هورغرونجه» مقالٌ نشره في مجلة «الفتح» المصرية، بتاريخ ٢٩ شوَّال ١٣٤٩هـ، السنة ٥، العدد ٢٤٣، (ص: ١٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٥/٢٢١).

(٣) كريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٦٥).

لوريمر Lorimer؛ فقد ذكر أنَّ السلطان سلطان بن أحمد البوسعيدي قام بالتواصل مع أشراف مكة الذين كانوا في هاتيك الأوقات في حربٍ مع السعوديين، ففي ذي الحجَّة ١٢١٧هـ أوائل ١٨٠٣م سافر السيد سلطان بن أحمد لأداء فريضة الحجّ، واجتمع بحكام مكة من الأشراف المعادين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والقائمين بالحرب على الدولة السعودية آنذاك، ووعدهم بالمحاربة إلى جانبهم ضدَّ السعوديين، **وقد أمدَّ سلطان بن أحمد أشراف مكة بالمال والعتاد، ويبدو أنَّه أمدَّهم أيضاً بفرقةٍ صغيرةٍ مزوَّدةٌ بالسلاح والذخيرة. وقد استاء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من فعل السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي في شؤون الحجاز، فأعلن عليه الحرب تارةً أخرى**[١].

وكأنما زيني دحلان يؤمِّن على وثائق لوريمر؛ فقد **شهد أحمد زيني دحلان مرة أخرى بأنَّ إمام مسقط سلطان بن أحمد قدَّمَ للشريف غالب في حجِّ ١٢١٧هـ/١٨٠٣م مدفعاً كبيراً ليحارب به الدولة السعودية**، وأنَّ غالب الشريف استفاد منه يوم استرجع مكة من قبضتهم سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م[٢]، كما سيأتي تبيانه قريباً.

وهنا **شهادة خامسة**، شهد بها شاهد عيان حضر أحداثاً كثيرة من تلك الوقائع وهو **الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي** (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م) الذي قال: «**وقد كان أمراء الحجيج** [أصحاب المحمل الشامي والمصري] **وأمير مكة تواطؤوا على قتال المسلمين**

---

(١) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٥٨٠).

(٢) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

وصدّهم عن البيت»[١].

ولدينا شهادة سادسة، وهي لمؤرّخ عاصر تلك الأحداث وهو **الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي** الذي ذكر في تاريخه بأنّه حضرت المكاتيب من الحجاز إلى مصر تخبرهم «أنَّ الوهابيين أحاطوا بالديار الحجازية، وأنَّ شريف مكة الشريف غالب تداخل مع شريف باشا[٢] وتداخل مع أمير الحاجّ المصري والشامي، وأرشاهم على أن يَتَعَوَّقوا معه أيّاماً حتى ينقل ماله ومتاعه إلى جُدَّة»[٣].

وعندنا **شهادة سابعة** لمعاصرٍ لتلك الأحداث كان موجوداً في ذاك الوقت والعهد، وهو **الضابط الفرنسي جان ريمون** Jean Raymond[٤] الذي أكَّد في مراسلاته لحكومته الفرنسية أنَّ الشريف غالب كان يطلب من أمير الحاج الشامي عبدالله باشا العظم المساعدة في حربه ضد السعوديين[٥].

وهو عين ما شهد به **الأمير شكيب أرسلان**[٦]، وهي الشهادة

---

(١) محمد هادي بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٢) شريف باشا: هو باشا جُدَّة من قِبَلِ العثمانيين.

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٨٨).

(٤) جان ريمون Jean Raymond: فرنسيٌّ عُيِّن برتبة ضابط مدفعية، كان يعمل لدى علي باشا (باشا بغداد) ما بين ١٢١٧ ـ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٢ ـ ١٨٠٧م، ثمَّ عمل ممثّلاً قنصلياً لفرنسا في بغداد سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٧/٣٩٥٣). ومقدمة خير الدين البقاعي لكتاب جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (١١ ـ ١٢).

(٥) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٣).

(٦) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين، =

الثامنة بحسب الترتيب، حين قال: «وكانت إذ ذاك قافلة الحجّ الشامي تحت إمرة عبدالله باشا [العظم] والي الشام قاربت البلد الأمين، فاستنصر الشريف غالب عبدالله باشا [العظم] على ابن سعود، فلم يقدر [العظم] أن ينصره لقلّة ما معه من القوة»[١].

* الدخول السعوديّ لمكّة المشرَّفة (الدخول الأول).

بعد انتهاء موسم حجّ سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٣م ورحيل الحجاج وقوافلهم إلى ديارهم، تحرك الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من العقيق[٢] ومعه جنوده من أتباع الدعوة ونزلوا المغاسل[٣]، فأرسل أهل مكة إلى الأمير سعود رسلاً من علماء مكة وأهل البيت النبوي، فتوجَّه الجميع إلى سعود في المَغاسل وطلبوا منه الأمان لجيران بيت الله الحرام وأنَّهم يدخلون في طاعته، فقال لهم: إنَّما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الأصنام والطواغيت ولا تشركوا بالله

= من أهل لبنان. له ترجمةٌ عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/١٧٣ - ١٧٥).

(١) تعليقات الأمير شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» (٤/١٦٣) للوثورب ستودارد.

(٢) العقيق: من قرى بني مالك في (الطائف). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١١٧٤ - ١١٧٥).

(٣) المغاسل: في (الطائف)، وهي (قرن المنازل)، وتُعرف اليوم بـ(السيل الكبير) وأهل نجد يسمّونه (المغاسل) لأنَّ الحاج يغتسل منه عند إرادته الإحرام؛ لأنه ميقات من المواقيت المكانية؛ وهو ميقات أهل (نجد) تلقاء (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٧١). وتعليقات عبدالرحمٰن آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٢٦٣).

الذي يحيي ويميت. وقال: عاهدتكم على دين الله ورسوله، توالون من والاه وتعادون من عاداه، والسمع والطاعة. فعاهدوه على ذلك، وأمر كاتبه أن يكتب كتاب الأمان[١].

ثمَّ تقدَّمَ سعود وأهل الدعوة السلفية وأحرموا من المغاسل بعمرة، حتى دخل سعود مكة المكرمة دخول المنتصرين من غير قتال في ٨ محرم ١٢١٨هـ/٣٠ أبريل ١٨٠٣م، بعد أن انسحب منها الشريف غالب وتوجَّه إلى جُدَّة، حاملاً معه خزائنه وذخائره وبعض متاعه وشوكته[٢].

هكذا دخلت مكَّة في حكم الدولة السعودية الأولى.

ـ الحكم السعودي لمكَّة:

عندنا شهادات من الوثائق الأجنبية ومِمَّن عاينوا الحدث وعاصروه، يصفون لنا حال مكة بعد أن تفيَّأت ظلال الدولة السعودية الأولى وتنعَّمت بدعوتها السلفية، ولكنَّه وصفٌ لن يستبين لك بهاؤه وروعته إن لم تكن لديك معرفة عن حالها قبيل أن يدخلها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فهذا وصف مؤرّخ كان حيّاً ومعاصراً لتلك الحوادث، وهو الشيخ الجبرتي الذي يخبرنا قائلاً: «كانوا[٣]

---

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١٥/٤ ـ ١٦). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٦٢/٥ ـ ٥٦٣).

(٢) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٢٩ ـ ٣٠). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٨٨/٣) (٣٩٧). والأمير حيدر الشهابي في كتابه «الغرر الحسان» (٣٨٦/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٣/١).

(٣) أي: حكّام مكّة الأتراك والأشراف.

خرجوا عن الحدود في ذلك، حتى أنَّ الميِّت يأخذون عليه خمسة فرانسة[١] وعشرة بحسب حاله، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرَّر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرَّب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن، وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشروبات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم؛ **فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلةٍ منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها، ويقولون: إنَّ سيِّد الجميع محتاج إليها،** فإمَّا أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإمَّا أن يُصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر»[٢].

وبعد أن علمنا حال مكة قبيل دخول سعود بن عبدالعزيز وجنوده السلفيين؛ فلنأخذ **الشهادة الأولى** عن حالها بعد ذلكم الدخول المبارك، **وهي شهادة لمؤرِّخ لا يتعاطف مع آل سعود في تأريخه،** وهو حسن بن جمال الريكي؛ المعاصر لتلك الحوادث والذي شهد بالحق فقال: «**فلمَّا دخل سعود مكة لم يتعرَّض أحداً من أهلها أبداً، بل أعطى كثيراً من فقرائها دراهم عديدة**»[٣].

وهذه **شهادة ثانية**، وهي من معاصرٍ آخر لتلك الحوادث وهو **البريطاني السير هارفرد جونز بريدجز Sir Harfard Jones**

---

(١) المقصود هو «الريال الفرنسي» وهي العملة المعروفة باسم «ريال ماريا تريزا» وتريزا هذه ملكة النمسا. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢١٥).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٨).

(٣) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٨٥).

Brydeges (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[١] الذي دوَّنَها وأرسلها لحكومته البريطانية، حيث يقول: «**خضعت مكة بعد ذلك لعبدالعزيز** [ابن محمد بن سعود] **الذي لم يقترف جنوده أيّ تجاوزات عند دخولهم المدينة المقدَّسة؛ لقد فُتِحَت المتاجر في اليوم التالي ودفع الجنود أثمان كل شيء اشتروه نقداً**»[٢].

أمَّا الشهادة الثالثة فنأتي بها من **الوثائق البريطانية**، التي تورد شهادة مسؤولي حكومتها في الهند البريطانية وفي العراق، قائلين عن الحكم السعودي لمكَّة ما يلي: «**أثناء إقامتهم**[٣] **في مكَّة - والتي لم تكن طويلة**[٤] **-، تصرَّفَ الوهابيون باعتدالٍ كبير، لقد كان إصلاح الوهابيين في مكة إصلاحاً ظاهراً في الآداب والأخلاق. وفي ظلِّ الحكم الوهابي؛ ساد الهدوء في ساحل البحر الأحمر، وأصبحت المؤن وفيرة والأسعار منخفضة**»[٥].

ولننظر في الشهادة الرابعة؛ وهي من شاهد عيان كتب ما شهده

---

(١) سير هارفرد جونز بريدجز Sir Harfard Jones Brydeges: أحد موظفي الحكومة البريطانية، عمل مُمَثِّلاً بريطانياً في الباشوية العثمانية في العراق في الفترة: ١٧٩٨ - ١٨٠٦م. كان شاهداً على الحروب بين الدولة السعودية الأولى وباشوية بغداد التركية. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣٩٠٥/٧) (٣٩٣٨).

(٢) سير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٥).

(٣) يقصدون السعوديين.

(٤) يقصدون الدخول السعودي الأول لمكَّة.

(٥) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,738-740.

بجثمانه وراه بعينه، وهو جوهان بوركهارت الذي قال: «جرت الحوادث في [ذي الحجَّة ١٢١٧هـ ومحرم ١٢١٨هـ] إبريل ومايو سنة ١٨٠٣م، ولا يزال المكيُّون يذكرون، عرفاناً بالجميل، الانضباط الممتاز الذي راعاه أولئك الوهابيون الأشدَّاء عند دخولهم مكة؛ **إذ لم يُرتكَب أيُّ تَعَدٍّ على حقوق الناس.**

وفي اليوم التالي فُتِحَت كلّ الدكاكين بأمرٍ من سعود، ودَفَعَ جنوده كل ما اشتروه، وأعلن سعود أنَّه كان في مقدوره أن يأخذ البلدة بهجوم كاسح منذ زمن، لكنَّه رَغِبَ في أن يَتفادى الفوضى والتجاوزات الَّتي قد تَحدث جَرَّاء ذلك.

وهكذا أصبح أهل مكَّة وهابيين؛ بمعنى أنَّهم اضطّرّوا إلى أن يحافظوا على الصلاة في أوقاتها أكثر مما سبق، وأن ينزعوا ملابسهم الحريرية الجميلة ويخفوها، وأن يمتنعوا عن التدخين علناً، وقد جُمِعَت أكوامٌ من الغلايين الفارسية/الشِّيَش من كلّ البيوت وأُشعِلَت فيها النَّار أمام مركز قيادة سعود، وحُرِّمَ بيع التبغ»(١).

«وعيَّنَ سعود عبدالمعين(٢) أخا غالب على رأس الحكومة

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٥٣» (٩١ ـ ٩٢).

(٢) الشريف عبدالمعين بن مساعد: كان أميراً على (الطائف) من قِبلِ أخيه الشريف غالب بن مساعد، وتركها بعد أن تولاها عثمان المضايفي، ثم تولى الشريف عبدالمعين حكم (مكة) نيابة عن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في الفترة التي فرَّ فيها غالب إلى (جُدَّة). انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٢ ـ ٩٣). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦). وكريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (١/٢٦٤ ـ ٢٦٦). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة» (١٩٢ ـ ١٩٣).

المَكيَّة، كما عيَّنَ عالماً من الدرعية اسمه ابن نامي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٨م)[١] قاضياً للبلدة، وكان هذا القاضي البدوي مستقيماً جداً لدرجة أنّ أحكامه أصبحت مضرب المثل تقريباً، ويقول المكيُّون الآن سخريةً من قاضيهم القسطنطينيّ المرتشي: (ها هو ابن نامي). وفي ذلك الوقت أُلْغِيَ الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة»[٢].

وشهد بوركهارت على السعوديين قائلاً: «**وعلامةٌ على حسن عقيدة الوهابيين أنَّ بعضاً منهم كانوا يُرَوْنَ في الحرم يبحثون عن أصحاب أشياء مفقودة وجدوها ويرغبون في إيصالها لهم**»[٣].

وقال بوركهارت واصفاً ما قام به السعوديون في مكة يوم دخلوها تحت إِمْرَةِ الأمير سعود بن عبدالعزيز: «ولم تبق في مكة قبَّة واحدة غير مهدَّمة على قبر أيّ عربي مشهور، بل لقد هُدِّمَت تلك التي كانت فوق مكان محمد [ﷺ]، وكان الوهابيون يقولون وهم يهدمونها: رحم الله من هدمها لا من بناها»[٤].

والشهادة الخامسة قريبة من وصف بوركهارت وشهادات مَنْ

---

(١) الشيخ عبدالرحمٰن بن نامي: عيَّنه الإمام عبدالعزيز قاضياً في بلدة (العيينة)، ثمَّ جعله سعود قاضياً على (مكة) سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، بعدها صار قاضياً على (الأحساء) وقت الإمام سعود بن عبدالعزيز وهناك قتله الأتراك بعد احتلالهم الأحساء. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٠١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٤) (٤٢٩ ـ ٤٣٠). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٣/٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٢).

(٣) المصدر السابق (٥٤).

(٤) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٢٠ ـ ٢١). باختصار.

قَبْله، جاء بها المؤرخ محمود فهمي المهندس (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٤م)[١] الذي قال: «**خرج وجوه أهل مكة وعُمَدها لملاقاة الوهابي والخضوع إليه وتسليمه مكة؛ لِمَا يعلمون جيداً ما لديه من حسن النظام، واعتمدوا على عدله في عدم ضررهم وخراب أملاكهم، وصدرت الأوامر في الحال من رئيس هؤلاء المنصورين للأهالي والسكان بفتح جميع دكاكينهم، وكل شيءٍ يطلبه العساكر يباع لهم ويُدفع ثمنه في الحال نقداً، ولا ريب أنَّ هذه الحركة هي رأس السياسة**»[٢].

ثمَّ قال المهندس: بأنَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «أمر في الوقت بهدم ما ينوف عن ثمانين قبَّة فاخرة البناء كانت على قبور ذراري الرسول ﷺ، وسوَّاها جميعاً بالأرض حتى القبة التي على قبر خديجة رضي الله عنها، **وأبطل جميع القهاوي[٣] والخمَّارات وجميع محلات المشروبات والمسكرات وكسر أوانيها وأراق مائعتها[٤]، وأمر بجميع الشِّيَش والجُوَز[٥] وعيدان الدخان وأحرقها بحضوره، وحرم شرب**

---

(١) محمود فهمي المهندس: مهندسٌ مصريٌّ، قائدٌ عالمٌ بالتاريخ. انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/ ١٨٠).

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٤).

(٣) المقاهي.

(٤) مائعتها: مَيْعَةُ السُّكْر. انظر: جمال الدين بن منظور «لسان العرب» مادة (مَيْع).

(٥) الجوز: جمع «جوزة»؛ نوع من أنواع الشيشة/ الأرجيلة، توضع سابقاً على وعاء شبيه بجوزة الهند، تُثَبَّت به أنبوبة معدنية جانبية وأخرى علوية ويوضع فيها التبغ للتدخين. وقد دخلت تلك العادات على العرب من قِبَلِ الأتراك والفرس. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات» =

الدخان والكُنْياك[١] وجازى شاربهما بأشدّ العقاب»[٢].

واستكمالاً لشهادة محمود فهمي المهندس نأتي هنا بما قرَّره جون ب. كيلي[٣] من خلال وثائقه البريطانية التي ذكرت بأنَّ السعوديين «أغلقوا المقاهي ومنعوا تدخين النارجيلة[٤] والحشيش، كما أضرموا النار في بيوت الدعارة، وفرضوا عقوبات مشدَّدة على المدخنين والمعاقرين للخمر»[٥].

ولنأخذ الشهادة السادسة من الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي ـ وهو ممن عاين الحدث ـ، حيث يقول: إنَّ الإمام سعود «بذل الأمان لأهل الحرم الشريف وبثَّ فيهم العدل والإحسان والرَّشاد، وعلى التوقير لهم والإجلال وبَذْل الفضل والجود، وحلَّقوا

= (٥١٦). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢١٣). ومحمد أحمد دهمان «معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي» (١٣).

(١) نوع من أنواع الخمور، سُمِّيَ على مدينة تقع في جنوب غرب فرنسا تحمل نفس الاسم اشتهرت بإنتاجه Dictionnaire Francais- Arabe, Librairie du Liban Publishers.. .

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٥).

(٣) جون ب. كيلي: مؤرّخ بريطاني، حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٥م من جامعة لندن في تخصص الوجود البريطاني في الخليج العربي، وقد شغل كيلي منصب رئيس قسم البحوث لمعهد دراسات الكومنولث بجامعة أكسفورد. انظر: مقدمته لكتابه «بريطانيا والخليج».

(٤) النارجيلة: بالفارسية. هي ذاتها الشيشة والجوزة. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٥١٦).

(٥) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٦٠).

على مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) وفي كتاب (كشف الشبهات) وغيرهما، وظهر فيهم محبَّة الدين والاعتراف أنَّه الحق والصدق والصواب»[(١)].

ثم تأتينا **الشهادة السابعة** من مؤرّخ عاصر تلك الحوادث وهو **الشيخ عثمان بن بشر** الذي وصف ذلك الدخول المبارك، فقال: «أعطى [سعود بن عبدالعزيز] الأمان لأهل مكة، وبذل فيها من الصدقات والعطاء شيئاً كثيراً، ولمَّا خرج سعود وأهل الدعوة من الطواف والسعي، فرَّق أهل النواحي يهدمون القباب التي بُنِيَت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيءٌ كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، فأقام فيها عشرين يوماً، ولبث أهل الدعوة في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون؛ يباكرون إلى هدمها كلّ يوم، وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يَبْقَ في مكة شيءٌ من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً»[(٢)].

أما **الشهادة الثامنة** فهي من مؤرّخ مكة **أحمد زيني دحلان** الذي شهد بذلك على طريقته الخاصة في التهكّم والسخرية من السلفيين فقال: «فما أصبح الصبح [الثامن من الشهر المحرَّم ١٢١٨هـ/الثلاثون من أبريل ١٨٠٣م] إلا وهم[(٣)] سارحون بالمساحي لهدم القبب، فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد[(٤)]

---

(١) محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦٣) بتصرف يسير.

(٣) أي السلفيون السعوديون.

(٤) هذه من أكاذيب دحلان.

ومآثر الصالحين[١] فهدموا ما في المعلاة من القبب فكانت كثيرة، ثمَّ هدموا قبة مولد النبي ﷺ ومولد سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ومولد سيدنا عليّ رضي الله عنه وقبَّة السيدة خديجة رضي الله عنها. وتَتَبَّعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين، وهُم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل[٢] ويُغنّون[٣] وبالغوا في شتم القبور التي هدموها[٤] وقالوا: إن هي إلا أسماء سمَّيتموها، حتى قيل إنَّ بعض الناس بال على قبر المحجوب[٥].

وفي اليوم السادس من أيام إقامته[٦]؛ نادى مناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام؛ فكان يصلّي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كلّ

---

(١) يقصد بمآثر الصالحين: القبب والمقامات التي تُؤتى عندها الأعمال الشركية.

(٢) هذا من أخاطيل دحلان؛ فلم يكن أهل الدولة السعودية يستخدمون ضرب الطبل، ولن تجد في المصادر النجدية ومصادر أهل الجنوب - ومن أرَّخ للسعوديين - من يذكر أنهم يضربون الطبل خصوصاً في الحرم.

(٣) قِس على هذا ما ورد في الهامشة السابقة، ولا يُتصوَّر ذلك لمن قرأ تاريخ أهل الدعوة وعرف مسلكهم وحالهم.

(٤) لن تجد في كتابات علماء الدعوة ومؤرخي الدولة السعودية من شتم أو سبّ صاحب قبر أثناء دخولهم مكة أو أثناء غيرها من الحوادث، وهذه من افتراءات أحمد زيني دحلان التي لا حصر لها ضدَّ أهل الدولة السعودية الأولى.

(٥) طُفْ على كلّ مصادر أهل نجد التي عاصرت تلك الحوادث ومن جاء بعدهم بقرن أو يزيد، لن تجد أثراً لتلك الأخاطيل التي يجيء بها دحلان، والتي تفرَّدَ بها هو وحده وردَّدها من بعده ببغاوات المتصوِّفَة.

(٦) يقصد: إقامة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

راكع وساجد، وأمر أن يصلّي بالناس الجمعة المفتي عبدالملك القلعي[١].

وفي اليوم الثامن أمر [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **أن يأتيه الناس بالشِّيَشِ وآلات اللهوِّ ذوات الأوتار، وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار»**[٢].

ثمَّ أظهر زيني دحلان ما في صدره تجاه عقيدة آل سعود ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤلَّفاته النافعة، فقال: «**ثمَّ أمر** [سعود بن عبدالعزيز] **علماءَ مكة أن يدرسوا بعقيدته التي ألَّفها محمد بن عبدالوهاب وسمَّاها (كشف الشبهات) ووضع فيها شيئاً من الكفريات**[٣] **فقرؤوها ورأوا ما فيها من التلبيس الذي هو من وساوس إبليس**[٤]**، ولم يقدروا على الإنكار»**[٥].

ولنترك **جوهان بوركهارت** ينقض أكاذيب دحلان الأخيرة الخاصة بنشر كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مكة، وكيف استقبله المكِّيون، يقول بوركهارت: «**وإذا تطلَّب الأمر دليلاً آخر على أنَّ الوهابيين مسلمون محافظون، فإنَّ كتبهم توضّح ذلك،**

---

(١) هو مفتي مكة وقتها. انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٩).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٢).

(٣) كتاب كشف الشبهات وغيره من كتب الإمام المجدّد قائمة على نصوص الكتاب والسنَّة، وهي ميزة في سائر كتبه ورسائله.

(٤) تأمَّل كيف نزغته أخاطيله الصوفية ليصف ما في كتاب «كشف الشبهات» من نصوص القرآن والسنَّة على أنَّها من وساوس إبليس.

(٥) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

فحينما استولى سعود على مكة وزَّع نسخاً من تلك الكتب على السكان وأمر أن يحفظها التلاميذ في المدارس العامة، وليس فيما احتوته إلا ما لابدّ لكل تركيّ من أن يعترف بأنَّه الحقّ»[١].

المهم؛ فلنترك وصف دحلان الذي ذكر فيه ما هو صدقٌ ملبّس بأكاذيبه وافْتِرَاءَاتِهِ، ونأخذ هذه الشهادة؛ وهي - بحسب الترتيب - **الشهادة التاسعة** من رحالة ومستشرق هولندي كان في مكة ودحلان لا يزال حيّاً موجوداً فيها؛ وهو **كريستيان سنوك هورخرونيه** (ت: ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م) الذي أرَّخ لدخول سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود والسلفيين معه إلى مكة من خلال ما استقصاه من أخبار تلك الحادثة، فقال هورخرونيه: «وفي [الثامن من محرم ١٢١٨هـ] نهاية نيسان [أبريل] من العام نفسه [١٨٠٣م] دخل الأمير سعود المدينة المقدَّسة باحتفالٍ بهيج؛ حيث قَدَّمَ الشريف عبدالمعين وعلماء المدينة البيعة للأمير الجديد، الذي ألقى خطبة أمام الجماهير المحتشدة. **هكذا كان لسيف الأمير الجديد الفضل الأكبر في العودة إلى منابع الدين الأصيل**.

وفيما تلا ذلك من أيام كان أهل مكة يمدّون يد العون للحاكم الجديد ليقوم بتحطيم وإزالة كلّ القباب المقامة والمزارات والقبور **وجمع كافة غلايين التبغ وكذلك الآلات الموسيقية التي كُوِّمَت ثمَّ أُحرِقَت**. وقد **مُنِعَت ألفاظ التمجيد البدعية كافَّة؛ سواء في الدعاء أثناء الصلاة أو في أيِّ مناسبة أخرى**. وقد **كان على سكَّان المدينة المغرورين بعلمهم أن يُصَحِّحُوا كثيراً من أمور دينهم ويتعلَّموا من**

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧).

هؤلاء القادمين الجُدُد»[١].

ثمَّ تأتينا **الشهادة العاشرة والأخيرة** من شاهد عيان وواحد من أبطال تلك الواقعة، وهو **الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب**، الذي أتى بما عاينه من دخول معاشر السلفيين إلى مكة مع أميرهم سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٢]، فلنرخِ السمع لهذا الوصف من الشيخ عبدالله الذي قال فيه: «لمَّا منَّ الله علينا ـ وله الحمد ـ بدخول مكة المشرَّفة نصف النهار يوم السبت في ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ [١٠ مايو ١٨٠٣م]، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود [بن عبدالعزيز] الأمان، وقد كانوا تواطؤوا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدُّوه عن البيت، فلمَّا زحفت أجناد الموحدين؛ ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرَّقوا شذر مذر كلّ واحدٍ يَعُدّ الإياب غنيمة. **فبذل الأمير** [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **حينئذٍ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا وشعارنا التلبية آمنين محلّقين رؤوسنا ومقصّرين غير خائفين من أحدٍ من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين.**

ومن حين دخل الجند [السعوديون] **الحرم، وهم على كثرتهم مضبوطون متأدّبون؛ لم يَعضدوا به شجراً ولم يُنفِّروا صيداً ولم يُريقوا دماً إلا دم الهَدي أو ما أَحَلَّ الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع.**

---

(١) كريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٦٦).

(٢) كان سعود بن عبدالعزيز أميرهم ولم يكن إمامهم بعد؛ لأنَّ والده الإمام عبدالعزيز مازال حيّاً وقتها.

ولمَّا تمَّت عمرتنا، جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه؛ وهو: إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، وعرَّفهم أنَّه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين، أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة، وأنَّ الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ، واستمرّ دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك قبل أن تُفرض عليه أركان الإسلام الأربعة. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يَبْقَ عندهم إلا اسمه وانمحى أثره ورسمه.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً، وبايعوا الأمير [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **على الكتاب والسنَّة، وقَبِلَ منهم وعفى عنهم كافَّة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقَّة، ولم يَزَل يرفق بهم غاية الرفق، لا سيَّما العلماء،** ونقرّر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا: أدلَّة ما نحن عليه ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق.

وعرَّفناهم: بأنْ صرَّح لهم الأمير حال اجتماعهم قابلون ما وضَّحوا برهانه من كتاب أو سنَّة أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم، أو عن الأئمة الأربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث.

وعرَّفناهم: **أنَّا دايرون مع الحقِّ أينما دار وتابعون للدليل الجلي الواضح، ولا نبالي حينئذٍ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا، فلم ينقموا علينا أمراً، فألحَّينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقي لديهم شبهة، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين، فرددناها بالدلايل القاطعة من الكتاب والسنَّة حتى أذعنوا، ولم يبق منهم شك ولا**

ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنَّه الحقّ الجلي الذي لا غبار عليه.

وحلفوا لنا الأيمان المغلَّظة من دون استحلافٍ لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم: أنَّه لم يبق لديهم شكّ في أنَّ من قال: يا رسول الله ﷺ أو يا ابن عباس أو يا عبدالقادر أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شرّ أو جلب خير من كل من لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ من شفاء مريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك؛ أنَّه مشرك شركاً أكبر يُهدر دمه ويبيح ماله وإن كان يعتقد أنَّ الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى وحده، لكنَّه قصد المخلوقين بالدعاء متشفّعاً بهم ومتقرباً بهم لتُقضى حاجته من الله بسرِّهِم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ.

وأنَّ ما وُضِعَ من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تُقصَد لطلب الحاجات ويُتَضَرَّع عندها ويُهْتَف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى.

وبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يُعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويُرجى النفع والنصر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم يَبق في تلك البقعة المطهرة طاغوت يُعبد، فالحمد لله على ذلك.

ثم رفعت المكوس والرسوم وكُسِّرَت آلات التِّنباك[1] ونُودي

---

(١) التُّنْباك: من الكلمة الفرنسية Tabac وتعني: التَّبغ، وقد دخلت الكلمة إلى التركية عن الإيطالية بصيغة «تنباكو» بفتح التاء، ودخلت العربية بصيغة «تُنْباك» بضمّ التاء، وعليه يوضع تبغ النرجيلة، ومن ثَمَّ سُمِّيَ تبغ النرجيلة بالتُّنْباك. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٧٩). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢١٣). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٨).

بتحريمه وأُحرِقَت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور، ونُودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرُّق في ذلك؛ بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمامٍ واحدٍ.

واجتمعت الكلمة حينئذ وعُبِدَ الله وَحدَه وحَصَلَت الألفة وسَقَطَت الكُلْفة واسْتَتَبَّ الأمر من دون سَفكِ دَمٍ ولا هَتكِ عِرض ولا مَشقَّة على أحد»[١].

ـ رسالة سعود بن عبدالعزيز إلى السلطان العثماني:

في العاشر من محرم ١٢١٨هـ/٣ مايو ١٨٠٣م كتب الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالة إلى السلطان العثماني سليم الثالث قال له فيها:

«من سعود إلى سليم، أما بعد.

فقد دخلتُ مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨هـ [السادس والعشرون من أبريل ١٨٠٣م]، وأمَّنتُ أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدَمتُ ما هناك من أشباه الوثنية، وألغيتُ الضرائب إلا ما كان منها حقاً، وثبَّتُّ القاضي الذي وَلَّيْتَهُ أنتَ طبقاً للشرع، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والأبواق والطبول والزُّمور إلى هذا البلد المقدّس، فإن ذلك ليس من الدين في شيء... وعليك رحمة الله وبركاته»[٢].

---

(١) من رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب لأهل مكة، ضمن «الدرر السنية» (١/٢٢٨ ـ ٢٤١) باختصار.

(٢) انظر نصّ الرسالة عند: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٨ ـ ٣٩).

في أثناء ذلك كانت حكومة السلطان العثماني قد أرسلت إلى مصر في محرم ١٢١٨هـ/أبريل ١٨٠٣م عدَّة تقارير يرافقها سلاح وذخيرة وجملة من العسكر وصحبتهم إبراهيم آغا[١] الذي حضر من إسطنبول صحبة العسكر، فحملوا السلاح والذخيرة وطلَّعوها إلى القلعة[٢]، وكان يقال: إنَّها متوجِّهةً إلى جُدَّة لحرب ابن سعود[٣].

ـ الشريف غالب يستعيد مكَّة:

خلال تلك المدَّة كان الشريف غالب في جُدَّة يراسل سعود بن عبدالعزيز ويطلب الصلح ويبذل المال، وغرضه في الحقيقة أن يحصِّنَ جُدَّة ويحمل ما فيها من السفن، ومع تفطّن سعود بما يريده الشريف غالب، رحل سعود عن مكة واستعمل فيها أميراً هو الشريف عبدالمعين بن مساعد، وَوَضَعَ في القلعة التي بمكة مئتين من أهل بيشة وجعل عليهم فهيد بن شكبان[٤] أميراً عليهم، فأرسل كتاباً إلى أهل جُدَّة مع علي بن عبدالرحمن[٥] يطلب

---

(١) إبراهيم آغا: كان كاشف (الشرقية) في مصر عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م، وكان قد توجَّه إلى إسطنبول تحريضاً على حرب السعوديين. انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٢).

(٢) القلعة: (قلعة صلاح الدين) الكائنة في (جبل المقطَّم) في (القاهرة). انظر: تقي الدين أحمد المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٣/٦٣٨ ـ ٦٤٨).

(٣) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٩).

(٤) فهيد بن شكبان: أخو الأمير سالم بن شكبان الرمثين. انظر أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

(٥) علي بن عبدالرحمن: أخو عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

منهم الدخول في طاعته، فأبوا[١].

وعلى إثرَ ذلك نازَلَ سعود جُدَّة وحاصرها أياماً فوجدها محصَّنة بسورٍ حصين وخندقٍ دونها فرحل عنها عن حكمة وسياسة لا من قلَّة وذلَّة[٢]، ثمَّ رتَّبَ جنداً من عِندِهِ في قصرٍ من قصورِ مكة ورجع قافلاً إلى الدرعية[٣].

وبعد أنْ غادر سعود بن عبدالعزيز بقواته من الحجاز، عزم الشريف غالب في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول ١٢١٨هـ/١٢ يوليو ١٨٠٣م على القدوم من جُدَّة إلى مكة، وعلى إخراج من فيها من أتباع ابن سعود، فتوجَّهَ من جُدَّة ومعه الوزير العثماني شريف باشا صاحب جُدة وكثير من عساكر الترك والجنود الأعاجم[٤] وثلاث مدافع، منها مدفع كبير أهداه له إمام مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي ليستعين به الشريف غالب في حربه ضدَّ السعوديين[٥].

وَصَلَ غالب الشريف إلى مكة في جمادى الآخرة ١٢١٨هـ/أكتوبر ١٨٠٣م ونزل بالزاهر، ثمَّ أرسل عساكر الترك والعبيد من عنده وأحاطوا بقلعة أجياد[٦] التي فيها حامية لسعود، وترَّس جنود

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٤). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

(٢) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦٣).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣/٤٦).

(٥) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

(٦) أجياد: (أجياد الكبير) و(أجياد الصغير) وهما موضعان بمكة يلي (الصفا). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٩ ـ ٦٠).

غالب الشريف البيوت التي تلي القلعة وحصروا أتباع ابن سعود أشدَّ الحصار، فدخل الشريف غالب مكة ومعه شريف باشا ولم ينازعه الشريف عبدالمعين، وكان عبدالوهاب بن عامر المتحمي ومن معه من الجنود السعوديين في برجٍ من أبراج أجياد، فثوَّرَت عليهم الجنود الأتراك التي مع غالب بالمدافع، لكنَّ السعوديين صمدوا رغم قوَّة ضرب المدافع وتفجير الألغام التي زرعها غالب تحت البرج، عندها طلب غالب مدفعاً كبيراً من جُدَّة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيراً، فلما وصل المدفع تواصل ضربه بالقنابل على من في البرج ضرباً عنيفاً هدَّم أجزاءً كبيرةً منه، فلمَّا أعيا السعوديين الصمود طلبوا الأمان مقابل التسليم، فأعطاهم غالب الشريف الأمان واستأجر لهم جمالاً يركبونها للخروج من مكة[١].

ويذكر محمد العجيلي وهو الذي كان حيّاً أثناء تلك الحوادث، بأنَّ شريف مكة لمَّا عاد وأخذ مكة لوَّثها مع علمائه «بالشرك وأدران المعاصي، وعكفوا على الإلحاد والظلم الذي يعرفه كل دانٍ وقاصٍ، **وشيَّدوا البناء على القبور، ولم يزالوا يهتفون بمعابدهم، وجدَّدوا كبائر الذنوب من المظالم والمكوس**»[٢].

ويذكر الجبرتي أنَّه في جمادى الآخر ١٢١٨هـ/أكتوبر ١٨٠٣م **«تحقَّق الخبر بجلاء الوهابي [ابن سعود] عن جُدَّة ومكَّة ورجوعه إلى بلاده، وأنَّ الشريف غالب رجع إلى مكة وصحبته شريف باشا، ورَجَعَ**

(١) انظر: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣١). وجان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

(٢) محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظلّ الممدود» (٤٠).

كلّ شيءٍ إلى حاله الأوَّل، وردَّ المكوس والمظالم»[١].

- حكومة السلطان العثماني ترسل التعزيزات العسكرية للشريف غالب:

يخبرنا الجبرتي أنَّه من بعد ما استولى غالب على مكة قامت الدولة العثمانية في ٢٥ شوَّال ١٢١٨هـ/٧ فبراير ١٨٠٤م بعمل ديوان وإصدار فرمان أوصلته إلى مصر، تطلب فيه من أمراء القاهرة أن يجهِّزوا أربعة آلاف عسكري ويسفِّروهم إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، وأن يرسلوا ثلاثين ألف أرْدَبّ[٢] غلال إلى الحرمين، وأنَّهم وجَّهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر، وكذلك وجَّهوا أحمد باشا الجزَّار (ت: ١٢١٩هـ/١٨٠٤م)[٣] ليستعدّ لمحاربة

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤١٥/٣) باختصار.

(٢) إردَبّ: من المكاييل، معروفٌ بمصر، سِعَتَه ٢٤ صاعاً. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (١٣).

(٣) أحمد باشا الجزار: البوشناقي (نسبة إلى إقليم البوسنة). وُلِدَ سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م، ولمَّا بلغ من العمر ست عشرة سنة خان أخاه بامرأته، وعلَّق عبدالرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» (١٢٧/١) قائلاً: «فما أقبحه وما ألعنه، وذلك لما كان مطبوعاً من فساد الطبيعة ومخالفة الملَّة والشريعة». فهرب بعد فعلته تلك إلى (إسطنبول) فترقَّى حتى وصل بالغدر والمكيدة إلى أن يتولى (عكَّا). كان سفَّاكاً للدماء غدَّاراً مجبولاً على القسوة والغلاظة، يقول عنه البيطار (١٢٧/١ - ١٢٨): «قليل الرحمة عديم الإسلام، مطبوعاً على الفسوق والآثام، لا يتقيّد بشرع». ويقول الجبرتي: «سمّوه بالجزار لكثرة قتله الأنفس، ولا يفرِّق بين الأخيار والأشرار». انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٢٠/٣) (٤٦٦/٣) (٥٠٨ - ٥١٠). وانظر أخباره عند: الأمير حيدر أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٤٠٨/٢). وميخائيل الدمشقي «تاريخ=

الوهابيين[(١)].

ويقول الأمير حيدر بن أحمد الشهابي (ت: ١٢٥١هـ/١٨٣٥م)[(٢)] أيضاً: بأنَّ السلطان العثماني أرسل كل هذه التعزيزات «ليمحي آثار الوهابي من تلك البلاد»[(٣)].

ـ الشريف غالب يستولي على الليث:

من خلال الشهادة المهمة التي ساقها الجبرتي والأمير الشهابي قبيل قليل، نفهم كيف تيسَّر فيما بعد للشريف غالب أن يجهّز حملة بحرية وبرية من عِنده إلى الليث[(٤)] التي كانت قد دانت بالولاء إلى الدولة السعودية الأولى[(٥)]، وكانت تلك الحملة العسكرية مكوَّنةً من جنودٍ أتراك وبعض من جنود الشريف غالب.

وبالرغم من أنَّ أهل الليث سلَّموا للجنود الأتراك وجنود غالب الشريف، **إلَّا أنَّ القائد التركي خَوزَقَ ثلاثة من أهل الليث ظلماً**

= ميخائيل الدمشقي» (١٤ ـ ١٥) (١٧ ـ ٢١). وميخائيل مشاقة «مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان» (١٥٣ ـ ١٩١).

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٣٦/٣).

(٢) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي: مؤرّخ، من الأمراء الشهابيين بلبنان. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٩٠/٢).

(٣) الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» (٣٩٣/٢).

(٤) اللِّيث: وادٍ في الجنوب الغربي من الحجاز. وهناك بلدة (اللِّيث) على مصبّ ذلك الوادي جنوب (جُدَّة) بحوالي ٢٠٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٤٨١).

(٥) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٣٧).

وعدواناً؛ **فجعل لكل واحدٍ خازوقاً**[١] **وأجلسه عليه، فَقُتِلُوا ظلماً وفجوراً**[٢].

وما مضى ثلاثة أيام أو أربعة على هجوم الترك وجنود غالب على الليث حتى هجمَ السعوديون بأربعة آلاف مقاتل جاؤوا لنجدة أهل الليث، فوقع القتال وكانت ملحمةً عظيمة سقط فيها القتلى من الجانبين وانتهت بهزيمة السعوديين، ووقع أثناء تلك المقتلة حادثة بشعة مقيتة، وهي **أنَّ الجنود الأتراك أخذوا يقطعون رؤوس أتباع ابن سعود ويجمعونها، ثم حشوها بالتبن وأرسلوها إلى الشريف غالب في مكة، فأمر غالب أن تُعلَّق رؤوس (الوهابيين) خارج البلد ليراها الناس، فهرع الناس ينظرون إليها**، هكذا قال المؤرخ المكي أحمد زيني دحلان حين أرَّخ للحادثة بابتهاجٍ وفرح[٣].

وهذا العمل الذي قام به الأتراك ضد السعوديين، والذي ابتهج به أحمد زيني دحلان، تمثيلٌ شنيع نهى عنه الإسلام نهياً شديداً ويُعَدّ خزياً وعاراً لفاعله[٤].

---

(١) الخازوق: لفظٌ من أصلٍ تركي (قازيق) أي الوتد، وهو عمود مدبَّب كانوا يُجلسون عليه من يُحكم عليه بالإعدام، فيدخلوه في دُبُرِ الرجل ليموت موتاً بطيئاً أليماً بنزيف الدَّم، وتُمَزِّقُ عورته وأمعاؤه، ويكون طوله أكثر من ٧٠ سم. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٤٠٠). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٦).

(٢) هذه شهادة أحمد زيني دحلان في «خلاصة الكلام» (٣٦٧)، مع أنه متعاطف مع الحملة وأتراكها، ومناهض في الوقت ذاته لأهل الليث الذين دانوا بالولاء لآل سعود.

(٣) أحمد زيني دحلان، المصدر السابق (٣٦٧).

(٤) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣/٤٦). والحقُّ أنَّ قطع=

ـ أخلاق الجنود العثمانيين في الحجاز:

يخبرنا المعاين لتلك الحوادث وهو المؤرخ الشيخ محمد العجيلي: بأنَّ من كان مع الشريف غالب من الجنود الأتراك وباشات جدة وينبع وتوابعهم من العجم وغيرهم من الذين هاجموا بلدة الليث؛ «**قد تواترت الأخبار بأنَّ فيهم: اللواط**[1] **وشرب الخمور وأنَّ الرايات منصوبة على أبواب البغايا**»[2]، ثمَّ أكَّدَ العجيلي قائلاً: «**وذلك عندهم معروفٌ معهود**»[3].

ويشهد على ذلك المؤرّخ كرايتون المعاصر لتلك الحوادث،

= الرؤوس من شرائع الترك وطبائعهم، فهم فعلوا مثل ذلك بأهل دمشق يوم احتلوها في القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي. انظر: محمد بن طولون «مفاكهة الخلّان» الجزء الثاني المسمّى «تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني» (١٢٦). وعدَّد ابن إياس في «بدائع الزهور» الجزء الخامس: حوادث قطع رؤوس المصريين على يد الترك العثمانيين، شبيهةٌ بما صنعه الترك بأهل (الليث).

(١) اللواط شائعٌ عند الترك حتَّى من قبل احتلالهم لبلاد العرب، يقول المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) في كتابه «درر العقود المفيدة» (٤٥١/١): «إنَّ الزنا واللِّياطة وشرب الخمر وأكل الحشيشة عندهم فاشٍ ظاهر». قاله المقريزي عن الترك في بلادهم يوم ترجم للسلطان بايزيد بن مراد بن أورخان. وستأتي شواهد على ذلك في الفصل السابع والتاسع.

(٢) وقد أثبتنا (في الفصل الأول) على أنَّ سلاطين الترك العثمانيين قد فرضوا الضرائب على فروج البغايا، وهذا الأمر رسميٌّ عندهم لا يستنكرونه. وسيأتيك (في الفصل العاشر) تبنّي الأتراك العثمانيون للبغاء ورعايتهم للعاهرات وحرصهم على مرافقة المومسات والراقصات لعساكرهم التركية أثناء الحروب.

(٣) محمد بن بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٤٣).

وهو الذي ذكر أنَّ المدن المقدَّسة إبان حكم الترك ذاك الوقت كانت ملوَّثة بالرذائل[١].

والحقُّ أنَّه لا مجازفة إطلاقاً في كلام المؤرِّخ العجيلي والمؤرخ كرايتون، **فالوثائق شهدت بذلك على الترك العثمانيين؛ فإنَّهم يوم أسقطوا ـ فيما بعد ـ الدولة السعودية الثانية وحُكْمها في الأحساء، قام متصرف الأحساء التركي بتسيير السفائن من العراق العثماني، حاملةٌ معها أكداساً من صناديق الخمر وسائر المسكرات، كما كانت السفائن تُسَيَّر من بغداد إلى الأحساء حاملةً أعداداً هائلةً من البغايا والمومسات والعاهرات، تجلب كل ذلك إلى عساكرهم التركية في الأحساء**[٢].

ـ ردّ الفعل السعودي على جريمة الليث:

بعد تلك الجرائم المقيتة التي ارتكبها الشريف غالب ومن معه من الأتراك في حقّ السعوديين من أهل الليث، أمر الإمام سعود[٣] بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في سنة **١٢١٩هـ/١٨٠٤م** ببناء قلعةً في وادي فاطمة[٤] وجعل فيها عسكراً يضيِّقوا على الشريف غالب ويرصدوا حركاته العسكرية لِتَتِمّ محاصرته في مكة وتطويقه في جُدَّة

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٢٣).

(٢) انظر توثيق ذلك بوثيقتين بريطانيتين أوردهما: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم في كتابه «أمراء وغزاة» (ص١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) أصبح سعود إماماً بعد اغتيال أبيه الإمام عبدالعزيز سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وستأتي أخبار اغتيال الإمام عبدالعزيز في الفصل السابع.

(٤) وادي فاطمة: هو (مرُّ الظهران) قديماً، وهو بمنطقة (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٥٥٦ ـ ١٥٥٧).

ومن يوالونه في المدينة النبوية[(١)]، فتوجَّهت جنود سعود إلى ينبع البحر[(٢)] في ربيع ثاني ١٢١٩هـ/يوليو ١٨٠٤م ليستولوا عليها[(٣)] ويمنعوا ما يمكن أن ترسله الدولة العثمانية من مساعدات للشريف من تلك الجهات، **خصوصاً وأنَّ شريف مكة ما زال يستنجد بالدولة العثمانية ضدَّ السعوديين**[(٤)].

ثمَّ سيَّرَ سعود قائده «عبدالوهاب بن عامر المتحمي أمير ألمع وعسير ونواحي تهامة ليقصد جُدَّة محارباً لها [في ١٠ شوال ١٢١٩هـ/١٢ يناير ١٨٠٥م] بأمرٍ من الإمام سعود، وتوجَّهت أوامر سعود على من في جهته من أهل الخبت والحجاز لينفروا مع عبدالوهاب بن عامر، فنزلوا السعدية[(٥)] وهم نحو ستة آلاف مقاتل، فلمَّا تحقَّقَ الشريف غالب عن حاله أرادَ أن يبغت عبدالوهاب بن

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٧١/٣). محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٣/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٤/١).

(٢) ينبع البحر: مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهي ميناء لـ(المدينة النبوية)، تقع شمال (جُدَّة) على بُعد ٣٥٤ كلم وعن (المدينة النبوية) ٢٥٠ كلم غرباً عن طريق (بدر). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٦٩ ـ ١٨٧٠).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,751.

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٨٢/٣). وعبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي «تاريخ نجد» (١٧٠).

(٥) السعدية: محطة للحاج في أسفل (وادي يلملم) على بعد ١٠٠ كلم جنوب (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨١٢).

عامر في مكانه قبل أن يأتي إليه أهل النواحي المذكورين، فجهَّزَ غالب الشريف العساكر الكثيرة التي قيل إنَّها عشرة آلاف رجل، وسار من مكة بعساكره وجنوده وقَصَدَ عبدالوهاب على السعدية، فمرَّ بطريقه برجال مرابطين من عسير وغيرهم وهم أربعون رجلاً، فقتلهم غالب، ثمَّ سار إلى عبدالوهاب **فالتقى الجمعان واقتتل الفريقان، فحمل عبدالوهاب وقومه على الشريف وجنوده فولَّوا الأدبار، فتبعتهم رجالات عسير من ساقتهم يقتلون ويغنمون ويأخذون من سلاح المدبرين ولباسهم وما معهم، وكثيرها يُرمى به في الأرض، وترك الشريف ثقله ومدافعه وزهبته وسلاحه واستولى عبدالوهاب ومن معه عليها كلّها**، حتى قيل: إنَّ البنادق التي جُمِعَت ألفان وخمسمئة بندق، والقتلى أكثر من ستمئة قتيل؛ أكثرهم من الأتراك والأمداد التي عنده من الدولة العثمانية، عندها رجع غالب الشريف إلى مكة وقفل عبدالوهاب بن عامر إلى وطنه بعد هذا النصر والغنيمة»[(١)].

ـ منع السعوديون لقافلة الحجّ الشامي:

في ١٢٢٠هـ/١٨٠٦م شدَّد الإمام سعود الحصار على الشريف غالب بمكة، ومنع ما يأتيه من اليمن والمدينة النبوية والشام، وسدَّ عليه طرق الحجاز وتهامة ونجد[(٢)].

ومن بعد إحكام قبضة الحصار على مكة بعث الإمام سعود

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٣ ـ ٢٨٤) بتصرف واختصار.

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.

أمراءه الثلاثة الكبار، وهم: عبدالوهاب بن عامر المتحمي ومَنْ معه مِنْ رجال ألمع وعسير وتهامة، وسالم بن شكبان ومَنْ معه مِنْ أهل بيشة ونواحيها، وعثمان المضايفي ومَنْ معه مِنْ بادية الطائف والحجاز، **وأَمَرَهُم بالمسير إلى الشريف غالب الذي عاهدَهُ وأَمَّنَه ثم غَدَر الشريف ونكث العهد**، فساروا إليه وضيَّقوا عليه أكثر من ذي قبل[١]، ثمَّ أمرهم سعود أن ينتظروا قافلة الحاج الشامي وأن يمنعوه من دخول مكة إن كان محارباً[٢]، خصوصاً وأنَّ الدولة العثمانية قد أرسلت أربعة قادة عسكريين من قِبَلِها ليرافقوا أمير المحمل الشامي القويّ، وجهَّزتهم لحرب السعوديين، وهو الأمر الذي شهد به وأرَّخ له بالتفصيل الأمير حيدر الشهابي الذي كان شاهد عيان على تلك الأحداث[٣].

لا بدَّ أَنَّ أخبار تلك التجهيزات العسكرية التركية لقافلة الحاج الشامي قد بلغت الإمام سعود، فمن الطبيعي - بل ومن العقل والحكمة - أن يمنع الإمام سعود قافلة الحج الشامي المدجَّجة

---

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٧٥).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١١٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٥). D. G. Hogarth, Arabia, p.103.

(٣) انظر: الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» (٢/٤٣٤). أما ما ذكره الشهابي وتابعه الكثيرون بنقلهم منه عن حوادث تقول بأنَّ السعوديين (الوهابيين كما يلقبهم الأعداء آنذاك) قد أخذوا أموالاً من الحاج الشامي بشكلٍ مبالغ فيه، وأنه حدثت مقتلة وغير ذلك، فلا دليل تاريخي عليه أَلْبَتَّه، وانظر إن شئتَ: تعليقات الشيخ أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٣) لجان ريمون، فقد نقضها الظاهري بأدلَّةٍ منطقية.

بالسلاح والعساكر، وإن كانت تريد الحجَّ فلترجع عساكرها إلى الشام أولاً وهكذا كان.

الدخول السعوديّ لمكّة المشرَّفة (الدخول الثاني).

لـمَّا اشتدَّ الأمر على غالب الشريف وبلغ منه الجهد طلب الصلح من عبدالوهاب المتحمي على أن يبايع الشريف غالب الإمام سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، فصالحوه وأمهلوه **ومشت السوابل والقوافل إلى مكة**[١]، **فدخلها عبدالوهاب بن عامر المتحمي، ودخل معه الأمير عثمان المضايفي والأمير سالم بن شكبان ومن معهم، وحجّوا واعتمروا وعليهم هيبة عظيمة جداً، والناس في مكة ينظرون إليهم بجلالة ومهابة**، ثمَّ اجتمع عبدالوهاب المتحمي بالشريف غالب وفاوضه الحديث وتهادوا، وأعرض السعوديون عن محمل الحاج الشامي وغضّوا طرفهم عنه (سياسةً وبُعد نظرٍ منهم) بعد أن كانوا منعوه قبل ذلك، فدخل محمل الحاج الشامي وأدَّى حجَّه، وكان رئيس الحاج الشامي هو عبدالله باشا العظم[٢].

ثمَّ أرسل غالب إلى سعود طالباً إتمام الصلح والمبايعة فأجابه إلى ذلك، «وكان حامل كتاب الصلح من الإمام سعود هو **الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر** الذي تحرَّك بذاك الكتاب من الدرعية حتى وصل إلى جُدَّة حيث الشريف غالب، وكان مع ابن معمَّر عشرون

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٥/١). ومطلق بن صالح «مخطوطة: شذا الند في تاريخ نجد» (الورقة: ٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٦/١).

رجلاً، فأعطى ابن معمَّر كتاب الصلح للشريف غالب، ثمَّ صعد ابن معمَّر المنبر في مسجد عكاشة[١]، وخطب بالمسجد المذكور خطبة بليغة تدور حول إخلاص العبادة، ثمَّ حذَّرَ من ترك الصلوات وأمر بأدائها في المساجد، ونهى عن شرب الدخان وعدم بيعه وتعاطيه بحالٍ من الأحوال، كما أمر بهدم القباب التي على القبور، وأمر بالحضور إلى المساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فامتثل الناس هذا كلّه، فصار الناس لا يرون الدخان لا استعمالاً ولا بيعاً، وصارت المساجد تزدحم بالمصلين، وهُدِمَت القباب التي على القبور، وصار الناس يحضرون لسماع الدروس».

هذه رواية عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام، رواها[٢] بسنده عن وجيه الحجاز محمد حسين نصيف، وهي عينها رواية أحمد زيني دحلان[٣]، لكنَّ دحلان صاحب فجور وافْتِرَاءات، ورجلٌ يرمي السعوديين بالتهم الباطلة، فجاءت رواية ابن بسام عن نصيف رواية خالية من الألفاظ النابية.

على أنَّ البسام الآخر، وهو المؤرّخ عبدالله بن محمد البسّام

---

(١) مسجد عكاش: أو «عكاشة» لا فرق. وسمَّاه عبدالله البسام في «تحفة المشتاق» (ص٢٥٧) باسم «مسجد عكَّاس» والصواب أنه «مسجد عكاش». وهو الكائن بمدينة (جُدَّة) في (شارع الذهب) قريب من حيّ (الخاصكية)، (والخاصكية تعني باللغة التركية: عِلّيَة القوم). انظر: تقرير بعنوان «مسجد عكاش شاهدٌ على تاريخ جُدَّة» عن صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) بتاريخ: ٢١ ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ ٢٦ سبتمبر ٢٠١٣م. وحول مصطلح (الخاصكية) انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٦).

(٢) في كتابه «علماء نجد» (١٢٦/٢ ـ ١٢٧).

(٣) رواها في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[١] قام في كتابه «**تحفة المشتاق**»[٢] بنقل رواية دحلان مع تغيير بسيط في الكلمات وبقاء المعنى الذي أراده دحلان، وهذا من عجائب كتاب «**تحفة المشتاق**» الذي ينقل كثيراً من روايات دحلان التي امتلأت بالتشكيك والهمز واللمز.

وقريبٌ من ذلك يفعل **الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمٰن** في مواضع كثيرة من كتابه «**الدولة السعوية الأولى**» الذي ينقل أكاذيب **دحلان** من كتابه «الخلاصة»، وينقل من **الريكي** في كتابه «لمع الشهاب» ومن **عثمان بن سند** في كتابه «مطالع السعود»؛ دون أن يردّ على أكاذيبهم، بل ينقلها ويؤمّن عليها في أحيانٍ كثيرة!، وذلك أمرٌ عجيب لا يتفق والبحث العلمي المجرّد من الأهواء؛ الذي يُثبِتُ لصاحبِهِ: أَنَّ ما أورده (**دحلان وابن سند**) أكاذيب لا تتفق وواقع تلك الحوادث.

ـ المدينة النبوية تدخل في الحكم السعودي:

قبل صلح غالب بقليل كانت المدينة النبوية قد أعلنت ولاءها للدولة السعودية على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، **فهُدِّمَت** القباب التي كانت بالمدينة هناك على القبور والمشاهد[٣].

---

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حمد البسّام. من أهل (عنيزة). تاجرٌ مؤرِّخ، تنقَّل بين (نجد) و(جُدَّة) و(الهند) وغيرها. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسّام «علماء نجد» (٤/٤٢٦ ـ ٤٣٠).

(٢) في (ص: ٢٥٧ ـ ٢٥٨) منه.

(٣) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P;733. وانظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٠١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٨).

وهو الأمر الذي شهد به الجبرتي فقال: «وردت الأخبار بأنَّ الوهابيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، **ودخلها الوهابيون ولم يُحدِثوا بها حدثاً غير منع المنكرات وشرب التنباك في الأسواق وهدم القباب ما عدا قبة الرسول ﷺ**»[(١)].

وهو ما أكَّدَهُ جون ب. كيلي حين قال: «استسلمت المدينة للسعوديين في شهر أبريل، وتمَّ تعيين حاكم وهابيّ، كما بُدِئَ في تطبيق تعاليم الوهابية بمنتهى الصرامة، غير أنَّ الوهابيين لم يمسّوا ضريح الرسول [ﷺ] بسوء»[(٢)].

وشهد الضابط الفرنسي جان ريمون المعاصر لتلك الحوادث في تقريره الذي بعثه من بغداد إلى حكومته الفرنسية، حيث قال فيه: «لمَّا دخل الوهابيون مكة المكرمة والمدينة المنورة عاملوا السكان معاملة حسنة، ويبدو أنَّ أهل المدينة المنورة يكِنُّونَ لهم إعجاباً حقيقياً»[(٣)].

وقد حاولت الحكومة العثمانية أن تشوِّه سمعة السعوديين وقالت إنَّ سعوداً منع الناس من زيارة المدينة[(٤)]، **وهذا كذب وافتراء من الأتراك**، فإنَّ أحد السياسيين المعاصرين لتلك الحوادث وهو السير هارفرد جونز بريدجز كان يرسل لحكومته البريطانية ما ينفي كذب الحكومة العثمانية على السعوديين، حيث قال بريدجز: «**لقد أكَّد الباب**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٤٩/٣).

(٢) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١٦٧/١).

(٣) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٦ ـ ٣٧).

(٤) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م (٣٨/١).

العالي أنَّ سعوداً منع الناس من زيارة المدينة، ولكنَّ ذلك غير صحيح، حيث إنَّ الذي منعه سعود هو فقط الصلوات والهتاف الموجَّه إلى القبر لأنَّ ذلك من أعمال الوثنية»(١).

كما نقض تلك الأكذوبة المستشرق بوركهارت وهو شاهد عيان، حيث قال: «ومن الخطأ التأكيد ـ كما فعل الأتراك ـ على أنَّ الوهابيين حرَّموا الحجَّ إلى المدينة»(٢).

ـ أسباب منع الإمام سعود لمحامل الحاجّ الشامي والمصري:

حجَّ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالسعوديين حجَّته الثالثة سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، وكان قد اعتمد خطَّة في صدِّ محامل الحجّ التي تحمل كسوة الكعبة من قِبَل الشام ومصر والتي يصاحبها أمير الحج الشامي وأمير الحج المصري التابعان للعثمانيين(٣)، وكانت تلك المحامل ـ بطبيعة الحال ـ مدجَّجة بالعساكر والسلاح(٤)، وهذا الأمر فيه خطورة كبيرة فيما لو استعان بها غالب الشريف ضدَّ السعوديين.

---

(١) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٩).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٥). وعلَّقَ عبدالله العثيمين على كلام بوركهارت في هامش الصفحة ذاتها قائلاً: الذهاب إلى (المدينة النبوية) لزيارة مسجد الرسول ﷺ لا يُسمَّى حجّاً، ولعلَّ كون الحجاج، خاصةً الأتراك، يزورون المدينة في رحلتهم لأداء الحجّ قد جعل بوركهارت يظنّ الزيارة حجّاً.

(٣) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P,733. P,741.

(٤) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٨).

فكانت خطة الإمام سعود أنْ سَيَّرَ أمامه قبل خروجه من الدرعية **عبدالوهاب بن عامر المتحمي برجالات عسير وألمع** وغيرهم، وأصحبه **فهاد بن سالم بن شكبان برجالات بيشة** ونواحيها[(١)]، ومعهم **عثمان المضايفي برجالات الطائف** ونواحيه **وأهل اليمن وتهامة وأهل الحجاز**، ثمَّ سيَّرَ أمامه من أهل نجد **حجيلان بن حمد**[(٢)] **بشوكة أهل القصيم، وسيَّرَ محمد بن عبدالمحسن بن علي**[(٣)] **بشوكة أهل جبل شمَّر وشوكة أهل الوشم، وواعدهم الإمام سعود المدينة النبوية، وانضاف إليهم مسعود بن مضيَّان**[(٤)] **ورجالات من قبيلة حرب**[(٥)]، **ومعهم جابر بن جبارة**[(٦)] **ورجالاته.**

فاجتمعت تلك الجموع السعودية فنزلت قرب المدينة، فراسلهم

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥).

(٢) حجيلان بن حمد آل عليَّان أمير (بريدة) وقتها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (١/١٤٨ ـ ١٤٩) (١٥٧) (١٦٠) (٢٠١) (٢٠٤) (٢٤٠) (٢٧٨) (٢٩١) (٣٤١) (٢٨٥) (٣٦٣) (٤٣٨). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٥٢٠ ـ ٥٢٧).

(٣) هو محمد بن عبدالمحسن بن فايز بن علي أمير بلد (حائل) و(الجوف) وقتها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧٨) (٣٦٣).

(٤) مسعود بن بدوي بن مضيَّان: من أمراء قبيلة حرب. انظر عنه: محمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٥).

(٥) قبيلة حرب: القبيلة المعروفة المشهورة. تنقسم اليوم إلى فرعين هما: بنو سالم ومسروح. قاله: حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (ص: ١٤٩).

(٦) جابر بن جبارة (الشريف). انظر عنه: سهيل صابان «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» (٢٩).

سعود وهو في طريقه لمكة يأمرهم بمنع محامل الحجّ التي تأتي من جهة الشام وإسطنبول ونواحيهما.

فلمَّا أقبل على المدينة محمل الحاج الشامي ومن تبعه وأميرهم عبدالله باشا العظم، أرسل إليه الأمراء السعوديون أن لا يَقْدِم إليهم وأن يرجع إلى أوطانه[(١)].

وكان هذا التصرف من تلك الجموع السعودية لأنَّ الإمام سعود خشي أن يستعين الشريف غالب بتلك المحامل الشامية فيُحدِث على السعوديين الحوادث بمكة[(٢)]، خصوصاً وأن للشريف غالب سابقة في استعانته بتلك المحامل في حربه ضد الدولة السعودية[(٣)].

وقد شهد زيني دحلان بأنَّ «قافلة الحجّ الشامي وصلت في الثامن من ذي القعدة ١٢٢١هـ [١٧ يناير ١٨٠٧م] وكان أميره عبدالله باشا العظم ومعه قوَّة زيادة عن المعتاد، وكان معه نحو ألف وخمسمئة خيَّال»[(٤)].

وشهد على ذلك أيضاً شاهد عيان حضر تلك الحادثة؛ وهو دومنغو باديا الشهير بعلي باي العباسي الإسباني ;Domingo Badia

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,741.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٣) راجع ما أوردناه في هذا المبحث لشهادات من عاينوا الحدث وعاصروه على طلب الشريف غالب من أمير المحمل الشامي أن يساعده ضد آل سعود.

(٤) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٧٨).

Ali Bey (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[١] بأنَّ أمير الحجّ الشامي عبدالله باشا العظم كان آتياً ومعه قوة عسكرية من الجنود والمدفعية، فأمره السعوديون أن يتركها جانباً لو أراد الحجّ، فرفض وعاد من حيث أتى[٢].

وشهد بذلك أيضاً ميخائيل الدمشقي (١٢٥٧هـ/١٨٤١م)[٣] وهو شاهد عيان على تلك الحقبة[٤].

وقد حصل الأمر نَفْسُهُ مع المحمل المصري في جمادى الآخرة ١٢٢١هـ/أغسطس ١٨٠٦م على اختلافٍ بسيط[٥]؛ وهو أنَّ المحمل

---

(١) علي باي العباسي الإسباني: اسمه الحقيقي دومنغو باديا لبليخ Domingo Badia Leblich، جاسوس إسباني، رجَّح البعض بأنه جاسوس لملك إسبانيا كارلوس الرابع Carlos IV وهناك من رجَّح أنَّه جاسوسٌ لنابليون الفرنسي. جاء إلى المغرب في مهمة تجسسية سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ومنها توجَّه إلى طرابلس فقبرص واليونان وفلسطين ثم مصر وصولاً إلى الحجاز وهي المحطة التي تهم بني جلدته. ويرى دي غوري: بأنه رحَّالة يهودي، وأنَّ الإنجليز اعتبروه أفضل صديق لهم. انظر: جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤). والعباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مرَّاكِشْ وأَغْمَات من الأعلام» (٢٣٨/٩).

(٢) انظر: دومنغو باديا «رحلة إسباني في الجزيرة العربية» (١٦٢).

(٣) ميخائيل الدمشقي: نصراني من الروم الكاثوليك من أهل دمشق، وهو أحد موظفي الحكومة في تلك المدينة، كتب كتابه هذا على هيئة تقارير أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية كتقرير اطِّلاع. انظر: مقدمة التحقيق لأحمد غسان سبانو لكتاب «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٧).

(٤) انظر: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٣).

(٥) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P,733. P,741.

المصري جاء بموسيقاه وطبوله ومزاميره، وفي طريقه استوقف السعوديون أمير المحمل المصري كما يقول الجبرتي: «**قال له الوهابي: ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم؟. يشير بذلك القول إلى المحمل، فقال له: جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج. فقال له الوهابي: لا تأتوا به بعد هذه المرة، وإن أتيتم به مرة أخرى فإنّي أكسره**»(١).

وعندنا شهادة من شاهد عيان، وهو بوركهارت الذي كان موجوداً في مكة ذاك الوقت، حيث قال: «ويبدو أنَّ الوهابيين قد تصرَّفوا على أساسٍ دينيٍّ برفضهم السماح لقوافل الحجاج بالمرور عبر أراضيهم؛ ذلك أنَّهم كانوا يعلمون أنَّ الجنود الذين يرافقون تلك القوافل لن يحاولوا القيام بأيَّة إجراءات عِدائية في بلاد يمكن أن تُقطَعَ فيها إمداداتهم وتعزيزاتهم فوراً، **لكنَّ الحجاج المكوِّنين لتلك القوافل كانوا يتصرَّفون دائماً بطريقةٍ مشينةٍ جداً، فزعماؤهم يرتكبون أسوأ الرذائل علناً، ومراسم الحجّ ذاتها أصبحت ملوّثة بتصرفات الحجاج الرديئة، لدرجةِ أنَّ الوهابيين الذين أصرّوا منذ زمنٍ طويل على إصلاح تلك المساوئ قرَّروا إنهاء مجيء تلك القوافل**»(٢).

وقد أظهر الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعمله هذا بدون شك أنَّ شؤون الديار المقدَّسة من اختصاصه وحده لا من اختصاص سلطان تركيا العثمانية(٣).

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨/٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٩).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٨).

- دخول الإمام سعود لمكّة المشرَّفة (الدخول الثاني):

سار أمراء وقادة الدولة السعودية، الذين ذكرنا تحرّكهم قبيل قليل، فوافوا الإمام سعود بمكة، فاعتمروا وحجّوا على أحسن حال، **وشاهد الحجاج منظر السعوديين وهم يؤدّون الحجّ تلفّهم الهيبة وتحيطهم المهابة، وأثناء ذلك كلّه كان سعود يبذل في مكة أشياء كثيرة من الأعطيات والصدقات**[١].

يذكر دومِّنغو باديا وهو شاهد عيان عن الجيش السعودي وما صنعه بمكة وقتها، فقال: «يجب التنويه بحسن السير والنظام وانسيابه وتكامله، وهذا سهَّل ضبط هذه الجموع الغفيرة من البشر، **فأكثر من ألفي امرأة اختلطت بهذا الحشد الذي لا حدَّ له، ومع ذلك لم يتسببن في أدنى فوضى، ومع وجود أربعين أو خمسين ألف بندقية إلا أنَّه لم يُسمع أكثر من صوت طلقةٍ واحدة خرجت غير بعيدة مِنِّي، وفي الحال جاء زعيم وهابي موبّخاً الذي أطلقها قائلاً له بقسوة ممزوجة بالحنان: لماذا أطلقتم النار؟ هل جئنا إلى هنا للحرب؟**»[٢].

ثمَّ أخرج سعود من كان في مكة وقصورها من عساكر الأتراك، ثم كسا الكعبة كسوة فاخرة. ومن بعدها توجَّه سعود للمدينة النبوية فدخلها وضبطها أتمّ ضبط، وأجلى عنها **باشا الحرم المدعو عنبر**[٣]،

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٢).

(٢) دومينغو باديا «رحلة أسباني في الجزيرة العربية» (١٧٢).

(٣) هو الخصيُّ عنبر؛ من المخصيِّينَ العاملين في المسجد النبوي. كان موكلاً به حراسة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ، ثمَّ اتُّهِمَ ظُلماً من قِبَلِ حاكم (المدينة النبوية) حسن قلعي التركيُّ بأنَّه سرق مقتنيات الحجرة الشريفة. انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٩).

وأجلى قاضيها وكل مَنْ كان فيه ريبة(١).

هكذا أصبحت الحجاز كلها جزءاً من الدولة السعودية الأولى، فارتفعت بذلك هيبة الدولة السعودية الأولى في الأقطار الإسلامية، إذ أصبح الحرمان الشريفان في يدها، وهي الدولة السلفية التي تعمل على منع كل ما من شأنه مخالفة تعاليم الإسلام(٢).

ثمَّ أَمَّرَ الإمام سعود، فيما بعد، على المدينتين المقدَّستين من يَأْمُر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فلا يُشرب التنباك في أسواقها. وجعل على أسواق مكة والمدينة من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت؛ فكان إذا أذَّن المؤذِّن دار النوَّاب في الأسواق وهم يقولون: الصلاة الصلاة(٣).

ويأتينا الجبرتي بشهادة على ما قام به السعوديون وعلى رأسهم الإمام سعود في دخولهم الثاني لمكة، فيقول: «**وأمر [سعود] بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة، وترك لبس الحرير والمُقَصَّبَات، وإبطال المكوس والمظالم، وترك ما أُحدِثَ في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمَهَمَّات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل**

---

(١) انظر: دومِّنغو باديا «رحلة إسباني في الجزيرة العربية» (٢٧٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٩٩/٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٢/١).

(٢) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٦/١ ـ ١٣٧).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٦/١).

والمناداة والطواف والنذر والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال، وباقي الأشياء التي فيها شِرْكَة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية، فهُدِمَت القباب المبنية على القبور والأضرحة.

فعند ذلك أَمِنَت السُّبُل وسُلِكت الطرق بين مكة والمدينة، وبين مكة وجُدَّة والطائف، وانْحَلَّت الأسعار وكَثُرَ وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال»[١].

- نقض الفرية التي تقول: إنَّ ابن سعود رجف بالحرم في دخوله الثاني لمكَّة:

لمَّا ظهر من يكذب ويفتري على السعوديين[٢] بأنَّهم رجفوا أهل الحرم حين دخولهم إلى بيت الله الحرام في تلك السنوات، فجاءت شهادة الحجَّاج المغاربة للمؤرِّخ الجبرتي لتردَّ تلك الفرية، حيث قال الجبرتي: في سنة **١٢٢٢هـ/١٨٠٧م** «**وصل حجاج المغاربة إلى مصر عن طريق البرّ، وأَخْبَروا أنَّهم حجّوا وقضوا مناسكهم، وأن مسعود الوهَّابي**[٣] **وصل مكَّة بجيش كثيف وحجَّ مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار**، وأنَّه هدم القباب؛ كقبَّة آدم وقباب ينبع

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٨ ـ ٩).

(٢) أعني العراقي عبداللطيف بن عبدالمحسن الصحَّاف، كان معاصراً للدولة السعودية الثانية وسوّد ورقات يكذب فيها على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) يقصد: سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

والمدينة وأبطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع»(١).

وهي ذات الفرية التي نقضها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ نقضاً مبيناً حين قال: «فلا يخفى أنَّ الذي جرى في الحرمين من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو هدم القباب التي أُسِّسَت على معصية الله ورسوله وصارت من أعظم وسائل الشرك وذرائعه، وكسَّروا آلات التنباك وسائر المنكرات، وألزموا الناس المحافظة على الصلوات في الجماعات، ونهوا عن لبس الحرير، وألزموهم بتعلم أصول الدين والالتفات إلى ما في الكتاب والسنَّة من أدلة التوحيد وبراهينه»(٢).

ويخبرنا الجبرتي بأنَّ الإمام سعود كان صارماً في محاربته للبدع والخرافات التي تقع في الحجاز بمقدم المحمل الشامي الذي ترسله الحكومة العثمانية إلى مكة، فيقول الجبرتي: بأنَّه في آخر محرم ١٢٢٢هـ/أبريل ١٨٠٩م «وَرَدَ الخبر بأنَّ ركب الحاج الشامي رجع من منزلة هدية(٣) ولم يَحُجّ في هذا العام، وذلك أنَّه لمَّا وصل إلى المنزلة المذكورة أرسل الوهابي [الإمام سعود] إلى عبدالله باشا [العظم] يقول له: لا تأتِ إلَّا على الشرط الذي شرطناه عليك في

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٤/٤).

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «الاتحاف في الردِّ على الصحَّاف» ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١٢).

(٣) هدية: كانت محطة للجمال ثمَّ صارت محطة لسكة الحديد في (وادي الطَّبق). تقع المحطة على ١٦٩ كلم شمال (المدينة النبوية) بينها وبين (العلا). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٢٨ ـ ١٨٢٩).

العام الماضي [١٢٢١هـ/١٨٠٨م]؛ وهو أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع، **فلمّا سمعوا ذلك رجعوا من غير حجّ، ولم يتركوا مناكيرهم**»[١].

ولا تعجب إنْ رأيتَ المؤرّخ العراقي ياسين خير الله العمري[٢] **ـ وهو موالي للترك العثمانيين ـ يرى في منع السعوديين للطبول والمزامير بموسم الحجّ على أنها من خرافات آل سعود**، إذ يقول هذا المؤرّخ العراقي في تاريخه: أنّ «الوهابيّ تعاقد مع الحاج عبدالله باشا [العظم] على ألّا يُشرب التّتن[٣] ولا النرجيلة وأن لا يكون معهم محمل ولا طبول ولا زُرنا[٤]، وأمثال ذلك من خرافتهم»[٥]. **هكذا يرى هذا المؤرّخ العراقي ذلك المنع المحافظ على قدسية الحجّ بأنّه خرافة!.**

ولكننا لا نعدم أهل الإنصاف الذين يتحرّون الحقائق، فهذا **المؤرّخ المصري الجبرتي** يدلي بشهادةٍ يردّ بها على من افترى على السعوديين بأنّهم منعوا الحجّاج أن يصلوا إلى البلد الحرام، فقال الجبرتي سنة ١٢٢٣هـ/١٨١٠م بالنصّ: «ومنها انقطاع الحجّ المصريّ

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٨٣).

(٢) مرّت ترجمته في الفصل الثالث في مبحث تفشّي الشرك في العراق.

(٣) التّتِنْ: بالتركية «تُوتُون» وتعني: التبغ والدخان. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٧٨).

(٤) زُرْنا: كلمة تركية الأصل، تكتب «زُورْنا»، وتعني: مزمار. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٨٣).

(٥) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (١٠٧).

والشاميّ، مُعتَلِّين بمنع الوهابي الناس عن الحج، **والحال ليس كذلك، فإنَّه لم يمنع أحداً من الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل: المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفةٌ من حجاج المغاربة، وحجّوا ورجعوا في هذا العام وقبله ولم يتعرَّض لهم أحدٌ بشيء»**(١).

وشهد شاهد عيان وهو **المستشرق بوركهارت** قائلاً: «عرفتُ في حلب سنة [١٢٢٣هـ] ١٨١٠م رجلاً من أهل تلك البلدة، فأخبرني أنَّه أدَّى الحجَّ سنوياً خلال السنوات الستّ السابقة عن طريق القاهرة والقصير(٢) بدون أيَّة مضايقات»(٣).

ويأتينا **المؤرخ المغربي أحمد بن خالد الناصري السلَّاوي** (ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) بشهادة من شاهد عيان؛ وهو صاحب الجيش الذي رافق المولى إبراهيم(٤) في رحلته إلى الحجِّ سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م،

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٧).

(٢) القُصَير: ميناءٌ مصريٌّ على البحر الأحمر. وهو اليوم في (قسم البحر الأحمر) بمصلحة الحدود المصرية. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٢٧١/٤).

(٣) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,755. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٩).

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم ابن السلطان سليمان سلطان المغرب الأقصى. انظر عنه: أحمد السلَّاوي «الاستقصا» (١٢٠/٨).

ووصف حال السعوديين وكيف كانوا يحكمون مكة وما هي حقيقة الإشاعات التي يثيرها أعداء دعوتهم السلفية، فقال: «**حدَّثنا جماعٌ وافرةٌ مِمَّنْ حجَّ مع المولى إبراهيم في تلك السنة** [١٢٢٦هـ/١٨١١م] **أنَّهم ما رأوا من ذلك السلطان** [يعني ابن سعود] **ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا مِنْهُ ومِنْ أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام؛ مِنْ صلاةٍ وطهارةٍ وصيامٍ ونهيٍ عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تُفعل بهما جهاراً من غير نكير، وذكروا أنَّ حاله** [يعني الإمام سعود] **كحال آحاد الناس لا يتميَّز عن غيره بزيّ ولا مركوب ولا لباس**»[١].

وقد كلَّف سلطان المغرب شاعره الشيخ الأديب أبا الفيض حمدون بن الحاج[٢] أن يكتب قصيدة ويسلّمها للإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م، وهي تدلّ على ما تمتَّع به الحرمان الشريفان تحت ظلّ حكم الدولة السعودية الأولى وتنسف الأكاذيب التي يشيعها أعداء آل سعود بأنَّهم منعوا الناس من الحج... يقول شاعر السلطان:

لا شيء يمنع مِنْ حجٍّ ومعتَمَرٍ ... وَزَوْرَةٍ تُكمِل المأمول مِن حَرَم
إذ عاد درب الحجاز اليوم سالكه ... أهْنَا وآمَنُ مِنْ حَمامة الحَرَم
مُذ لاحَ سعودٌ ماحياً بِدَعاً ... قد أحدثتها ملوك العُرْبِ والعَجَمِ
إعلم (سعودُ) وُقيتَ الرّدى بقيتَ بَدْر ... لبوسا أيّ ردا من السَّنا العممِ
إنْ قمتَ فينا بأمرٍ لم يقم أحد ... به فَجُوزيتَ ما يُجزاه ذو نِعَمِ

(١) أحمد الناصري السلّاوي «الاستقصا» (١٢١/٨).

(٢) مرّت ترجمته في الفصل الثاني.

حتى جرى الماء في عود الحجاز لا طلعت سعد سعود غير ملتثمِ[١].

من هنا نعلم صدق الإمام سعود يوم وَصَفَ ما قام به في الحرم حين قال: «وهدَّمنا الأوثان وأثبتنا فيها عبادة الرحمٰن، وأقمنا الفرائض، ونفينا عنها كلَّ قبيح مما حرَّمَ الله ورسوله، ولم نكن ولله الحمد نسفك فيها دماً ولا نأخذ مالاً حراماً ولا ننفّر صيداً ولا نعضد شجراً»[٢].

يؤكّد ذلك رواية شاهد عيان وهو دومِّنغو باديا أو علي باي العباسي حين قال: «**يجب عليَّ أن أعترف بحقّ أنني وجدت الكثير من العقلانية والاعتدال لدى كل السعوديين الوهابيين**»[٣].

ويزداد التوكيد قوةً بشهادة مؤرّخ لا علاقة له بآل سعود والسعوديين، بل هو من مناوئيهم، ومع ذلك فقد ذكر الحقَّ عنهم، وهو المؤرخ أمين بن حسن الحلواني المدني (ت: ١٣١٦هـ/١٨٩٨م)[٤] الذي قال: «ومن محاسن الوهابيين: **أنَّهم أماتوا**

---

(١) التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية» (١٧١).

(٢) رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، موجودة ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٨٦).

(٣) دومينغو باديا أو علي باي العباسي «رحلة أسباني في الجزيرة العربية» (١٦٩).

(٤) أمين بن حسن الحلواني المدني: رحّالة له اشتغال بعلم الفلك، كان مدرِّساً في حرم (المدينة النبوية). رحل إلى أوروبا وغيرها، ثم زار بعض البلدان العربية ووصل إلى (طرابلس الغرب) وكان أبيض اللون ضعيف البصر يلبس نظَّارة طبية، فظنَّه بعض الأعراب أجنبياً مُتَجَسِّساً فقتلوه. انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/١٥ ـ ١٦).

البدع ومَحْوِها، ومن محاسنهم: أنَّهم أمَّنوا البلاد التي ملكوها، وصار كُلّ ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقِفار يسلكها الرجل وحده على حمارٍ بلا خَفْرٍ، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضِهِم على بعضٍ، وصار جميع الأعراب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوانٌ أولاد رجلٍ واحد، وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب، إلى أنْ عُدِمَ هذا الشَّرُّ في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحُّش إلى الإنسانية»[1].

على هذا الحال كانت مكة؛ يوم تفيَّأت ظلال حكم الدولة السعودية الأولى، بشهادة من وقف على تلك الحوادث عياناً، وبشهادات من أرَّخ لتلك الحقبة نقلاً عمَّن عاصر هاتيك الوقائع، فتأمَّل التاريخ وتريَّث في قراءتِهِ لتتضَّح لك الأمور على جليةٍ من حالها.



(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السُّعُود بطيب أخبار الوالي داوود» (١٤٧ - ١٤٨).